

السيرة النبوية

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ — ٧٧٤ هـ

تحقيق

مصطفى عبد الواحد

المجلد الثالث

١٢٩٢ هـ = ١٩٧٦ م

دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف ٢٣٦٧٦٩ — ٢٤٦١٦١

ص.ب ٥٧٦٩

بيروت — لبنان

السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نَجْد ويقال لها غزوة ذى أمر .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السَّوِيق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهى غزوة ذى أمر^(١) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صَفراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يَلْقَ كيداً .

وقال الواقدي : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جَمْعاً من غطفان من بنى ثعلبة ابن مُحَارِب تَجَمَّعوا بذى أمر يريدون حربَه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعائة وخمسون رجلاً .

وهربت منه الأعراب في رموس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به ، وأصابهم مطر كثير فابتلت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف ، وذلك بمراءى من المشركين ، واشتغل المشركون في شئونهم .

(١) ذو أمر : موضع من ديار غطفان . وقال ابن سعد : بناحية النخيل .

فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم يقال له غَوْرَثُ بن الحارث أو دُعْثُور بن الحارث فقالوا : قد أمكفك الله من قتل محمد .

فذهب ذلك الرجل ومعه سيف صقيل ، حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكره عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه .

فلما رجع إلى أصحابه فقالوا : ويلك ، مالك ؟ فقال : نظرتُ إلى رجل طويل فدفع في صدرى فوقعت لظهرى فعرفت أنه ملك ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكره عليه جمعاً . وجعل يدعو قومه إلى الإسلام .

قال : ونزل في ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ^(١) » الآية .

قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرِّقَاع قصة تشبه هذه ، فلعلهما قصتان . قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ، لأن ذلك الرجل اسمه غَوْرَث ابن الحارث أيضاً لم يُسلم بل استمرَّ على دينه ، ولم يكن عاهد النبي صلى الله عليه وسلم ألا يقاتله . والله أعلم .

غزوة الفُرْع من بَحْران

قال ابن إسحاق : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله أو إلا قليلاً منه ثم غدا ^(٢)

(١) سورة المائدة ١١ . (٢) ابن هشام : ثم غزا .

يريد قريشاً ، قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحْران ^(١) ، وهو معدن بالحجاز من ناحية الفرع ^(٢) .
وقال الواقدي : إنما كانت غيبته عليه السلام عن المدينة عشرة أيام . فإله أعلم .

خبر يهود بنى قينقاع من أهل المدينة

وقد زعم الواقدي أنها كانت في يوم السبت النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة . فإله أعلم .

وهم المرادون بقوله تعالى : « كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبأل أمرهم ولهم عذاب أليم » ^(٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم في سوقهم ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم .

فقالوا : يا محمد إنك ترى أننا قومك ؟ لا يفركك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثني مولى لزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا سَتَغْلِبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيُدْخِلُ الْمُهَادِدِينَ فِي فِتْنَتَيْنِ النَّقْبَا » يعني أصحاب بدر

(١) بحران : بضم الباء وفتحها وهي أول قرية مارت اسماعيل وأمه التمر بمكة .

(٢) الفرع : بضم الفاء والراء وفي المواهب بفتحهما . (٣) سورة الحشر ١٥ .

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش : « فِتْنَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ^(١) » .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قَيْنِقَاع كانوا أولَ يهود تقضوا العهدَ وحاربوا فيما بَيْنَ بدرٍ وأُحد .

قال ابن هشام : فذكر عبد الله بن جعفر بن المِسْوَر بن مَحْرَمَةَ عن أبي عَوْن ، قال : كان [من ^(٢)] أمر بني قَيْنِقَاع أن امرأةً من العرب قدمت بحَبْل لها فباعته بسوق بني قَيْنِقَاع ، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبَت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سَوَاتِهَا فضحكوا بها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً ، فشَدَّت اليهودُ على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود فأغضب ^(٣) المسلمون ، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قَيْنِقَاع .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فخاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حُكْمِهِ .

فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلُول حين أمكنه الله منهم فقال : يا محمد أحسِن في موالِيَّ . وكانوا حلفاء الخزرج . قال : فأبْطَأَ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد أحسِن في موالِيَّ فأعرضَ عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكان يقال لها ذات الفضول . فقال له رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم : أرسلني . وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجه ظملاً ثم قال : ويحك أرسلني .

قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدكم في غداة واحدة ! إني والله اسروا أخشى الدوائر . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاصرته إياهم أبا لبابة بشير بن عبد المذزر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن عبادة بن الوليد ، عن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبثت بأمرهم عبد الله بن أبي وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، نخلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله أتوتني الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .

قال : وفيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات من المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الآيات حتى قوله : « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » يعني عبد الله بن أبي إلى قوله « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » يعني عبادة بن الصامت . وقد تكلمنا على ذلك في التفسير .

سرية زيد بن حارثة

إلى غير قریش^(١) صحبة أبي سفيان أيضاً ، وقيل صحبة صفوان

قال يونس بن^(٢) بكير ، عن ابن إسحاق : . وكانت بعد وقعة بدر بستة أشهر .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قریشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان ، يعني العجلي حليف بني سبهم ، ليدلهم على تلك الطريق . قال ابن إسحاق : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقبهم على ماء يقال له القردة^(٣) ، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال في ذلك حسان بن ثابت :

دَعَوْا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ^(٤)
بَأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَانِكِ
إِذَا سَلَكَتِ لِلغُورِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ^(٥)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة في أبيات الحسن ، وقد أجابه فيها أبو سفيان ابن الحارث .

وقال الواقدي : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهلاً جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية .

(١) ابن هشام : إلى القردة . (٢) الأصل : عن بكير . وهو تحريف . (٣) القردة : ماء من مياه نجد .

(٤) الفلجات جمع فاجة ، وهي النهر الصغير . وقال السهيلي : الفلجات جمع فاج وهو العين الجارية . فن : والمخاض : واحتلتها خلفه من غير لفظها . وهي الحامل ، وقد قيل في الواحد : ماخض . والأوارك : بنت الأراك واشتكت من أكام . (٥) الغور : ما انخفض من الأرض . وعالج : موضع كثير الرمل .

وكان سبب بعثه زيد بن حارثة أن نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ومعهم سليط بن النعمان من أسلم ، فشرّبوا ، وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر ، فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود وخروج صفوان بن أمية فيها وما معه من الأموال ، فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم فأخذوا الأموال وأعجزهم الرجال ، وإنما أسرّوا رجلاً أو رجلين ، وقدّموا بالعير نخمستها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ نخمستها عشرين ألفاً ، وقسم أربعة أخماسها على السرية . وكان فيمن أسر الدليل قرأت بن حيان ، فأسلم . رضى الله عنه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أن في ربيع من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طيء ، ثم أحد بني نهمان ولكن أمه من بني النضير .

هكذا ذكره ابن إسحاق قبل جلاء بني النضير ، وذكره البخاري والبيهقي بعد قصة بني النضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق ، لما سيأتي ، فإن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحد ، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر كما سنبينه بطريقه إن شاء الله .

قال البخاري في صحيحه : « قَتِلُ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ » حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ . فقال محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم . قال : فَأَذِنَ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئاً . قال : قل .

فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً وإنه قد عَنَّا^(١) وإني قد أتيتك أَسْتَسْلِفُكَ . قال : وأيضاً والله لَتَمْلُئَنَّهُ .

قال : إنا قد اتبعناه فلا نحبُّ أن ندَّعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تُسَلِّفَنا^(٢) .

قال : نعم أرهنونى . قلت : أى شىء تريد ؟ قال : أرهنونى نساءكم .

فقالوا : كيف نُرْهِنُكَ نساءنا وأنت أجمل العرب ! قال : فأرهنونى أبناءكم . قالوا : كيف نُرْهِنُكَ أبناءنا فيَسَبِّ أحدهم فيقال : رُهن بوسق أو وسقين ! هذا عارٌ علينا ، ولكن نُرْهِنُكَ الأُمة . قال سفيان : يعنى السلاح^(٣) .

فواعده أن يأتيه ليلاً ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة^(٤) وهو أخو كعب من الرضاعة . فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمرو^(٥) : قالت : أسمع صوتاً كأنه يَقْطُرُ منه الدم . قال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طَعْمَةٍ لبيل لأجاب !

قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، فقال : إذا ما جاء فإني مائل^(٦) بشعره ، فاشمَّه ، فإذا رأيتهم استمكنتُ من رأسه فدونتكم فاضربوه . وقال : مرة ، نعم أَشْتَمُكُمْ^(٧) .

فنزل إليهم متوشَّحاً وهو يَنْفُخُ منهُ ريح الطيب فقال^(٨) : ما رأيت كالיום ريحاً . أى أطيَّب . وقال غير عمرو : قال^(٩) : عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب .

(١) عَنَّا : أتبعنا . (٢) زاد في بعض روايات البخارى : وسقاً أو وسقين .

(٣) الأُمة في اللغة : الدرع . وإطلاق السلاح عليها من إطلاق اسم السكل على البعض . وتصدوا من ذلك ألا ينكر عليهم السلاح حين يأتيونه به . (٤) هو سلسكان بن سلامة .

(٥) غير عمرو : أى رواية أخرى غير رواية عمرو بن دينار . (٦) وتروى : قتال بشعره . أى أخذ .

(٧) أَشْتَمُكُمْ : أمسككم من الدم . (٨) أى محمد بن مسلمة . (٩) أى كعب .

قال عمرو : فقال : أتاذن لي أن أشمَّ رأسك ؟ قال : نعم . فشَمَّهُ ثمَّ أشمَّ أصحابه ، ثمَّ قال : أتاذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه قال : دونكم . فقتلوه . ثمَّ أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء . ثمَّ أحد بنى تبهان وأمه من بنى النضير ، أنه لما بلغه الخبرُ عن مقتل أهل بدر حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، قال : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها .

فلما تيقنَّ عدو الله الخبرَ خرج إلى مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزله وأكرمته ، وجعل يحرّض على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُشدُّ الأُشعارَ ويندب من قُتل من المشركين يوم بدر .

فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلَمَثَلِ بَدْرِ تَسْتَهْلِ وَتَدْمَعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابت رضى الله عنه ومن غيره .

ثمَّ عاد إلى المدينة فجعل يشبُّ بنساء المسلمين ويهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بنى النضير أو فيهم ، قد أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء وركب إلى قريش فاستغفروهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك أدبنا أحبُّ إلى الله أم دينُ محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نطعم الجُزور السكَّوماء ونسقى اللبن على الماء ونطعم ماهيتَ الشمال .

فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلا !

قال فأُنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : « ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجُبَتِ والطاغوتِ ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين كَفَّهم الله وَمَنْ يَلْعَنُ اللهُ فلنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً » وما بعدها .

قال موسى ومحمد بن إسحاق : وقدم المدينة يُعَلِّمَن بالعداوة ويحرِّضُ الناسَ على الحرب ، ولم يُخْرِجْ من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يشبِّبُ بأم الفضل بن الحارث وبغيرها من نساء المسلمين .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيث ابن أبي بَرْدَة : مَنْ لابنِ الأشرف ؟

فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله أنا أقتله . قال : فافعل إن قدرت على ذلك .

قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أم لا . قال : إنما عليك الجُهد .

قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا أن نقول . قال : فقولوا ما بدا لكم فأنتم في حلٍّ من ذلك .

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسُلَكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو لائلَة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعبد بن بشر بن

وَقَشَ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنُ مَعَاذِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ ،
وَأَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ .

قال : فَقَدَّمُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ كَعْبِ سُلْكَانَ بْنِ سَلَامَةَ أَبَا نَائِلَةَ ،
فَجَاءَهُ فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً فَتَنَاشَدَا شِعْرًا ، وَكَانَ أَبُو نَائِلَةَ يَقُولُ الشَّعْرَ ، ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ
يَا بَنَ الْأَشْرَفِ ! إِنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أُرِيدُ ذِكْرَهَا لَكَ فَاتَّعَمُّ عَنِّي . قَالَ : أَفْعَلُ .

قال : كَانَ قَدُومُ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا بَلَاءً ، عَادَتُنَا الْعَرَبُ وَرَمَتُنَا عَنْ قَوْسٍ
وَاحِدَةٍ وَقَطَعَتْ عَنَا السَّبِيلَ ، حَتَّى ضَاعَ الْعِيَالُ وَجَهَدَتِ الْأَنْفُسُ وَأَصْبَحْنَا قَدْ جَهِدْنَا
وَجَهِدَ عِيَالُنَا .

فَقَالَ كَعْبٌ : أَنَا ابْنُ الْأَشْرَفِ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ يَا بَنَ سَلَامَةَ أَنَّ الْأَمْرَ
يَصِيرُ إِلَى مَا أَقُولُ .

فَقَالَ لَهُ سُلْكَانٌ : إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَبِيعَنَّا طَعَامًا وَتُرْهَنَكَ وَنَوْتِقَ لَكَ وَتَحْسِنَ
فِي ذَلِكَ .

قال : تَرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ؟ قَالَ : لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَفْضَحْنَا ، إِنْ مَعِيَ أَصْحَابًا لِي عَلَى
مِثْلِ رَأْيِي ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ فَتَبِيعَهُمْ وَتَحْسِنَ فِي ذَلِكَ وَتُرْهَنَكَ مِنْ
الْحَلِيقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءً .

وَأَرَادَ سُلْكَانُ أَلَّا يَنْسُكَرَ السَّلَاحُ إِذَا جَاءُوا بِهَا . فَقَالَ : إِنْ فِي الْحَلِيقَةِ لَوْفَاءٌ .
قال : فَجَرَعَ سُلْكَانُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السَّلَاحَ ثُمَّ يَنْطَلِقُوا
فِيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : لَخْدَثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَشَى
مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَقِيعِ الْفَرَقَدِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ : « انْطَلِقُوا عَلَى

اسم الله ، اللهم أعينهم » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه .

فهمتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعُرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتهما وقالت : أنت امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا يزلون في هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة لو وجدني نائمًا ما أيقظني . فقالت : والله إنى لأعرف في صوته الشرَّ . قال : يقول لها كعب : لو دُعِيَ الفتى لطلعةٍ أجاب !

فنزّل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هبل لك يا ابن الأشرف أن نناشئ إلى شعب العجوز فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا فمَسُوا ساعة .

ثم إن أبا نائلة شام يده في فؤدِ رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيتُ كالليلة طيباً أعطر قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها فأخذ بفؤدِ رأسه ثم قال : اضربوا عدوّ الله ! فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغوّلاً^(١) في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلا أوقدت عليه نار ، قال : فوضعت في ثُنْتِهِ^(٢) ثم تحاملتُ عايه حتى بلغت عانته^(٣) ، فوقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رجله أو في رأسه أصابه بعضُ سيوفنا .

قال : فخرجنا حتى سلكنّا على بنى أمية بن زيد ثم على بنى قريظة ثم على بُعَاث ، حتى أسندنا في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ثم أتانّا يتبع آثارنا فاحتملناه ، فحُتْنَا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل رسول الله صلى

(١) المغول : اصل طويل . (٢) الثنة : ما بين الممرّة والعانة . (٣) الاكتفا : غايته .

الله عليه وسلم على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا
بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك يقول كعب بن مالك :

فغودرَ منهم كعبٌ صريعاً فذلتَ بعدَ مَضْرَعِهِ النضيرُ
على الكفّينَ نَمَمٌ وقد علتهُ بأيدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ
بأمرِ محمدٍ إذ دَسَّ لِيلاً إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فما كرهَ فأنزله بمكرٍ ومحمود أخو ثقة جَسُورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتى .

قلت : كان قتلُ كعب بن الأشرف على يدى الأوس بعد وقعة بدر ، ثم
إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبى الحقيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتى بيانه إن شاء
الله وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعرَ حسان بن ثابت :

لله دَرٌّ عَصَابَةٌ لَاقِيَهُم يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِلَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مُحَلٍّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتَفًا بَيْضَ ذُفَفِ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجَفِ

قال محمد بن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ
يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ » .

فوثب عند ذلك نَحِيصَةُ بْنُ مَسْعُودِ الْأَوْسَى عَلَى ابْنِ سُلَيْمَةَ ، رَجُلٍ مِنْ تِجَارِ يَهُودٍ

كان يلابسهم ويبياعهم ، فقتله ، وكان أخوه حُوَيْصَةُ بن مسعود أَسَنَ منه ولم يُسَلِّمْ بعدُ ، فلما قتله جعل حُوَيْصَةُ يضربه ويقول : أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ أَقْتَلْتَهُ ؟ ! أما والله لَرُبَّ شَخْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ !

قال مُحْيِصَةُ : قُتِلْتُ والله لقد أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ! قال : فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ لِأَوَّلِ إِسْلَامِ حُوَيْصَةَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَمَرَكُمُ مُحَمَّدٌ بِقَتْلِي لَتَقَتَلَنِي ؟ قال : نعم ، والله لو أَمَرَنِي بِضَرْبِ عُنُقِكَ لَضَرَبْتُهَا ! قال : فَوَاللَّهِ إِنْ دِينًا بَلَغَ بِكَ هَذَا لَعَجَبٌ ! فَاسَلِمَ حُوَيْصَةُ . قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ مُوَلَّى ابْنِي حَارِثَةَ عَنْ ابْنَةِ مُحْيِصَةَ ، عَنْ أَبِيهَا .

وقال في ذلك مُحْيِصَةُ :

يَوْمَ ابْنِ أُمٍّ ^(١) لَوْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ لَطَبَّقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضِ قَارِبٍ ^(٢)
حُسَامٌ كُلُّونَ الْمَلَحِ أَخْلَصَ صَقْلُهُ مَتَى مَا أَصَوَّبُهُ قَلِيلِسَ بِكَاذِبٍ
وَمَا سَرَّني أَنِي قَتَلْتُكَ طَائِعًا وَأَنْ لَنَا مَا بَيْنَ بُضْرَى وَمَأْرِبٍ

وحكى ابن هشام ، عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرو المدنى ، أن هذه القصة كانت بعد مقتل بنى قريظة ، فإن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلما قتله مُحْيِصَةُ عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بنى قريظة قال له أخوه حُوَيْصَةُ ما قال ، فردَّ عليه مُحْيِصَةُ بما تقدم ، فَاسَلِمَ حُوَيْصَةُ يومئذ . فالله أعلم .

تنبيه : ذكر البيهقي والبخارى قبله خبر بنى النضير قبل وقعة أحد ، والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازى .

وبرهانه : أن الخمر حُرِّمَتْ لِمَالِي حِصَارِ بَنِي النَّضِيرِ ، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ اصْطَبَحَ

(١) ابن هشام : ابن أُمٍّ . (٢) الذفرى : عظم نائى خلف الأذن وفى ابن هشام : قاضب . وهو القاطع .

الخمَرَ جماعةٌ ممن قُتِلَ يومَ أحدَ شهيداً ، فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً ، وإِنما حرمت بعد ذلك ، فتبيّن ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم .

تنبيه آخر : خبرُ يهود بنى قَيْنُقَاع بعد وقعة بدر . كما تقدم . وكذلك قَتَلَ كعب ابن الأشرف اليهودى على يدى الأوس .

وخبر بنى النضير بعد وقعة أحد كما سيأتى . وكذلك مَقَتَلَ أبى رافع اليهودى تاجر أهل الحجاز على يدى الخزرج .

وخبرُ يهود بنى قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق . كما سيأتى .

غزوة أُحُد في شوال سنة ثلاث

« فائدة » ذكرها المؤلف في تسمية أُحُد . قال : سُمِّي أُحُدٌ أُحْدًا لِتَوَحُّدِهِ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْجِبَالِ .

وفي الصحيح : « أُحُدٌ جِبَلٌ يُحْبَنُ وَنَحْبُهُ » قيل : معناه أهله . وقيل : لأنه كان يَبْشُرُهُ بِقُرْبِ أَهْلِهِ إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ ، كَمَا يَفْعَلُ الْحُبُّ . وقيل : على ظاهره كقوله : « وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .

وفي الحديث عن أبي عبس بن جبر : « أُحُدٌ يُحْبَنُ وَنَحْبُهُ ، وَهُوَ عَلَى بَابِ الْجَنَةِ ، وَغَيْرُ بَيْغُضْنَا وَنَبْغُضُهُ . وَهُوَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ » .

قال السهيلي مقوياً لهذا الحديث : وقد ثبت أنه عليه السلام قال : « المرء مع مَنْ أَحَبَّ » .

وهذا من غريب صُنع السهيلي . فإن هذا الحديث إنما يراد به الناسُ ، ولا يسمَّى الجبل امرأةً .

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث . قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوال . وقال قتادة : يوم السبت الحادى عشر منه . قال مالك : وكانت الوقعة في أول النهار ، وهى على المشهور التى أنزل الله فيها قوله تعالى : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ . إِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ

يُمدُّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلين . بلى إنَّ تَصَبُّروا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الملائكةِ مُسَوِّمين » الآيات وما بعدها إلى قوله : « ما كان الله ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه ، حتى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، وما كان الله لِيُظْلِمَكم على الْغَيْبِ ^(١) » .

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك كله في كتاب التفسير بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخص الواقعة مما ساقه محمدُ بن إسحاق وغيره من علماء هذا الشأن رحمه الله .

وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزُّهري ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحَصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدَّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كلهم فيما سقتُ . قالوا - أو من قال منهم - :

لَمَّا أَصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كِفَارِ قُرَيْشِ أَصْحَابُ الْقَلْبِ وَرَجِعَ فَلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ ، وَرَجِعَ أَبُو سَفْيَانَ بَعِيرُهُ ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعِصْرُمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ أَصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَلَّمُوا أَبَا سَفْيَانَ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشِ ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَ وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ لَعَلَّنَا نَدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرًا . ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففهم كما ذكر لي بعضُ أهل العلم أنزل الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ^(١) » .

قالوا : فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحاديثها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد مَنّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعر فأعِنَّا بلسانك وأخرج معنا . فقال : إن محمداً قد مَنّ عليّ فلا أريد أن أظهر عليه . قال : بلى ، فأعِنَّا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أغنيك ، وإن قُتلتَ أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عُسر ويُسر .

فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول :

أَيَا ^(٢) بَنِي عَبْدِ مَنَاةِ الرُّزَامِ ^(٣) أَنْتُمْ حُمَاةٌ وَأَبُوكُمْ حَامٍ

لَا يَعْدُوْنِي نَصْرُكُمْ بَعْدَ الْعَامِ لَا تُسْلَمُونِي لَا يَحِلُّ إِسْلَامُ

قال : وخرج نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُحج إلى بني مالك بن

كنانة يحرّضهم ويقول :

يَا مَالِ ^(٤) مَالِ الْحَسَبِ الْمَقْدَمِ أَنْشُدْذَا الْقُرْبَىٰ وَذَا التَّنْذِمِ

مَنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ الْحَلْفَ وَسَطَ الْبَلَدِ الْحَرَمِ

عِنْدَ حَاطِمِ الْكَعْبَةِ الْمَعْظَمِ

قال : ودعا جُبَيْر بن مُطعم غلاماً له حبشياً يقال له وَحْشَى يَقْذِفُ بِحَرْبَةٍ لَهُ قَذْفَ

(٢) سورة الأنفال ٣٦ . (٣) ابن هشام : ليها . (٤) الرزّام : جمع رازم ، وهو الذي يثبت في الحرب لا يبرح . (٥) يا مال : يريد يا مالك لحذف آخره للترخيم .

الحبشة ، قلما يُخْطىُ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بمعى طُعيمة بن عدى فانت عتيق .

قال : نخرجت قریش بجدها وحديدها وجدها وأحايشها ، ومن تابعها من بنى كفانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالطعن^(١) التماس الحفيظة وألا يفرؤا .
وخرج أبو سفيان صخر بن حرب ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة .

وخرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه ابنة عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة . وخرج عمه الحارث بن هشام بزوجه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة .
وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير النخعية ، وخرج عمرو ابن العاص برينة بنت منبّه بن الحجاج ، وهى أم ابنه عبد الله بن عمرو .
وذكر غيرهم ممن خرج بامراته .

قال : وكان وحشى كلماً مرّ بهند بنت عتبة أو مرّت به تقول : ويهاً أبا دسمة اشف واشتف . يعنى تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب .

قال : فأقبلوا حتى نزلوا بعينين يحمل بطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال لهم : «قد رأيتُ والله خيراً ، رأيتُ بقرأً تذبح ، ورأيتُ فى ذباب سيفى ثلماً . ورأيتُ أنى أدخلت يدى فى درع حصينة . فأولتها المدينة » .

وهذا الحديث رواه البخارى ومسلم جميعاً عن أبى كريب ، عن أبى أسامة ، عن

(١) الطعن : جمع ظمنه وهى المرأة ما دامت فى هودج .

بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ ، فَذَهَبْتُ وَهَلَيْ^(١) إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ أَوْ هَجَرْتُ ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ . وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ ، فَإِذَا هُوَ مَا أَصِيبُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أَحَدَ ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَيْضًا بَقْرًا ، وَاللَّهُ خَيْرٌ^(٢) ، فَإِذَا هُمُ الْغَفَرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أَحَدَ ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي أَتَانَا بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ » .

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ ، أَخْبَرَنَا الْأَصَمُّ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : تَعَقَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أَحَدَ .

وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَهُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أَحَدَ كَانَ رَأْيُهُ أَنْ يَقِيمَ بِالْمَدِينَةِ فَيَقَاتِلَهُمْ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ نَاسٌ لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا بَدْرًا : نَخْرُجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ نَقَاتَهُمْ بِأَحَدٍ . وَرَجَّوْا أَنْ يَصِيبَهُمْ مِنَ الْفَضِيلَةِ مَا أَصَابَ أَهْلَ بَدْرٍ .

فَمَا زَالُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى لَبَسَ أَدَاتَهُ ، ثُمَّ نَدَمُوا وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَمْ ، فَالْرَأْيُ رَأْيُكَ .

فَقَالَ لَهُمْ : مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ مَا لَبَسَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ .

قَالَ : وَكَانَ قَالَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْأَدَاةَ : إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ ،

(١) وهلي : أول ظني .

(٢) قال القسطلاني : والله خير : رفع مبتدأ أو خير ، وفيه حذف تقديره : وصنع الله خير .

فَأَوَّلُهَا الْمَدِينَةُ ، وَأَنَّى مُرْدِفٌ كَبْشًا وَأَوَّلُهُ كَبْشَ الْكَتَيْبَةِ ، وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ
فُلٌّ ، فَأَوَّلُهُ فَلًّا فَيَكُم ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا يُذْبَحُ ، فَبَقَرٌ ^(١) ، وَاللَّهُ خَيْرٌ .

رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه به .
وروى البيهقى من طريق حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أنس مرفوعاً قال :
رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ كَأَنَّى مُرْدِفٌ كَبْشًا ، وَكَأَن ضَبَّةَ سَيْفِي انْكَسَرَتْ ، فَأَوَّلَتْ
أَنَّى أَقْتُلُ كَبْشَ الْقَوْمِ ، وَأَوَّلَتْ كَسْرَ ضَبَّةِ سَيْفِي قَتَلَ رَجُلٍ مِنْ عِتْرَتِي .
فَقَتَلَ حَمْزَةً ، وَقَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلْحَةَ ، وَكَانَ صَاحِبَ اللَّوَاءِ .

وقال موسى بن عقبة : وَرَجَعَتْ قَرِيشٌ فَاسْتَجْلَبُوا مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ ،
وَسَارَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي جَمْعِ قَرِيشٍ ، وَذَلِكَ فِي شَوَالٍ مِنَ السَّنَةِ الْمُقْبِلَةِ مِنْ وَقْعَةِ
بَدْرٍ ، حَتَّى نَزَلُوا بِبَطْنِ الْوَادِي الَّذِي قَبْلَ أَحَدٍ ، وَكَانَ رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَشْهَدُوا
بَدْرًا قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ السَّابِقَةِ ، وَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ لِيُبْلُوا مَا أَيْلَى إِخْوَانِهِمْ
يَوْمَ بَدْرٍ .

فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو سَفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ بِأَصْلِ أَحَدٍ فَرَحَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بَدْرًا
بِقُدُومِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : قَدْ سَاقَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَمْنَيْنَا .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ رُؤْيَا فَأَصْبَحَ ، فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ : « رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِي مَنَامِي بَقْرًا تُذْبَحُ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ ، وَرَأَيْتُ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ
انْقَصَمَ مِنْ عِنْدِ ضَبَّتِهِ ، أَوْ قَالَ : بِهِ فُلُولٌ ، فَكُفِّرْتُهُ ، وَهِيَ مَصِيَّتَانِ ، وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دَرَعِ
حَصِينَةٍ وَأَنَّى مُرْدِفٌ كَبْشًا » .

فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرُؤْيَاهُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا

(١) يريد بالبقرة هنا : مصدر بقره بقره بقرا ، أى شق بطنه .

أُولْتُ رُؤْيَاكَ؟ قَالَ : « أُولْتُ الْبَقَرَ الَّذِي رَأَيْتُ بَقَرًا فِينَا فِي الْقَوْمِ ، وَكَرِهْتُ مَا رَأَيْتُ بِسَيْفِي » .

ويقول رجال : كَانَ الَّذِي رَأَى بِسَيْفِهِ : الَّذِي أَصَابَ وَجْهَهُ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ أَصَابَ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ ، وَقَصَبُوا رُبَاعِيَّتَهُ وَخَرَقُوا شَفَتَهُ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي رَمَاهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَكَانَ الْبَقَرُ مَن قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ .

وَقَالَ : أُولْتُ الْكَبْشِ أَنَّهُ كَبْشٌ كَتَبَتْهُ الْعَدُوُّ بِقَتْلِهِ اللَّهَ ، وَأُولْتُ الدَّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةَ ، فَاكْتَنَاهَا وَاجْعَلُوا الذَّرَارِيَّ فِي الْأَطْلَامِ ، فَإِنَّ دَخَلَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ فِي الْأَزَقَةِ قَاتَلْنَاهُمْ وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ . وَكَانُوا قَدْ سَكَّوْا أَزَقَةَ الْمَدِينَةِ بِالْبُنْيَانِ حَتَّى [صَارَتْ] كَالْحَصَنِ . فَقَالَ الَّذِينَ لَمْ يَشْهَدُوا بِدِرًّا : كُنَّا نَتَمَنَّى هَذَا الْيَوْمَ وَنَدْعُو اللَّهَ ، فَقَدْ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا وَقَرَّبَ الْمَسِيرَ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : مَتَى نَقَاتِلُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا لَمْ نَقَاتِلْهُمْ عِنْدَ شِعْبِنَا؟ وَقَالَ رَجَالٌ : مَاذَا نَمْنَعُ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْحَرْبَ بَرَّوْعٍ؟

وَقَالَ رَجَالٌ قَوْلًا صَدَقُوا بِهِ وَمَضَوْا عَلَيْهِ ، مِنْهُمْ حِزْبُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، قَالَ : وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لُنَجِّدَنَّاهُمْ .

وَقَالَ نَعِيمُ بْنُ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي سَالِمٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ لَا تَحْرِمْنَا الْجَنَّةَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا دُخْلَهَا .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِمَ؟ قَالَ : بِأَنِّي أَحْبَبْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا أَفِرُّ يَوْمَ الزَّحْفِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقْتَ . وَاسْتَشْهَدْ يَوْمَئِذٍ .

وَأَبَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى الْعَدُوِّ ، وَلَمْ يَنْفِصُوا إِلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأْيِهِ ، وَلَوْ رَضُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ كَانَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ غَلَبَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ .

وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرا ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدر من الفضيلة .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وعظ الناس وذكرهم ، وأمرهم بالجد والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بالأمتة فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج .

فلما رأى ذلك رجال من ذوى رأى قالوا : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نمكث بالمدينة وهو أعلم بالله وما يريد ويأتيه الوحي من السماء .

فقالوا : يا رسول الله امكث كما أمرتنا . فقال : ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبئتم إلا الخروج ، فمليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا .

قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسلكوا على البدائع وهم ألف رجل ، والمشركون ثلاثة آلاف ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بأحد .

ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة .

قال البيهقي : هذا هو المشهور عند أهل المغازي ، أنهم بقوا في سبعمائة مقاتل . قال : والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعمائة مقاتل . كذلك رواه يعقوب بن سفيان عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، وقيل عنه بهذا الإسناد سبعمائة . ف والله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مائة

فرس ، وكان لواؤه مع عثمان بن طلحة . قال : ولم يكن مع المسلمين فرس واحدة . ثم ذكر الواقعة كما سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن إسحاق : لما قصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه على أصحابه قال لهم : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

وكان رأى عبد الله بن أبيّ بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألا يخرج إليهم .

فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاته بدر : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أننا جُبِنَّا عنهم وضعفنا .

فقال عبد الله بن أبيّ : يا رسول الله لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه .

فلم يزل الناسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من بني النجار يقال له مالك ابن عمرو ، فصلَّى عليه ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله إن شئت فاقعد . فقال : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخرل عنه عبد الله بن

أبى بثث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس .

فرجع بن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم أذكركم الله ألا تحذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أن يكون قتال .

فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه صلى الله عليه وسلم .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : « وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُم تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا . قالوا : لو نعلم قتالاً لا تبعنكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ^(١) » .

يعنى أنهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالاً لا تبعنكم . وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لا خفاء ولا شك فيه .

وهم الذين أنزل الله فيهم : « فمآلکم فی المنافقین فتنین والله أركسهم بما كسبوا ^(٢) » الآية . وذلك أن طائفة قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبُين في الصحيح .

وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : لا حاجة لنا فيهم .

وذكر عروة بن موسى بن عقبة أن بنى سلمة وبنى حارثة لما رجع عبد الله بن أبي وأصحابه هممتا أن تفشلا ، فبنتهما الله تعالى ، ولهذا قال : « إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » .

قال جابر بن عبد الله : ما أحبُّ أنهما لم تنزل والله يقول : « وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ^(١) » كما ثبت في الصحيحين عنه .

قال ابن اسحاق : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بنى حارثة ، فذبّ فرسٌ بذنبه فأصاب كُلابَ ^(٢) سيفٍ فاستلّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحب السيف : شِمِّ سَيْفَكَ . أَى أَغْمَدَهُ ، فَإِنِ أَرَى السَّيْفَ سَتُسَلِّ الْيَوْمَ .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رَجُلٌ يُخْرِجُ بَنَاءَ عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَتَبَ - أَى مِنْ قَرِيبَ - مِنْ طَرِيقِ لَا يَمُرُّ بِنَاءٍ عَلَيْهِمْ ؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بنى حارثة وبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ ، حتى سلك به في مالٍ لِمَرْبَعِ ابْنِ قَيْظَى ، وكان رجلاً منافقاً ضريراً البصر ، فلما سمع حسّاً رسول الله ومن معه من المسلمين قام يَحْتَنِي فِي وَجْهِهِمُ التُّرَابَ ويقول : إِنْ كَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ فَإِنِ لَا أَحْلُ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حَائِطِي .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر لي أنه أخذ حفنةً من التراب في يده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربتُ بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا تَقْتُلُوهُ ، فَبِذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبُ أَعْمَى الْبَصَرُ . وقد

(١) أَى لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الشَّرَفِ بِنِجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِإِزَالِهِ فِيهِمْ آيَةٌ نَاطِقَةٌ بِصَحَّةِ الْوِلَايَةِ .

(٢) الْكِلَابُ : ذَوَابَّةُ السَّيْفِ .

بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ فَشَجَّهُ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ الشَّعْبُ مِنْ أَحَدٍ ، فِي عُدْوَةِ الْوَادِي وَفِي الْجَبَلِ ، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَقَالَ : لَا يِقَاتِلَنَّ أَحَدٌ حَتَّى أَمْرُهُ بِالْقِتَالِ .

وَقَدْ سَرَّحَتْ قَرِيشُ الظَّهْرَ وَالْكَرَاعَ^(١) فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْغَةِ مِنْ قَنَاةٍ كَانَتْ لِلْمَسْلُومِينَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْقِتَالِ : أَتُرْعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ وَلَمَّا نُضَارِبُ ؟ !

وَتَعَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقِتَالِ وَهُوَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ ، وَأَمَرَ عَلَى الرَّمَاةِ يَوْمَئِذٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ مَعْلَمٌ يَوْمَئِذٍ بِثِيَابٍ بَيْضٍ ، وَالرَّمَاةُ خَمْسُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : انْضَحِ الْخَيْلَ عَنَّا بِالْفَيْلِ لَا يَأْتُونَنَا مِنْ خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَانْتَبَتْ مَكَانَكَ لَا نُؤْتَيْنِ مِنْ قَبْلِكَ .

وَسَيَأْتِي شَاهِدٌ هَذَا فِي الصَّحِيحِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَظَاهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ . يَعْنِي لَبَسَ دِرْعًا فَوْقَ دِرْعٍ ، وَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ .

قُلْتُ : وَقَدَرَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةً مِنَ الْفُلَاحِ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَلَمْ يَمَكِّنْهُمْ مِنْ حَضُورِ الْحَرْبِ لِصِغَرِهِمْ ، مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ : عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ فَلَمْ يُجِزْنِي ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَبَا ابْنِ خَمْسٍ عَشْرَةَ فَأُجِزَنِي .

وَكَذَلِكَ رَدَّ يَوْمَئِذٍ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَأَسِيدُ بْنُ

(١) الظَّهْرُ : الْإِبِلُ . وَالْكَرَاعُ : الْخَيْلُ .

ظهير ، وعرابية بن أوس بن قبيطى . ذكره ابن قتيبة وأورده السهيلي ، وهو الذى يقول فيه الشماخ :

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقّاها عرابةٌ باليمنِ

ومنهج ابن سعيد بن خيشمة . ذكره السهيلي أيضا ، وأجازهم كلهم يوم الخندق . وكان قد ردّ يومئذ سمرّة بن جندب ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فقيل : يا رسول الله إن رافعا رام فأجازه . فقيل : يا رسول الله فإن سمرّة يصرع رافعا فأجازه .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخليل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل بن هشام .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذُ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجالٌ فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجّانة سِمّاك بن خرشة أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟

قال : أن تضرب به فى العدو حتى ينحني .

قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعا .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد وعفان ، قالا حدثنا حماد ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابت ، عن النبی ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ هذا السيف ؟ فأخذ قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : من يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم ، فقال أبو دُجّانة سِمّاك : أنا آخذه بحقه . فأخذه فقلق به هامَ المشركين .

ورواه مسلم ، عن أبى بكر عن عفان به .

قال ابن إسحاق: وكان أبو دُجَانَةَ رجلاً شجاعاً يَحْتَمِلُ عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَكَانَ لَهُ عَصَابَةٌ حَمْرَاءُ يُعَلِّمُ بِهَا عِنْدَ الْحَرْبِ يَعْتَصِبُ بِهَا ، فَيُعَلِّمُ أَنَّهُ سَيَقَاتِلُ .

قال : فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فاعتصَبَ بِهَا ، ثُمَّ جَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ .

قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَانَةَ يَتَبَخَّرُ : إِنِّهَا لَمِشِيَةٌ يَبْغِضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ !

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ قَدْ وَلَيْتُمْ لَوَاءَنَا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأَصَابَنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى النَّاسُ مِنْ قِبَلِ رَايَاتِهِمْ ، إِذَا زَالَتْ زَالُوا ، فَإِنَّمَا أَنْ تَكْفُونَا لَوَاءَنَا وَإِنَّمَا أَنْ تُخْلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَتُكْفِيكُمْوه .

فهمُّوا به وتواعدوه وقالوا : نَحْنُ نُسَلِّمُ إِلَيْكَ لَوَاءَنَا ! سَتَعَلِمُ غَدًا إِذَا التَقِينَا كَيْفَ نَصْنَعُ .
وذلك الذي أراد أبو سفيان .

قال : فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوفَ يضر بن بها خلف الرجال ويحرضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ

وتقول أيضاً :

إِنْ تَقْبَلُوا نَعَانِقَ وَنَفَرَشَ النَّمَارِقِ
أَوْ تَذُبُّرُوا نَفَارِقَ فِرَاقِ غَيْرِ وَامِقِ

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد عمرو بن صَيْفٍ ابن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة ، وكان قد خرج إلى مكة مُبَاعِداً للرسول الله صلى الله عليه وسلم معه خمسون غلاماً من الأوس . وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يَعدُّ قريشاً أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان .

فلما التقى الناسُ كان أولَ من نقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنَادَى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عَيْنًا يا فاسق . وكان يسمَّى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق .

فلما سمع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدى شرًّا ثم قاتلهم قتالاً شديداً ثم أرضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق : فأقبل الناسُ حتى حميت الحربُ ، وقاتل أبو دُجَانَةَ حتى أُمعن في الناس .

قال ابن هشام : وحدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيفَ فتمنَّيه وأعطاه أبا دُجَانَةَ ، وقلت : أنا ابنُ صَفِيَّةَ عمتي ومن قريش ، وقد قتُ إليهِ وسألته إياه قبله فأعطاه أبا دُجَانَةَ وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع .

فاتبعته ، فأخرج عصابةً له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجَانَةَ عصابةً الموت : وهكذا كانت تقول له إذا تعصَّب . فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خِليُّ ونحْنُ بالسِّفحِ لدَى النخيلِ
أن لا أقوم الدهرَ في السَّكْيُولِ أضربُ بسيفِ الله والرسولِ

وقال الأموي : حدثني أبو عبيدٍ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رجلاً أتاه وهو يقاتل به ، فقال : لعلك إن أعطيتك تقاتل في السَّكْيُولِ ؟ قال : لا . فأعطاه سيفاً فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهر في الكيول
وهذا حديث يروى عن شُعْبَةَ ، ورواه إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق ، عن هند
بنت خالد أو غيره يرفعه .

الكيول : يعنى مؤخر الصفوف . سمعته من عدة من أهل العلم ، ولم أسمع هذا
الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن هشام : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع
جريحاً إلا ذفَّ عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه ، فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ،
فالتقيا ، فاختلفا ضربتين فضرب المشركُ أبا دجانة فانتقاه بدرقته فعضَّتْ سيفه ،
وضربه أبو دجانة فقتله . ثم رأيتُه قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم
عدل السيف عنها فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن
العوام بذلك .

قال ابن إسحاق : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يحمّس الناس حساً شديداً ،
فخصمته له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمتُ سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

وذكر موسى بن عُقْبَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرضه طلبه منه عمرُ
فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزبير فأعرض عنه ، فوجدَا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه
الثالثة فطلبه أبو دجانة فدفعه إليه فأعطى السيف حقه .

قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن خرج من المسلمين ، فلما رأيت
مثل المشركين يقتل المساكين قت فتجاوزتُ ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع اللأمة يجوز

المسلمين وهو يقول : استَوْسِقُوا كما استَوْسَقْتُ جُزُرُ الْغَمِّ ^(١) . قال : وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته ، فضيت حتى كنت من وزائه ، ثم قت أقدّر المسلم والكافر ببصرى ، فإذا الكافر أفضلهما عُدَّةً وَهْيَاةً . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ، ف ضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت وركه وتفرق فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دُجَانة !

مقتل حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتل أُرْطاة بن عبد شُرْحَبِيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحدَ النفر الذين يحملون اللواء . وكذلك قتل عثمان بن أبى طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول :
 إن على أهلِ اللواءِ حقًّا أن يُخَضِّبُوا الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقًا
 فحمل عليه حمزة فقتله ^(٢) .

ثم مرَّ به سِباع بن عبد العزى العُشَاشَانِي ، وكان يكنى بأبى نيار ، فقال حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور . وكانت أمه أم أُنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

فقال وحشى غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر لحمزة يهدئ الناسَ بسيفه مايليق ^(٣) شيئاً يمرُّ به ، مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدّمنى إليه سِباع ، فقال حمزة : هلم يابن مقطعة البظور . فضربه ضربةً فكأنا أخطأ رأسه ، وهزّزت حُرْبتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه فوقعت في ثُنْتِهِ ^(٤) حتى خرجتُ من بين رجله ، فأقبل

(١) استَوْسِقُوا : اجتمعوا والجزر : ما يذبح من الشاء واحداً جزرة .

(٢) ليس في ابن هشام . (٣) مايليق : ما يبق . (٤) الثنة : بين السرة والعانة .

نحوى فقلب ، فوقع وأمهله حتى إذا مات جئت فأخذت حرّيتي ، ثم تنحيتُ إلى العسكر ولم يكن لي بشيء حاجةٌ غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عيّاش بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمّري ، قال : خرجتُ أنا وعبيد الله ابن عدى بن الحليار ، أحد بني نوفل بن عبد مناف في زمان معاوية ، فأدربنا مع الناس ، فلما مررنا بحمص وكان وحشيٌّ مولى جُبير قد سكنها وأقام بها ، فلما قدّمناها قال عبيد الله بن عدى : هل لك في أن تأتي وحشيًّا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال قلت له : إن شئت .

فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الحمرة ، فإن تجداه صاحبًا تجدًا رجلًا عربيًّا وتجداه عنده بعض ماتريدان وتُصيبا عنده ما شئتما من حديثٍ تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما به فانصبرِ فاعنه ودعاه .

قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له ، وإذا شيخٌ كبير مثل البُعَاث ، وإذا هو صاِح لا بأس به ، فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه .

فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى فقال ابنٌ لعدى بن الحليار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله مارأيتك منذ ناولتُك أمك السَّعدية التي أرضعتك بذي طُوًى ، فإنني ناولتُكها وهي على بغيرها فأخذتُك بعرضيك فلمعت لي قدماك حتى رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت على فعرقتُهما !

قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة ، كيف قتلتَه ؟

فقال : أما إني سأحدثكما كما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألني عن ذلك .

كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعَيْمَةُ بن عَدَى قد أصيب يومَ بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير : إن قتلْتَ حمزةَ عم محمدَ بعَمَى فأنت عَتِيق . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أفذف بالحرْبة قَذَف الحبْشةَ قلَّ ما أخطيء بها شيئاً ، فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزةَ وأتبصره ، حتى رأيتُه في عرض الناس كأنه الجمل الأورق يهدُّ الناسَ بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء ، فوالله إني لأتهيأ له أُرِيده وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني ، إذ تقدمني إليه سِمَاعُ بن عبد العزى ، فلما رآه حمزة قال : هلم إلىَّ يا بنَ مقطَّعة البُظور . قال : فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه ، قال : وهزئت حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعْتُها عليه فوقعت في ثُنْتَه ، حتى خرجتُ من بين رجلَيْه ، وذهب لينوء نحوى فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتُه فأخذتُ حربتي ثم رجعت إلى العسكر وقعدت فيه ، ولم يسكن لي بغيره حاجة ، إنما قتلتُه لِأَعْتَق .

فلما قدمتُ مكةَ عتقت ، ثم أُمْتُ ، حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربتُ إلى الطائف ، فسكنتُ بها ، فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسُهموا تَعَيَّت على المذاهبُ ، فقلت : ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد ، فوالله إني أنى ذلك من هَمِّي إذ قال لي رجل : ويحك ! إنه والله لا يَقْتُل أحداً من الناس دَخَلَ في دينه وشهد شهادةَ الحق .

قال : فلما قال لي ذلك خرجتُ حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرْعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادةَ الحق ، فلما رآني قال لي : أوحشني أنت ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : اقعد لحدثني كيف قتلتَ حمزة ؟

قال : فحدثته كما حدثتك ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك غيَّب عنى وجهك فلا أرى بك !

قال : فكنت أتكبُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراى ، حتى قبضه الله عز وجل .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم وأخذت حربتي التى قتلتُ بها حمزة ، فلما التقى الناسُ رأيتُ مسيلة قائماً وبيده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأتُ له وتهيأتُ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريد ، فهزأتُ حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها عليه فوقع فيه ، وشدَّ عليه الأنصارى بالسيف ، فربُّك أعلمُ أيُّنا قتله ، فإن كنت قتلتُه فقد قتلتُ خيرَ الناس بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلتُ شرَّ الناس !

قلت : الأنصارى هو أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَّشة .

وقال الواقدى فى الرِّدَّة : هو عبد الله بن زبد بن عاصم المازنى . وقال سيف بن عمرو : هو عدى بن سهل . وهو القاتل :

ألم ترَ أنى ووحشيتهم قتلتُ مسيلةَ المُفْتَتِنِ
ويسألنى الناسُ عن قتله فقلتُ : ضربتُ وهذا طعنُ

والمشهور أن وحشياً هو الذى بدره بالضربة وذَفَفَ عليه أبو دُجانة ، إما روى ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن ابن عمر قال : سمعتُ صارخاً يومَ اليمامة يقول : قتله العبدُ الأسود .

وقد روى البخارى قصةَ مقتل حمزة من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة

الْمَاجِشُونَ ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، قال : خرجت مع عبد الله بن عدي بن الحيار . فذكر القصة كما تقدم . وذكر أن عبيد الله بن عدي كان مُعْتَجِراً عمامةً لا يرى منه وحشياً إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ماتقدم .

وهذه قِيافةٌ عظيمة ، كما عرف مُجَزَّزُ الدُّجَلِي أَقْدَامَ زَيْدٍ وابْنِهِ أَسَامَةَ مع اختلاف أُلُوَاهِمَا .

وقال في سياقته : فلما أن صُفَّ الناس للقتال خرج سِبَاعُ فقال : هل من مُبَارِزٍ ؟ فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب فقال له : يَسْبَاعُ يَا بَنَ أُمِّ أُنْمَارٍ مُقَطَّعةُ البُظُورِ ، اُنْحَادُ اللَّهِ ورسوله ؟ ! ثم شَدَّ عليه فكان كَأَمْسِ الدَّاهِبِ !

قال : وَكُنْتُ لِحِمَزةٍ تَحْتَ صَخْرَةٍ ، فلما دنا مني رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعَهَا فِي ثُنْتِهِ ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرَكَيْهِ ، قال : فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

إِلَى أَنْ قَالَ : فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجَ مَسِيلَةُ الْكَذَابِ قُلْتُ : لِأَخْرِجَ إِلَى مَسِيلَةِ أَعْمَلٍ أَقْتَلُهُ فَأَكْفَى بِهِ حِمَزةً . قال : فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . قال : فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلَاثَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْ رَقٌّ ثَائِرُ الرَّأْسِ ، قَالَ : فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ [بَيْنِ] ^(١) كَتِفَيْهِ ، قَالَ : وَوُثِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ .

قال عبد الله بن الفضل : فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ : فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ الْبَيْتِ : وَالْأَمِيرُ الْمُؤْمِنُ ^(٢) ! قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ .

قال ابن هشام : فَبَلَغَنِي أَنَّ وَحْشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدِّثُ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيَوَانِ ، فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : قَدْ قُلْتُ إِنْ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ قَاتِلَ حِمَزةٍ !

قلت : وتوفي وحشي بن حرب ، أبو دثمة ، ويقال أبو حرب ، بحمص ، وكان أول من لبس الثياب المذلوكة .

قال ابن إسحاق : وقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ . وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمَيْثَةَ اللَّيْثِي ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ فَقَالَ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعيد بن المسيب أن الذي قتل مُصْعَبًا هو أَبِيُّ بْنُ خَلَفٍ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن إسحاق : فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .

وقال يونس بن بُكَيْرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : كَانَ اللِّوَاءُ أَوَّلًا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَاءَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ عَبْدِ الدَّارِ قَالَ : نَحْنُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ مِنْهُمْ ، أَخَذَ اللِّوَاءَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَدَفَعَهُ إِلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، فَلَمَّا قَتَلَ مُصْعَبٌ أُعْطِيَ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ .

قال ابن إسحاق : وَقَاتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَازَنِيُّ ، قَالَ : لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ يَوْمَ أَحَدٍ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ : أَنْ قَدِّمِ الرَّايَةَ . فَقَدَّمَ عَلَى وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا أَبُو الْقَصَمِ . فَمَادَاهُ أَبُو سَعْدٍ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، وَهُوَ صَاحِبُ لَوَاءِ الْمُشْرِكِينَ : هَلْ لَكَ يَا أَبَا الْقَصَمِ فِي الْبِرَّازِ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَبَرَزَا بَيْنَ الصَّفَيْنِ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَضْرِبَهُ عَلَى فَصْرَعِهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَلَمْ يُجْهِزْ عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : أَفَلَا أَجْهَزْتَهُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي بِعَوْرَتِهِ فَعُطِفَتْنِي عَلَيْهِ الرَّحْمُ وَعَرَفْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَهُ .

وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صِفِّين مع بُسر بن أبى أرطاة لما حمل عليه ليقته أبدو له عورته فرجع عنه .

وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صِفِّين أبدو عن عورته فرجع على أيضاً . فى ذلك يقول الحارث بن النضر :

أفنى^(١) كل يوم فارس غير مُنتَه وعورته وسط العجاجة باديه
يكف لها عنه على سنانة ويضحك منها فى الخلاء معاويه !

وذكر بونس عن ابن إسحاق ، أن طلحة بن أبى طلحة العبدري حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز فأحجم عنه الناس ، فبرز إليه الزبير بن العوام فوثب حتى صار معه على جملة ، ثم اقتحم به الأرض فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير » وقال : لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه لما رأيت من إحجام الناس عنه .

وقال ابن إسحاق : قتل أبا سعد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقاص .

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فقتل نافع بن أبى طلحة وأخاه الحلاس ، كلاهما يشمره سهمًا فيأتى أمه سُلَافة فيضع رأسه فى حجرها ، فتقول : يابنى من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا حين رماني يقول : خذها وأنا ابن أبى الأفلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر .

وكان عاصم قد عاهد الله لا يمس مشركا أبدًا ولا يمشه . ولهذا حماه الله منه يوم الرِّجيع كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : والتقى حنظلة بن أبى عامر ، واسمه عمرو ، ويقال عبد عمرو بن صَيْفٍ ، وكان يقال لأبى عامر فى الجاهلية الراهب ، لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله

(١) لأصل : أتى . وهو تحريف . وما أثبتته عن الروض الأنف ٢/١٣٣ .

صلى الله عليه وسلم الفاسق ، لما خالف الحق وأهله وهرب من المدينة هرباً من الإسلام ومخافةً للرسول عليه السلام . وحفظلة الذى يُعرف بحفظلة الغسيل ، لأنه غسلته الملائكة . كما سأتى . هو وأبو سفيان صخر بن حرب ، فلما علاه حفظلة رآه شدّاد بن الأوس ، وهو الذى يقال له ابن شعوب ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه ؟ » . فسئلت صاحبه . قال الواقدي : هى جميلة بنت أبي بن سلول وكانت عروساً عليه تلك الليلة .

فقلت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك غسلته الملائكة !

وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضَرَبَ رجله فى صدره ، فقال : ذَنْبَانِ أَصَبَتْهُمَا ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرحم برّاً بالوالد .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شعوب فى ذلك :

لَأُحْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شَعَاعِ الشَّمْسِ

وقال ابن شعوب :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي
لَأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ ^(١) غَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرَرِي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ فَرَقَرْتُ ^(٢)
عَلَيْهِ ضِبَاعٌ ^(٣) أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبٍ ^(٤)
وقال أبو سفيان :

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتُ كُمَيْتٌ ^(٥) طِمْرَةٌ
وَلَمْ أُحْمِلِ النَّعْمَاءَ لَابْنَ شُعُوبٍ

(١) النعف : ما انحدر من حذونة الجبل . (٢) فرقرت : أسرع وتطاشت . وى ابن هشام : فرقرت . بانقاف . (٣) ابن هشام : ضباع عليه . (٤) الضراء : الفارية من السكاب . (٥) الطمرة : القرس المسريعة الجرى .

وما زال مهزى مزجر الكلب منهم
أقاتلهم وأدعى يالغب
فبكى ولا ترعى مقالة عاذل
أباك وإخواناً له قد تتابعوا
وسلى الذى قد كان فى النفس أنتى
ومن هاشم قرماً^(١) كريماً ومضعباً
فلو أنتى لم أشف نفسى منهم
فأبوا وقد أودى الجلايب منهم
أصابهم من لم يكن لدمائهم
فأجابه حسان بن ثابت :

ذكرت القروم الصيّد من آل هاشم
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم
ألم يقتلوا عمرًا وعُتْبَةَ وابنه
غداة دعا العاصى علياً فراعته
ولست لزورٍ قُلتَه بمصيب
نجيباً وقد سمّيته بنجيب
وشيبة والحجاج وابن حبيب
بضربةٍ عَضْبَ بلهٍ بمخضب

فصل

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحشّوهم
باليوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن
الزبير ، قال : والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدام^(٢) همد بذت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ،

(١) القرم : السيد . (٢) الخدب : الهوج . والمعبط : الذى يسيل دمه . (٣) الخدم : السوق .

مادون أخذهن قليلٌ ولا كثير، إذ مالت الرماةُ على العسكر حين كشفنا القومَ عنه وخلصوا ظهورنا للخيل، فأَتينا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل. فانكشفنا وانكشف القومُ علينا، بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء، حتى مايدنو منه أحدٌ منهم.

فحدثني بعض أهل العلم، أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثوا به، وكان اللواء مع صواب، غلظم لبني أبي طلحة حبشي، وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قطعت يده، ثم برك عليه، فأخذ اللواء بصدوره وعنقه حتى قُتل عليه وهو يقول: اللهم هل أعزرت. يعني: اللهم هل أعذرت.

فقال حسان بن ثابت في ذلك:

نخرتم باللواء وشرُّ نخرٍ	لواء حين رُدَّ إلى صوابٍ
جعاتم فخرٌ كم فيه لعبدٍ	والأم من يطا عفر الترابِ
ظننتم والسفيه له ظنونٌ	وما إن ذاك من أمر الصوابِ
بأن جَلَدنا يوم التقينا	بمكة ببيعكم حمر العيابِ
أقر العين أن عَصبت يده	وما إن تُعَصبان على خِصَابِ

وقال حسان أيضاً في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم:

إذا عَصِلُ سِيقَت إلينا كأنها	جدايةُ شُرْك مُعلماتِ الحواجبِ ^(١)
أقمنا لهم طعناً مُبِيراً منكلاً	وحزناً هم بالضرب من كلِّ جانبِ
فلولا لواء الحارثية أصبحوا	يُباعون في الأسواقِ ببيعِ الجلائبِ

قال ابن إسحاق: فانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو، وكان يومَ بلاء

(١) الجداية: الغزال. وشُرْك: موضع.

وتحميص ، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذُتَّ بالحجارة حتى وقع لشقه ، فأصابت رباعيته وشُجَّ في وجهه وكِامت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

حدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كُسرَت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشُجَّ في وجهه ، فجعل يمسح الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يُعَذِّبهم فإنهم ظالمون » .

قال ابن جرير في تاريخه : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال أتى ابن قنثة الحارثي فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرت أنفه ورباعيته وشججه في وجهه فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله ، إلى عباد الله . فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسرون بين يديه فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فخاض طلحة فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله . فقال : يا كذاب أين تفرّ ، فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع فجرح جرحاً خفيفاً فوق يخور خوار الثور فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة نما يجرعك ؟ قال : أليس قال : لأقتلنك ! لو كانت تجتمع ريبة ومُضَر لقتلهم . فلم يلبث لا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فياخذ لنا أمانة من أبي سفيان ، يا قوم إن ندا قد قتل فارجموا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .

فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن رب محمد لم يُقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأُبرأ إليك مما جاء به هؤلاء . ثم شدَّ بسيفه فقاتل حتى قُتل !

وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه وضع رجلهما في قوسه يرميه فقال : أنا رسول الله . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قُتلوا .

فقال الله عز وجل في الذين قالوا : إن محمداً قد قُتل فارجعوا إلى قومكم : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسل » الآية .

فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمَّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس لهم أن يعلُّونا ، اللهم إن تُقتل هذه العصاة لا تُعبَد في الأرض » . ثم ندب أصحابه فرمهم بالحجارة حتى أنزلوهم .

فقال أبو سفيان يومئذ : أعلُّ هُبُل ، حنظلة بحنظلة ، ويومٌ أحد بيوم بدر .

وذكر تمام القصة . وهذا غريب جداً وفيه نكارة .

قال ابن هشام : وزعم ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسر رباطيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجَّه في جبهته ، وأن عبد الله بن قنينة جرح وجنته فدخلت حلقمتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله

عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفع طليحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصّ مالك بن سنان أبو أبي سعيد الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدردته فقال : من مسّ دمه دمي لم تمسه النار .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع لشقه أغمى عليه ، فرّ به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه ، فأفاق وهو يقول : كيف يُفلح قومُ فعلوا هذا بنبیهم وهو يدعوهم إلى الله . فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء » الآية .

رواه ابن جرير وهو مرسل ، وسيأتى بسط هذا في فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار ، كما قال الله تعالى « ولقد صدّقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تضرعون ولا تلّوون على أحدٍ والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغمٍّ » الآية .

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، أنه قال : مانصر الله في موطن كما نصر يوم أحد .

قال : فأنكرنا ذلك . فقال : بيني وبين من أنكر ذلك كتابُ الله : إن الله يقول في يوم أحد : « ولقد صدّقكم الله وعده إذا تحسّونهم بإذنه » يقول ابن عباس : : والحسُّ القتل « حتى إذا فشلتم » إلى قوله « ولقد عفا عنكم والله ذو فضلٍ

على المؤمنين » وإنما عَنَى بهذا الرماة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع ثم قال : احموا ظهورنا ، فإِن رأيتُمونا نَقْتَلْ فلا تنصرونا ، وإن رأيتُمونا نَغْنَمْ فلا تَشْرِكونا .

فلما غم النبي صلى الله عليه وسلم وأباحوا عسكر للمشركين أكبَّ الرماةُ جميعاً ، فدخلوا في العسكر ينهبون ، وقد التقت صفوفُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابع يديه ، والتبسوا .

فلما أخلَّ الرماة تلك الخلَّة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فضرب بعضهم بعضاً ، فالتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير ، وقد كان لرسول الله وأصحابه أولُ النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولةً نحو الجبل ولم يَبْلُغُوا حيث يقول الناس الغارَ ، وإنما كان تحت المهراس .

وصاح الشيطان : قُتِلَ مُحَمَّدٌ ، فلم يُشَكَّ فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حق حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتسكفئه إذا مشى . قال : فقرحنا كأنه لم يُصِبْنَا ما أصابنا . قال : فرقَى نحونا وهو يقول : اشتد غضبُ الله على قوم دَمَوْا وجه رسول الله . ويقول مرة أخرى : اللهم إنه ليس لهم أن يَعْلُونَا . حتى انتهى إلينا .

فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : أَعْلُ هُبَل ، أَعْلُ هُبَل ، مرتين ، يعني آلهته ، أين ابن أبي كُبْشَة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أجيبه ؟ قال : بلى . قال : فلما قال : اعل هبل قال : الله أَعْلَى وأَجَلٌ . قال أبو سفيان : يابن الخطاب قد أَنْعَمَتْ عَلَيْهَا ^(١) ، فعادِ عنها ، أو فعالِ عنها .

(١) يريد الحرب . وفعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها .

فقال : أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة ، أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر ، وهأنذا عمر .

قال : فقال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، الأيام دُول ، وإن الحرب سِجَال .

قال : فقال عمر : لا سواء ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ .

قال : إنكم تزعمون ذلك ، لقد خَبِينَا إِذْنٌ وَخَسَرْنَا !

ثم قال أبو سفيان : أَمَا أَنْتُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ مُثْلَةً ، ولم يكن ذلك عن رأى سَرَاتِنَا . قال : ثم أدركته حَمِيَّةُ الْجَاهَنِيَّةِ فَقَالَتْ : أَمَا إِنَّهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نَسْكُرْهُ .

وقد رواه ابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل من حديث سليمان ابن داود الهاشمي به .

وهذا حديث غريب ، وهو من مراسلات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة سند كرمها ما تيسر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وهو المستعان .

قال البخاري : حدثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ ، قَالَ : لَقِينَا الْمَشْرُكِينَ يَوْمَئِذٍ ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرِّمَاءِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَقَالَ : لَا تَبْرَحُوا ، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تَعِينُونَا .

فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنْ سَوْقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خِلَافُهُنَّ ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ : الْغَنِيْمَةُ الْغَنِيْمَةُ . فقال عبد الله : عَهْدٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا تَبْرَحُوا . فَأَبَوْا ، فَلَمَّا أَبْرَأَ صُرِفَتْ وَجُوهُهُمْ ^(١) .

فأصيب سبعون قتيلًا ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه .

(١) صرفت وجوههم : تغيروا فلم يبدروا أين يذهبون .

قَالَ : أَفَى الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ فَقَالَ (١) : لَا تَحْيِيوهُ . فَقَالَ : أَفَى الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟
قَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا ، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَأَجَابُوا .

فَلَمْ يَمْلِكْ سِرَّ نَفْسِهِ فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، أَبْقَى لِلَّهِ حَيِّثُ مَا تُخْرِتُكَ .
فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَعْلُ هُبُل . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجِيبُوهُ . قَالُوا :
مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُ

فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَجِيبُوهُ . قَالُوا : مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .

قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَوْمَ بَيْتِ بَدْرَ ، وَالْحَرْبُ سِجَالُ ، وَتَجْدُونَ مُثْلَهُ لَمْ أَمُرْ
بِهَا وَلَمْ تَسُوْنِي .

وهذا من أفراد البخارى دون مسلم .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُوسَى ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ
عَازِبٍ قَالَ : جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرِّمَاءِ يَوْمَ أُحُدَ ، وَكَانُوا خَمْسِينَ
رَجُلًا ، عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، قَالَ : وَوَضَعَهُمْ مَوْضِعًا وَقَالَ : إِنَّ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفُنَا الطَّيْرُ فَلَا
تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَأَوْطَانَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى
أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ .

قَالَ : فَهَؤُومَ ، قَالَ : فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ عَلَى الْجَبَلِ وَقَدْ بَدَتْ
أَسْوَاقُهُنَّ وَخَلَا خَلْفُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ .

فَقَالَ أَحْمَدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ : الْغَنِيْمَةُ ، أَيْ قَوْمُ الْغَنِيْمَةِ ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ ، فَمَا
تَنْظُرُونَ ؟ قَالَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ : أُنْسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالُوا : إِنَّا وَاللَّهِ لَنَاتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنَنْصِبْنَ مِنَ الْغَنِيْمَةِ .

(١) القائل هو رسول الله صلوات الله عليه .

فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذى يدعوهم الرسولُ فى آخرهم ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلاً ، فأصابوا من سبعين رجلاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة : سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً .

فقال أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ أفى القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه .

ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة ، أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ أفى القوم ابن الخطاب ، أفى القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قُتلوا وقد كُفيتهم . فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوءك .

فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، إنكم ستجدون فى القوم مثلاً لم آمر بها ولم تسؤى . ثم أخذ يرتجز : أعلُّ هُبْلُ أعلُّ هُبْل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله وما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلُّ وأجل .

قال : إن العزَّى لنا ولا عزَّى لكم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجيبونه ؟ قالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم .

ورواه البخارى من حديث زهير ، وهو ابن معاوية ، مختصراً . وقد تقدم روايته له مطولة من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا ثابت وعلى بن زيد ،

عن أنس بن مالك ، أن المشركين لما رهِقوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سبعة من الأنصار ورجل من قريش ، قال : من يردهم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل .

فلما رهِقوه أيضاً قال : من يردهم عنا وهو رفيق في الجنة ؟ حتى قُتل السبعة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنصفنا أصحابنا .

ورواه مسلم عن هُذَبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البيهقي في الدلائل : بإسناده عن عمارة بن غزبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر

قال : انهزم الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبقى معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يُصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بقي معه ، ثم قُتل الأنصاري فلحقوه ، فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه .

فلم يزل يقول مثل قوله الأول ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيجيبه ، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله .

حتى لم يَبْقَ معه إلا طلحة ، ففَشَوْهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله ، وأصيبت أنامله فقال : حس ، فقال : لو قلت : بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تليج بك في جوف السماء . ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم مجتمعون .

وروى البخاري عن عبد الله بن أبي شيبة ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن

أبي حازم . قال : رأيت يدَ طلحةَ شَلَاءَ وفي بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم يوم أحد .
وفي الصحيحين من حديث موسى بن إسماعيل ، عن معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي
عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن
غير طلحة وسعد عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة - حدثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم السعدي ،
سمعت سعيد بن المسيَّب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثَّل لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كنفاته يوم أحد وقال : ارمِ فذاك أبي وأُمي .
وأخرجه البخاري ، عن عبد الله بن محمد ، عن مروان به .

وفي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن شداد ، عن علي بن أبي طالب قال :
ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فأني سمعته يقول
يومَ أحد : يا سعد ارمِ فذاك أبي وأُمي .

قال محمد بن إسحاق : حدثني صالح بن كيسان ، عن حمص آل سعد ، عن سعد بن أبي
وقاص أنه رمى يوم أحد دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يناولني النَّبْلَ ويقول : ارمِ فذاك أبي وأُمي ! حتى إنه ليناولني
السهم ليس له نَصْل فأرمي به .

وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد
ابن أبي وقاص قال : رأيت يومَ أحد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن يساره رجسين
عليهما ثياب بيض يقاتلان أشدَّ القتال ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل
وميكائيل عليهما السلام .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن أبا طلحة كان يرمي بين
يدَي النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، والنبي صلى الله عليه وسلم خلفه يترس به ، وكان

رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم ، تحرى دون تحرك . وكان أبو طلحة يُسوّر نفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : إني جلد يا رسول الله ، فوجهي في حوائجك ومُرني بما شئت .

وقال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر^(١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز^(٢) ، عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحْبُوبٌ عليه بحَجَفَةٍ^(٣) له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النَّزَع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه الجفبة من النَّبل فيقول^(٤) : انثرها لأبي طلحة .

قال : وبُشِّرَ النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تُشرف يصيبك سهمٌ من سهام القوم ، تحرى دون تحرك . ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإيهما لمشترتان أرى خَدَمَ سوقهما تنقزان^(٥) القربَ على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ثم تحيئان فتفرغانه في أفواه القوم . ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إماماً مرتين وإماماً ثلاثاً .

قال البخاري : وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وآخذه ويسقط فأخذه .

هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً يغشى طائفةً منكم ، وطائفةً قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق

(١) هو عبد الله بن عمرو العقدي . (٢) هو عبد العزيز بن صهيب . (٣) محبوب : مترس عليه يحميه . والحجفة : ترس من جلد . (٤) القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم عليه (٥) خدم سوقهما : خلاخيلهما . قال القسطلاني : وذلك محمول على نظر الفجأة . وتنقزان : تلبان وتفرغان القرب .

ظنَّ الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمرِ مِنْ شَيْءٍ ، قل إنَّ الأمرَ كله لله يُخَفُّونَ في أنفسهم مالا يُبَدُّونَ لك ، يقولون : لو كان لنا من الأمرِ شَيْءٌ ما قَتَلْنَا هَاهُنَا ، قل لو كنتم في بيوتكم لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ .

قال البخارى : حَدَّثَنَا عَبْدَانُ^(١) أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ ، عَنْ عُمَانَ بْنِ مَوْهَبٍ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ حَجَّ الْبَيْتَ فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَعُودُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ قَالَ : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالُوا : ابْنُ عَمْرِو . فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ أَتَحَدِّثُنِي ؟ قَالَ : أُنْشِدُكَ بِحَرَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ : أَعْلَمُ أَنَّ عُمَانَ بْنَ عَفَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُهُ تَغْيِيبٌ عَنْ بَدْرِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعْلَمُ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَسَكَبَرٌ^(٢) .

قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه .

أما فراره يوم أُحُدٍ : فأشهد أن الله عَفَا عنه ، وأما تَغْيِيبُهُ عَنْ بَدْرِ فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ .

وأما تَغْيِيبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ : فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ ، فَبَعَثَ عُمَانَ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُمَانُ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى : هَذِهِ يَدُ عُمَانَ . فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ . فَقَالَ : هَذِهِ لِعُمَانَ .

(١) عبدان : لقب عبد الله بن عثمان المروزي . (٢) كبر : مستحسنا لما أجابه ابن عمر ،

لطابقته لما يعتقد في عثمان رضي الله عنه .

اذهب بهذا^(١) الآن معك .

وقد رواه البخارى أيضا فى موضع آخر ، روى من حديث أبى عوانة ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب به .

وقال الأُموى فى مغازيه ، عن ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد ، عن يمينه ، عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المُنَقَّى دون الأعوص ، وفرَّ عمار بن عفان وسعد بن عثمان رجل من الأنصار حتى بلغوا الجَلْعَب ، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فرجعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة .

والمقصود أن أحداً وقع فيها أشياء مما وقع فى بدر ، منها : حصول النعاس حال التحام الحرب ، وهذا دليل على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأيدته وتمايم توكلها على خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى فى غزوة بدر : « إذ يَفْشِيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ » الآية وقال هاهنا : « ثم أنزل عليكم من بعد الفم أَمَنَةً نُعَاسًا يَفْشِي طَائِفَةً مِنْكُمْ » يعنى المؤمنين السَّكَمَل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النعاس فى الحرب من الإيمان ، والنعاس فى الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : « وطائفة قد أهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ » الآية . ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصر يوم أحد كما استنصر يوم بدر بقوله : « إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبِدُ فى الأَرْضِ » .

كما قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد وعفان قالا : حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم أحد : « اللهم إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبِدُ فى الأَرْضِ » .

(١) يريد : اذهب بهذه الأجوبة التى أجبك بها .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « أ رأيت إن قُتلتُ فأين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قُتل » .

ورواه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به .

وهذا شبيهه بقصة عُمير بن الحُصَّام التى تقدمت فى غزوة بدر رضى الله عنهما وأرضاها .

فصل

فيما لقي النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ من المشركين قبحهم الله

قال البخاري : ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد .

حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا عبد الرزاق ، عن همام بن منبه ، سمع أبا هريرة

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبية - يشير إلى رباعيته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه مسلم من طريق عبد الرزاق ، حدثنا مخلد بن مالك ، حدثنا يحيى بن سعيد

الأموي ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « اشتد غضب الله على من قتل النبي في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال أحمد : حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال يوم أحد وهو - - - - - عن وجهه وهو يقول : « كيف يُفْلَح قومٌ شَجَّوا نبيهم وكُتِّمُوا رباعيته ، وهو يدعو إلى الله » فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

ورواه مسلم عن القعقي ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد ، عن - - - - - هارون ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم كُتِّمَتْ رباعيته وشُجَّ في - - - - - حتى سال الدم على وجهه فقال : « كيف يُفْلَح قوم فعلوا هذا بنبية وهو يدعوهم إلى - - - - - فأنزل الله تعالى : « ليس

لَكَ - - - - - شيء » .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب ، عن أبى حازم ، أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جَرَحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَفْسِلُ جَرَحَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَ يَسْكَبُ الْمَاءَ بِمَا دُووَى ، قَالَ : كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْسِلُهُ وَعَلَى يَسْكَبُ الْمَاءَ بِالْجَنِّ ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَئِذٍ ، وَجَرَحَ وَجْهَهُ وَكُسِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ .

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده : حدثنا ابن المبارك ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرنى عيسى بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة قالت : كان أبو بكر إذ ذَكَرَ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ : ذَاكَ يَوْمٌ كُلُّهُ لَطَلْحَةَ ! ثُمَّ أَنْشَأَ يَحْدِثُ قَالَ : كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَاءَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُونَهُ ، وَأَرَاهُ قَالَ : حَمِيَّةٌ ، قَالَ : فَقُلْتُ : كُنْ طَلْحَةَ ، حَيْثُ فَاتَنِ مَا فَاتَنِ ، فَقُلْتُ : يَكُونُ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي أَنْتَبَ إِلَى ، وَيُنِىَ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا أَعْرِفُهُ ، وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ وَهُوَ يَخْطِفُ الْمَشَى خَطْفًا لَا أَخْطِفُهُ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ دَخَلَ فِي وَجْنَتِهِ حَلْقَتَانِ مِنْ حَلَقِ الْمُغَفَّرِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكُمَا صَاحِبُكُمَا » يَرِيدُ طَلْحَةَ . وَقَدْ نَزَفَ ، فَلَمْ نَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِ .

قال : وَذَهَبْتُ لِأَنْزِعَ ذَاكَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِحَقِّ مَا تَرَكْتَنِي . فَتَرَكْتُهُ فَكَّرَهُ تَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ فَيُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَازِمًا عَلَيْهَا بَفِيهِ ، فَاسْتَخْرَجَ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ وَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ مَعَ الْحَلْقَةِ ، وَذَهَبْتُ لِأَصْنَعَ مَا صَنَعَ فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّ مَا تَرَكْتَنِي . قَالَ : فَفَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَوَقَعَتْ ثَنِيَّتُهُ الْأُخْرَى مَعَ الْحَلْقَةِ ،

فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس همماً !

فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

وذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسطها كل ذلك يُصْرَفُ عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يومئذ يقول : دلوني على محمد لا نجوتُ إن نجا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه مامعه أحد ، فجأوزه ، فمات به في ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله مارأيت به ، أحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله فلم نخلص إليه .

قال الواقدي : ثبت عندى أن الذى رمى فى وجنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنُ قُتَيْبَةَ ، والذى رمى فى شفته وأصاب رباعيته عتبةُ بن أبي وقاص .

وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا ، وأن الرباعية التى كسرت له عليه السلام هى اليمنى السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمتُ لسيِّئُ الخلق مُبَغَضاً فى قومه ، ولقد كفأتى فيه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله » .

وقال عبد الرزاق : حدثنا مَعْمَر ، عن الزهري ، عن عثمان الجروري ، عن مِقْسَم ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال : « اللهم لا يحول عليه الحولُ حتى يموت كافراً » .

ثم حال عليه الحولُ حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجوزجاني : حدثنا محمد بن الحسن ، حدثني إبراهيم بن محمد ، حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حرب ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم داوى وجهه يوم أحد بعظمٍ بال .
هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب المغازي للأُموي في وقعة أحد .

ولما نال عبد الله بن قنثة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نال ، رجع وهو يقول : قتلْتُ محمداً . وصرخ الشيطان أزبُ العقبة يومئذ بأبعد صوت : ألا إن محمداً قد قُتل .

فحصل بهتة عظيمة في المسلمين ، واعتقد كثير من الناس ذلك ، وصمموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على مامات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتى ذكره .

وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه ، فقال تعالى : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن يقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين . وكأى من نبي قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا

وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ . سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ « (١) .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا التفسير والله الحمد .

وقد خطب الصديق رضى الله عنه في أول مقامٍ قامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » الآية . قال : فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحد إلا يتلوها .

وروى البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن أبي نجيح ، عن أبيه قال : مرَّ رجل من المهاجرين يوم أُحد على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه . فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قُتل ؛ فقال الأنصارى : إن كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قُتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم !

فنزل : « وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل » الآية .

ولعل هذا الأنصارى هو أنس بن النضر رضى الله عنه ، وهو عم أنس بن مالك . قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد ، عن أنس ، أن عمه غاب عن قتال بدر ، فقال غيبت عن أول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين ، إئن الله أشهدني قتالا للمشركين ليدين ما أصنع .

فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أعوذ بك عما صنع

هؤلاء ، بمعنى أصحابه ، وأبرزاً إليك مما جاء به هؤلاء ، بمعنى المشركين ، ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ دون أحد فقال سعد : أنا معك . قال سعد : فلم أستطع أصنع ما صنع .

فوجد فيه بضع وثمانون ، من بين ضربة سيف وطعنة برمح ورمية بسهم .
قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت : « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، والنسائى عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به . وقال الترمذى : حسن .

قلت : بل على شرط الصحيحين من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا بهز ، وحدثنا هاشم ، قال : حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت قال : قال أنس : عمى . قال هاشم : أنس بن النضر . سميت به ، ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . قال : فشق عليه وقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبته عنه ، ولئن أراى الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى الله ما أضع . قال : فهاب أن يقول غيرها .

فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهأ لريح الجنة أجده دون أحد . قال : قاتلهم حتى قتل ، فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية .

قال : فقالت أخته عتي الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا بينانه . ونزلت هذه الآية : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » .

قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلم ، عن محمد بن حاتم ، عن بهز بن أسد . ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن المبارك . وزاد النسائى ، وأبو داود وحمام بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبى بن خلف أخو بنى جُمَح قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما بلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم جَنَفَتْهُ قال : بل أنا أقتله إن شاء الله .

فلما كان يوم أحد أقبل أبى في الحديد مقنعا وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا محمد . فحمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْقُوة أبى بن خلف من فُرْجة بين سابعة الدَّرْع والبيضة فطعنه فيها بالحرية فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم .

فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خَدَش .

فذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتل أبيًا ، ثم قال : والذي نفسى بيده ، لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لما تواتوا أجمعون .

فمات إلى النار ، فسُحِقًا لأصحاب السعير !

وقد رواه موسى بن عقبة في مغازيه ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب نحوه .

وقال ابن إسحاق : لما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشَّعب ، أدركه أبى ابن خلف وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوت .

فقال القوم : يا رسول الله يعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه .

فلما دنا منه : تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، فقال بعض القوم ، كما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض انتفاضةً تطايرَنا عنه تطايرَ الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً .

وذكر الواقدي عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه . نحو ذلك .

قال الواقدي : وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف ببطن رابع ، فإني لأسير ببطن رابع بعد هوي من الليل إذا أنا بنار تاججت ، فهبثها وإذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش ، فإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإنه قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا أبي بن خلف .

وقد ثبت في الصحيحين كما تقدم ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضبُ الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه البخاري ، من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « اشتد غضبُ الله على من قتله رسول الله بيده في سبيل الله » .

وقال البخاري . قال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً قال : لما قُتل أبي جمعت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبكوه أو مات بكمية ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع » .

هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلقاً ، وقد أسنده في الجنازة عن بندار عن غفدر ، عن شعبة .

ورواه مسلم والنسائي من طرق عن شعبة به .

وقال البخاري : حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد ابن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائماً فقال : قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، كُفِّنَ فِي بَرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رَجُلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رَجُلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ ، وَأَرَاهُ قَالَ : وَقُتِلَ حَمْرَةٌ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، ثُمَّ بَسَطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسَطَ ، أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا . وقد خشينا أن تكون حسانتنا عُجِّلَتْ لَنَا . ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى بَرَدَ الطَّعَامُ . انفراد به البخاري .

وقال البخاري : حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ ، قال : هاجرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً ، كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، قُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ لَمْ يَتْرَكْ إِلَّا نَمْرَةٌ ^(١) ، كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَاهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رَجُلَاهُ ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رَجُلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الْإِذْخَرَ . وَمِنَّا مَنْ أَبْيَنْتَ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا ^(٢) . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن الأعمش به .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن بائشة قالت : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ ، فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ

(١) النمرة : يرده من صوف .

(٢) يهديها : يجهتها .

عليه : أَيْ عِبَادَ اللَّهِ ^(١) أَخْرَاكُمْ . فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأَخْرَاهُمْ ، فَبَصُرَ حَذِيفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَيِّهِ الْيَمَانُ فَقَالَ : أَيْ عِبَادَ اللَّهِ أَيْ أُنَى ! قَالَ : قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ . فَقَالَ حَذِيفَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ .

قَالَ عُرْوَةُ : فَوَاللَّهِ مَا زَالَ فِي حَذِيفَةَ بَقِيَّةٌ خَيْرٍ ^(٢) حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .
قُلْتُ : كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَمَانَ وَثَابِتَ بْنَ وَقَّشٍ كَانَا فِي الْأَطَامِ مَعَ النِّسَاءِ لِكِبَرِهِمَا وَضَعْفِهِمَا ، فَقَالَا : إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ آجَالِنَا إِلَّا ظِمٌّ ^(٣) حَمَارٌ . فَتَزَلَا لِيَخْضُرَا الْحَرْبَ فَجَاءَ طَرِيقَهُمَا نَاحِيَةُ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَمَّا ثَابِتٌ فَقَتَلَهُ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَمَّا الْيَمَانُ فَقَتَلَهُ الْمَسَامُونَ خَطَأً . وَتَصَدَّقَ حَذِيفَةُ بِدِيَةِ أَبِيهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يِعَاتَبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، لظُهُورِ الْعَذْرِ فِي ذَلِكَ .

فصل

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى سَقَطَتْ عَلَى وَجْتِهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا .
وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ أَصِيبَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَالَتْ عَلَى خَدِّهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهَا ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَحَدَهُمَا ، وَكَانَتْ لَا تَرْمُدُ إِذَا رَمَدَتْ الْأُخْرَى .

وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ بِإِسْنَادٍ غَرِيبٍ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ أَخِيهِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ : أَصِيبَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ أُحُدٍ فَسَقَطَتَا عَلَى وَجْنَتِي ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعَادَهُمَا مَكَانَهُمَا وَبَصَقَ فِيهِمَا فَعَادَتَا تَبَرُّقَانِ .

(١) يريد المسلمين ، أى احتجزوا من الذين وراءكم متأخرين عنكم ، ليقبضوا بعض المسلمين بعضاً .

(٢) وقيل : بقية حزن . القسطلاني ٦ / ٣٠٠

(٣) بظمه : ما بين الشريطين والوردين ، والمراد : ما بقى إلا يسير ، لأنه ليس شيء أقصر ظمًا منه .

والمشهور الأول ، أنه أصيبت عينه الواحدة ، ولهذا لما وفد ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً :

أنا ابنُ الذي سالتَ على الخلدِ عينهُ فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادتْ كما كانت لأوَّلِ أمرِها فياحُسْنُها عَيْنًا ويا حُسْنَ ما خَدَّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك : .

تلك المكارمُ لا قَعْبَانُ من لبنٍ شَيْبًا بماءِ فعادا بعدُ أبوالا !
نم وصله فأحسن جائزته رضى الله عنه .

فصل

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة نسيبة^(١) بنت كعب المازنية يوم أحد فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصارى ، أن أم سعد بنت سعد بن الزبيع ٥٠ قور . دخلت على أم عمارة فقلت لها : يا خالة أخبريني خبرك . فقالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناسُ ومعى سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت أباشر القتال وأدبُ عنه بالسيف وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراحُ إلى .

قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قتيبة أقماءه الله ، لما ولّى الناسُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دأوني على محمد لا نجوت إن نجيا . فاعترضتُ له أنا ومُصعب بن عمير وأناس ممن ثبت

(١) نسيبة ، بفتح النون وكسر السين المهملة ، كما ضبطها فى الإكمال والتبصير والإصابة وغيره ، وصحبها بالتصغير وهم ، إنما هذا فى نسيبة أم عطية ، فقله فى أم عمارة غلط . انظر شرح المواهب ٢ / ٤١ .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضر بني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وَرَّسَ أَبُو دُجَانَةَ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ ، يَقَعُ النَّبْلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبْلُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ عَنْ قَوْسِهِ ، حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتَتَاهَا فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ ، أَخُو بَنِي عَدَى بْنِ النَّجَّارِ ، قَالَ : انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ : فَمَا يُجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا : قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ! قَوْمُوا فَمُوتُوا عَلَى مِمَاتٍ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَبِهِ سَمِّيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .

فَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ النَّضْرِ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً ، فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أُخْتَهُ ، عَرَفَتْهُ بَيْنَانَهُ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَصِيبَ فَوْهَ يَوْمَئِذٍ فَهَمَّ ، وَجُرِحَ عَشْرِينَ جِرَاحَةً أَوْ أَكْثَرَ ، أَصَابَهُ بَعْضُهَا فِي رِجْلِهِ فَعَرَجَ .

فصل

قال ابن إسحاق : وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا ذَكَرَ لِي الزَّهْرِيُّ ، كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ

قال : رأيت عينيه تزهزان من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين ، فلما أَسْنَدَ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف ، فذكر قَتَلَهُ عليه السلام أبيًا كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف يَلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوذَ ، فرسًا ، أغلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير فاحتقن الدم ، فقال : قتلنى والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك بأسٌ . قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك . فو الله لو بَصَق على لَقَتَلَنى ! فمات عدو الله بِسَرِفٍ^(٢) ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمَلُ رِمَّ عَظْمٍ وَتُوْعَدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النُّجَارِ مِنْكُمْ أُمِيَّةَ إِذْ يُعَوِّثُ : يَا عَقِيلُ

(١) أَسْنَدَ : صعد . أى استند إلى جانب من الجبل . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

وَتَبَّ أَبْنَا رِيْعَةَ إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَهْلٍ لِأُمِّهَا الْهَبُولُ
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شُغِلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أُسْرَتُهُ قَلِيلُ
وَقَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي أَيْبًا فَقَدْ ^(١) أَلْقَيْتَ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ
تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُقَسِّمُ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تُمْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَأَقْتُكَ طَعْنَةً ذِي حِفَاطٍ كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طَرًّا إِذَا نَابَتْ مُلَمَّاتُ الْأُمُورِ

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على ابن أبي طالب حتى ملأ درقته ماءً من المهراس ^(٢) ، فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : « اشتدَّ غضبُ الله على مَنْ دَمَى وَجَهَ نَبِيهِ » .

وقد تقدم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب معه أولئك نفر من أصحابه إذ علت عالية من قریش الجبل . قال ابن هشام : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يفعلوا .

فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض

(١) ابن هشام : لقد .

(٢) الدركة : الحجفة ، وهي ترس من جلد . والمهراس : ماء بأحد .

النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلموها وقد كان بَدَنٌ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها .

فحدثني يحيى بن عباد ، بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : « أُوجِبَ طلحةُ ^(٢) » حين صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما صنع .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى عفرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجل أَعْي لا يُدْرَى مَنْ هو يقال له قُزْمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذُكر : « إنه لمن أهل النار » .

قال : فلما كان يوم أحد قاتلاً شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بَأْسٍ ، فائتته الجراحة ، فاحتُمِلَ إلى دار بني ظفر .

قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر .

قال : بماذا أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ !

قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنفاته فقتل به نفسه .

وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر . كما سيأتي إن شاء الله .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن المسيّب ،

عن أبي هريرة ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل

(١) بدن : نقل من السن . (٢) يعنى : أحدث شيئاً يستوجب به الجنة .

من يدعى الإسلام : « هذا من أهل النار » .

فأما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديداً ، فأصابته جراحة ، فقبيل : يا رسول الله الرجل الذي قلت إنه من أهل النار . قاتل اليوم قتالا شديداً وقد مات . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إلى النار » .

فكاد بعض القوم يرتاب ، فبينما هم على ذلك إذ قبيل : فإنه لم يمت ولكن به جراح شديدة ، فأما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه .

فخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنى عبد الله ورسوله » .

ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ! » .

وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق به .

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أحد مُخْبِرِيق ، وكان أحد بنى ثعلبة بن الفِطَيَوْن فأما كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم .

فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أُصِبتُ فمألى ل محمد يصنع فيه ما شاء .

ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « مُخْبِرِيق خير يهود » .

قال السهيلي : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال مُخْبِرِيق ، وكانت سمع

حوائط ، أوقافاً بالمدينة لله .

قال محمد بن كعب القرظي : وكانت أول وقف بالمدينة .

وقال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنه كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط .

فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أصيرم بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الحصين : فقلت لخمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأتي الإسلام على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ، ثم أخذ سيفه ففدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجال من بنى عبد الأشهل يلتصقون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ماجء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث . فسألوه فقالوا : [ماجاء بك يا عمرو] ^(١) أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟

فقال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي وغدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابني ما أصابني . فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إنه من أهل الجنة » .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي ، عن أشياخ من بنى سلمة ، قالوا : كان عمرو بن الجوح رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا : إن الله قد عذرك . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا

الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك »
وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة » .
فخرج معه فقتل يوم أحد رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن كيسان - والنسوة
اللائى معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجذعن الأذان
والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً^(١) وقلائد ، وأعطت
خدمها وقلائدها وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن
تسيفها فلفظتها .

وذكر موسى بن عتبة أن الذى بقر عن كبد حمزة وحشياً ، فحملها إلى هند فلاكتها
فلم تستطع أن تسيفها . فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعاسوتها فقالت :

نحن جزينناكم بيوم بدرٍ والحرب بعد الحرب ذات سُغَرٍ^(٢)
ما كان لى عن عتبة من صبرٍ ولا أخى وعمه وبكرٍ
شفيت نفسى وقضيت نذرى شفيت وحشى غليل صدرى
فشكرك وحشى على عمرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خزيت فى بدرٍ وبعد بدرٍ يابنت وقاعٍ عظيم الكفرِ
صبحك الله غداة الفجرِ مـ الهاشميين الطوال الزهرِ

بكلِّ قَطَاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلَى صَقْرِي
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي نَخْضِبًا مِنْهُ ضَوَاحِي النَحْرِ
وَنَذْرِكِ السَّوَاءَ فَشَرُّ نَذْرِ

قال ابن إسحاق : وكان الحليس بن زيان أخو بني الحارث بن عبد مناة - وهو يومئذ سيد الأحابيش - مرَّ بأبي سفيان وهو يضرب في شِدْقِ حمزة بن عبد المطلب بَرُجٍ الرمح ويقول : ذُقْ عُقُق !

فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيدُ قريش يصنع بآبن عمه ماترونَ لَحْمًا !
فقال : ويحك اكتمها عني فإنها كانت زَلَّةً .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصرافَ أشرفَ على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أَأَنْعَمْتُ^(١) [فَعَالٍ]^(٢) ! إن الحربَ سَجَالٌ ، يومٌ يَوْمٌ بدر ، أَعْلَ هُبُلِ أَى ظَهَرِ دِينِكَ^(٣) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قم يا عمر فأجبه فقل : الله أَعْلَى وَأَجَلُّ ، لا سواء ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ » .

فقال له أبو سفيان : هلم إلي يا عمر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انته فانظر ماشأنه .

فجاء فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أَقَتَلْنَا مُحَمَّدًا ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ . قال : أنت عَفْدَى أَصْدَقُ مِنْ ابْنِ قَيْثَةَ وَأَبْرَأُ .

(١) أنعمت : بفتح التاء : خطاب لنفسه . وبسكونها يريد : الحرب أو الواقعة أو الألام : « أجبت بنعم »

(٢) من ابن هشام . وفعال : اسم للفعل الحسن . وقال السهيلي : فعال : أمر ، أى عال عنها وأقصر عن لومها ، تقول العرب : اعل عني وعال ، بمعنى ارتفع عني ودعني .

(٣) ابن هشام : أى : أظهر دينك .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلكم مثل^(١) والله ماضيتُ وما سخطت ، وما نهيت ولا أمرت .

قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : إن موعداكم بدر العام المقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينك موعد . قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال : أخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنّبوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبلَ فهم يريدون المدينة . والذي نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن^١ إليهم فيها ثم لأناجزنهم . قال علي : فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنّبوا الخيلَ وامتطوا الإبلَ ووجهوا إلى مكة .

(١) المثل : كاللثة ، التسييل بالقتل .

ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد الواقعة يوم أحد

قال الإمام أحمد : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن
الملكى ، عن ابن رفاعة الزُرقي ، عن أبيه ، قال : لما كان يومُ أحد وانكفأ المشركون
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقوا حتى أثنى على ربى عز وجل ، فصاروا خلفه
صفوفاً فقال :

« اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا
هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ،
ولا مقرب لما باعدت ولا مبعد لما قرّبت ، اللهم اسط علينا من بركاتك ورحمتك
وفضلك ورزقك .

اللهم إني أسألك النعيمَ المقيمَ الذى لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيمَ يوم
العيلة والأمنَ يوم الخوف .

اللهم إني عاوذُ بك من شرِّ ما أعطيتنا وشرِّ ما منَعْتنا .

اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزينَه فى قلوبنا ، وكرِهْ إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان
واجعلنا من الراشدين .

اللهم توفِّنا مسلمين وأحيينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غيرَ خزايا ولا مفتونين .

اللهم قاتِل الكفرةَ الذين يُكذِّبون رُسُلَكَ ويصدُّون عن سبيلك ، واجعل عليهم
رِجْزَكَ وعذابك . اللهم قاتِل الكفرةَ الذين أوتوا الكتاب ، إلهَ الحق .

ورواه النسائي فى اليوم والليلة ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن
عبد الواحد بن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصل

قال ابن إسحاق : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة المازني ، أخو بني النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَفَى الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا .

فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفى الأحياء أنت أم في الأموات .

فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامي وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عن خير ما جرى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عني السلام . وقل ضم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف !

قال : ثم لم أبرح حتى مات وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

فت . كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن سلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي . وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك . أجابه بصوت ضعيف وذكره .

وقال الشيخ أبو عمر في الاستيعاب : كان الرجل الذي التمس سعداً أبي بن كعب . فאלله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النقباء ليلة القبة رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده بطن الوادي قد بُقر بطنه عن كبده ومثّل به فجُدع أنفه وأذناه . فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى مارأى : « لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدى ، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثان بثلاثين رجلا منهم » .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثّلن بهم مثلة لم يمثّلها أحد من العرب .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأشلمي ، عن محمد بن كعب ، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس ، أن الله أنزل في ذلك : « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » الآية .

قال : فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآية مكية ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا ؟ ! فالله أعلم .

قال : وحدثني حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سكرة ، قال : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام : ولما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لن أصاب بمثلك أبداً ، ماوقفت قط موقفاً أغيظ إلى من هذا ! » .

ثم قال : « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع : « حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » .

قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوَي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، أرضعتهما ثلاثتهم ثُوْبِيَّةُ مولاة أبي لهب .

ذكر الصلاة على حمزة وقتل أحد

وقال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابن عباس ، قال : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسُجِّي بِبُرْدَةٍ ثم صلى عليه ، فكَبَّرَ سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة » .

وهذا غريب وسنده ضعيف .

قال السهيلي : ولم يقل به أحد من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن ابن مسعود ، قال : إن النساء كنَّ يومَ أحدٍ خلف المسلمين يُجهِزن على جرحى المشركين ، فلو حلفت يومئذ رجوتُ أن أبرَّ أن ليس أحدٌ منا يريد الدنيا حتى أنزل الله : « منكم من يُريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، ثم صرَّفكم عنهم ليبتليكم . » .

فلما خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ما أمروا به أفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعة : سبعة من الأنصار واثنين من قريش وهو عاشرهم ، فلما رَهَقُوهُ قال : رحم الله رجلا ردَّهم عنا . فلم يزل يقول ذا حتى قُتِلَ السبعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيَّه : ما أنصفنا أصحابنا .

فجاء أبو سفيان فقال : أعلُّ هُبْل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلَى وأَجَلُّ . فقالوا : الله أعلَى وأَجَلُّ .

فقال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولا عِزَى لَكُمْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله مولانا ولا مَوْلَى لَكُمْ .

ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، يومٌ لنا ويوم علينا ، ويوم نساء ويوم نُسَرَّ ، حنظلة بحنظلة ، وفلان بفلان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا سِوَاء ، أَمَا قَتَلْنَا فَأَحْيَاءَ يُرْزَقُونَ وَقَتَلْنَاكُمْ فِي النَّارِ يَعَذَّبُونَ .

قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلَةٌ وَإِنْ كَانَتْ لَعَنَ غَيْرِ مَلَأٍ مِنَّا ، مَا أَمَرْتُ وَلَا نَهَيْتُ وَلَا أَحْبَبْتُ وَلَا كَرِهْتُ ، وَلَا سَاءَ نِي وَلَا سَرَّ نِي .

قال : فنظروا فإذا حمزة قد بُقِرَ بطنه وأخذت هندُ كبده فلا كُتْها فلم تستطع أن تأكلها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَأَكَلْتُ شَيْئًا ؟ قالوا : لا . قال : ما كان الله لِيُدْخِلَ شَيْئًا مِنْ حِمْزَةٍ فِي النَّارِ .

قال : فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزةَ فصلً عليه وجيء برجل من الأنصار فوُضِعَ إلى جنبه فصلٍ عليه ، فرفع الأنصاري وترك حمزة . وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلٍ عليه ، ثم رفع وترك حمزة . حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة .

تفرد به أحمد ، وهذا إسناد فيه ضعف أيضا من جهة عطاء بن السائب . فالله أعلم . والذي رواه البخاري أثبت حيث قال : حدثنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيُّهم أكثر أخذًا للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا .

تفرد به البخارى دون مسلم . ورواه أهل السنن من حديث الليث بن سعد به .

وقال أحمد : حدثنا محمد ، يعنى ابن جعفر ، حدثنا شُعْبَةُ ، سمعت عبدَ ربه يحدث عن الزهرى ، عن ابن جابر ، عن جابر ابن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قتلى أحد : فإنَّ كلَّ جرح أو كلَّ دمٍ يفوح مسكاً يوم القيامة . ولم يصلِّ عليهم .

وثبت أنه صلى عليهم بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسير . كما قال البخارى : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا زكريا بن عدي ، أخبرنا [ابن^(١)] المبارك ، عن حيوة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن عُبَبة بن عامر ، قال : صلى^(٢) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم فرطٌ وأنا عليكم شهيد ، وإنَّ موعدكم الخوضُ ، وإني لأنظر إليهم من مقامى هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تُشركوا ، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها .

قال : فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه البخارى فى مواضع آخر ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، من حديث يزيد ابن أبى حبيب به نحوه .

وقال الأمامى : حدثنى أبى ، حدثنا الحسن بن عماره ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : قالت عائشة : خرجنا من السَّحَرِ نَخْرُجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجلٌ مُتَجَرِّبٌ يشتمُّ ويقول :
لَبَّثْ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَلًّا^(٣)

(١) ابن المبارك هو عبد الله . وقد سقطت من الأصل . وأثبتها من صحيح البخارى فى غزوة أحد .
(٢) قال القسطلانى : المراد أنه دعا لهم بدعاء صلاة الميت ، والاجماع يدل له ، لأنه لا يصلّى عليه - أى القبر - عند الشافعية ، وعند أبى حنيفة المخالف : لا يصلّى على القبر بعد ثلاثة أيام . لإرشاد السارى ٦ / ٢٩١ .
(٣) نسبه فى تاج العروس ٧ / ٢٩٠ لجل بن سعدانة الصحابى . وعجزه : « ما أحسن الموت إذا خان الأجل » وروايت فى اللسان ١٣ / ١٩٣ : « ضح قليلا يدرك .. » وقال : « يعنى به حمل بن بدر » .

قال : فنظرنا فإذا أسيد بن حُصَير ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين .

قالت : فدنونا منها فإذا هي امرأة عمرو بن الجحوح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتخذ من المؤمنين شهداء « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا » .
ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقائنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخى وزوجى .

وقال ابن إسحاق : وقد أفبكت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها فارحمها لا ترى ما بأخيها . فقال لها : يا أمه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن ترجعى . قالت : ولَمْ ، وقد بلغنى أنه مُثِّل بأخى وذلك فى الله ، فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحسنين ولأصبرين إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قال : خَلِّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصَلَّت عليه واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق : ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن ، ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش وأمه أميمة بنت عبد المطلب ، وكان قد مُثِّل به غير أنه لم يقرر عن كبده . رضى الله عنهما .

قال السَّهْمِيُّ : وكان يقال له المجدع فى الله . قال : وذَكَر سعد أنه هو وعبد الله بن جحش دَعِيا بدعوة فاستجيب لهما ، فدعا سعد أن يلتقى فارساً من المشركين فيقتله ويستأبه ، فكان ذلك . ودعا عبد الله بن جحش أن يلتقاه فارسٌ فيقتله ويَجِدَّ أنه فى الله ، فكان ذلك .

وذكر الزبير بن بَكَار أن سيفه يومئذ انقطع ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عرجوناً فصار في يد عبد الله بن جحش سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمائتي دينار .

وهذا كما تقدم لعلكاشة في يوم بدر .

وقد تقدم في صحيح البخارى أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد .

وإنما أرخص لهم في ذلك لما بالمسلمين من الجراح التي يَشْقُ معها أن يحفروا الكل واحد واحد . ويقدم في اللحد أكثرها أخذاً للقرآن .

وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام والندجابر ، وبين عمرو بن الجموح ، لأنهما كانا متصاحبين . ولم يغسلوا بل تركهم بحراحهم ودمائهم .

كما روى ابن إسحاق عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن القتلى يوم أحد قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، أنه ما من جريح يُجرَح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمِي جرحه ، اللون لونُ دم والريح ريح مسك » .

قال : وحدثني عمي موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « ما من جريح يُجرَح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يَدْمِي ، اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

(١) من بني عذرة حبيب بني زهرة ، له رؤية ولم يثبت له سماع ، مات سنة تسع وثمانين وغرب الله عين .

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالشهداء أن يُنزع عنهم الحديد والجلود وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

رواه أبو داود وابن ماجه من حديث علي بن عاصم به .

وقال الإمام أبو داود في سننه : حدثنا القعنبي ، أن سليمان بن المغيرة حدثهم ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر ، أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقالوا : قد أصابنا قرح وجه فكيف تأمر ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرّجلين والثلاثة في القبر الواحد » .

قيل : يارسول الله فأيهم يُقدّم ؟ قال : أكثرهم قرآنا .

ثم رواه من حديث الثوري ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر . فذكره . وزاد : وأعمقوا .

قال ابن إسحاق : وقد احتَمَل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث صُرِعوا » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا عبد الله وعَتَّاب ، حدثنا عبد الله ، حدثنا عمر بن سَلَمَةَ بن أبي يزيد المديني ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد ، فأرسلني أخواتي إليه بناضح لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سَلَمَةَ .

فقال : فجئته وأعوانٌ لي ، فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد ، فدعاني فقال : « والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته » .

فدفن مع أصحابه بأحد .

تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحدُ حملوا من مكانهم ، فنادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : أن رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم .

وقد رواه أبو داود والنسائي من حديث الثَّوْرِيِّ ، والترمذِيُّ ، من حديث شُعْبَةَ والنسائي أيضا ، وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، كلهم عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى المشركين يقاتلهم وقال لي أبي عبدُ الله : يا جابر لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم إلى ما يصيرُ أمرنا ، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي لأحببتُ أن تُقتَلَ بين يدي .

قال : فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عمتي بأبي وخالى عادِلَتَهما على ناضح ، فدخلتُ بهما المدينةَ لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادي : ألا إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قُتلت . فرجعنا بهما فدفنناهما حيث قُتلا .

فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجلٌ فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثارَ أباك عمالُ معاوية فَبَدَأَ ، فخرَجَ طائفةٌ منه .

فأتيته فوجدته على النَّحْوِ الذي دفنته لم يتغيَّرَ ، إلا ما لم يدع القتل أو القتل .

ثم ساق الإمامُ قصةَ وفاته دَيْنَ أبيه ، كما هو ثابت في الصحيحين .

وروى البيهقي من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : لما أجزى معاوية العَيْنَ عندَ قتلى أحد بعد أربعين سنة استُصْرِخْنَا إليهم ،

فأنيناهم فأخبر جناهم ، فأصابَت المِسْحاةَ قَدَمَ حمزة فانبعثَ دَمًا !

وفى رواية ابن إسحاق عن جابر قال : فأخبر جناهم كأنما دُفِنُوا بالأَمْس .

وذكر الواقدي أن معاوية لما أراد أن يُجْرَى العَيْنَ نادى مناديه : من كان له قَتِيلٌ
بأحد فليَشْهَدْ . قال جابر : فحفرنا عنهم فوجدتُ أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته
ووجدنا جاره فى قبره عمرو بن الجموح ويده على جرحه ، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دَمًا !
ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك رضى الله عنهم أجمعين . وذلك بعد
ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

وقد قال البخارى : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا حسين المعلم ، عن
عطاء ، عن جابر قال : لما حضر أحدٌ دعانى أبى من الليل فقال لى : ما أُرانى إلا مقتولا
فى أول من يُقْتَل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإنى لا أتركُ بعدى أعزَّ على
منك غيرَ نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن علىَّ دينًا فاقضِ واستوص
بأخواتك خيرا .

فأصبحنا ، وكان أول قَتيل ، فدَفِنْتُ معه آخرَ فى قبره ، ثم لم تَطِبْ نفسى أن أتركه
مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته هيئة غيرَ أذنه .
وثبت فى الصحيحين من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، أنه لما قُتِل
أبوه جعل يكشف عنه الثوب ويبكى ، فنهاه الناسُ فقال رسول الله : « تَبْكِيه أو لا تبكيه ،
لم يَزَلْ للملائكةُ تَظْلُهُ حتى رفعتموه » .
وفى رواية أن عمته هى الباكية .

وقال البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضى ، قالا :
حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا فيض بن وثيق البصري ،

حدثنا أبو عبادة الأنصارى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر : « يا جابر ألا أبشرك ؟ قال : بلى ، بشرك الله بالخير . فقال : « أشعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمنى على عبدى ما شئت أعطكه . قال : يا رب عبدتك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك وأقتل فيك مرة أخرى . قال : إنه سلف منى أنه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقي : حدثنا أبو الحسن محمد بن أبي العروف الأسفرايينى ، حدثنا أبو سهل بشر بن أحمد ، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر ، حدثنا على بن المدينى ، حدثنا موسى ابن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصارى ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصمة الأنصارى ثم السلمى ، قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . « مالى أراك مُبْتَمَماً ؟ قال : قلت : يا رسول الله قُتِلَ أبى وترك ديناً وعيالا ، فقال : ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كِفَاحاً وقال له : يا عبدى سَأْنى أعطك . فقال : أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق منى القول : أنهم إليها لا يرجعون . قال : يا رب فأبلغ من ورأى . فأنزل الله « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون ^(١) » الآية .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن محمد بن عقیل ، سمعت جابراً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أبشرك يا جابر ؟ قلت : بلى ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله ثم قال له : ماتحب يا عبد الله ، ماتحب أن أفعل بك ؟ قال : أى رب أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى » .

وقد رواه أحمد عن على بن المدينى ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن على بن

ربيعة السلمي ، عن ابن عقيـل ، عن جابر ، وزاد : فقال الله : إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون .

وقال أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن عبد الله عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر أصحاب أحد : « أما والله لو دبت أنى غودرت مع أصحابه بخضن الجبل » يعني سفح الجبل .
تفرد به أحمد .

وقد روى البيهقي من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهب ، عن عبيد بن عمير ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد مرّاً على مُصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه فدعاه ثم قرأ : « من المؤمنين رجالٌ صدّقوا ما عاهدوا الله عليه » الآية قال : « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزورهم ، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحدٌ إن يوم القيامة إلا ردوا عليه » .

وهذا حديث غريب .

وروى عن عبيد بن عمير مراسلاً .

وروى البيهقي من حديث موسى بن يعقوب ، عن عباد بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشعب قال : « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكر يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقدي : كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورهم كلَّ حَوْلٍ ، فإذا بلغ نقرة الشعب يقول : « السلام عليكم بما صبرتم فنعِم عُقْبَى الدار » ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كل حول ، ثم عمر ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأتيهم فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعد يَسْلَمُ ثم يَقْبَلُ على أصحابه فيقول : ألا تسألون على قوم يردون عليكم .

ثم حكى زيارتهم عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأم سلمة رضى الله الله عنهم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافع ، حدثنا العطف بن خالد ، حدثني خالتي قالت : ركبْتُ يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لاتزال تأتيهم - فنزلتُ عند حمزة فصليت ماشاء الله أن أصلي ، وما في الوادي داع ولا مجيب ، إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي : « السلام عليكم » قالت : فسمعت رَدَّ السلام علىَّ يخرج من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني ، وكما أعرف الليل والنهار ، فاقشعرت كلُّ شعرة مني !

وقال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لما أُصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خُضِرَ ترِدُّ أنهار الجفنة وتأكُل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيبَ مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نُرْزَقُ لثلاً يَنكَلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد ؟

فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون » .

وروى مسلم والبيهقي من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون » .

فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال : فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألوني ما شئتم . فقالوا : ياربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا . ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يُتركوأ من أن يسألوا قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا نُقتل في سبيلك مرة أخرى . قال : فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوأ .

فصل

في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة : جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار تسعة وأربعون رجلاً .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً . فالله أعلم .

وقال قتادة : عن أنس ، قُتل من الأنصار يوم أحد سبعون ، ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون .

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالك : عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، قُتل من الأنصار يوم أحد ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيدة سبعون .

وهكذا قال عكرمة وعروة والزهرى ومحمد بن إسحاق فى قتلى أحد ، ويشهد له قوله تعالى « أولمَّا أصابتكم مُصيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا قُلْتُمْ : أُنَّى هَذَا ^(١) » يعنى أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسروا سبعين .

وعن ابن إسحاق : قتل من الأنصار - لعله من المسلمين - يوم أحد خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين : حمزة وعبد الله بن جحش ومُضْعَب بن عمير وشمَّاس بن عُمَان والباقيون من الأنصار .

وسرد أسماءهم على قبائلهم . وقد استدرك عليه ابن هشام زيادة على ذلك خمسة آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلا . وعن عروة : كان الشهداء يوم أحد أربعة ، أو قال سبعة ، وأربعين . وقال موسى بن عقبة : تسعة وأربعون . وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلا وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الربيع عن الشافعى : ولم يؤسر من المشركين سوى أبى عَزَّة الجمحى ، وقد كان فى الأسارى يوم بدر ، فمنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا فدية واشترط عليه ألا يقاتله ، فلما أسر يوم أحد قال : يا محمد امنن على لِبَنَاتى ، وأعاهد ألا أقاتلك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول : خدعت محمدا مرتين ، ثم أمر به فضربت عنقه .

وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُلْدَغُ المؤمنُ من جُحَرٍ مرتين ! »

فصل

قال ابن إسحق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلقيته حنّة بنت جحش كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولّوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن زوج المرأة منها لمكان ! » لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسحاق بن محمد الفروى ، حدثنا عبد الله بن عمر ، عن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش ، عن أبيه ، عن حنّة بنت جحش ، أنه قيل لها : قُتل أخوك . فقالت : رحمه الله وإنا لله وإنا إليه راجعون . فقالوا : قتل زوجك قالت : واحزناء !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للزوج من المرأة شعبة ما هي لشيء ! » قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل ، عن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوها لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خير يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأنشبر لها إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل والكثير ، وهو ههنا القليل . قال امرؤ القيس :

لَقَتَلُ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَاةٌ جَلَلٌ

أى صغير وقليل .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى فى هذا اليوم » .
وناولها على بن أبى طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدقنى اليوم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دُجَّانة » .

وقال موسى بن عقبة فى موضع آخر : ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف على مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبى الأثلج والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف » .

وروى البيهقى عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء على بن أبى طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة : هالك السيف حميداً فإنها قد شفتنى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت أجذت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف وأبو دُجَّانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة » .

قال ابن هشام : وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو ذو الفقار .
قال : وحدثنى بعض أهل العلم عن ابن أبى نجيح قال : نادى مناد يوم أحد : لاسيف إلا ذو الفقار ^(١) .

قال : وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى : « لا يصيب المشركون منا مثلاً حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار بنى عبد الأشهل ، فسمع

(١) ابن هشام : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا بنى إلا على . ولا ندرى لماذا أسقطها ابن كثير !

البكاء والنواح على قتلاهم ، فذرفت عيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « لكن حمزة لا بواكى له » .

فما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهن أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن في باب المسجد يبكين فقال : « ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن » .

قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن النوح ، فيما قال ابن هشام . وهذا الذي ذكره منقطع ومنه مرسل .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني أسامة بن زيد . حدثني نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من أحد جعل نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن حمزة لا بواكى له » .

قال : ثم نام فاستنبه وهن يبكين قال : « فبين اليوم إذا يبكين يندبن حمزة » . وهذا على شرط مسلم .

وقد رواه ابن ماجه ، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بنساء بنى عبد الأشهل يبكين هنكاهن يوم أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزة لا بواكى له » .

فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ويجهن ما اتقبن بعد مروورهن ، فلينقبن ولا يبكين على هالك بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أزقة المدينة إذا التوحُّ والبكاء في الدور قال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم فقال : « لكن حمزة لا بواكى له » واستغفر له .

فسمع ذلك سعدُ بن معاذ وسعد بن عباد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن رواحة ، فمشوا إلى دورهم فجمعوا كلَّ نائحة باكية كانت بالمدينة ، فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكى له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما هذا ؟ » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم وقال لهم خيرا وقال : « ما هذا أردت ، وما أحبُّ البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

قال موسى بن عقبة : وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق فَوَّرَ المِرْجَل .

وقالت اليهود : لو كان نبيا ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب مُلْكٍ تكون له الدولة وعليه .

وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعمتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم .

فأنزل الله القرآن في طاعة مَنْ أطاع ونفاق من نفاق وتعزية المسلمين ، يعني فيمن قُتل منهم فقال : « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » الآيات كلها - كما تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة .

ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه

على ما بهم من القرح والجراح ، في أثر أبي سفيان ، إرهاباً له ولأصحابه
حتى بلغ حمراء الأسد ، وهي على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة بعد اقتصاصه وقعة أحد ، وذكره رجوعه عليه السلام
إلى المدينة :

وقدِمَ رجلٌ من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن أبي سفيان
وأصحابه فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ،
أصبتُم شوكة القوم وخذتم ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم ردوس
يجمعون لكم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبهم أشد القرح - بطلب العدو لئلا يسمعوها
بذلك ، وقال : لا ينطلقنّ معي إلا من شهد القتال . فقال عبد الله بن أبي : أنا راكب
معلك . فقال : لا .

فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء . فانطلقوا .
فقال الله في كتابه : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ،
الذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » (١) .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للجابر ، حين ذكر أن أباه أمره بالمقام
في المدينة على أخواته .

قال : وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العدو حتى بلغ حمراء الأسد .
وهكذا روى ابن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، سواء .

وقال محمد بن إسحاق في مغازيه : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ،
أما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه : ألا يخرجن أحدًا إلا من حضر
يومنا بالأمس . فكلمه جابر بن عبد الله فأذن له .

قال ابن إسحاق : وإما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبًا للعدو لِيَبْغِهم
أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوةً ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .
قال ابن إسحاق رحمه الله : فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت ، عن أبي
السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال : شهدتُ أحدًا أنا
وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في
طلب العدو قلت لأخي وقال لي : أتقوتنا غزوةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !
والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل . فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عُقبَةً ومشي عُقبَةً ^(١) ، حتى
انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء
الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميل ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ثم
رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر [أن] معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبية ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهمته ، صفقتهم ^(٢) معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، مرة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم .

ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ ! لنكفرن على بقيتهم فلنفرغن منهم .

فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله قط .

قال : وبيك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .

قال : فوالله لقد أجمعنا الكفرة عايهم لنستأصل شقيهم . قال : فإني أنهارك عن ذلك ، والله لقد حملني مارأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر . قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تهد من الأصوات راحتي إذ سـ لأرض الجرد الأبايل ^(٣)
تردي ^(٤) بأسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميميل معازيل
فظلت عذواً أظن الأرض مائلة لئما سموا برئيس غـير مخدول

(١) ابن هشام : عيبية نصح نرسول الله . والعيبية : موضع السر . (٢) صفقتهم : حلقهم .

(٣) الجرد : غنق الخيل . والأبايل : الجماعات . (٤) تردى : تسرع .

قلت ويل ابن حرب من لقاءكم إذا تَفَطَّمَتِ البطحاء بالجيل^(١)
إني نذير لأهل البسل^(٢) ضاحية لكل ذي إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش^(٣) يقابله وليس يوصف ما أُنذرت بالقيل
قال : فتى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : للدينة . قال : ولم ؟ قالوا
نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه وأحل لكم
إيلكم هذه غداً زيباً بنكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه
أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم .

فر الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال
أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .
وكذا قال الحسن البصري .

وقد قال البخاري : حدثنا أحمد بن يونس ، أراه قال : حدثنا أبو بكر ، عن أبي
حصين ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم عليه
السلام حين أتى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : إن الناس قد جمعوا
لكم فأخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل .
تفرد بروايته البخاري .

وقد قال البخاري : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام ، عن
أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم
القرحُ للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » قالت لعروة : يا ابن أختي كان أبواك

(١) تَفَطَّمَتِ : اهترت . والجيل : الصف من الناس . (٢) أهل البسل : قريش .
(٣) الوخش : الردى . وق ابن هشام : تنابلة . والقنابل : جمع قنبلة الطائفة من الناس والجيل .

منهم ، الزبير وأبو بكر رضى الله عنهما ، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، فقال : من يذهب في إثرهم ؟ فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير .

هكذا رواه البخارى . وقد رواه مسلم مختصراً من وجهٍ عن هشام ، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحيدى جميعاً عن سفيان بن عيينة . وأخرجه ابن ماجه من طريقه . عن هشام بن عروة به . ورواه الحاكم فى مستدركه من طريق أبى سعيد عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث الشدى عن عروة ، وقال فى كل منهما : صحيح ولم يخرجاه .

كذا قال . وهذا السياق غريب جداً ، فإن المشهور عند أصحاب المغازى أن الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد كلٌّ من شهد أحداً ، وكانوا سبعائة ، كما تقدم . قُتل منهم سبعون وبقي الباقون .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفى ، عن ابن عباس قال : إن الله قذَفَ فى قلب أبى سفيان الرعب يوم أحد بعد الذى كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحد فى شوال ، وكان التجار يقدّمون فى ذى القعدة المدينةَ فينزّلون بيدر الصغرى فى كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المسلمين القرحُ واشتكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذى أصابهم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناسَ لينطلقوا بهم ويتبعوا ما كانوا متّبعين وقال لنا : ترتحلون الآن فتأتون الحجَّ ولا يقدرّون على مثلها حتى عام قابل .

فجاء الشيطان يخوّف أوليائه فقال : إن الناس قد جمعوا لكم . فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال : إني ذاهبٌ وإن لم يتبعنى أحد .

فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن

عوف وأبو عبيدة وابن مسعود وحذيفة في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » .
وهذا غريب أيضاً .

وقال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حرّبوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غير الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده لقد سوّمت لهم حجارةً لو صبّحوا بها لكانوا كأمسٍ الذاهب ! » .

قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك قبل رجوعه المدينة ، معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، جد عبد الملك بن مروان لأمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره ببدر ثم منّ عليه فقال : يا رسول الله أقلني ، فقال : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين . اضرب عنقه يا زبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن ابن المسيّب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن لا يُلدغ من جحر مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام : أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمانُ على ألا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر وقال : ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه . ففعلوا رضي الله عنهما .

قال ابن إسحاق . ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان عبد الله بن أبيّ كما حدثني الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر له شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به ، فانصروه وعزّروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس .

حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، وخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس أيّ عدوّ الله ، والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت .

فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بُجراً^(١) أن قت أشدّ أمره !

فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قت أشدّ أمره فوثب إلى رجال من أصحابه يجذونني ويعنفونني ، لكأنا قلت بُجراً أن قت أشدّ أمره .

قالوا : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : والله ما أبني أن يستغفر لي .

ثم ذكر ابن اسحاق ما نزل من القرآن في قصة أحد من سورة آل عمران عند قوله « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميعٌ عليم » .

قال : إلى تمام ستين آية . وتكلم عليها .

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

ثم شرع ابن إسحاق في ذكر شهداء أحد وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم كما جرت عادته .

فذكر من المهاجرين أربعة : حمزة ومُضْعَب بن عمير وعبد الله بن جَحْش وشمَّاس ابن عثمان رضى الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلا . واستدرك عليه ابن هشام خمسة أخرى فصاروا سبعين على قول ابن هشام .

ثم سمي ابن إسحاق مَنْ قُتِلَ من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلا على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عَزَّة الجحى ، كما ذكره الشافعى وغيره ، وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا بين يديه ، أمر الزبير ، ويقال : عاصم بن ثابت ابن أبى الأفلح ، فضرب عنقه .

فصل

فما تقول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لنذكر جوابها من شعر الإسلام ، ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام ، وأقطع لشبهة الكفرة الطغام .

قال الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحد قول هُبَيْرَةَ ابن أبي وهب الخزومي ، وهو على دين قومه من قريش ، فقال :

ما بالُ همٍّ عميدٍ باتَ يَطْرُقني	بالودِّ من هندی إذ تَعْدُو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتَعْدُلني	والحربُ قد شُفِلت عني موالها
مَهلاً فلا تَعْدُليني إنَّ منْ خُلقي	ما قد علمت وما إنَّ لست أخفيها
مُسَاعِفٌ لبني كعبٍ بما كَلِفوا	حَمَالُ عبءٍ وأَقْبالٍ أعانها
وقد حَمَلْتُ سِلاحِي فوقَ مُشْتَرَفٍ	سَاطِ سَبُوحٍ إذا تَجَرى يباريها ^(١)
كَأنه إذ جَرى عَيْرٌ بِفَدْفَدَةٍ	مُكَدَّمٌ لاحِقٌ بِالْعُونِ يَحْمِيها ^(٢)
مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَرْتاحُ النَّدَى لَهُ	كجذع شعراء مُسْتَعْمِلٍ مَراقِيبها
أَعَدَدْتُهُ وَرَقاقَ الحَدِّ مُنْتَخِلاً	وَمَارِئاً لَخْطوبٍ قَدْ أَلاقِها ^(٣)
هَذَا وَبِضَاءٍ مِثْلَ النَّهْيِ مُحْكَمَةٍ	لَطَّتْ عَلَيَّ فَمَا تَبَدُّو مَساوِيبها ^(٤)
سُقْنَا كِنَانَةً مِنْ أَطْرافِ ذِي يَمِينٍ	عَرَضَ البِلادِ عَلَيَّ ما كانَ يُزْجِيبها
قالت كِنانةُ أُنِّي تَذْهَبُونَ بِنَا	قائِنا النُّخَيْلِ فَأَمْوُها وَمِنْ فِئْها ^(٥)

(١) مشترف : مشرف . والساطي : الفرس البعيد الخطو . والسبوح : الذي يسبح في جريه .
 (٢) العير : حمار الوحش . والفدفة : القلاة . والمكدم المضض : والعون : جمع غانة وهو القطيع من حمر الوحش . (٣) رقاق الحد : السيوف . ومنتخلا : متخيرا والمارن : الرمح الصلب المدن .
 (٤) البيضاء : يريد بها الدرع . والنهي : الغرير . لظت : لصقت . (٥) النخيل : عين قرب المدينة .

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ^(١) مِنْ أَحَدٍ هَابَتْ مَعْدُ قَقْلُنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
 هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنَا صَادِقًا خَذِمًا^(٢) مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا^(٣)
 نَمَتْ رُخْنًا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرْدٌ وَقَامَ هَامُ بَنِي النِّجَارِ يَبْكِيهَا^(٤)
 كَأَن هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعَى فَلَقَ مِنْ قَيْضِ رَبْدٍ نَفْتَهُ عَنْ أَدَاحِيهَا^(٥)
 أَوْ حَنْظَلٌ ذَعَذَعَتَهُ الرِّيحُ فِي غُصْنٍ بِال تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا^(٦)
 قَدْ نَبَذَلِ الْمَالَ سَحًّا لَا حِسَابَ لَهُ وَنَطَعْنَ الْخَيْلَ شَرَرًا فِي مَاقِيهَا^(٧)
 وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْفَرَثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُ بِالنَّقَرَى الْمُثْرَيْنِ دَاعِيهَا^(٨)
 وَلَيْلَةٍ مِنْ بُحَادَى ذَاتِ أُنْدَبِيَّةٍ جَرَبًا بُحَادِيَّةٍ قَذَبَتْ أُسْرِيهَا^(٩)
 لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ الْقَرِيسِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا^(١٠)
 أَوْ قَدْتُ فِيهَا لِذِي الضَّرَاءِ جَاحِمَةً كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةِ الْأَرْكَانِ أَجْمِيهَا^(١١)
 أَوْ رَثْنِي ذَالِكُمْ عَمْرُوٌّ وَوَالِدُهُ مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالْمَشْتَى يُغَالِيهَا^(١٢)
 كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا دَنَّتْ عَنِ السُّورَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

قال ابن هشام : وتروى لسكعب بن مالك وغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر والله أعلم :

- (١) الجر : أصل الجبل . (٢) الحزم : القاطع . (٣) العارض : السحاب . ويرد : به برد ، وهو حب الغمام . (٤) القيص : القشرة العليا اليابسة من البيض . والربد : النعام . والأداحي : جمع أدحى وهو مبيض النعام . (٥) ذعذعته : حركته . وتعاوره : تتداوله . والسواقي : الرياح الشديدة . (٦) سحًا : صبا . والشزر في الطعن : أن يكون من ناحية غير مستقيمة . (٧) يصطلى : يستدفئ . والنقري : الدعوة الخاصة ، أى يختص الأغنياء طلبا لمكافأته ، يصف شدة الزمان . (٨) أندبية : جمع ندى على غير قياس ، وقيل : لأنه جمع الجمع ، والجرباء : المقطعة . (٩) القريس : البرد الشديد . (١٠) الجاحمة : المتهمة . (١١) ابن هشام : بالثنى . وما هنا أوضح .

سُقْتُمْ كِنَانَةً جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ مُجْنَدِ اللَّهِ مُخْزِيهَا
أُورِدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالْنَارُ مَوْعِدُهَا وَالْقَتْلُ لَاقِيهَا
جَمْعَتُمُوهُمْ أَحَايِشًا بِلَا حَسَبٍ أُمَّةُ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا
أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلَتْ أَهْلَ الْقَلْبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلَا تَمَنٍّ وَجَزَّ نَاصِيَةً كُنَّا مَوَالِيَهَا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يُحِبُّ هُبَيْرَةَ بْنَ أَبِي وَهَبٍ الْخَزَوِيَّ أَيْضًا :

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَانَ عَنَّا وَدُونَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ خَرَقٌ سَيَرَهُ مُتَنَعِعٌ^(١)
صَحَارَى وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا مِنْ الْبُعْدِ نَقَعٌ هَامِدٌ مُتَقَطَعٌ^(٢)
تَظَلُّ بِهِ الْبَزْلُ الْعَرَامِيسُ رُزْحًا وَيَحُلُّو بِهِ غَيْثُ السَّنَنِ فَيُمْرَعُ^(٣)
بِهِ جَيْفُ الْحُسْرِى يَلُوحُ صَلِيبُهَا كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التَّجَارِ الْمَوْضِعِ^(٤)
بِهِ الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمِشِينَ خِلْفَةً وَبَيِضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ يَتَقْلَعُ^(٥)
مُجَالِدُنَا عَنْ دَيْنَسَا كُلُّ نَخْمَةٍ مُذْرَبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْعُ^(٦)
وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبَسَتْ نَهَى مِنْ الْمَاءِ مَتَرَعٌ^(٧)
وَلَكِنْ يَبْذُرُ سَائِلُوا مَنْ لَقِيتُمْ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ
وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا سَوَانًا لَقَدْ أَجْلَوْا لِبَلِيلٍ فَأَقْشَعُوا
إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ أَعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابْنَ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ

(١) المتنعع : المضطرب . (٢) الأعلام : الجبال . والقنم الغبار . والنقع : الغبار أيضا .
(٣) البزل : جمع بازل . وهى الناقة التى تبلغ التاسعة . والعراميس : الصلبة . والرزح : المعية .
(٤) الصليب : ودك العظام . والموضع : المبسوط .
(٥) العين : بقر الوحش والآرام . وخلفة : قطعة وراء قطعة . والقيس : قشور البيض . ويتقلع : يتشقق
(٦) مذربة : محدة . والقوانس : جمع قونس وهى بيضة السلاح .
(٧) كل صموت : أراد به الدرع . جعلها صموتا لشدة نسجها وإحكام صنعها . والنهى : القدير .
والمترع : المليء .

فَمَا يُهْمُ النَّاسَ مِمَّا يَكِيدُنَا فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ السَّبَرَةُ قَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
نُجَالِدُ لَا تُبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَفْظَعُوا
وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرَضِ قَالَتْ سُرَاتُنَا عَلَامَ إِذَا لَمْ تَمْنَعْ الْعَرَضُ نَزَرَ عُ^(١)
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتَّبِعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا تَنْظَلُ عُ^(٢)
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا^(٣) إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطِيعٌ وَنَسْمَعُ
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَّوْا لَنَا ذَرُّوْا عَنكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا إِلَى مَلِكٍ يُحْيِي لَدَيْهِ وَيُرْجِعُ
وَلَكِنْ خَذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَخَشَّعُ
بِمَلُومَةٍ فِيهَا السَّنَوَرُ وَالْقَنَا إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ^(٤)
فَجَنَّا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَايِشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةُ^(٥) ثَلَاثَ مِثْنَيْنِ إِنْ كَثُرْنَا فَارْبَعُ^(٥)
نُقَاوِرُهُمْ تَجْرَى الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرَعُ
تَهَادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ وَمَاهُو إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ الْمُقَطَّعُ^(٦)
وَمَنْجُوفَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ يَذُرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُصْنَعُ^(٧)

(١) العرض : سفح الجبل . وهو جبل أحد . (٢) لا تنظلع : لا تميل عنه .

(٣) قصرنا : غابتنا . (٤) الملمومة : الكتيبة . والسنور : السلاح . لانورع : لا تكف .

(٥) النصية : الحيار من القوم .

(٦) النبع : شجر للقسي والسهام ينبت في قلة الجبل . واليثرى : الوتر المنسوب إلى يثر .

(٧) المنجوفة : السهام . والحرمية : المنسوبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد ، كان يصنعها

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرِّجَالِ وَتَارَةً
وَحِيلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرِّحَا
ضَرْبَانَهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَائِهِمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفْقْنَا عَشِيَّةً
وَرَا حَوَائِ سِرَاعًا مَوْجَعِينَ^(١) كَأَنَّهُمْ
وَرَحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٍ كَأَنَّا
فَنِلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
وَمَحْنُ أَنَاسٍ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى
بَنُو الْحَرْبِ لَا نَعْيًا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَرْنَا فَلَسْنَا بِفُحْشٍ
وَكُنَّا شُهَابًا يَتَقَى النَّاسُ حَرَّهُ
نَفَرَتْ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ سَرَى
فَسَلَّ عَنْكَ فِي عَالِيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا

تَمَرُّ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقَعَّقُ^(٢)
جَرَادٌ صَبَاً فِي قَرَّةٍ يَتَرَبَّعُ^(٣)
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّهِ اللَّهُ مَدْفَعٌ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعٌ
كَأَنَّ ذَكَانَا حَرُّ نَارٍ تَلْفَعُ^(٤)
جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعٌ^(٥)
أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بَيْشَةٌ ضَلَعٌ^(٦)
فَعَلَمْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الدَّمَارَ وَيَمْنَعُ
عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ
وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَّتْ الْحَرْبُ تُجْزَعُ
وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِنَا نَتَوَجَّعُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مَنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ^(٧)
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتَبَّعُ
مَنْ النَّاسِ مِنْ أَخْرَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ

(١) قال السهيلي : « يقول : تشق أبدان الرجال حتى تبلغ البصار فتقعق فيها ، وهي جمع بصرة ، وهي حجارة لينة . ويجوز أن يكون أراد جمع بصيرة ، مثل كريمة وكرام . والبصيرة : الدرع ، وقيل : الفرس » .
(٢) الصبا : ربح شرقية . والقرة : الليلة الباردة . يتربع : يذهب ويحيى .
(٣) ذكانا : حرارتنا في الحرب .
(٤) الجهام : السحاب الرقيق .
(٥) بيشة : موضع كثير الأسود . وفي ابن هشام : ظلم .
(٦) يفرج عنه : ينكشف . ويسفع : يافح .
(٧) (٤) ابن هشام : موجفين .

ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً ومن خذه يوم الكريهة أضرع
شدّنا بحول الله والنصر شدة عليكم وأطراف الأسنّة شرّع
تكرّ القنا فيكم كأنّ فروعها عزّالى مزاد ماؤها يتهزّع^(١)
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطّر بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرع
فخائوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا أبى الله إلا أمره وهو أضنّع

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد وهو يومئذ مشرك بعد :

يا غرابَ البين أسمعتَ فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل
إن للخير وللشرّ مدى وكلاً ذلك وجهٌ وقبَل^(٢)
والعطيات خِساسٌ بينهم وسواءُ قَبْرُ مئْرٍ ومُقل
كلُّ عيش ونعيم زائلٌ وبناتُ الدهر يلعبن بكلّ
أبلغاً حسانَ عنى آيةً فقريضُ الشعر يشفى ذا الفلّ
كم ترى بالجرّ من جُجمةٍ وأكفٍ قد أترّت ورجل^(٣)
وسرايلِ حسانٍ سُريتْ عن كرامةٍ أهلكوا فى المنزّل
كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ماجد الجدينِ مقدامٍ بطل
صادق النجدةِ قرّم بارِع غير مُلتاثٍ لدى وقع الأسْل
فَسِلِ المِهْرَاسَ ما ساكنه بين أقحافٍ وهامٍ كاللجَل^(٤)
ليتَ أشياخى يبدرِ شهودوا جزع الخرزج من وقع الأسْل

(١) العزالي : جمع عزلى ، وهى مصب الماء من الراوية . واليزاد : جمع مزادة وهى الراوية .
ويتهزّع : يتقطع . (٢) القبل : العيان والواجهة . (٣) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت .
(٤) المِهْرَاس : ماء بأحد . وفى ابن هشام : من ساكنه . والأقحاف : جمع قحف . والهام :
الردوس . والحجل : الذكر من البجج .

حين حَكَتْ بَقْبَاءَ بَرَكَا^(١) واستحَرَ القتلُ في عَبدِ الأشَلِ
ثم نَحَفُوا عِنْدَ ذَاكُم رُقَصًا رَقَصَ الحَفَّانُ يعلو في الجبلِ^(٢)
فقتلنا الضَّعْفَ من أشرفهم وعدلنا مَيْلَ بَذَرٍ فاعتدلَ
لألومِ النفسِ إِلَّا أَنَّنَا لو كَرَرْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْعَلِ
بسيوفِ المُنَدِ تَعْلُو هَامَهُم عِلَّالًا تَعْلُوهُمْ بِمَدَنِهِمْ

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ذهبتُ بَابِنِ الزَّبْعَرَى وَقَعَةً^(٣) كان منا الفضلُ فيها لو عدَلْ
ولقد نلّم ونِلْنَا مِنْكُمْ وكذلك الحربُ أحيانًا دُولُ
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حيثُ نَهَوَى عِلَّالًا بَعْدَ نَهْلِ
نَخْرَجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ كَسَلَاحِ النَّيْبِ بِأَكْلِنِ الْعَصَلِ^(٤)
إِذْ تُؤَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرِّسْلِ^(٥)
إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةَ صَادِقَةٍ فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
بِخَنَاطِيلِ كَأَشْدَاقِ الْمَلَا مَنْ يُبْلِقُوهُ مِنَ النَّاسِ يُهْلُ^(٦)
ضَاقَ عَنَا الشُّعْبُ إِذْ نَجَزَعَهُ وَمَلَأْنَا الْفَرَطَ مِنْهُ وَالرَّجَلَ^(٧)
بِرَجَالٍ لَسْتُمْ أَمْثَالَهُمْ أَيْدُوا جَبْرِيلَ نَصْرًا فَتَزَلُ^(٨)

(١) البرك : الصدر . وعبد الأشل : هم بنو عبد الأشهل .

(٢) الرقص : الحبيب في السير ، وهو الإسراع . والحفان : فراخ النعام .

(٣) الأصباح : وهو اللبن الممزوج بالماء . والنَّيْبُ : النوق المسنة . والعصل : نبات يصلح للإبل إذا أكلته .

(٤) الرسل : الغنم إذا أرسلها الراعي ، والرسل : القطيع من كل شيء .

(٥) الخناطيل : الجماعات . والأشداق : جمع شدة ، وهو من الوادي عرضاه وناحيته . والملا : الفلاة ذات حر وسراب . ويهل : يفرح .

(٦) نجزعه : نقطعه عرضاً . والفرط : المرتفع من الأرض . والرجل : المظلم منها .

(٧) أيدوا جبريل : أراد : أيدوا بجبريل .

وعولونا يومَ بدرٍ بالتُّقى طاعةَ الله وتصدقِ الرُّسُلُ
 وقتلنا كلَّ رأسٍ منهم وقتلنا كلَّ جَحْجَاحٍ رِفْلٍ^(١)
 وتركنا في قريشٍ عِشْرَةً يومَ بدرٍ وأحاديثَ المَثَلِ
 ورسولَ الله حقًّا شاهِدًا يومَ بدرٍ والتنايلِ الهُبْلِ^(٢)
 في قريشٍ من جُوعٍ جُمعوا مثلَ ما يُجْمَعُ في الحِصْبِ الهَمْلِ^(٣)
 نحن لا أمثالكم وُلدُ استها نَحْضِرُ البأسَ إذا البأسُ نَزَلَ

قال ابن إسحاق : وقال كعب يبكى حمزة ومن قُتل من المسلمين يوم أحد ،
 رضى الله عنهم :

نَشَجَتْ وهل لك مِن مَنشَجٍ وكنت متى تدَّكرُ تَلَجَجٍ
 تدَّكرُ قِـوَمٍ أتانى لهم أحاديث في الزمن الأعوجِ
 فقلِّبك مِن ذِكْرهم خافقٌ من الشوقِ والحزنِ المنضجِ
 وقتلهم في جِئانِ النعيمِ كرامُ المداخلِ والمُخرَجِ
 بما صبروا تحت ظلِّ اللواءِ لواءِ الرسولِ بذى الأضْوَجِ^(٤)
 غداةَ أجابت بأسياها جميعاً بنو الأوس والحزرجِ
 وأشياعُ أحمدٍ إذ شابعوا على الحق ذى النورِ والمَنهَجِ
 فما برَّحوا يضربون السكَّاءَ ويمضون في القسطلِ المَرهَجِ^(٥)

(١) الجحجج : السيد . والرفل : الذى يجز ثوبه خيلاء .

(٢) التنايل : القصار . والهبل : الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم .

(٣) الهمل : الإبل المهمة التى تركت دون راع .

(٤) الأضوج : جمع زوج ، وهو منعطف الوادى .

(٥) القسطل : الغبار .

كذلك حتى دعاهم مليكاً إلى جنة دَوْحة المَوَاجِجِ (١)
 وكلهم مات جُرَّ البلاء على ملة الله لم يخرج
 كحزمة لما وفى صادقاً بذى هبة صارم سلجج (٢)
 فلاقاه عبدُ بنى نوفل يُبربر كالجلل الأدعج (٣)
 فأوجَّره حرَّبة كالشهاب تلهب في اللهب الموهج
 ونعمان أوفى بميثاقه وحفظة الخير لم ينجح (٤)
 عن الحق حتى غدت روحه إلى منزل فاخر الزبرج (٥)
 أولئك لا من ثوى منكم من النار في الدرك المرتجج

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يهكى حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم
 أحد ، وهى على روى قصيدة أمية بن أبى الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر .

قال ابن هشام : ومن أهل العلم بالشعر من ينكر هذه لحسان . والله أعلم :

يأتى قومي فاندبى بسُحيرة شَجَوَ النوائج
 كالحاملاتِ الوقر بالثقل الملحاحات الدوالج (٦)
 المنعولات الخامشات وجوه حُرَّاتِ صحاح
 وكان سيل دموعها أنصابُ تَحْضَبُ بالذبايح
 يتقضن أشعاراً لمن هناك بادية المسائح (٧)
 وكأنهم أذئاب خيل بالضحى شمس رَوامح

(١) الدوحة : الكثرة الأغصان . والموج : المدخل (٢) السلجج : المرفف .

(٣) عبد بنى نوفل : وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصبح . والأدعج : الأسود .

(٤) لم ينجح : لم يعل .

(٥) الزبرج : الوشى .

(٦) الدوالج : الحاملات الثقل .

(٧) المسائح : ذوائب الشعر .

من بين مشرور ومج زورٍ يذَّذع بالبوارح ^(١)
 يكيّن شجواً مُسلبات كدَحْتَهْن الكوادخ
 ولقد أصاب قلوبها تجلُّ له جَلْب قوارخ ^(٢)
 إذ أقصد الحِذْثان من كنا نرجى إذ نُشايخ ^(٣)
 أصحاب أخذ غلهم دهرٌ ألم له جوارخ
 من كان فارسنا وحا مينا إذا بُعث المَسالِخ ^(٤)
 يا حَمَزَ لا والله لا أنساك ما صرَّ النَّفَّاح
 للمناخ أيتامٍ وأض يافٍ وأرملةٍ تُلَامِخ ^(٥)
 ولياً بنوب الدهر في حرب خرب وهى لافِخ
 يافارساً يامِذْرها حمز قد كفت المصامخ ^(٦)
 عنا شديداً الخنو ب إذا ينوب لهن فادح
 ذكّرني أسد الرسو ل وذلك مِذْرها المُنَافِخ
 عنا كان يعدُّ إذ عدَّ الشريفون الجحاجِخ
 ملو القماقم جهرة سبط اليدين أغرَّ واضح
 لا طائشٌ رَعِش ولا ذو علة بالحمل آنِخ ^(٧)
 بحرٌ فليس يغبُّ جا رأ منه سيبٌ أو منادِخ
 أو دى شبابٌ أولى احف نظ والثقيلون المراجِخ
 المُطعمون إذا المشا قى سايحةً ناضح

- (١) المشرور : الذى وضرمه من خصفة ليحف . ويذذع : يفرق . والبوارح : الرياح الشديدة .
 (٢) الجلب : أن يكون من الجلد واللحم ماء . والجلب : جمع جلبه وهو قشرة تعلو الجرح عند البرء .
 (٣) نشايخ : نمذر .
 (٤) النافخ : جمع لفة وهى النافقة ذات اللبن .
 (٥) تلامخ : تنظر نحوه ثم تغش بصرها . (٦) المصامخ : المدافع القوى .
 (٧) آنخ : ضعيف واهن . يقال آنخ البعير : إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المعتصر .

لَحْمَ الْجِلَادِ وفوقه مِنْ شَحْمِهِ شُطْبٌ شَرَّاحٌ
لِيَدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ مَارَامَ ذُو الضُّفْنِ الْمَكَاشِحِ
لَهْفَى لِسْبَاتٍ رُزْءٍ نَاهِمٌ كَانَهُمُ الْمَصَاحِجُ
شُمٌّ بَطْـأَرَقَةٌ غَطَا رَفَقَةً خَضَارِمَةً مَسَامِحٌ ^(١)
الْمُشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالْأَمْوَالِ إِنَّ الْحَمْدَ رَاجِحٌ
وَالْجَامِزُونَ بِلُجْمِهِمْ يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحٌ ^(٢)
مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا قَر ^(٣) مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَاحٍ
بِمَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ يَرْمِيهِمْ فِي غَيْرِ صَاحٍ ^(٤)
رَاحَتِ تَبَارَى وَهُوَ فِي رَكْبٍ صَدُورُهُمْ رَوَاشِحُ
حَتَّى تَتَوَبَّ لَهَ الْمَعَا لِي لَيْسَ مِنْ فُوزِ السَّفَائِحِ ^(٥)
يَا حَزَقَ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْعُودِ شَذَبَهُ الْكُوفَاحِ ^(٦)
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفُوقَكَ التُّرْبُ الْمَكُورُ وَالصَّفَائِحُ
مَنْ جَنْدَلٍ يَلْقِيهِ فُوقَكَ إِذَا جَادَ الضَّرْحُ ضَارِحٌ ^(٧)
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّرْبِ سَوَّتهِ الْمَاسِحُ
فَعَزَّؤْنَا أَنَا نَقْوُ لَ وَقَوْلُنَا بَرَحُ بَوَارِحُ ^(٨)
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَّا أَوْقَعَ الْحِذْنَانُ جَانِحُ
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْنَاهُ لَهْلُكَانَا النَّوَافِحُ ^(٩)

(١) البطارقة : الرؤساء ، والفظارقة : السادة . والحضارقة : المكثرون من العطاء . والمسامح : الكرام .

(٢) الجامزون : الواثبون . واللجم : جمع لجام . (٣) النواقر : الدوابى والمصائب .

(٤) يرسم : يسن الرسم ، وهو نوع من سير الإبل . والفبر : جمع غبراء وهى الأرض : والصصاح : الأرض المستوية .

(٥) السفائح : جمع سفيح وهو من قذاح الميسر . (٦) الكوافح : الذين يتناولونه بالقطم .

(٧) الضرح : الحفر للبيت . (٨) برح : صعب . (٩) النوافح : من ينفخون بالعطاء والخير .

القائلين نفاعلين ذوى السماحة والمآدخ
من لا يزال ندى يديه له طوال الدهر مائع^(١)
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر سكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة وأصحابه :

طَرَقَتْ هُمُومَكَ فَالْقَادُ مَسْهُدٌ	وَجَزَعَتْ أَنْ سُلَّخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ
وَدَعَتْ فَوَادَكَ لِلْهَوَى ضَمِيرَةً	فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْوُكَ مُنْجِدٌ
فَدَعِ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا	قَدْ كُنْتُ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تَفْنَدُ ^(٢)
وَلَقَدْ أَتَى لَكَ أَنْ تَنْهَى طَانِعًا	أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدتْ لِقَفْدِ حِمَزَةٍ هَدَّةً	ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعُدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاهُ بِمَثَلِهِ	لَرَأَيْتَ رَاسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْنٌ تَمَكَّنَ فِي ذَوَابِهِ هَاشِمٍ	حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودُ
وَالْعَاقِرُ الْكُومَ الْجِلَادُ إِذَا غَدَتْ	رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمَدُ
وَالنَّارُكَ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مَجْدَلًا	يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَسِيدِ كَأَنَّهُ	ذُو لِبْدَةٍ شَتَّى الْبِرَائِنُ أُرْبَدُ ^(٣)
عَمَّ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَصْفِيهِ	وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرَدُ
وَأَنْى الْمُنِيَّةَ مُعْلِمًا فِي أُسْرَةٍ	نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهِدُ
وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَاكَ هَذَا بَشَّرَتْ	لِتُمِيتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
مِمَّا صَبَحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا	يَوْمًا تَغِيبُ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ

(١) مائع : طالب مبتغ . (٢) تفند : تعذل وتلام . (٣) ذو لبدة : يريد أسدا . والشتن : الغليظ . والبرائن للأسد كالأصابع للإنسان . والأربد : المغبر .

ويُنْزِرُ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ
حَتَّى رَأَيْتَ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ
فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمَعَطَّنَ مِنْهُمْ
وَابْنَ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً
وَأُمِّيَّةُ الْجَمْحَى قَوْمٌ مِثْلَهُ
فَأَنَّاكَ فَلَّ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
شَتَّانٌ مِنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًا
جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
قَسَمِينَ نَقَتْلُ مَنْ نَشَاءُ وَنَطْرُدُ
سَبْعُونَ عَتَبَةً مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ
عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهِنْدُ
وَالْخَلِيلُ تَنْفَعُهُمْ ^(١) نَعَامٌ شُرْدُ
أَبْدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مَخْلَدُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ يَبْكِي حِمْرَةَ وَأَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ . قال ابن هشام : وَأَنشَدْنِيهَا أَبُو زَيْدٍ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ . فَاللهُ أَعْلَمُ :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بَكَاهَا
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا
أُصِيبَ الْمَسَامُونَ بِهِ جَمِيعًا
أَبَا يَعْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ
عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخِيَّارِ صَبْرًا
رَسُولَ اللَّهِ مُصْطَفًى كَرِيمًا
أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي لُؤْيَا
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلْبِ بَدْرِ
وَمَا يُغْنِي الْبِكَاهُ وَلَا الْعَوِيلُ
أَحْمَرَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
هَنَّاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
مَخَالِطُهُمْ نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
فَكُلُّ فَعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطَلِقُ إِذْ يَقُولُ
فَبِعَدِّ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ
وَقَائِنَا بِهِمْ يُشْفَى الْغَلِيلُ
غَدَاةَ أَنَا كُمُ الْمَوْتِ الْعَجِيلُ

غداة ثوى أبى
وعتبه وان
ومررنا أمية مجلباً
وهام بنى ربيعة سائلوها
ألا ياهند قابكي لا تملى
لا ياهند لا تبدي شمتاً
عني الطير حائمة تجول
وعنه السيف الصقيل
وفى حيزومه لدن نبيل^(١)
ففى أسافنا منها فلول
فأنت الواله العبرى السؤل
بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب،
وهى أم الزبير عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين :

أسأله أصحاب أحد مخافة
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
دعاه إله حق ذو العرش دعوة
فذلك ما كنا نرجى ونرتجى
فوالله لا أنساك ماهبت الصبا
على أسد الله الذى كان مذرهما^(٢)
فياليت شلوى^(٣) عندذاك وأعظمى
أقول وقد أعلى النعنى عشرين
بنات أبى من أعجم وخير
وزير رسول الله خير وزير
إلى جنة يحياها وسرور
لحمزة يوم الحشر خير مصير
بكاء وحزناً تحضرى ومسيري
يزود عن الإسلام كل كفور
لدى أضبع حصادى ونسور
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى زوجها والله أعلم
ولله الحمد والمنة :

(١) مجلباً : ممتداً على الأرض . والحيزوم : ما اكتنف الحلقوم من جب تصدر . واللدن : اللين من الرماح .
(٢) المذره : المدافع الحامى .
(٣) الشلو : العضو .

ياعينُ جودى بفيضٍ غيرِ إنساسٍ على كريمٍ من الفتيان لبَّاسٍ
صعب البديهة ميمونٌ نقيته حَمَّالُ ألويةِ رَكَّابُ أفراسٍ
أقولُ لَمَّا أتى الناعى له جَزَعًا أودى الجوادُ وأودى لُطَمِ الكاسِ
وقلتُ لما خَلَّتْ منه مجالسُهُ لا يُبعدُ اللهَ منَّا قُرْبَ شَمَّاسٍ

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال :

أقنَى حياءك فى سترِ وفى كرمٍ فإنما كان شَمَّاسٌ من الناسِ
لا تقتلِ النفسَ إذ حانتَ منيته فى طاعةِ اللهِ يومَ الروعِ والباسِ
قد كان حمزةُ ليثَ اللهِ فاصطبرى فذاقَ يومئذٍ من كأسِ شَمَّاسٍ

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان حين رجعوا من أحد :

رجعتُ وفى نفسى بلابلُ جَمَّةٌ وقد فاتنى بعضُ الذى كان مَطْلَبِي
من اصحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرهم بنى هاشمٍ منهم ومن أهلِ يثربِ
ولكننى قد نلتُ شيئاً ولم يكن كما كنتُ أرجو فى مَسِيرِي ومركمِ

وقد أورد ابن إسحاق فى هذا أشعاراً كثيرة تركنا كثيراً منها خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية . والله الحمد .

وقد أورد الأموى فى مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكره ابن إسحاق كما جرت عادته ، ولا سيما هاهنا .

فمن ذلك ما ذكره لسان بن ثابت أنه قال فى غزوة أحد . فالله أعلم :

طاوَعوا الشيطانَ إذ أخزاهمُ فاستبان الخِزْيُ فيهم والفشلُ
حين صاحوا صيحةً واحدةً معَ أبى سفيان قالوا أعلُ هُبْلُ
فأجبناهم جميعاً كلُّنا ربُّنا الرحمنُ أعلَى وأَجَلُ

اثبتوا تستعملوها مرة من حياض الموت والموت نَهَلْ
واعلموا أنا إذا ما نضحت عن خيال الموت قَدِرْتُ تَشْتَعِلْ
وكان هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزبيرى . والله أعلم .
« آخر الكلام على وقعة أحد »

فصل

قد تقدم ما وقع فى هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها
وقعة أحد كانت فى النصف من شوال منها ، وقد تقدم بسطها والله الحمد .

وفىها فى أحد توفى شهيداً أبو يعلى ، ويقال أبو عمارة أيضاً ، حمزة بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الملقب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبی صلى
الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعتهم ثُوبية مولاة أبى لهب ، كما ثبت
ذلك فى الحديث المتفق عليه .

فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل رضى الله عنهم ، فإنه كان
من الشجعان الأبطال ومن الصديقين الكبار ، وقتل معه يومئذ تمام السبعين . رضى
الله عنهم أجمعين .

وفىها عقد عثمان بن عفان على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
وفاة أختها رقية ، وكان عقده عليها فى ربيع الأول منها ، وبني بها فى جمادى الآخرة
منها . كما تقدم فيها . ذكره الواقدي .

وفىها قال ابن جرير : ولد لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على
ابن أبى طالب . قال : وفىها علقت بالحسين رضى الله عنهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر

سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي ، فانتهى إلى ما يقال له قطن .

قال الواقدي : حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي ، عن سلمة ابن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلما كان المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اخرج في هذه السرية فقد استعملتك عليها . وعقد له لواء وقال : سير حتى تأتي أرض بني أسد فأغر عليهم ، وأوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً .

وخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة .

فانتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبني أسد ، وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد ، وقد جمعا حلفاء من بني أسد ليقصدوا حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما تمالأوا عليه فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه .

فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعا كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة وأسر منهم معه ثلاثة ممالك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل

الأسدى الذى دلّهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صَفِيّ النّبى صلى الله عليه وسلم ، عبداً وخمس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه . ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدثني عبد الملك بن عبيد ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع ، عن عمر بن أبى سلمة قال : كان الذى جَرَحَ أبى أبوسامة الجُشمى ، فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فلما برأ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الحرم ، يعنى من سنة أربع ، إلى قَطَن ، فغاب بضعة عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدّت أمى حتى خلت أربعة أشهر وعشر ، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها فى ليالٍ بقين من شوال ، فكانت أمى تقول : ما بأسٌ بالنكاح فى شوال والدخول فيه ، قد تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبئى فيه .

قال : وماتت أم سلمة فى ذى القعدة سنة تسع وخمسين .
رواه البيهقى .

قلت : سنذكر فى أواخر هذه السنة فى شواها تزيج النّبى صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ، وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمّه فى النكاح ، ومذاهب العلماء فى ذلك .
إن شاء الله تعالى . وبه الثقة .

غزوة الرّجيع

قال الواقدي : وكانت في صفر يعني سنة أربع . بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ليحيزوه .

قال : والرّجيع على ثمانية أميال من عسفان .

قال البخاري : حدثني إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عمرو بن أبي سفيان الثقفي ، عن أبي هريرة ، قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، وهو جدّ عاصم ^(١) بن عمر بن الخطاب .

فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا الحية من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقریب من مائة رايم ، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزله فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم .

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدّقد ^(٢) ، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك .

فقاتلهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل .

وبقي خبيب وزيد ورجل آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق

(١) قال الحافظ عبد العظيم : غلط عبد الرزاق وابن عبد البر فقالا في عاصم هذا : هو جد عاصم بن عمر ابن الخطاب ، وذلك . هـ ، وإنما هو خال عاصم ، لأن أم عاصم بن عمر جميلة بنت ثابت ، وعاصم هو أخو جميلة . كذا ذلك زبير القاضى وعمه مصعب . لإرشاد السارى ٣١٢/٦ .
(٢) فدّقد : را مشرفة .

نزلوا إليهم ، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتارَ قسيّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذى معهما : هذا أول القدر ! فأبى أن يصحبهم . فخرّوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه .

وانطلقوا بحُبَيْب وزيد حتى باعوهما بمكة ، فاشتري خُبَيْباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر ، فكثّ عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات ^(١) الحارث يستعدّ بها فأعارته .

قالت : ففعلتُ عن صبيّ لى فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على نخذه ، فلما رأيته فرغتُ فرجةَ عَرَفَ ذلك منى ، وفى يده موسى فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

وكانت تقول : : مارأيتُ أسيراً قط خيراً من حُبَيْب ، لقد رأيته يأكل من قِطْعِ عنب وما بمكة يومئذٍ من ثمرة ، وإنه لموثق فى الحديد وما كان إلا رزقاً رزقه الله .

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال : دعونى أصلى ركعتين ، ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أن ما بى جزعٌ من الموت لزدت . فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل هو . ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال :

ولستُ أبالى حين أُقتل مُسلماً على أى شقٍ كان فى الله مضرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالٍ شلّو مُمرّعى ^(٢)

قال : ثم قام إليه عُقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم ^(٣) يومَ بدر ، فبعث الله

(١) اسمها زينب بنت الحارث : أخت عُقبة بن الحارث الذى قتل خبيبا .
(٢) أوصال : جمع وصل وهو العضو . والشلو : الجسد والعضو . (٣) قيل : هو عُقبة بن أبى معيط .

عليه مثل الظلّة من الدّبر^(١) فحمتّه من رُسُلهم فلم يقدروا منه على شيء .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذى قتل خبيباً هو أبو سرّوعة .

قلت : واسمه عقبة بن الحارث وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث فى الرضاع وقد قيل إن أبا سرّوعة وعقبة أخوان . فالله أعلم .

هكذا ساق البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه قصة الرّجيع . ورواه أيضاً فى التوحيد وفى الجهاد من طرق ، عن الزهرى ، عن عمرو بن أبى سفيان وأسد ابن حارثة الثقفى جليّف بنى زهرة ، ومنهم من يقول عمر بن أبى سفيان والمشهور عمرو .

وفى لفظ للبخارى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهطٍ سريةً عينا ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح . وساق بنحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير فى بعض ذلك .

ولنذكر كلام ابن إسحاق ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أن ابن إسحاق إمام فى هذا الشأن غير مدافع ، كما قال الشافعى رحمه الله : من أراد المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق !

قال محمد بن إسحاق : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهطٍ من عَصَلِ القارة ، فقالوا : يا رسول الله إنّ فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرًا ستة من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم .

وخالد بن البكير الليثي حليف بني عدى ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى أخو بني جحجعي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر رضى الله عنهم .

هكذا قال ابن إسحاق أنهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة وسام كمال قال ابن إسحاق .

وعند البخاري : أنهم كانوا عشرة ، وعنده أن كبيرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فخرجوا^(١) مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهداة^(٢) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوم ، فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .

فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا ، وقال عاصم بن ثابت . والله أعلم والله الحمد والمنة :

ما علّتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عُنابل^(٣)

(١) ابن هشام : فخرج . (٢) الهداة : موضع بين عسفان ومكة ، على سبعة أميال من عسفان .

(٣) النابل : صاحب النبل . والعُنابل : الغليظ .

تَزَلُّ عَنْ صَفَحَتِهَا الْمَعَابِلُ^(١) الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ
وَكُلُّ مَا حَمَّ الْإِلَهِ نَازِلٌ بِالْمَرَّةِ وَالْمَرَّةِ إِلَيْهِ آيِلٌ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَمَى هَابِلٌ

وقال عاصم أيضاً :

أَبُو سَلِيْمَانَ وَرِيْشُ الْمُقْعَدِ وَضَالَّةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمَوْقِدِ^(٢)
إِذَا النَّوَاجِي افْتُرَشَتْ لَمْ أُرْعِدِ وَنُجْنًا مِنْ جِلْدِ نَوْرِ أَجْرَدِ^(٣)
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدٍ

وقال أيضاً :

أَبُو سَلِيْمَانَ وَمِثْلِي رَامِي وَكَانَ قَوِيٌّ مَعْشَرًا كِرَامًا

قال : ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحبه .

فلما قُتِلَ عَاصِمٌ أَرَادَتْ هَذِيلُ أَخْذَ رَأْسِهِ لِيَبِيعُوهُ مِنْ سُلَاقَةِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ سَهِيلٍ ،
وَكَانَتْ قَدْ نَذَرَتْ حِينَ أَصَابَ ابْنُهَا يَوْمَ أَحَدٍ : لَنْ قَدَّرْتُ عَلَى رَأْسِ عَاصِمٍ لَتَشْرِبَنَّ
فِي قِحْفِهِ الْخَمْرَ .

فَنَعْنَتْهُ الدَّبَّيْرُ ، فَلَمَّا حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالُوا : دَعُوهُ حَتَّى يُمَسِّيَ فَيُذْهِبَ عَنْهُ فَنَأْخُذَهُ ،
فَبِعَثَ اللَّهُ الْوَادِي فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا فَذَهَبَ بِهِ .

وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا لَا يَمَسُّهُ مُشْرِكٌ وَلَا يَمَسُّ مُشْرِكًا
أَبَدًا . تَنْجَسًا .

فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الدَّبَّيْرَ مَنَعَتْهُ : يَحْفَظُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ !

(١) المعابل : جمع معبلة وهو نصل عريض طويل .

(٢) المقعد : رجل كان يريش السهام . والضالة : السلاح ، أو السهام .

(٣) النجنا : الترس لاحتديد فيه . والأجرد : الأملس .

كان عاصم نذر الأيمسه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته !

قال ابن إسحاق : وأما خبيب وزيد بن الدثينة وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها .

حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثينة ، فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حُجَير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه ليقتله بأبيه .

قال : وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أنحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي .

قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب

محمد محمداً !

قال : ثم قتله نسطاس .

قال : وأما خبيب بن عدى : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن مائوية مولاة حجير بن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان عندى خبيب حُسن فى بيتى ، فلقد أطلعت عليه يوماً وإن فى يده لقطعاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنباً يؤكل !

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا : قالت : قال لى حين حصَّره القتل : ابغى إلى بحديدة أنظهرُ بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحى الموصى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . فقالت : فوالله إن هو إلا أن ولى الغلامُ بها إليه فقلت : ماذا صنعتُ ؟! أصاب والله الرجل ثارَه ، يقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل .

فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ماخفت أملك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب حتى جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه .

وقال لهم : إن رأيتم أن تدعوى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنثوا أنى إنما طوَّلت جزعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة .

قال : فكان خبيب أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين (١) .

(١) فى هامش الأصل : « حاشية بخط المصنف . قال السهيلي : وإنما صارت سنة لأنها فعلت فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسن من صنيعه ، قال : وقد صلاها يزيد بن حارثة فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : ثم رفعوه على خشبة فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلفنا رسالة رسولك ، قبلته الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه .

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يُلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع لجنبه زلت عنه .

وفي مغازي موسى بن عقبة : أن خبيبا وزيد بن الدثنة قُتلا في يوم واحد ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمِعَ يومَ قُتلا وهو يقول : وعليكما أو عليك السلام . خبيب قتله قريش !

وذكر أنهم لما صلّوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلا إيماناً وتسليماً .

ثم ساق بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث بن سعد قال : بلغني أن زيد بن حارثة استأجر من رجل بفلا من الطائف واشترط عليه السكري أن ينزله حيث شاء ، فقال به إلى خربة فإذا بها قتلى كثيرة ، فلما هم بقتله قال له زيد : دعني حتى أصلي ركعتين . فقال : صل ركعتين ، فطالما صلى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً ! قال : فصليت ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين ، فإذا صارخ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول لا تقتله . فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت يا أرحم الراحمين ، فإذا أنا بفارس على فرس في يده حرب في رأسها شعلة من نار فطعنه بها حتى أفضده فوق ميتة ، ثم قال : لما دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولما دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ، ولما دعوته في الثالثة أتيتك .

قال السهيلي : وقد صلاها حجر بن عدى بن الأديب حين حمل إلى معاوية من العراق ومعه كتاب زياد ابن أبيه وفيه : أنه خرج عليه وأراد خله ، وفي الكتاب شهادة جماعة من التابعين منهم الحسن وابن سيرين ، فلما دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله . فعلى ركعتين قبل قتله ثم قتل رحمه الله .

قال : وقد عاتب عائشة معاوية في قتله فقال : إنما قتله من شهد عليه ، ثم قال : دعيني وحجراً فأني سألقاه على الجادة يوم القيامة ! . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب مثلك من قومي . اهـ .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة نادوه يناشدونه :
أحب أن محمداً مكانك ؟

قال : لا والله العظيم ما أحب أن يفدني بشوكة يشاكها في قدمه ! فضحكوا منه .
وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة . فالله أعلم .
قال موسى بن عقبة : زعموا أن عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ،
عن عقبة بن الحارث ، قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً ، لأننا كنت أصغر من
ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة فجعلها في يدي ، ثم أخذ يدي
وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطاب استعمل سعيد
ابن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري
القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه فقال :
ياسعيد ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنني كنت
فيمن حضر خبيب بن عدي حين قُتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرَ على قلبي
وأنا في مجلس قط إلا غشي علي ! فزادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأموي : حدثني أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أن عمر قال : من
سره أن ينظر إلى رجل نسيجٍ وحده فليُنظر إلى سعيد بن عامر .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقي من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدثني جعفر بن عمرو بن أمية ،
عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعثه عيناً وحده
قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون ، فأطلقته فوقع إلى الأرض

ثم اقتحمتُ فانتبذت قليلا ، ثم التفتُ فلم أر شيئا ، فكأُنا بلعته الأرض ، فلم تُدكر
لخبيب رمة حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : لما قُتل أصحاب الرّجيع قال ناس من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين
هلكوا هكذا ، لاهم أقاموا في أهلهم ولاهم أدوا رسالة أصحابهم .

فأنزل الله فيهم : « ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على
ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ^(١) » وما بعدها .

وأنزل الله في أصحاب السرية « ومن الناس من يَشْرِي نفسه ابتغاءَ مَرْضاة الله والله
رءوف بالعباد ^(٢) » .

قال ابن إسحاق وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة قولُ خبيب حين أجمِعوا
على قتله . قال ابن هشام : ومن الناس من ينكرها له :

لقد جمع الأحزابُ حَوْلِي وألَّبُوا	قبائلهم واستَجَمَعُوا كُلَّ تَجَمُّعٍ
وكلمهم مُبْدِي العداوةِ جَاهِدُ	عَلَى لَأَنِّي فِي وَثَاقٍ بِمَضْضِعٍ ^(٣)
وقد جَمَعُوا أبناءهم ونساءهم	وَقُرِّبْتُ مِنْ جَذَعٍ طَوِيلٍ مُمْنَعٍ
إلى الله أشكو غُرْبَتِي ثم كُرْبَتِي	وما أرصد الأعداء ^(٤) لي عند مصرعي
فذا العرش صَبَرَنِي على ما يراد بي	فقد بضَّعُوا لِحِيَّيَ وَقَدْ يَاسُ مَطْمَعِي
وذلك في ذات الإله وإن يَشَأْ	يَبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ
وقد خيَّروني الكفرَ والموتُ دونه	وقد هَمَلْتُ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مُجْزَعٍ
وما بي حذارُ الموتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ	ولكن حذارِي جَحْمُ نَارٍ مُلْفَعٍ

(١) سورة البقرة ٢٠٤ . (٢) سورة البقرة ٢٠٧ (٣) ابن هشام : بمصيه . (٤) ابن هشام : الأحزاب .

فوالله ما أرجو إذا ميتٌ مُسَلِّماً على أى جنبٍ كان في الله مضجعي
فلستُ بمُبْدٍ للعدوِّ تَحْشَعاً ولا جزعاً إني إلى الله مَرَجِي
وقد تقدم في صحيح البخارى بيتان من هذه القصيدة وهما قوله :

فلست أبالي حين أقتلُ مُسَلِّماً على أى شِقٍّ كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصالِ شِلْوٍ ممزَعِ

وقال حسان بن ثابت يرثي خبيباً فيما ذكره ابن إسحاق :

ما بالُ عينك لا تَرْقأَ مدامعها سَحّاً على الصدرِ مثلَ اللؤلؤِ القَلَقِ^(١)
على خَيْبٍ فتى الفتَيانِ قد علموا لا فَشِلَ حين تلقاه ولا نَزَقِ
فأذهب خيبُ جزاك الله طَيِّبَةً وَجَنَةً أُلْخِدت عند الحور في الرُفُقِ
ماذا تقولون إن قال النبيُّ لكم حين الملائكةُ الأبرار في الأفقِ
فيمَ قتلتم شهيد الله في رَجُلٍ طاغٍ قد أوعث في البُلدانِ والرُفُقِ^(٢)
قال ابن هشام : تركنا بعضها لأنه أقذع فيها .

وقال حسان يهجو الذين غدروا بأصحاب الرّجيع من بنى لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق والله أعلم والله الحمد والمنة والتوفيق والعصمة :

إن سَرَكَ الغَدْرُ صِرْفاً لا مِرَاجَ له فَأَتِ الرّجيعَ فَسَلَّ عن دارِ لَحْيَانِ
قومٌ تَواصَوْا بأكل الجارِ بينهم فالكلبُ والقردُ والإنسانُ مِثْلَانِ
لو يَنْطِقُ التَّيْسُ يوماً قام يخطبهم وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شانِ
وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يهجو هذيلًا وبنى لحيان على غدرهم بأصحاب الرّجيع ارضى الله تعالى عنهم أجمعين :

لعمري لقد شانت هذيل بن مُدْرِكٍ أحاديثُ كانت في خَيْبٍ وعاصمِ

(١) القلق : التحريك المتساقط . والأصل : القلق . وما أنبته عن ابن هشام .

(٢) الرفق : جمع رفقة .

أَحَادِيثُ لَحْيَانٍ صَلَّوْا بِقَبِيحِهَا
 أَنَسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ
 هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمْتُ
 رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدْرًا وَلَمْ تَكُنْ
 فَسُوفَ يَرْوَنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ
 أَبَابِيلُ دُبُرِ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ
 لَعْلَ هَذِيبًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ
 وَنُوقَ فِيهَا وَقْعَةَ ذَاتِ صَوْلَةٍ
 بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ
 قَبِيلَةٌ لَيْسَ الْوَفَاءُ بِهِمْ
 إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ
 مَحْلَهُمْ دَارُ الْبُورِ وَرَأَيْتَهُمْ
 وَلَحْيَانُ جَرَّ أَمُونُ شَرَّ الْجَرَائِمِ
 بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ دُبُرِ الْقَوَادِمِ ^(١)
 أَمَاتَهُمْ ذَا عَفَاةٍ وَمَكَارِمِ
 هَذِيلٌ تَوَقَّى مُفْكَرَاتِ الْحَارِمِ
 بِقَتْلِ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْحَرَائِمِ
 حَمَتْ لَحْمَ شَهَادٍ عَظِيمِ الْمَلَا حِمِ ^(٢)
 مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامَا الْمَأْتَمِ
 يُوَافِي بِهَا الرِّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
 رَأَى رَأَى ذِي حِزْمٍ يَلْحِيَانُ عَالِمِ
 وَإِنْ ظَلَمُوا لَمْ يَدْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ
 بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْحَارِمِ ^(٣)
 إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ كَرَأَى الْبَهَائِمِ

وقال حسان رضى الله عنه أيضاً يمدح أصحاب الرجيع ويسميهم بشعره ، كما ذكره
 ابن إسحاق رحمه الله تعالى :

صَلَّى إِلَهِ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا
 رَأْسُ السَّرِيَةِ مَرْدٌ وَأَمِيرُهُمْ
 وَابْنُ لِيَطَارِقَ وَابْنُ دَثَنَةَ مِنْهُمْ
 وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ
 مَنَعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَتَالَوْا ظَهْرَهُ
 يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأُثْبِتُوا
 وَابْنُ الْبُكَيْرِ إِمَامُهُمْ وَخُثَيْبُ
 وَافَاهُ نَمَّ حَامُهُ الْمَكْتُوبُ
 كَسَبَ الْمَعَالَى إِنَّهُ لَكَ سَوْبُ
 حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُهَا لِحْسَانِ .

(١) الزمعة : هنة زائدة وراء الظلف أو شبه أظفار الغنم في الرسغ وأراد بالقوادم : الأيدي .

(٢) الأبابيل : الجماعات . والدبر : ذكور النحل . والشمس : الحامية . والملاحم : الحروب . وفي ابن

هشام : عظام الملاحم . (٣) الحارم : مسابيل الماء .

سرية عمرو بن أمية الضمري

على أثر مقتل خبيب

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن [الفضل بن الحسن بن ^(١)] عمرو بن أمية الضمري ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عوف ، وزاد بعضهم على بعض قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لغفر من قريش بمكة : ما أحدٌ يقاتل محمداً فإنه يمشی في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله وقال له : إن أنت وفيتني خرجتُ إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ بالطريق خريّت ، معي خنجر مثل خافية النسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعبيراً ونفقة وقال : اطوِ أمرَكَ فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فيَنميهِ إلى محمد . قال : قال العربي : لا يعلمه أحد .

فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً وصَبَحَ ظَهْرَ الحَيِّ يوم سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المصلى فقال له قائل : قد توجه إلى بني عبد الأشهل .

فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل فعقل راحلته ثم أقبل يوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده في جماعة من أصحابه يحدث في مسجده . فلما دخل ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غدراً والله حائلٌ بينه وبين ما يريد . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . فذهب ينحني على رسول الله صلى الله عليه

(١) هذه الزيادة وما بعدها من أمثالها منقولة عن الطبري ٣ : ٣٢ .

وسلم كأنه يُسارُّه فحبَّذه أُسيد بن حُضَيْر وقال : تنحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجذب بداخل إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله هذا غادر .

فأسقط في يد الأعرابي وقال : دَمِي دَمِي يا محمد . وأخذه أُسيد بن حُضَيْرُ يَلْبِيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اصدقني ما أنت وما أقدمك ، فإن صدقتني نفعتك الصدق ، وإن كذبتني فقد اطلعتُ على ما هممت به . قال العربي : فأنا آمن ؟ قال : وأنت آمن .

فأخبره بنجر أبي سفيان وما جعل له . فأمر به فحبس عند أُسيد بن حُضَيْر ، ثم دعا به من الغد فقال : قد أمنتك فاذهب حيث شئت ، أو خير لك من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله .

فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ، والله يا محمد ما كنت أفرقُ من الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفتُ ثم اطلعت على ما هممتُ به ، فما سبقت به الركبان ولم يَطَّلِع عليه أحدٌ ، فعرفتُ أنك ممنوع ، وأنت على حق ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان .

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم . وأقام أياماً ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج من عنده ولم يُسمع له بذكر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن أمية الصَّمَرِي ولسلمة بن أسلم بن حَرِيس^(٢) : اخرجوا حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب ، فإن أصبنا منه غِرَّةً فاقتلاه .

قال عمرو : نخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجيج ، فقيدنا بعيرنا وقال لي صاحبي : يا عمرو هل لك في أن تأتي مكة فنطوف بالبيت سبعا ونصلي ركعتين فقلت : [أنا أعلم بأهل مكة منك إنهم إذا أظلموا رشوا أفئيتهم ثم جلسوا بها]^(١) [إني أعرف

(١) من تاريخ الطبري : ٣/ ٣٢ . (٢) الأصل : حريش . وهو تحريف وما أثبتته عن شرح

بمكة من الفرس الأبلق . فأبى عليٌّ فأنطلقنا فأتينا مكة فطفنَّا أسبوعاً^(١) وصلينا ركعتين ، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال : عمرو بن أمية ، واحزنناه . فنذير بنا أهل مكة ، فقالوا : ماجاء عمرو في خير . وكان عمرو فأنسكا في الجاهلية . فحشد أهل مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة وخرجوا في طلبهما واشتدوا في الجبل . قال عمرو : فدخلت في غار ففتفتيت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا له ، فلما كان ضحوة الغد أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يخطي لفرسه حشيشاً فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة وقد انفضوا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، قال : فخرجت إليه فطعمته طعنة تحت الثدي بمنججري ، فسقط وصاح فاجتمع أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم [ورجعت إلى مكاني فدخلت فيه] وقلت لصاحبي : لا تتحرك . فأقبلوا حتى أتوه وقالوا : من قتلك ؟ قال : عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت خير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا ؛ فإنه كان بآخر رمق فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم فحملوه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى [سكن عنا الطلب ثم] خرجنا [إلى التنعيم] فقال صاحبي : يا عمرو بن أمية ، هل لك في خبيب بن عدى تُنزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوب حوله الخرس . فقلت : أمهلني وتنح عني فإن خشيت شيئاً فأنحُ إلى بعيرك فاقعد عليه فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ودعني فإنني عالم بالمدينة . ثم استدرت عليه حتى وجده فحملته على ظهري فما مشيت به إلا عشرين ذراعاً حتى استيقظوا فخرجوا في أثرى فطرحت الخشبة فما أنسى وجيبها ، يعني صوتها ، ثم أهلت عليه التراب برجلي ، فأخذت طريق الصفراء فأغيوا ورجعوا ، وكنت لا أدري مع بقاء نفسي ، فأنطلق صاحبي إلى البعير فركبه ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ،

وأقبلتُ حتى أشرفت على الغليل غليل ضجنان ، فدخلتُ في غارٍ معي قوسي وأسهمي
وخنجرى ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجل من بنى الدَّيْل بن بكر أعور طويل يسوق غنما
ومعزى ، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر . فقال : وأنا من
بنى بكر . ثم اتسكا ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

فلستُ بمُسْلِمٍ مادمتُ حيًّا واستُ أدِين دين المساهمينَا

فقلت في نفسي : والله إنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قت إليه فقتلته شرَّ قِتلة
قتلها أحد قط .

ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثما قريش يتجسسان
الأخبار ، فقلت : استأسرا فأبى أحدهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر
فشددته وثاقاً ، ثم أقبلت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما قدمتُ المدينة أتى صبيانُ الأنصار وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون :
هذا عمرو . فاشتد الصبيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد
ربطت إبهامه بوتر قوسي ، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يضحك !
ثم دعا لى بخير .

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

رواه البيهقي .

وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمةً ولا جسداً ، فلعله دُفن مكان
سقوطه ، والله أعلم .

وهذه السرية إنما استدرکها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحو من سياق
الواقدي لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر ،
فالله أعلم والله الحمد .

سَرِيَّةُ بَيْتِ مَعُونَةَ

وقد كانت في صفر منها . وأغْرَبَ مكحولٌ رحمه الله حيث قال : إنها كانت بعد الخندق .

قال البخاري : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القُرَاء . فعرض لهم حَيَّان من بني سُليم : رِغْلٌ وذَكْوَان ، عند بَيْتٍ يقال لها بَيْتُ مَعُونَةَ ، فقال القوم : والله ما إياكم أَرَدْنَا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم . فقتلوه .

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذلك بدء القنوت وما كنا نَقْنُتُ .

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن خزيمة .

ثم قال البخاري : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رِغْلاً وذَكْوَاناً وعُصَيَّةً وبني لَحْيَانَ استمَدُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسميهم القُرَاء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلُّون بالليل ، حتى إذا كانوا ببَيْتِ مَعُونَةَ قتلوه وغدروا بهم ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقتل شهراً يدعو في الصباح على أحياء من العرب : على رِغْلٍ وذَكْوَانٍ وعُصَيَّةٍ وبني لَحْيَانَ ، قال أنس : فقرأنا فيهم قرآنًا ، ثم إن ذلك رُفِعَ « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ آقَيْنَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا » .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا همام ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث حراماً ،

أَخْلَامُ سُلَيْمٍ ، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا ، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ خَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ فَقَالَ : يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ الْمَدَرِ ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ .

فَطَعَنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ ^(١) فَقَالَ : غُدَّةٌ كَنُفْسَةِ الْبَكْرِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ ، انْتَوْنِي بِفَرَسِي . فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ .

فَانْطَلَقَ حَرَامُ أَخْوَامِ سُلَيْمٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ فَقَالَ : كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ ، فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ قَرِيبًا وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ . فَقَالَ : أَتُؤْمِنُونِي حَتَّى أَبْلُغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لَجَعَلُ يَحْدِثُهُمْ وَأَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ فَاتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ . قَالَ هَمَّامٌ : أَحْسَبُهُ حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرَّمْحِ . فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! فَنَزَتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ !

فَلَحِقَ الرَّجُلُ فَقَتَلُوا كُلَّهُمْ غَيْرَ الْأَعْرَجِ ، وَكَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ، فَانْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمُنْسُوخِ : « إِنْ أَلْقَدْنَا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضَى عَلَيْنَا وَأَرْضَانَا » .
فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا عَلَى رِغْلٍ وَذَكَوَانٍ وَبَنِي الْحَيَّانِ وَعَصِيَّةَ الَّذِينَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا حَبِيبَانِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، أَخْبَرَنِي مَعْمَرٌ ، حَدَّثَنِي ثُمَامَةُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : لَمَّا طَعَنَ حَرَامُ بْنُ مَلْجَانَ - وَكَانَ خَالَه - يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ قَالَ بِالْدَمِ هَكَذَا ، فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ ، وَقَالَ : فَنَزَتْ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ .

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : لَمَّا قَتَلَ الَّذِينَ بَيْتَ مَعُونَةَ وَأَسْرَعُوا بَنِي أُمِيَّةَ الضَّمْرَى قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ : مَنْ هَذَا ؟ وَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمِيَّةَ : هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ قَالَ :

(١) طعن : أصابه الضعاعون . وأم فلان : هي سلول بنت شيبان ، امرأة أخيه .

لقد رأيته بعد ما قُتل رفع إلى السماء حتى أتى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع .
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فنعاهم فقال : إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد
سألوا ربهم فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رخصنا عنك ورضيت عنا . فأخبرهم عنهم
وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت فسمى عروة به ، ومنذر بن عمرو
وسمى به منذر .

هكذا وقع في رواية البخاري مرسلًا عن عروة .

وقد رواه البيهقي من حديث يحيى بن سعيد عن أبي أسامة عن هشام ، عن أبيه عن
عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخاري هاهنا ، والله أعلم .
وروى الواقدي عن مصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود وعن عروة ، فذكر القصة
وشأن عامر بن فهيرة وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء ، وذكر أن الذي قتله
جبار بن سلمى الكلبي .

قال : ولما طعنه بالرمح قال : فُزْتُ ورب الكعبة .

ثم سأل جبار بعد ذلك : ما معنى قوله : فُزْتُ ؟ قالوا : يعني بالجنة . فقال : صدق
والله . ثم أسلم جبار بعد ذلك لذلك !

وفي مغازي موسى بن عقبة ، عن عروة ، أنه قال : لم يوجد جسدُ عامر بن فهيرة ،
يرون أن الملائكة وارتته .

وقال يونس : عن ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعد أحد ،
بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والحرم ، ثم بعث أصحابَ بئر معونة في صفر على رأس
أربعة أشهر من أحد .

فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،

وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدِمَ أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر مُلَاعِب الأَسِنَّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يُسلم ولم يُبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد .

فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو وأخا بني ساعدة ، المُعْنِق ليموت ، في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، فيهم الحارث بن الصَّمة وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصَّلْت السلمي ، ونافع بن بُذيل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، في رجال من خيار المسلمين .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوا إلى مادعاهم ، وقالوا : لن نُخَفِّرَ أبا براء وقد عَقَدَ لهم عَقْدًا وجواراً .

فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم ، عُصَيَّة ورِعْلا وذَكَوان والقارة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قُتِلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه به رمق ، فارتث من بين القتلى فمَاش حتى قُتِل يوم الخندق .

وكان في سَرَح القوم عمرو بن أمية الضَّمْرِي ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف فلم ينبهما بمصاب القوم إلا الطيرُ تحوم حول العسكر فقالا : والله إن لهذه الطير

أشأننا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصارى لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر . فقال الأنصارى : لكنى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قُتل ، وأخذ عمرو أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه فيما زعم !

قال : وخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر حتى نزلا في ظلٍ هو فيه ، وكان مع العامرين عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتم ؟ قالا : من بنى عامر . فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بالخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلت قتيلين لأدبَ بينهما » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا عملُ أبى براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً متخوفاً » .

فبلغ ذلك أبا براء فشقَّ عليه إخفارُ عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره .

فقال حسان بن ثابت في إخفار عامر أبا براء ويحرض بنى أبى براء على عامر :

بنى أمّ البنين ألم يرُغمكم
وأنتم من ذوائبِ أهلِ نجدِ
تهكّمُ عامرٍ بأبى براء
ليُخفّره وما خطأ كعمدِ
أأحدثت في الحدّثان بعدى
وأخالك ماجدٌ حكمُ بنِ سعدِ
أبوك أبو الحروب أبو براء

قال ابن هشام : أم البنين أم أبي براء ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر

بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعمه في نخذه فأشواه^(١)

ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت فدى لعلى فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيي .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان

أمير القوم المنذر بن عمرو وقيل : مرثد بن أبي مرثد .

وقال حسان بن ثابت يبيح قتل بئر معونة ، فيما ذكره ابن إسحاق رحمه الله ،

والله أعلم :

على قتلى مَعُونَةٍ فَاسْتَهْلَى	بدمع العينِ سَحًّا غيرَ نَزَرٍ
على خيل الرسول غداة لاقوا	ولاقتهم مناياهم بِقَدَرٍ
أصابهمُ الفناء بِعَقْدِ قَوْمٍ	تُخَوِّنُ عَقْدُ حِبَالِهِمْ بِغَدَرٍ
فيألفني لمنذر إذ تولى	وأعنت في منيته بصير
وكان قد أصيبَ غداة ذاك	من أبيض ماجدٍ من سِرِّ عمرو

(١) أشواه : لم يصب مقاتله .

غزوة بني النضير

وهي التي أنزل الله تعالى فيها سورة الحشر

في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها سورة بني النضير .

وحكى البخاري عن الزهري ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد .

وقد أسنده ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ؛ عن عبد الله بن جعفر الرقي ، عن مطرف بن مازن اليماني ، عن معمر ، عن الزهري ، فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة ثنتين .

قال : ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع .

وقال البيهقي : وقد كان الزهري يقول : هي قبل أحد .

قال : وذهب آخرون إلى أنها بعدها ، وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكر ابن إسحاق كما تقدم ، فإنه بعد ذكره بئر معونة ورجوع عمرو ابن أمية وقتله ذينك الرجلين من بني عامر ، ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد قتلتَ رجلين لأديبَينهما » .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في حدة ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتاها عمرو بن أمية ، للعهد الذي كان صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم أعطاهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف ، فلما أتاهاهم صلى الله عليه وسلم قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد . فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فَيَلْقَى عَلَيْهِ صَخْرَةً وَيَرْيَحُنَا مِنْهُ .

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القيام ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة .

فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه فقال : رأيته داخلًا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وحمى حيي بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم لا يخرجون ، ونابدوه بنقض العهود .

فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقدي : فحاصروهم خمس عشرة ليلة .

وقال ابن إسحاق : وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في شهر

ربيع الأول .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل بهم فحاصروهم ست ليال ، ونزل تحریمُ الخمر

حينئذ ، وتحصنوا في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها .

قال : وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ووديعه ومالك وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نُسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله أن يُجْلِسهم ويكف عن دماءهم على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الحائقة .

وقال العوفي : عن ابن عباس ، أعطى كل ثلاثة بعيرا يعتقبونه [و] وسقاً^(١) .
رواه البيهقي .

وروى من طريق يعقوب بن محمد ، عن الزهري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال .

وروى البيهقي وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضَعُوا وتعجلوا .

وفي صحته نظر . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٢) بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق وكفانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحُي بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

(١) الوسق : حمل البعير . (٢) النجاف : أسكفة الباب .

حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء ونفر ، ما رؤى مثله لحي من الناس في زمانهم .

قال : وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى النخيل والمزارع ، فكانت له خاصة يضمنها حيث شاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل ابن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فقراً فأعطاهما ، وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة . حكاها السهيلي .

قال ابن إسحاق : ولم يُسلم من بنى النضير إلا رجلان وهما يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .
قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأى ؟ فجعل يامين لرجل جُعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله لعنه الله .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة الحشر بكلمها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله وما عمل به فيهم .
ثم شرع ابن إسحاق يفسرها . وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوبة في كتابنا التفسير والله الحمد .

قال الله تعالى : « سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ، وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ . ذَلِكَ

بأنهم شاقوا الله ورسوله، ومن يشاق الله فين الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين .

سبح سبحانه وتعالى نفسه السكرية ، وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية وأنه العزيز ، وهو منيع الجنب فلا ترام عظمته وكبرياؤه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدييره وتيسيره لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم اليهود الذين شاقوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المفضي لقتالهم كما تقدم ، حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال ، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى اناعوا وصالحوا على حق دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركبهم ، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً ، فجعلوا يحزبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم الجلاء وهو التسيير والنفي من جوار الرسول من المدينة لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي وهو القتل ، مع ما أذخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم .

ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلمهم وترك ما بقي لهم ، وأن ذلك كله سائغ فقال : « ما قطعتم من لينة » وهو جيد التمر « أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » إن الجميع قد أذن فيه شرعاً وقدرأً ، فلا حرج عليكم فيه ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس هو بفساد كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهار للقوة وإخزاء للكفرة الفجرة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعاً عن قتبية ، عن الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع ، وهى البويرة ، فأنزل

الله : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين » .
وعند البخارى من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع ، وهى البويرة ، ولها يقول
حسان بن ثابت :

وهان على سراة بنى لؤى حريقُ بالبويرة مستطيرُ
فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :
أدام الله ذلك من صنيعٍ وحرَّق في نواحيها السعيرُ
ستعلم أينما منها بسترٍ وتعلم أى أرضينا نصيرُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن
الأشرف قاله الله أعلم :

لقد خزيت بغدرتها الجبور^(١) كذاك الدهر ذو صرفٍ يدورُ
وذلك أهم كفروا برّبٍ عظيمٍ أمره أمرٌ كبيرُ
وقد أوتوا معاً فهماً وعِلماً وجاءهم من الله النذيرُ
نذيرٌ صادقٌ أدّى كتاباً وآياتٍ مبينةٌ تنيرُ
فقالوا ما أتيتَ بأمرٍ صدقٍ وأنت بمنكرٍ منا جديرُ
فقال بلى لقد أدبت حقاً يصدقنى به الفهمُ الخبيرُ
فمن يتبعه يهْد لِسكلاً رُشدٍ ومن يفر به يخوِّ السُفورُ
فلما أشربوا غُدرًا وكفروا وجدَّ بهم حق النفورُ
أرى الله النبيّ برأى صدقٍ ودينٌ لله يحكمُ الخورُ
فأيده وسلَّطه عليهم وكان نصيره النصيرُ

(١) الجبور : جمع جبر ، وهم علماء اليهود .

فُؤَدِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيحاً فذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
 عَلَى الْكَفَّينِ نَمٌّ وَقَدْ عَلَنَتْهُ بِأَيْدِينَا مُشْهَرَّةٌ ذُكُورُ
 بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلاً إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
 فَاكْرَهُ فَأَنزَلَهُ بِمَكْرٍ وَمُحَمَّدُ أَخُو ثَقَةِ جَسُورُ
 فَتَلَّكَ بَنُو النَّضِيرِ بَدَارَ سُوءِ أَبَارَهُمْ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمِيرُ^(١)
 غَدَاةَ أَتَاهُمْ فِي الزَّحْفِ رَهْوَ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرُ
 وَغَسَّانُ الْحِمَاهِ مُؤَاوِرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرُ
 فَقَالَ السَّلَامُ وَيَحْكُمُ فَصَدُّوا وَخَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبُ وَزُورُ
 فَذَاقُوا غِيبَ أَمْرِهِمْ وَبَالاً لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرُ
 وَأُجْلُوا عَامِدِينَ لَقِينَقَاعٍ وَغُودِرَ مِنْهُمْ نُحْلٌ وَدُورُ
 وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ جَوَابَهَا لِسَمَالِ الْيَهُودِي ، فَتَرَكْنَاهَا قَصْداً .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل في بني النضير قول ابن لقيم العبسي ، ويقال : قاله
 قيس بن بحر بن طريف الأشجعي :

أَهْلِي فِدَاءَ لَامِرِيٍّ غَيْرِ هَالِكِ أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحِسِيِّ الزَّئِمِ^(٣)
 يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الْعِضَاءِ وَبَدَّلُوا أَهْيَضَ عَوْدًا بِالْوَدِيِّ الْمَكَمِ^(٤)
 فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا وَيَرْمَرُمِ^(٥)
 يَوْمَ بَهَا عَمْرُ بْنُ بَهْثَةَ إِنَّهُمْ عَدُوٌّ وَمَا حَيُّ صَدِيقٌ كَمَجْرَمِ
 عَلَيْهِنَ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الْوُغَى يَهْزُونُ أَطْرَافَ الْوُشَيْجِ الْمُقَوِّمِ^(٦)

(١) أَبَارَهُمْ : أَهْلَكَهُمْ . (٢) رَهْوَا : سَبَا سَهْلًا . (٣) الْحِسِيُّ : مَا يَخْشَى مِنَ الطَّعَامِ وَالزَّئِمِ
 الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ . يَرِيدُ : أَحْلَاهُمْ بِأَرْضِ غَرْبَةٍ فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ . وَانْظُرِ الرُّوضِ الْأَنْثَى
 ١٧٧ / ٢ . (٤) جَر : الْأَصْلُ خَر . وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ . وَالْعِضَاءُ : شَجَرٌ . وَأَهْيَضَ
 مَكَانَ مَرْتَفِعٍ . وَالْوَدِيُّ : صِفَارُ النَّخْلِ . وَالْمَكَمِ : الَّذِي خَرَجَ كَلَامُهُ . (٥) الصَّلَا : مَوْضِعٌ . وَيَرْمَرُمِ
 جَبَلٌ . (٦) الْوُشَيْجِ : شَجَرُ الرَّمَاحِ .

وكلّ رقيق الشفرتين مهتد
فمن مبلغ عنى قريشاً رسالة
بأن أخاهم فاعلمن محمداً
فدبّوا له بالحقّ تجسم أموركم
نبيّ تلافته من الله رحمة
فقد كان في بدرٍ لعمريّ عبرة
غداة أتى في الخزرجية عامداً
معاناً بروح القدس ينكي عدوه
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه
أرى أمره يزداد في كل موطن
توورثن من أزمان عادٍ وجُرم
فهل بعدهم في المجد من متكرّم
تليد الندى بين الحجون وزمزم
وتسمو من الدنيا إلى كلّ مُعظم
ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مرجّم
لكم ياقريش والقلب الملمّم
إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
رسولاً من الرحمن حقاً بعلم
فلما أثار الحقّ لم يتلعثم
علواً لأمرٍ حمّه الله مُحكم

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب ، وقال ابن هشام : قلها رجل من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها على :

عرفتُ ومن يعتدل يعرف
عن الكلام الحكم اللاء من
رسائل تُدرّس في المؤمنين
فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً
فيا أيها الوعدوه سفاهاً
أستم تحافون أدنى العذاب
وأن تُصرّعوا تحت أسيافه
غداة رأى الله طفياناً
فأنزل جبريل في قتله
وأبقتُ حقاً ولم أصدف
لدى الله ذى الرأفة الأراف
بهن اصطفى أحمدَ المصطفى
عزيز المقامة والموقف
ولم يأت جوراً ولم يعنف
وما آمنُ الله كالأخوف
كصرع كعب أبي الأشرف
وأعرض كالجلج الأجنف
بوحى إلى عبده مُلطف

فدسَّ الرسولُ رسولاً له بأبيض ذي هبةٍ مرهفٍ
فباتت عيونٌ له مُعولات متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذرفِ
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً فإننا من النوحِ لم نَشْتَفِ
نُفْلَاهُمْ ثم قال اظعنوا دُحوراً على رَغَمِ الآئِفِ
وأجلى النضيرِ إلى غربةٍ وكانوا بدارِ ذوى زُخرفِ
إلى أذِرعاتٍ رِدَافاً وم على كل ذى دُبرٍ أعجفِ
وتركنا جوابها أيضاً من سمال اليهودى قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفء ، وأنه حكم بأموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وملكها له ، فوضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أراه الله تعالى .
كما ثبت في الصحيحين ، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال
بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركاب ، فكانت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً ، فكان يعزل نفقة أهله سنة ثم يجعل ما بقى
في الكراع والصلاح عدةً في سبيل الله عز وجل .

ثم بينَّ تعالى حكم الفء وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم
وطريقتهم : « ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كي لا يكون دولة بين
الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله
شديد العقاب » .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم وعفان ، قالوا : حدثنا معتمر ، سمعت أبي يقول : حدثنا
أنس بن مالك ، عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات
أو كما شاء الله ، حتى فُتحت عليه قريظة والنضير ، قال : فجعل يردُّ بعد ذلك .

قال : وإنَّ أهلى أمرونى أن آتى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم أعطاه أمَّ أيمن أو كما شاء الله .

قال : فسألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول : كلا والله الذى لا إله إلا هو لا أعطيكنهن وقد أعطانيهن أو كما قالت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لك كذا وكذا . وتقول : كلا والله .

قال : ويقول لك كذا وكذا . وتقول : كلا والله . قال : ويقول لك كذا وكذا حتى أعطاها حسبتُ أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريباً من عشرة أمثاله أو كما قال .

أخرجاه بنحوه من طرق عن معتمر به .

ثم قال تعالى : ذاماً للمنافقين الذين مالوا إلى بنى النضير فى الباطن كما تقدم ، ووعدهم النصر فلم يكن من ذلك شيء ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، ونُزَّروهم من أنفسهم فقال : « ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نُطِيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنَّكم والله يشهد إنهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبارَ ثم لا ينصرون » .

ثم ذمَّهم تعالى على جُبْنهم وقلة علمهم وخفة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين « قال للإنسان : اكفر فلما كفر قال : إني بريء منك إني أخاف الله ربَّ العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين » .

قصة عمرو بن سعدى القرظى

حين مرَّ على ديار بنى النضير وقد صارت يبابا ليس بها داع ولا مجيب ، وقد كانت بنو النضير أشرف منى بنى قريظة ، حتى حداه ذلك على الإسلام وأظهر صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوراة .

قال الواقدي حدثنا ابراهيم بن جعفر ، عن أبيه ، قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنزلهم ، فرأى خرابها وفكر ، ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدهم في الكنيسة ، فنفع في بوقهم فاجتمعوا فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم لم تزل . وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية . قال : رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ، رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم وملأوها غيرهم وخرجوا خروج ذل ، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذى عزهم ثم بيته في بيته آمنا ، وأوقع بابن سئينة سيدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم أهل جد يهود ، وكانوا أهل عُدَّة وسلاح ونجدة ، فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم وكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فاطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، والله إنكم لتعلمون أنه نبي قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثم أبو عمير وابن حراش ، وهما أعلم به دجاءنا يتوَكَّفان قدومه وأمرانا باتباعه ، جاءنا من بيت المقدس وأمرنا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ودفنهما بحرّتنا هذه .

فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم .

ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوَّفهم بالحرب والسَّباء والجلاء . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في كتاب باطا ، التوراة التي نزلت على موسى ، ليس في المثاني الذى أحدثنا .

قال : فقال له كعب بن أسد : ما يمنحك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال أنت يا كعب . قال كعب : فلم ؟ والتوراة ما حُلَّتْ بينك وبينه قط .
قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعَقْدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبيتنا .
فأقبل عمرو بن سعدى على كعب ، فذكر ما تناقولا في ذلك ، إلى أن قال عمرو : ما عندي في أمره إلا ما قلت : ما تطيب نفسي أن أصير تابعا !
رواه البيهقي .

غزوة بني لحيان

التي صلى فيها صلاة الخوف بعسفان

ذكرها البيهقي في الدلائل ، وإنما ذكرها ابن إسحاق فيما رأيته من طريق هشام عن زياد عنه في جمادى الأولى من سنة ثنتين من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة وهو أشبه مما ذكره البيهقي والله أعلم .
وقال الخافظ البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الخافظ ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار وغيره ، قالوا : لما أصيب خُيَيب وأصحابه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرةً ، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني لحيان حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حَذَرُوا وتمَنَّعُوا في رموس الجبال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أننا هبطنا عسفان لرأت قريش أننا قد جئنا مكة » .
فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كُرَاعَ الغَمِيمِ ^(١) ثم انصرفا .

فذكر أبو عيَّاش الزُّرْقِيُّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بعسفان صلاة الخوف .

(١) الغميم : ود أُمم عسفان بثلثة أميال . يضاف إلى كُرَاع ، جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عيَّاش ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة ، فصلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرَّتهم . ثم قالوا : تأتي الآن عليهم صلاةٌ هي أحبُّ إليهم من أبنائهم . وأنفسهم .

قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : « وإذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاة » .

قال : فحضرت ، فأمرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح ، فصففنا خلفه صفين ، ثم ركع فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصافِّ هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد الصف الذي يليه والآخرين قيام يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم . ثم انصرف .

قال : فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بأرض عسفان ، ومرة بأرض بني سليم .

ثم رواه أحمد عن عُثْمَانَ ، عن شعبة ، عن منصور به ، نحوه .

وقد رواه أبو داود عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنسائي عن الفلاس ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن محمد بن المثنى ، ووثندار ، عن عُثْمَانَ ، عن شعبة ، ثلاثهم عن منصور به .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين ، ولم يخرجه واحد منهما .

لسكن روى مسلم من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر

قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً من جُهينة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فلما أن صلى الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم مَيْلَةً لا تقطعناهم .

فأخبر جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وقالوا : إنه ستأتيهم صلاة هي أحبُّ إليهم من الأولاد » فذكر الحديث كنحو ما تقدم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا هشام ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه الظهر بنخلٍ ، فهم به المشركون ثم قالوا : دعوهم فإن لهم صلاة بعد هذه الصلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم .

قال : فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فصلى بأصحابه صلاة العصر ، فصَفَّهم صَفَّين بين أيديهم رسولُ الله والعدو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكَبَّرَ وكَبَّرُوا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونهم والآخرين قياماً ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبروا جميعاً وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه والآخرين قياماً ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون .

وقد استشهد البخاري في صحيحه برواية هشام هذه عن أبي الزبير ، عن جابر . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي ^(١) ، حدثنا عبد الله بن شقيق ، حدثنا أبو هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضَجْنان وعُسْفان ، فقال المشركون : إن هؤلاء صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأبكارهم وهي العصر ، فاجمعوا أمركم فيلوا عليهم مَيْلَةً واحدة .

وإن جبريل أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقيم أصحابه شَطْرَيْن فيصلي

(١) الهنائي : نسبة إلى هناة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، بطن من الأزد . الباب ٣ / ٢٩٤ .

بعضهم ويقدم الطائفة الأخرى وراءهم ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأتى الأخرى فيصلون معه ، يأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولرسول الله ركعتان .

ورواه الترمذى والنسائى من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قلت : إن كان أبو هريرة شهد هذا فهو بعد خير ، وإلا فهو من مُرسلات الصحابي ، ولا يضر ذلك عند الجمهور . والله أعلم .

ولم يذكر فى سياق حديث جابر عند مسلم ولا عند أبى داود الطيالسى أمر عُصفان ولا خالد بن الوليد ، لكن الظاهر أنها واحدة .

بقى الشأنُ فى أن غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ؟ فإن من العلماء ، منهم الشافعى ، من يزعم أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد يوم الخندق ، فإنهم أخرّوا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة خوف مشروعة إذ ذاك لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازى : إن غزوة بنى لحيان التى صلى فيها صلاة الخوف بعسفان كانت بعد بنى قريظة .

وقد ذكر الواقدى بإسناده عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ثم لم يعزم لنا ، فأطلعنا الله على ما فى أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمره الحديبية كانت فى ذى القعدة سنة ست بعد الخندق وبنى قريظة كما سيأتى .

. وفى سياق حديث أبى عيَّاش الزرقى ما يقتضى أن آية صلاة الخوف نزلت فى هذه

الغزوة يوم عُصفان ، فاقضى ذلك أنها أول صلاة خوف صلاحها . والله أعلم .
وسنذكر إن شاء الله تعالى كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب
« الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

غزوة ذات الرقاع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير
شهرى ربيع وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان
واستعمل على المدينة أبا ذر .

قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها
ذات الرقاع .

وقال الواقدي : يجبل فيه بُقَع حمر وسود وبيض .

وفى حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم من
الخِرْق من شدة الحر .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ولم يكن بينهم
حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشام حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيد التَّنُورِي ،
عن يونس بن عُبَيْد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن
أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع ،

عن ابن عمر ، ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرض
لزمان ولا مكان .

وفي كون غزوة ذات الرقاع التي كانت بنجد لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان
قبل الخندق نظر .

وقد ذهب البخارى إلى أن ذلك كان بعد خيبر ، واستدل على ذلك بأن أبا موسى
الأشعرى شهدا ، كما سيأتى ، وقدمه إنما كان ليالى خيبر صحبة جعفر وأصحابه ،
وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
نجد صلاة الخوف .

ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القتال أول ما أجازة يوم الخندق . وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : غزوت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقدي : إنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعائة ويقال سبعائة من
أصحابه ليلة السبت لعشر خلون من المحرم سنة خمس . فيه نظر .

ثم لا يحصل به نجا من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق ، لأن الخندق
كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل في شوال سنة أربع ، فتحصل على هذا
القول تحلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر
ابن عبد الله ، أن رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان ومحارب :

ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به.

قال: فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره. فقال: يا محمد، أنظرني إلى سيفك هذا؟ قال: نعم. فأخذه ثم جعل يهرزه ويهمهم، فكتبته الله. ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: لا، ما أخاف منك؟ قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، يمتنعني الله منك. ثم عمد إلى سيف النبي صلى الله عليه وسلم فردّه عليه.

فأنزل الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبدّسوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحّاش أخي بني النضير وما هم به.

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورث هذا عن عمرو بن عبّيد القدرى رأس الفرقة الضالة، وهو وإن كان لا يهتم بتعمد الكذب في الحديث إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه لبدعته ودعائه إليها.

وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه والله الحمد.

فقد أورد الحافظ البيهقي هاهنا طرقالهكذا الحديث من عدة أماكن، وهي ثابتة في الصحيحين من حديث الزهري عن سنان بن، أبي سنان وأبي سلمة عن جابر، أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة في وادٍ كثير العِضاه^(٢)، ففرق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه.

(٢) العِضاه: شجر عظيم له شوك.

(١) سورة المائدة.

قال جابر : فَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَأَجْبِنَاهُ ، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِي جَالِسٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا ^(١) فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتَ : اللَّهُ . فَشَامَ السَّيْفَ وَجَلَسَ . وَلَمْ يَعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ .

وقد رواه مسلم أيضاً ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان ، عن أبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِذَاتِ الرَّقَّاعِ ، وَكُنَّا إِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَيْفٌ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْلَقٌ بِشَجَرَةٍ ، فَأَخَذَ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْرَطَهُ وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ . قَالَ : فَهَدَدَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَغْمَدَ السَّيْفَ وَعَلَقَهُ .

قال : وَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ ، فَصَلَّى بِطَائِفَةٍ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ تَأَخَّرُوا ، وَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الْأُخْرَى رَكَعَتَيْنِ . قَالَ : فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَلِلْقَوْمِ رَكَعَتَانِ . وَقَدْ عَلِقَهُ الْبُخَارِيُّ بِصِيفَةِ الْجَزَمِ عَنْ أَبَانَ بِهِ .

قال البخاري : وَقَالَ : مُسَدَّدٌ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ ، إِنْ اسْمُ الرَّجُلِ غَوْرَثُ بَيْنَ الْحَارِثِ . وَأَسْنَدُ الْبَيْهَقِيِّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَارِبَ وَغَطَفَانَ بَنَخَلَ ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غُرَّةً ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : اللَّهُ . فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ .

فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ

(١) صلتا : مجردا من غمده ، بمعنى مصلت .

أَخِذْ. قَالَ : تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : لا ، ولكن أعاهدك على ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك .

نفلى سبيله ، فأتى أصحابه وقال : جئتم من عند خير الناس .

ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلى أربع ركعات ، بكل طائفة ركعتين .

وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع ، عن صالح بن خوات بن جبير ، عن سهل بن أبي حنمة ، وحديث الزهري ، عن سالم عن أبيه ، في صلاة الخوف بنجد . وموضع ذلك كتاب الأحكام . والله أعلم .

قصة الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما .

فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب من الوادي . وهما عمّار بن ياسر وعبداد بن بشر ، فلما خرجا إلى قم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي .

قال : وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ريثة القوم ، فرمى بهم

فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عادله بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت .

قال : فوثب الرجل فلما رأها عرف أنه قد نذرا به ، فهرب .

قال : ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال : سبحان الله أفلا أهبتني أولَ مارماك ؟!

قال : كنت في سورة أقرأها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع على الرمي ركعتُ فآذنتك ، وأيم الله لولا أن أضيع نغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها !

هكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي . وقد رواه أبو داود عن أبي توبة ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدي عن عبد الله العمرى ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خوات ، عن أبيه ، حديث صلاة الخوف بطوله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جارية وضيئة ، وكان زوجها يحبها ، فحلف ليطلبن محمداً ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلص صاحبتها ، ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقدي : وكان جابر بن عبد الله يقول : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يظفر إليه ، فأقبل إليه أبوا ، أو أحدهما حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه ؟ فوالله لرؤيتكم أرحمُ بكم من هذا الطائر بفرخه !!

قصة جل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جبل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت الرفاقُ تمضي وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا جابر ؟ قلت : يا رسول الله أبطأ بي جلي هذا . قال : أنخه . قال : فأنخته وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع عصا من شجرة . ففعلت فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج والذي بعثه بالحق يُواهي ناقته مواهقة^(١) .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتبيعي جلك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : بل أهبه لك . قال : لا واسكن بعني ، قال : قلت : فسمنيه ، قال : قد أخذته بدرهم ، قال : قلت : لا إذا تغبني يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ، قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية ، قال : فقالت : أفقد رضيت ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : قد أخذته .

ثم قال : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ؟ قال : قلت : بل ثيباً . قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك !

قال : قلت يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن فتقوم عليهن . قال : أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو جئنا صِراراً^(٢) أمرنا بجزور فنحرت فأقننا عليها يومنا ذلك وسمعت بنا فنفضت نمارقها . قال : فقلت : والله يا رسول الله مالنا نمارق . قال : إنها ستكون فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيتساً .

(٢) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا . قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فدونك فسمع وطاعة .

فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنحت على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الجمل فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ، قال : فأين جابر ، فدعيت له ، قال : فقال : يا ابن أخى خذ برأس جملك فهو لك . قال : ودعا بلالا فقال : اذهب بجابر فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً سيراً .

قال : فوالله ما زال ينمى عندى ويرى مكانه من بيننا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعنى يوم الحرّة .

وقد أخرجه صاحب الصحيح من حديث عبيد الله بن عمر العمرى ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بنحوه .

قال السهيلي : فى هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم جابر بن عبد الله أن الله أحيا والده وكله فقال له : تمنّ علىّ . وذلك أنه شهيد وقد قال الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » وزادهم على ذلك فى قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ثم جمع لهم بين العوض والمعوّض فردّ عليهم أرواحهم التى اشتراها منهم فقال : « ولا تحسبنّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » والروح للإنسان بمنزلة المطية كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال :

فلذلك اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جابر جملة ، وهو مطيته ، فأعطاه ثمنه ثم رده عليه وزاده مع ذلك .

قال : فقيه تحقيق لما كان أخبره به عن أبيه .

وهذا الذى سلكه السهيلي هاهنا إشارة غريبة وتحليل بديع . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد ترجم الحافظ البيهقي فى كتابه « دلائل النبوة » على هذا الحديث فى هذه الغزوة فقال : باب ما كان ظهر فى غزاته هذه من بركاته وآياته فى جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وهذا الحديث له طرق عن جابر وألفاظ كثيرة ، وفيه اختلاف كثير فى كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط فى البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائق بكتاب البيع من الأحكام والله أعلم . وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتى . ومُسْتَبْعَد تعداد ذلك والله أعلم .

غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم .

قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان .

قال ابن هشام : واستعمل على للمدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سؤل .

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأً وأقام عليه ثمانية ينتظر أبا سفيان .

وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنةً من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يامعشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجموا .

فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق . قال : وأتى مخشي بن عمرو الصمري وقد كان وادع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ودان على بني ضمرة فقال : يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك . قال : لا والله يا محمد مالنا بذلك من حاجة .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيذاً .

قال ابن إسحاق : وقد قال عبد الله بن رواحة يغي في انتظارهم أبا سفيان ورجوعه بقريش عامه ذلك . قال ابن هشام : وقد أنشدنيها أبو زيد الكعب بن مالك :

وَعَدْنَا أَبَا سَفْيَانَ بَذْرًا فَلَمْ يَجِدْ لِمُعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا
فَأَقْسِمَ لَوْ لَا قَيْتَنَا فَلَقَيْتَنَا لِأُبَّتْ ذَمِيمًا وَافْتَقَدَتْ الْمَوَالِيَا
تَرَكَنَا بِهِ أَوْ صَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهُ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكَنَاهُ ثَاوِيًا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَإِلَيْدِيكُمْ وَأَمْرُكُمْ السَّيِّءُ الَّذِي كَانَ غَاوِيًا
فَإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لَتَقَاتِلُنَّ فَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمَاهُ لَمْ نَعْدِلْهُ فِينَا بَغِيرَهُ شِهَابًا لِنَافِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيًا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دَعُوا فَلَجَاتُ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْخَاضِ الْأَوَارِكِ (١)
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكَتِ لِلغُزْرِ مِنْ بَطْنِ غَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ
أَقْنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزْوِعِ ثَمَانِيَا بَارِعِنَ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمُبَارِكِ (٢)
بِكُلِّ كَمِيَّتٍ جَوِزُهُ نَصْفُ خَلْقِهِ وَقُبَّ طَوَالِ مَشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ (٣)
تَرَى الْعَرَفِجَّ الْعَامِيَ تَذَرِي أَصُولَهُ مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمُطْعَى الرُّوَاتِكِ (٤)
فَإِنْ تَلَقَّ فِي تَطَوَافِنَا وَالتَّمَاسِنَا فِرَاتُ بْنُ حِيَانَ يَكُنْ رَهْنُ هَالِكِ
وَإِنْ تَلَقَّ قَيْسُ بْنُ أَمْرِ الْقَيْسِ بَعْدَهُ يَزْدُ فِي سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلَغَ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ غُرِّ الرِّجَالِ الصَّمَالِكِ
قَالَ : فَأَجَابَهُ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ :
أَحْسَنَ إِنَّا يَا ابْنَ آكَلَةِ الْفَعَا وَجَدُّكَ نَقَاتِلُ الْخُرُوقِ كَذَلِكَ (٥)

(١) الفلجيات : جمع فلج ، وهو النهر الصغير . والأوارك : الإبل التي رعت الأراك .

(٢) الرس : البئر . والنزوع : القرية القعر . والأرعن : الجيش ذو الفضول .

(٣) الكميّة : الفرس . والجوز : الوسط . والقب : جمع أقب ، وهو الفرس الضامر البطن والحوارك : جمع حارك وهو أعلى الكاهل .

(٤) العرفج : شجر سهلي . والعامي : الذي أتى عليه العام . والرواتك : المسرعة

(٥) الفعا : شيء كالنبت . والخروق : القفار . ونقتال : نقتطع .

خرجنا وماتنجو اليعافيرُ بيننا ولو وألت منا بشدٍ مُداركِ^(١)
 إذا ما انبعثنا من مُنَاخٍ حَسْبَتَهُ مُدْمَنَ أَهْلِ المَوْسَمِ التَّعَارِكِ^(٢)
 أَمَتَ عَلَى الرِّسِّ السَّرُوعَ تَرِيدُنَا وَتَرَكْنَا فِي النُّخْلِ عِنْدَ المَدَارِكِ
 عَلَى الزَّرْعِ تَمَشَى خَيْلُنَا وَرَكَابُنَا فَمَا وَطَّئَتْ أَلْصَقْنَهُ بِاللِّدِّ كَادِكِ^(٣)
 أَقْنَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بِجُرْدِ الجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ^(٤)
 حَسِبْتُمْ جِلَادَ القَوْمِ عِنْدَ فَنَائِكُمْ^(٥) كَمَا خَذَكُمْ بِالعَيْنِ أَرْطَالُ آنُكِ^(٦)
 فَلَا تَبْغُثِ الخَيْلَ الجِيَادَ وَقُلْ لَهَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُعْصِمِ التَّمَاكِسِكِ
 سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلُهَا فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ
 فَإِنَّكَ لَا فِي هَجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا وَلَا حَرَمَاتٍ دِينَهَا أَنْتَ نَاسِكُ^(٧)

قال ابن هشام : تركنا منها أبياتاً لا اختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن أبي عمير ، عن أنى الأسود ، عن عروة بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر الناس لموعدة أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يُتَبَطِّطُونَهُمْ ، فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وأخذوا معهم بضائع وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر .

(١) اليعافير : جمع يعفور وهو ولد الظبية . ووألت : احتمت . والشد : الجرى .

(٢) المدمن : الموضع به آثار الناس والدواب .

(٣) الدكادك : جمع دكدك ، مائسكيس واستوى من الرمل ، أو أرض فيها غلظ .

(٤) الرواتك : التي تقارب في خطوها .

(٥) ابن هشام : عند قبائهم . ورواها ابن سلام في طبقات الشعراء : حول بيوتكم .

(٦) العين : المال ، والذهب ، والدينار . والآتك : الرصاص الأبيض . وقد ذكر السهيلي عن ابن سلا . أن أبا سفيان بن حرب قال لأبي سفيان بن الحارث : يا ابن أخي لم جعلتها آنك ، إن كانت الفضة بيضاء جيدة !

(٧) وتروى : ولا حرمت الدين أنت بناسك .

ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنّة ، ورجوعه ، وفي مقابلة الضمري ، وعرض النبي صلى الله عليه وسلم والمناظرة فأبى ذلك .
قال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة ، يعني سنة أربع .

والصحيح قول ابن إسحاق ، أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاث وهذا وهم ، فإن هذه توعدوا إليها من أحد وكانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدم . والله أعلم .
قال الواقدي : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ^(١) .

فصل

في جملة من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، يعني من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ست سنين ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في حفرة والده عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قلت : وفيه توفي أبو سامة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي الخزومي ، وأمه برة بنت عبد المطالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهب .

وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد .

وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وقد ولد لها بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدم . وشهد بدرًا وأحداً ، ومات من آثار جرح جرّحه بأحد . رضى الله عنه وأرضاه . له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم سلمة قريباً .

قال ابن جرير : وفي ليال خلّون من شعبان منها ولد الحسين بن علي من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم .

قال : وفي شهر رمضان من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، الهلالية .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث . ثم استغربه وقال : لم أره لغيره . وهي التي يقال لها أم المساكين لكثرة صدقاتها عليهم وبرها لهم وإحسانها إليهم . وأصدقها ثلثي عشرة أوقية ونشاً^(١) ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها .

قال أبو عمر بن عبد البر ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

قال ابن الأثير في الغابة : وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد .

(١) النش . نصف أوقية ، وهو عشرون درهما .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت رضى الله عنها .
وقال الواقدي : في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية .

قلت : وكانت قبله عند زوجها أبي أولادها أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد أحداً كما تقدم ، وجرح يوم أحد فداوى جرحه شهراً حتى برئ ، ثم خرج في سرية فغنم منها نهما ومغماً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ثم انتقض عليه جرحه فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى من هذه السنة .

فلما حلت في شوال خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نفسها بنفسه الكريمة وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فتذكر أنها امرأة غيّرى ، أى شديدة الغيرة وأنها مُصِيبَة ، أى لها صبيان يشغلونها عنه ويحتاجون إلى مؤنة تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : أما الصَّبيَّة فإلى الله وإلى رسوله . أى نفقتهم ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها .

فأذنت في ذلك وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم فزوّج النبیّ صلى الله عليه وسلم . تعنى قد رضيت وأذنت .

فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلى مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك . والله الحمد والمنة .
وأن الذى ولى عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها .

وساغ هذا لأن أباه ابن عمها ، فللابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً .

فأما تحض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده ، وخالفه الثلاثة :
أبو حنيفة ومالك وأحمد رحمهم الله . ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه ، وهو كتاب
النكاح من الأحكام الكبير . إن شاء الله .

قال الامام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، يعني ابن سعد ، عن يزيد بن عبد الله
بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطالب ، عن أم سلمة قالت : أتاني
أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قولاً سررت به ، قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند
مصيبته ثم يقول : اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا فعل به » . قالت
أم سلمة : حفظت ذلك منه .

فلما توفي أبو سلمة استرجعتُ وقلت : اللهم آجرني في مصيبتى واخلف لى خيراً منها
ثم رجعت إلى نفسى فقلت : من أين لى خير من أبى سلمة ؟

فلما انقضت عدتي استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لى ، ففسلت
يدى من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة آدم حشوها ليف ، فقعد عليها فخطبني إلى
نفسى ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بى أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنى
امرأة بى غير شديدة ، فأخاف أن ترى منى شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت
فى السن وأنا ذات عيال .

فقال : أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد
أصابني مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالى . فقالت : فقد
سلمتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت أم سلمة : فقد أبدلنى الله بأبى سلمة خيراً
منه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه الترمذى والنسائى من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أمه أم سلمة عن أبى سلمة به . وقال الترمذى حسن غريب . وفى رواية للنسائى عن ثابت عن ابن عمر بن أبى سلمة عن أبيه . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجحى عن أبيه ، عن عمر بن أبى سلمة به .

وقال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من بدر الموعود - راجعاً إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع .

وقال الواقدى : وفى هذه السنة يعنى سنة أربع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود .
قلت : فثبت عنه فى الصحيح أنه قال : تعلمته فى خمسة عشر يوماً . والله أعلم .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجندل في ربيع الأول منها

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجندل (١) .

قال ابن هشام : في ربيع الأول - يعني من سنة خمس - واستعمل على المدينة سبّاع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِي .

قال ابن إسحاق : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي بإسناده عن شيوخه عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدْنُو إلى أداني الشام ، وقيل له : إنَّ ذلك مما يُفزع قيصر ، وذُكر له أن بدُومة الجندل جمعاً كبيراً وأنهم يَظلمون من مرَّ بهم ، وكان لها سوق عظيم ، وهم يريدون أن يَدْنُوا من المدينة .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ ، ومعه دليل له من بني عُذْرَةَ يقال له مذكور ، هادٍ خَرَّيْتُ (٢) .

فلما دنان من دُومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبرُ أهل دُومة الجندل فتفرقوا ،

(١) دومة : بضم الدال عند أهل اللغة ، وأصعب الحديث يفتحنوها . كذا في الصحاح . قال البكري : سميت بدومي بن إسماعيل ، وكان نزلها . (شرح المواهب ٩٥/٢) .
(٢) الحرث : الماهر بالهداية .

فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا أَحَدًا ، فَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، وَبَثَّ السَّرَّايَا ، ثُمَّ رَجَعُوا وَأَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : هَرَبُوا أَمْسَ . فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَ ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَكَانَ خُرُوجُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ ^(١) سَنَةِ خَمْسَ .

قَالَ : وَفِيهِ تَوَفَّيْتُ أُمَّ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ ، ابْنَتَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ .

وَقَدْ قَالَ أَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قُقَادَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَائِبٌ ، فَلَمَّا قَدِمَ صَلَّى عَلَيْهَا وَقَدْ مَضَى لَذَلِكَ شَهْرٌ . وَهَذَا مَرْسَلٌ جَيِّدٌ ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَابَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ شَهْرًا فَمَا فَوْقَهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ

وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا صَدْرَ سُورَةِ الْأَحْزَابِ . فَقَالَ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ، وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا

(١) عِنْدَ جَرِيرٍ عَنِ الْوَاقِدِيِّ : فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَكَذَلِكَ فِي نَسْرِحِ الْمَوَاهِبِ : « وَكَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ شَهْرًا مِنَ الْهَجْرَةِ » وَكَانَ رَجُوعُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي الْعَشْرِ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ .

شديداً * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً *
 وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النبيَّ
 يقولون إنَّ بيوتنا عورةٌ . وما هي بعورةٌ إنَّ يريدون إلا فراراً * ولو دُخلت عليهم
 من أفطارها ثم سئلوا الفتنة لآتونها وما تبلتوا بها إلا يسيراً * ولقد كانوا عاهدوا الله
 من قبل لا يولئون الأدبارَ وكان عهدُ الله مسئولا * قل لن ينفعكم الفرارُ إن فررتم من
 الموت أو القتل وإذا لا تُمَتَّعون إلا قليلاً * قل من ذا الذي يَعْصِمُكم من الله إن أراد
 بكم سوءاً أو أراد بكم رحمةً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً * قد يَعْلَمُ الله
 الموعَّين منكم والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون البأسَ إلا قليلاً * أشحَّةٌ عليكم
 فإذا جاء الخوفُ رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُعشى عليه من الموت فإذا ذهب
 الخوفُ سَلَقوكم بالسنةِ حدادٍ أشحَّةً على الخير ، أولئك لم يؤمنوا فأحبطَ الله أعمالهم وكان
 ذلك على الله يسيراً * يحسبون الأحزابَ لم يذهبوا وإن يأتِ الأحزابُ يودُّوا لو أنهم
 بادون في الأعرابِ يسألون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً * لقد كان لكم
 في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكر الله كثيراً * ولما
 رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدقَ الله ورسوله وما زادهم
 إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نَحْبَهُ ومنهم
 مَنْ يَنْتَظِرُ وما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * ليجزى الله الصادقين بصدقاتهم ويعذبَ المنافقين إن شاء أو يتوبَ
 عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً * وردَّ الله الذين كفروا بغيتهم لم ينالوا خيراً وكفى الله
 المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من
 صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعبَ ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ، وأورثكم أرضهم
 وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديراً .

وقد تسكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمة في التفسير والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً .

وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع .

وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل عن موسى بن داود عنه .

قال البيهقي : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ، لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المساهمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع ورجع أبو سفيان بقرش لجذب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعين أن الخندق في شوال من سنة خمس . والله أعلم .

وقد صرح الزهري بأن الخندق كانت بعد أحد بستين . ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة الثانية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقي . وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي ، وقد صرح بأن بدرأ في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدر الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع .

وهذا يخالف لقول الجمهور ، فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول

التاريخ من محرم سنة الهجرة ، وعن مالك من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور : أن أحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في الصحيحين من طريق عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : عُرِضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ فَأُجِزَنِي . فَقَدْ أَجَابَ عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ الْبَيْهَقِيُّ بِأَنَّهُ عَرِضَ يَوْمَ أَحَدٍ فِي أَوَّلِ الرَّابِعَةِ عَشْرَةِ ، وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ فِي أَوَّلِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةِ .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عَرِضَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْأَحْزَابِ كَانَ قَدْ اسْتَكْمَلَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً الَّتِي يُجَازِ لَهَا الْعُلَمَاءُ ، فَلَا يَبْقَى عَلَى هَذَا زِيَادَةٌ عَلَيْهَا .
ولهذا لما بَلَغَ نَافِعُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . ثُمَّ كَتَبَ بِهِ إِلَى الْآفَاقِ وَعَاطَمَ عَلَى ذَلِكَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وهذا سياق القصة مما ذكره ابن إسحاق وغيره .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِي شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ .

فَخَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ، عَنْ عُرْوَةَ وَمَنْ لَا أَتَهُمْ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ^(١) بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَالزَّهْرِيِّ ، وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا . وَبَعْضُهُمْ يَحْدِّثُ مَا لَا يَحْدِثُ بَعْضُهُمْ . قَالُوا :

إِنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِ الْخَنْدَقِ : أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ مِنْهُمْ سَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ النَّضْرِيِّ ، وَحِجِّي بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ ، وَكِئَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ ، وَهَوْدَةَ بْنُ قَيْسِ

(١) ابن هشام : عبد الله بن كعب .

الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا سنكونُ معكم عليه حتى نستأصله .
فقالَت لهم قريش : يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهْدَى من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجدَ له نصيراً ^(١) » الآيات .

فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم ونشطوا لما دعَوْهم إليه من حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك وأعدوا له .

ثم خرج أولئك نفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عَيْلان ، فدعَوْهم إلى حرب النبى صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم يكونون ^(٢) معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرِّى فى بنى مرة ، ومِسْعَر ابن رُخَيْلة بن نُوَيْرَةَ بن طريف بن سُحْمَةَ بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن رَيْث بن غطفان فيمن تابعه من قومه مِنْ أَشْجَع .

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر ضَرَب الخندق على المدينة .

(٢) ابن هشام : سيكونون .

(١) سورة النساء .

قال ابن هشام : يقال إن الذي أشار به سلمان .

قال الطبري والسهيلي : أول من حفر الخنادق : منوشهر بن أيرج بن أفريدون .
وكان في زمن موسى عليه السلام .

قال ابن إسحاق : فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ،
وعمل معه المسلمون ، وتحلّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ^(١) ، ومنهم من ينسئل
خفيةً بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى « إنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ،
وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئتَ منهم واستغفر
لهم الله إن الله غفور رحيم * لا تجعلوا دُعَاءَ الرسولِ بينكم كدُعَاءِ بعضكم بعضاً قد يعلم
الله الذين يتسللون منكم لواذاً ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تُصيبهم فتنةٌ
أو يُصيبهم عذابٌ أليم ، ألا إنَّ الله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ، ويوم
يُرْجَمون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكلِّ شيءٍ عليم ^(٢) » .

قال ابن إسحاق : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين
يقال له جُعيل سماء رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرًا ، فقالوا فيما يقولون :
سماء من بعد جُعيلٍ عمرًا وكان للبائس يوماً ظهراً ^(٣)
وكانوا إذا قالوا : عمرًا . قال معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرًا . وإذا قالوا :
ظهراً قال لهم : ظهرا .

(١) ابن هشام : وجعلوا يورون بالضعيف من العمل . (٢) سورة النور .

(٣) ظهرا : قوة ومعونة .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » فقالوا مجيبين له :

نحن الذين بآبؤنا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفى الصحيحين من حديث شعبة ، عن معاوية بن قرة عن أنس : نحوه .

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت وحيد عن أنس ، بنحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو مَعْمَر ، حدثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على مَتُونِهِمْ ويقولون :

نحن الذين بآبؤنا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً

قال : يقول النبي صلى الله عليه وسلم مجيباً لهم : « اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » .

قال : يُؤْتُونَ بِلَاءٍ كَفَى مِنَ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةِ سَفْحَةٍ ^(١) توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهى بَشِعةٌ فى الخلق ولها ريح منتن !

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن ^(٢) أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق وهم يحفرون ، ونحن ننقل التراب على أكتادنا ^(٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الإهالة : الدكة . والسفحة : المنفرة الريح الفاسدة الطعم .

(٢) البخارى : عن أبي حازم . وهو أبو عبد العزيز .

(٣) الأكتاد : جمع كند ، وهو ما بين السكاهل إلى الظهر .

« اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

ورواه مسلم عن القَعْنَبِيِّ ، عن عبد العزيز به .

وقال البخاري : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ابن عازب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه ، أو اغبرَّ بطنه يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سَكِينَةً علينا
وَبُتَّ الأقدامَ إِن لاقينا
إِن الألى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنةً أبينا

ورفع بها صوته : أبينا ، أبينا .

ورواه مسلم من حديث شعبة به .

ثم قال البخاري : حدثنا أحمد بن عثمان ، حدثنا شريح بن مسleme ، حدثني إبراهيم ابن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى الترابُ جِلْدَةَ بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رَواحة وهو ينقل من التراب يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سَكِينَةً علينا
وَبُتَّ الأقدامَ إِن لاقينا
وإِن أرادوا فتنةً أبينا

ثم يمد صوته بأخرها .

وقال البيهقي فى الدلائل : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفار ، حدثنا إسماعيل بن الفضل البجلي ، حدثنا إبراهيم بن يوسف البلخي ، حدثنا

المسيب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب في الخندق وقال :

باسم الله وبه هُـدِينَا ولو عبدنا غيره شَقِينَا
يا حبذا ربًّا وحبَّ دِينًا

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة ، فأصلح الأنصارَ والمهاجرة » .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث عُذْر ، عن شعبة .

قال ابن إسحاق : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، من الله فيها عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فمن ذلك : أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كذبة^(١) ، فشكَّوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإبناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لآنهالت حتى عادت كالكتيب ماترْدُ فأساً ولا مسحاة .

هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وقد قال البخارى رحمه الله : حدثنا خَلَّاد بن يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، قال : أتيت جابراً فقال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كذبة شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كذبة عرضت في الخندق ، فقال : أنا نازل .

(١) الكذبة : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المول .

ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا^(١) ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْوَل فضرب فعاد كثيباً أهَيْلَ أو أَهَيْمَ^(٢) .

فقلت : يا رسول الله ائذن لى إلى البيت . فقلت لامراتى : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك صَبْرٌ ، فعندك شىء ؟ قالت : عندى شعير وعَنَاق^(٣) ، فذبحتُ العَنَاقَ وطَحَنْتُ الشعيرَ حتى جعلنا اللحم فى البُرْمَةِ^(٤) ، ثم جئتُ النبي صلى الله عليه وسلم والمعجِنُ قد انكسر والبرمة بين الأثاني^(٥) قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعِمَ لى^(٦) فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : كم هو ؟ فذكرت له ، فقال : كثير طيب ، قل لها لا تَنزِعِ البرمة ولا الخبزَ من التنور حتى آتى . فقال : قوموا . فقام المهاجرون والأنصار .

فلما دخل على امرأته قال : ويحك ! جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم . فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا ، فجعل يكسر الخبزَ ويجعل عليه اللحم ويَحْمُرُ^(٧) البُرْمَةَ والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع . فلم يزل يكسر الخبزَ ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية . قال : كلى هذا وأهْدِى ، فإن الناس أصابهم مجاعة .
تفرد به البخارى .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه

- (١) ذواقا : شيئاً من مأكل أو مشروب . (٢) الأهيل أو الأهم : السائل .
(٣) العناق : الأنتى من ولد الماعز . (٤) البرمة : القدر .
(٥) الأثاني : حجارة ثلاثة توضع عليها القدر . (٦) طعيم : تصغير طعام : لتقليله .
(٧) يحمر : يغطى .

أَيُّمَنَ الْحَبَشِيُّ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، عَنْ جَابِرٍ بِقِصَّةِ الْكُذْبَةِ وَرَبَطَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ الْكَرِيمِ .

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ، عَنْ الْحَاكِمِ ، عَنْ الْأَصَمِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْجُبَارِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيُّمَنَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ ، بِقِصَّةِ الْكُذْبَةِ وَالطَّعَامِ . وَطَوَّلَهُ أَتَمُّ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ قَالَ فِيهِ : لَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَقْدَارِ الطَّعَامِ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا : قَوْمُوا إِلَى جَابِرٍ . فَقَامُوا ، قَالَ : فَلَقِيتُ مِنَ الْحَيَاءِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَقُلْتُ : جَاءَنَا بِمَخْلُوقٍ عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعَفَاقٍ . وَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِي أَقُولُ : افْتَضَحْتِ ، جَاءَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ أَجْمَعِينَ ، فَقَالَتْ : هَلْ كَانَ سَأَلَكَ كَمْ طَعَامِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَتْ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : فَكَشَفْتُ عَنِّي غَمًّا شَدِيدًا ، قَالَ : فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : خَدِّمِي وَدَعِينِي مِنَ اللَّحْمِ . وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُثَرِّدُ وَيُغْرِفُ اللَّحْمَ وَيَخْتَمِرُ هَذَا وَيَخْتَمِرُ هَذَا ، فَازَالَ يَقْرُبُ إِلَى النَّاسِ حَتَّى شَبِعُوا أَجْمَعِينَ وَيَعُودُ التَّنْثُورُ وَالْقِدْرُ أَمْلَأًا مَا كَانَا !

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلِّي وَأَهْدِي . فَلَمْ تَزَلْ تَأْكُلُ وَتَهْدِي يَوْمَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ كَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَارَبِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَيُّمَنَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرٍ بِهِ وَأَبْسَطُ أَيْضًا ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ : وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثِمِائَةً أَوْ قَالَ : ثَلَاثِمِائَةً .

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي الزَّيْبَرِ ، عَنْ جَابِرٍ . فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بَطُولُهَا فِي الطَّعَامِ فَقَطْ وَقَالَ : وَكَانُوا ثَلَاثِمِائَةً .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي

سفيان ، عن أبي الزبير ، حدثنا ابن مينا ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حفر الخندق رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم خصاً^(١) ، فأنكفأت إلى امرأتى فقلت : هل عندك شيء ، فإني رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خصاً شديداً ؟ فأخرجتني جراًباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة^(٢) داجن ، فذبجتها ، فطحنها ، وفرغتها إلى فراغى ، وقطعتها في برمتها ، ثم ولّيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، فحنته فساررته فقلت : يا رسول الله ذبحت بهيمة لنا ، وطحننا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سوءاً^(٣) فخيلاً بكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينةكم حتى آجىء .

فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ، حتى جئت امرأتى فقالت : بك وبك . فقلت : قد فعلت الذى قلت . فأخرجت لنا عجينة فبسق فيه وبارك ، ثم عد إلى برمتنا فبسق وبارك ، ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك ، واقدحى^(٤) من برمتك ولا تنزلوها .

وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتفط^(٥) كما هي وإن عجينا كما هو .

ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم به نحوه .

(١) الخمس : ضمور البطن من الجوع . (٢) البهيمه : بضم الباء تصغير بهيمة وهى الصغير ومن أولاد الغنم . والداجن : ما يربى في البيوت من الغنم ولا تخرج إلى المرعى .
(٣) سؤراً : يروى بالهمزة ، وفي اليونانية بتركها : وهو الطعام الذى يدعى إليه ، وهى لفظة فارسية ، وهذا دليل على تكلم الرسول بالفارسية . والسؤر بالهمز : البقية .
(٤) اقدحى : اغرقى .
(٥) تفط : تفور بحيث يسفع لها غطيط .

وقد روى محمد بن إسحاق هذا الحديث وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه فقال :
حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخندق ، وكانت عندي شوية غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعتها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا
منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أُمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق ، قال : وكنا
نعمل فيه نهراً فإذا أُمسينا رجعنا إلى أهالينا ، فقلت : يا رسول الله إني قد صنعت لك
شوية كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معي
إلى منزلي . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده .

قال : فلما أن قلت ذلك قال : نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا
إليه راجعون ! .

قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه ، فجلس وأخرجناها إليه ،
قال : فبرك وسمى الله تعالى ، ثم أكل ، وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ،
حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه من طريق سعيد بن ميناء ، عن يعقوب بن إبراهيم بن
سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق عنه ، عن جابر مثله سواء .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني سعيد بن ميناء ، أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد
أخت النعمان بن بشير قالت : دعيت أمي عمرة بنت رواحة ، فأعطتني حفنة من تمر في
ثوبي ، ثم قالت : أي بُنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت :
فأخذتها وانطلقت بها .

فمرزت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : تعالى يا بنيّة ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : هاتيه . قالت : فصبيته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملائهما .

ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء .

فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي من طريقه ولم يزد .

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربتُ في ناحية من الخندق فغلظت عليّ صخرة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رأيته أضرب ورأى شدة المسكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيتُ لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال : أما الأولى فإن الله فتح عليّ باب اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ باب الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق .

قال البيهقي : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عُقبة في مغازيه ، وذكره أبو الأسود عن عروة .

ثم روى البيهقي من طريق محمد بن يونس الكديمي وفي حديثه نظر . لكن رواه ابن جرير في تاريخه عن محمد بن بشار وبندار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن غوف المزني ، عن أبيه عن جده ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً قال : واحتق المهاجرون والأنصار في سلمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا بلغنا الندي ظهرت لنا صخرة بيضاء مروة ، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها بركة أضأت ما بين لابتينها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيراً ففتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك النور ، فقال : لقد أضأت لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضأت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ومن الثالثة أضأت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا ، واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق .

قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا !

فَنَزَلَ فِيهِمْ « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مُّارِعِدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا » .

وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَلُولٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَنْدَقِ فَخُنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا وَجَدْنَا صَفَاةً لَا نَسْتَطِيعُ حَفْرَهَا . فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَمْنَا مَعَهُ ، فَلَمَّا أَتَاهَا أَخَذَ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ بِهِ ضَرْبَةً وَكَبْرًا ، فَسَمِعْتُ هَدَّةً لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ فَقَالَ : فَتُحَتَّ فَارِس . ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَكَبَّرَ فَسَمِعْتُ هَدَّةً لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : فَتُحَتَّ الرُّوم . ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى فَكَبَّرَ فَسَمِعْتُ هَدَّةً لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : جَاءَ اللَّهُ بِمُحْمِرٍ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا .

وهذا أيضا غريب من هذا الوجه . وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف فإله أعلم .

وقال الطبراني أيضا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرْمِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمَةَ ، حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْغَرِيُّ ، أَنَّ عِكْرَمَةَ حَدَّثَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : احْتَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ ، وَأَصْحَابُهُ قَدِ شَدُّوا الْحِجَارَةَ عَلَى بَطُونِهِمْ مِنَ الْجُوعِ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : هَلْ دُلْتُمْ عَلَى رَجُلٍ يُطْعَمُنَا أَكْلَةً ؟ قَالَ رَجُلٌ : نَعَمْ . قَالَ : أَمَّا لَا فَيَقْدَمُ فِدْلُنَا عَلَيْهِ . فَانْطَلَقُوا إِلَى [بَيْتِ] الرَّجُلِ ، فَإِذَا هُوَ فِي الْخَنْدَقِ يِعَالِجُ نَصِيبَهُ مِنْهُ ، فَأَرْسَلَتْ امْرَأَتُهُ أَنْ جِئْتُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَتَانَا . فَجَاءَ الرَّجُلُ يَسْعَى وَقَالَ : يَا أَبْنَى وَأُمَى ، وَلَهُ مَعْرَةٌ .

ومعها جذيها فوثب إليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الجدى من ورائها فذبح الجدى ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنمتها وخبزت فأدركت القدر فثردت قصعتها فقربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعه فيها وقال : بسم الله اللهم بارك فيها اطعموا . فأكلوا منها حتى صدروا ولم يأكلوا منها إلا ثلثها وبقي ثلثاها . فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا وسرّحوا إلينا بعدئذكم . فذهبوا فجاء أولئك العشرة فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربة البيت وسمّت^(١) عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعونى فأكون أول من ضربها . فقال : بسم الله . فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال : الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال : الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة .

فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم . ثم قال الحافظ البيهقي : أخبرنا على بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصنفار ، حدثنا محمد بن غالب بن حرب ، حدثنا هودبة ، حدثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهرى ، حدثنى البراء بن عازب الأنصارى ، قال : أما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها أخذ المعول وقال : بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنى لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنى لأبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن . والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكافى الساعة .

وهذا حديث غريب أيضاً تفرد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصرى روى عن البراء وعبد الله بن عمرو ، وعنه حميد الطويل والجريري وعوف الأعرابي . قال أبو حاتم عن إسحاق بن منصور عن ابن معين : كان ثقة . وقال علي بن المديني : كان يحكي بن سعيد القطان لا يحدث عنه .

وقال النسائي : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السيباني ، عن أبي سكينه رجل من البحرين ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرةٌ حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ المِغُول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ، ثم ضرب الثانية وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فراها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » . فندر الثلث الباقي .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس . فقال سلمان : يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان رأيت ذلك ؟ قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله .

قال : فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ادع [الله] أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ونحرب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك .

قال : ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها

يعني . قالوا : يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويفنمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا .

ثم قال : ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لى مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها يعني . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوا الحبشة ما ودّعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » .

هكذا رواه النسائي مطوّلاً ، وإنما روى منه أبو داود : « دَعُوا الحبشة ما ودّعوكم واتركوا الترك ما تركوكم » عن عيسى بن محمد الرملى ، عن ضَمرة بن ربيعة ، عن أبي زُرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَانِي^(١) به .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فُتِحَتْ هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوها ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبي هريرة بيده ما افتتحت من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصل من غير وجه والله الحمد .

فقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بُعثت بجوامع الكلم ونُصرت بالعرب ، وبيننا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي » .

وقد رواه البخاري منفرداً به ، عن يحيى بن بُكَيْر ، وسعد بن عفير ، كلاهما عن الليث به . وعنده قال أبو هريرة : فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تَنْتَلُونَهَا . وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي

(١) نسبة إلى سيّان ، بطن من حمير ، توفى أبو زُرعة سنة ١٤٨ ، وكان ثقة . اللباب ١/٥٨٥ .

هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمِفْتَاحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَتَلَّتْ فِي يَدِي » .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط مسلم ولم يخرجوه . وفي الصحيحين : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لَتُنْفَقَنَّ كِبُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وفي الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَيِّئًا لِمُلْكِ أُمَّتِي مَا زَوَى لِي مِنْهَا » .

فصل

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحايشهم وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقَمَى ^(١) إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إِلَى سَلْعٍ ^(٢) فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَضْرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ ، وَالْخَنْدُقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ ، وَأَمَرَ بِالذَّرَارِيِّ وَالنِّسَاءِ فَجُعِلُوا فَوْقَ الْأَطَامِ ^(٣) .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى « إِذْ جَاءُوكَ مِنْ قَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا » ^(٤) .

(١) موضع من أعراض المدينة . (٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الأطام : الحصون . (٤) سورة الأحزاب ١٠ .

قال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا عبيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار » . قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم . قال ابن إسحاق : وخرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عَقْدَم وعهدم .

فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حيي ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب افتح لى . قال : ويحك يا حيي ، إنك امرؤ مشثوم ، وإنى قد عاهدتُ محمداً فلستُ بناقِض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصِدْقاً .

قال : ويحك افتح لى أكلك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقتَ دونى إلا خوفاً على جشيتك ^(١) أن آكل معك منها فأحفظ الرجلَ ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتكَ بعز الدهر وبحرٍ طامٍ .

قال : وما ذاك ؟ قال : جئتكَ بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنْب نَقَمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاهدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فقال كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبحبهم ^(٢) قد هراق ماؤه يرعد ويُبْرِق وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي فدعنى وما أنا عليه ، فأبى لم أر من محمد إلا وفاءً وصداً .

(١) ابن هشام : إلا عن جشيتك . والجشيشة : طعام يصنع من البر الذى طحن غليظاً .

(٢) الجهام : السحاب الذى لاماء فيه .

وقد تسلم عمرو بن سعد القرظي ، فأحسنَ فيما ذكره موسى بن عقبة ، ذكرهم
ميثاقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده ومعاهدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم
تنصروه فاتركوه وعدوه .

قال ابن إسحاق : فلم يزل حيي بكعب يقتله في الذروة والغارب حتى سمع له ، يعني
في نقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي محاربه مع الأحزاب ، على أن أعطاه
حيي عهدَ الله وميثاقه لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في
حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فنفق كعب بن أسد العهدَ وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حييَّ بن أخطب أن يأخذهم
من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً ،
قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشrafهم . فنازلهم حيي على ذلك . فعند ذلك
نقضوا العهدَ ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد إلا بني سَعْنَةَ ، أسد وأسيد وعلبة ،
فإنهم خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين
بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عباد وهو يومئذ سيد الخزرج ،
ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير قال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم
فتنظروا أحقَّ ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تنفثوا في أعضاد
المسلمين وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة ، فدخلوا معهم حصنهم فدعواهم إلى المواعدة وتجديد الحلف . فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ، يريدون بني النضير . ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ماجئنا لهذا ، ولما بيننا أ كبر من المشاتمة .

ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه . فقالوا : أكلت أير أريك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق : نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة ، فقال له سعد ابن عبادة : دع عنك مشاتمهم ، لما بيننا وبينهم أرَبَى من المشاتمة .

ثم أقبل السعدان ومن معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا : عُضِل والقارة . أى كغذَرهم بأصحاب الرّجيع خُمِب وأصحابه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أ كبر أبشروا يا معشر المسلمين .

قال موسى بن عقبة : ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلا ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأتهم عن بني قريظة خير . ثم إنه رفع رأسه وقال : أبشروا بفتح الله ونصره .

فلما أن أصبحوا دنا القوم بعضهم من بعض وكان بينهم رمى بالقبيل والحجارة .

قال سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد .

قال ابن إسحاق وعَظُمَ عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأنام عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كلَّ ظن ، ونجم النفاق ، حتى قال معتب بن قُشَيْر أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط !

وحقّ قال أَوْس بن قَيْظَى : يارسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملاء من رجال قومه ، فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة .

قلت : هؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * » وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ، ويستأذن فريقٌ منهم النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا » .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مرابطاً ، وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِيَّ بالنبل .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ومن لا أنهم ، عن الزهري ، إلى عُيَيْنَةَ بن حصن والحارث بن عوف المرِّي ، وهما قائدَا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المروضة .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى السَّعْدِين فذكر لها ذلك ، واستشارهما فيه .

فقالا : يارسول الله أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمَرَكَ الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟

فقال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العربَ رمتكم عن قوسٍ واحدة وكالَبوكم من كلِّ جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما .

فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرةً واحدة إلا قرى أو بيعاً ، أخفين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيِّف ، حتى يَحْكُمَ الله بيننا وبينهم !

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفةَ فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

قال : فأقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال إلا أن فوارس من قریش ، منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وضِرار بن الخطاب ابن مِرْداس أحد بني محارب بن فهر ، تلبَّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهايأوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم .

ثم أقبلوا تُعْنَقُ بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لَمَكيدة ما كانت العرب تسكدها . ثم تيمَّموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضرَبوا خيلهم فانفجرت منه ، فجالت بهم في السَّبْخَةِ بين الخندق وسَلْع ، وخرج علىّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تُعْنَقُ نحوهم .

وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يومَ أحد ،

فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما خرج هو وخيله قال : مَنْ يبارز ؟
فبرز له عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال له : يا عمرو إنك كنت عاهدت الله
لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال : أجل . قال له عليّ :
فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لى بذلك . قال : فإني
أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا بن أخي ، فوالله ما أحبُّ أن أقتلك ! قال له عليّ :
لكنى والله أحبُّ أن أقتلك . فحصى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه فقهره وضرب
وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتنازلا وتجاولا فقتله عليّ رضى الله عنه .

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق وقال علي بن أبي طالب فى ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربَّ محمد بصواب
فصدّرت حين تركته متجدلاً كالجدع بين دكاك^(١) وروابى
وعففت عن أثوابه ولو أنى كنت للقطر بزنى أثوابى
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيّه يا معشر الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلّ .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة ربحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال فى ذلك
حسان بن ثابت :

فرّاً وألقى لنا ربحه لعلّ عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظلي ما إن يحور عن المعدل
ولم تلو ظهرك مستانساً كأن قفاك قفا فرعل
قال ابن هشام : الفراعيل : صفار الصباع .

(١) الدكاك : جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .

وذكر الحافظ البيهقي في دلائل النبوة عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنّع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام على بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : إنه عمرو ، اجلس . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها ؟ أفلا تُبرزون إلى رجلاً ؟ فقام على فقال : أنا يا رسول الله ؟ فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بُحِثت من النداء للجمعهم : هل من مُبارزٍ
ووقفت إذ جَبُنُ المشجعُ مَوْقفَ القرنِ المناجزِ
ولذلك إني لم أزل متسرّعاً قبلَ الهزاهزِ^(١)
إن الشجاعةَ في الفتى والجودَ من خيرِ الفرائزِ

قال : فقام على رضى الله عنه فقال : يا رسول الله أنا . فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان عمراً ! فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى إليه حتى أتى وهو يقول :

لا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَنَا كَ مجيبُ صوتك غير عاجزٍ
في نيةٍ وبصيرةٍ والصدقُ مُنْجى كلِّ فائزٍ
إني لَأَرْجُو أَنْ أَقِيَهُمَ عليك نائحةَ الجنائزِ
من ضربةٍ تجلأ يَبْقَى ذِكْرُهَا عندَ الهزاهزِ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على ، قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا على بن أبي طالب . فقال : يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنُّ منك فإني أكره أن أهريق دمك ؟ فقال له على : لكنى والله لا أكره أن أهريق دمك ! فغضب فنزل وسلّ سيفه كأنه

شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مفضباً واستقبله عليٌ بدركته ، فضربه عمرو في درقته ففقدوها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه ، وضربه عليٌ على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرّفنا أن علياً قد قتل . فتمّ يقول علي :

أَعْلَى تَفْتَحُمُ الْفَوَارِسَ هَكَذَا عَنِّي وَغَنَمُ أُخْرُوا أَصْحَابِي
الْيَوْمَ يَمْنَعُنِي الْفِرَارَ حَفِيفَتِي وَمَصْمَمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي
إِلَى أَنْ قَالَ :

عَبَدَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةٍ رَأَيْهِ وَعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابٍ
إِلَى آخِرِهَا .

قال : ثم أقبل عليٌ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هَلَّا اسْتَلْبِثْتَهُ دَرْعَهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ دَرْعٌ خَيْرُ مِنْهَا ؟ فقال : ضَرْبَتُهُ فَاتَّقَانِي بَسْوَائِهِ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ابْنَ عَمِي أَنْ أَسْلِبَهُ . قال : وَخَرَجْتَ خِيُولَهُ مِنْهُزِمَةً حَتَّى اقْتَحَمْتَ مِنَ الْخَنْدَقِ .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عن البيهقي ، أن علياً طعمه في ترّقوته حتى أخرجها من مَرَاقِهِ ، فمات في الخندق ؛ وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترّون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : هُوَ لَكُمْ لَا نَأْكُلُ ثَمَنَ الْمَوْتِ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا نصر بن باب ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابن عباس ، أنه قال : قَتَلَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَعْطَوْا بِجِيفَتِهِ مَالًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادْفَعُوا إِلَيْهِمْ جِيفَتَهُ ، فَإِنَّ خَبِيثَ الْجِيفَةِ خَبِيثُ الدِّيَةِ » فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا .

وقد رواه البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن حجاج ، وهو ابن أَرْطَاة ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس : أن رجلا من المشركين قُتِلَ يوم الأحزاب فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا بجسده ونعطيهم اثني عشر ألفا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » .

وقد رواه الترمذى من حديث سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب .

وقد ذكر موسى بن عقبة أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسدَ نوفل بن عبد الله الخزومي حين قُتِلَ وعرضوا عليه الدية فقال : « إنه خبيثٌ خبيثُ الدية ، فلعن الله وامن ديته . فلا أَرَبَ لنا في ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » .

وذكر يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة الخزومي فسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام فضربه فشقَّه باثنتين ، حتى فلَّ في سيفه فلا وانصرف وهو يقول :

إني امرؤٌ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأُمِّي

وقد ذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجل يقول : قَتَلَهُ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ يَامَعْشَرَ الْعَرَبِ . فنزل إليه على فقتله ، وطلب المشركون رِمَّتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَنْ قَاتَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ شَيْئًا وَمَكَّنَّهُمْ مِنْ أَخْذِهِ إِلَيْهِمْ .

وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقي من طريق حماد بن يزيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جُعِلَتْ يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأُطْمَ ومعى عمر بن أبي سلمة ، فجعل يطأطأ لي فأصعد على ظهره فأنظر قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل

مرّة هاهنا ومرة هاهنا ، فما يرتفع له شيء إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الأظم ، قلت : يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : فدّى لك أبي وأمي !

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى ، عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري أخو بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت عائشة . وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فرّ سعد وعليه درع مُقلّصة قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرّفل بها ويقول :

لَبَّثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ ^(١) لا بأس بالموت إذا حان الأجل !

فقال له أمه : الحقّ بنيّ فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مامهى . قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه . فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : رماه حَبَّان بن قيس بن العَرِقة أحد بني عامر بن لؤى ، فلما أصابه قال : خذها منى وأنا ابن العَرِقة . فقال له سعد : عرّق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قریش شيئاً فأبقي لها ، فإنه لا قوم أحبُّ إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تُقرّ عيني من بني قريظة .

(١) الأصل : جمل وهو تحريف . وقد مر هذا الشطر في صفحة ٨٢ من هذا الجزء . وانظر فيها تخريجها . قال في تاج العروس ٢٩٠/٧ : وقد تمثّل به سعد بن معاذ يوم الخندق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم ، وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أَعِزَّكُمْ هَلَّا لُمْتُني إِذْ تقول لي فداك بآطام المدينة خالد
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مَرِيضَةً لها بين أنشاء المرافق عانِدُ^(١)
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عليه مع الشُّمَطِ العذارى النواهدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدَدَعَا عبيدُهُ جمعاً منهم إِذْ يكابدُ
على حين ما هم جائرٌ عن طريقه وآخرُ مرعوبٌ عن القصدِ قاصدُ

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقرَّ الله عينه فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك . كما سيأتي بيانه . فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله فوق سبع أرقعة^(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع ، حصن حسان بن ثابت . قالت : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فمرَّ بنا رجل من يهود فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا

(١) عند العرق : سال فلم يرقأ . (٢) الأرقعة : السماوات ، جمع رقيق . ورواية الصحيح :

وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا ، إذ أتانا آتٍ فقلت : يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا .

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجرتُ ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربت به بالعمود حتى قتلتها فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان انزل فاستلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : مالي بسلبه حابة يابنة عبد المطلب (١) !

قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يُدري أتم (٢) أم لا .

قال : ووجهوا نحو منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فقاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم ، وفي رواية : وقبورهم ، ناراً » .

(١) ذكر السهيلي أن بعض العلماء دفع هذا وأنكره وذلك أنه حديث منقطع الإسناد . وقال : لو صح هذا لجهن به حسان ، فإنه كان يهاجن الشعراء وكانوا يناضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجهن ولا اسمه به . فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق . الروض ١٩٤/٢ .
(٢) كذا بالأصل .

فلما اشتد البلاء ناقق ناسٌ كثيرٌ وتكلموا بكلامٍ قبيح .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالناس من البلاء والكرب جعل يبشِّرهم ويقول : « والذي نفسى بيده كَيْفُرجنَّ عنكم ماترون من الشدة ، وإنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً ، وأن يدفع الله إلى مفاتيح الكعبة ، وليهلكن الله كسرى وقيصروا لتنفقن كنوزها في سبيل الله ! » .

وقد قال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا رَوْح ، حدثنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة ^(١) ، عن على ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً ، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » . وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن على به . ورواه مسلم والترمذى من طريق سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أبى حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن على به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

ثم قال البخارى : حدثنا المكى بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن أبى سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كُفَّارَ قريش وقال : يا رسول الله ما كِدْتُ أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « والله ما صلَّيتها » فنزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بَطْحَانَ ^(٢) فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلَّى العصرَ بعد ما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والترمذى والنسائى من طرق ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة به .

(١) عبيدة بفتح العين وكسر الواو - ابن سمرو السهمانى الكوفى ، كما ضبطه القسطلانى . لإرشاد السارى ٣٢٦/٦

(٢) بطحان : واد بالمدينة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبي صلى الله عليه وسلم عدوًّا فلم يفرغ منهم حتى أخرج العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك قال : « اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً ، واملاً قبورهم ناراً » .

ونحو ذلك تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي ، وهو ثقة يصحح له الترمذي وغيره .

وقد استدلل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث ، وأنزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث .

وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ^(١) » .

وقد استدلل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما هو مذهب مكحول والأوزاعي .

وقد بَوَّب البخاري ذلك واستدل بهذا الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة - كما سيأتي - : « لا يصلُّنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة » وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يعنَّف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقترب فتح الحصن .

(١) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

وقال آخرون من العلماء وهم الجمهور ، منهم الشافعى : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك فلهذا أخروها يومئذ . وهو مشكل .

قال ابن إسحاق : وجماعة ذهبوا إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعُسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق وهو إمام فى المغازى قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق . فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً ، كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مُشْكَل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير مع شدة حرصهم على محافظة الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع فى وقت العشاء ، من رواية أبى هريرة وأبى سعيد .

قال الإمام [أحمد] : حدثنا يزيد وحجاج ، قالا : حدثنا ابن أبى ذئب ، عن المقبرى ، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه . قال : حُبَسْنَا يوم الخندق حتى ذهب هَوًى من الليل حتى كُفِينَا . وذلك قوله : « وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً » قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام فصلى الظهر كما كان يصلها فى وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك وذلك قبل أن ينزل . قال حجاج : فى صلاة الخوف « فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا » .

وقد رواه النسائى عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبى ذئب به . قال : شَفَلْنَا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد : حدثنا هُشَيْم ، حدثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه أن المشركين شَفَلُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

الخنديق عن أربع صلوات حتى ذهب من الليل ما شاء الله . قال : فأمر بلالا فأذن ثم أقام
فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا مُؤَمِّل يعني ابن إسماعيل ،
حدثنا حماد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي الحَارِق ، عن مجاهد ، عن
جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم شُغِلَ يوم الخندق عن صلاة الظهر والعصر
والمغرب والعشاء ، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العصر ،
ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء . ثم قال : « ما على
وجه الأرض قومٌ يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » .

تفرد به البزار ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد رواه بعضهم عن عبد
الكريم عن مجاهد عن أبي عبيدة عن عبد الله .

فصل

في دعائه عليه السلام على الأحزاب

وكيف صرّفهم الله بحوله وقوته ، استجابا لرسوله صلى الله عليه وسلم وصيانةً لحوزته
الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الريح الشديدة فزلزل أبدانهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - حدثنا ربيع
بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول الله هل من شيء نقوله ؟
فقد بلغت القلوب الحناجر ! قال : « نعم : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاننا » . قال :
فضرب الله وجوه أعدائه بالريح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن أبي عامر - وهو العقدي^(١) - عن

(١) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو العقدي . يروى عن شعبة . الباب ١٤٤/٢ .

الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفان ، عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، فذكره وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، عن ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلى .

وثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » وفي رواية : اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم .

وروى البخارى عن قتيبة ، عن الليث ، عن سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعزّ جُنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وقال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدّة ليطّاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة ابن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرّني بما شئت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة » .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت لست عفدنا بمتهم .

فقال لهم : إن قريشاً و غطفان ليسوا كأنتم ، البلدُ بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم لاتقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم ونسأؤهم وأموالهم بغيره ، فليسوا كأنتم فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لـكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لـكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنأجزوهُ . قالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودّى لـكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت علىّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لـكم فاكتموا عني . قالوا : نفعل .

قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش و غطفان رجالاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم . فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجالاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلى وعشيرتى وأحبُّ الناس إلىّ ولا أراكم تتهمونى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنيع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب وروسُ غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش و غطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدارم مقام ، هلك الخلفُ والخافر ،

فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى إن صرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشَمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحقّ . فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحقّ ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشَمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً .

فأبوا عليهم وخذّل الله بينهم وبعث الله الريح في ليلة^(١) شاتية شديدة البرد ، فجعلت تسكفأ قدورهم وتطرح آيتهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة .

وقد أوردته عنه البيهقي في الدلائل ، فإنه ذكر ما حاصله : أن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

(١) ابن هشام : ليال .

عشاء ، فأشار إليه أن تعال . فجاء فقال : ما وراءك ؟ فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بنى قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيفاجزوك ، فقالت قريظة : نعم فأرسلوا إلينا بالرهن . وقد ذكر فيما تقدم : أنهم إيماناً بقضوا العهد على يدى حَيِّ بن أخطب بشرط أن يأتهم برهائن تكون عندهم تَوْثِيقَةً .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني مُسرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره . قال : إنهم قد أرسلوا إليّ يدعونني إلى الصلح وأرد بنى النضير إلى دورهم وأموالهم . فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحربُ خُذعةٌ وعسى أن يصنع الله لنا » .

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القومُ وأرسلوا إلى بنى قريظة عكرمة وجعاعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهنَ توثيقاً فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن تكون قريظة لما ينسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون منه الصلح على أن يردَّ بنى النضير إلى المدينة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جمعهم ، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله أرايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه مموه ؟ قال : نعم يا بن أخي . قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد . قال : والله لو أدر كنا ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا !

قال : فقال حذيفة : يا بن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القومُ ثم يرجع ؟ فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجْعَةَ ، أسأل الله أن يكون رفيقاً في الجنة . فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يَقم أحدٌ دعانى ، فلم يكن لى بدٌّ من القيام حين دعانى ، فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تتحدثن شيئاً حتى تأتينا .

قال : فذهبت فدخلت في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تُقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه . قال حذيفة : فأخذتُ بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت : من أنت ؟ قال فلان بن فلان ؛ ثم قال : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُراع والخُف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قِدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل . ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم . ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ : لا تتحدث شيئاً حتى تأتيني . لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مِرْطَ لبعض نسائه مُرْجَل ، فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه وطرح على طرف المِرْط ، ثم ركب وسجد وإني لَفِيهِ ؛ فلما سلم أخبرته الخبر . وسمعتُ غطفانُ بما فعلت قريش فأنشَمروا راجعين إلى بلادهم .

وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في صحيحه ، من حديث الأعمش عن إبراهيم

ابن يزيد التيمي عن أبيه ، قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت . فقال له حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب في ليلة ذات ریح شديدة وقرّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله . ثم قال : يا حذيفة قم فأتنا بخبر القوم ، فلم أجِدْ بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : اتبني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ . قال : فضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يُصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبِد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدعهم عليّ . ولو رميته لأصعبته ، فرجعت كأنما أمشي في حمام ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابني البرد حين رجعت وقررت ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أبرح نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا نومان !

وقد روى الحاكم والحافظ البيهقي في الدلائل هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلي ، عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنّوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافئون قعود ، وأبو سفيان ومن معه فوقنا ، وقرينة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه .

فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هي

بعورة . فما يستأذنا أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك ، إذ استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً حتى أتى علىّ وما علىّ جنة من العدو ولا من البرد إلا مرطاً لمرأتى ما يتجاوز ركبتي ، قال : فأتانى وأنا جاثٍ على ركبتي فقال : من هذا ؟ فقلت : حذيفة . فقال : حذيفة ! فتعاصرت للأرض فقات : بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . فقامت فقال : إنه كائن في القوم خبرٌ فأتنى بخبر القوم . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدّهم قرأً .

قال : فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » قال : فوالله ما خلق الله فرعاً ولا قرأً في جوفٍ إلا خرج من جوفٍ فما أجد فيه شيئاً ! قال : فلما وليت قال : يا حذيفة لا تتحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني .

قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أذم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أباسفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كمانتي أبيض الريش فأضعه في كبدي قوسى لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني . فأمسكتُ ورددت سهمي إلى كفانتي ، ثم إنى شجعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس منى بنو عامر يقولون : يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تتجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إنى لَأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضرب بها ، ثم إنى خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت بنى الطريق أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارساً ونحو ذلك معتمين فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه .

قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شملة يصلى ، فوالله

ماعدًا أن رجعت راجعني القرئ وجعلت أقرقف ، فأومأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل على شملته ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمرٌ صلى . فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أني تركتهم يرّحلون . قال : وأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم ترّوها وكان الله بما تعملون بصيرا » يعنى الآيات كلها إلى قوله : « وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً » أى صرف الله عنهم عدوهم بالريح التى أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التى بعثها الله إليهم « وكفى الله المؤمنين القتال » أى لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم بل صرفهم القوى العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شىء بعده » .

وفى قوله : « وكفى الله المؤمنين القتال » إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق رحمه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا : « لن تغزوك قريش بعد عامكم ولكنكم تغزونهم » . قال : فلم تغز قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله عليه مكة . وهذا بلاغ من ابن إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان ابن صرد رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن تغزونهم ولا يغزوننا .

وهكذا رواه البخارى من حديث إسرائيل وسفيان الثورى كلاهما عن أبى إسحاق السَّبَّيْعِ ، عن سليمان بن صرد به .

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثة من بنى عبد الأشهل ، وهم سعد بن معاذ - وستأنى وفاته مبسوطة - وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطُّفَيْل بن النعمان ، وثلعبة بن غنمة الجُذَيمَان السَّلَمِيَان ، وكعب بن زيد النجارى ، أصابه سهمٌ غَرَبَ فقتله .

قال : وقُتِل من المشركين ثلاثة وهم : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك وطلبوا جسده بثمان كبير . كما تقدم . وعمرو بن عبد ود العامرى ، قتله على بن أبى طالب .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال : قتل على يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود . ويقال عمرو بن عبد .

فصل

في غزوة بني قريظة

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد مع ما أعدَّ الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم .

وذلك لسكفرهم ونقضهم العهد التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُآلاتهم الأحزاب عليه ، فما أجْدَى ذلك عنهم شيئاً ، وباهوا بغضب من الله ورسوله والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة .

وقد قال الله تعالى : « وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً * وأنزلَ الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيبهم وقذف في قلوبهم الرعبَ فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها ، وكان الله على كل شيء قديراً (١) » .

قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا عبد الله ، حدثنا موسى بن عُبَبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة يبدأ فيسكبّر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزهري ،
مُعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ مِنْ اسْتَبْرَقٍ عَلَى بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رَحَالَةٌ عَلَيْهَا قَبْلِيْفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ ، فَقَالَ : أَوْقَدْ
وَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ جَبْرِيلُ : مَا وَضَعْتَ الْمَلَأُكَ السِّلَاحَ
بَعْدُ وَمَا رَجَعْتَ الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ ، إِنْ اللَّهُ بِأَمْرِكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ،
فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَرُلْزِلَ بِهِمْ .

فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنًا فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ : مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا
فَلَا يَصْلِيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ
ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي نُمَيْرٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ
وَاجْتَسَلَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ ! وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ ! فَاخْرَجَ إِلَيْهِمْ ،
قَالَ : فَإِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : هَاهُنَا . وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَقَالَ أَحْمَدُ : وَحَدَّثَنَا حَسَنٌ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ،

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْأَحْزَابِ دَخَلَ الْمَغْسَلَ لِيُغْتَسَلَ ،
وَجَاءَ جَبْرِيلُ فَرَأَيْتُهُ مِنْ خَلَلِ الْبَيْتِ قَدْ عَصَّبَ رَأْسَهُ الْغَبَارُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَوْضَعْتُمْ
أَسْلِحَتَكُمْ ؟ فَقَالَ : وَضَعْنَاهُ أَسْلِحَتُنَا ، فَقَالَ : إِنَّا لَمْ نَضَعْ أَسْلِحَتُنَا بَعْدُ ، انْهَدِ إِلَى
بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُوسَى ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ، عَنْ حَمِيدِ بْنِ هَلَالٍ ، عَنْ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْغَبَارِ سَاطِعًا فِي زَفَاقِ بَنِي غَنَمٍ مَوْكَبِ جَبْرِيلَ ، حِينَ
سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْمَاءَ ، حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ ، عَنْ

نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : « لا يصليَنَّ أحدُ العصر إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يُرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم عن عبد الله بن محمد بن أسماء به .

وقال الحافظ البيهقي : حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن خالد بن علي ، حدثنا بشر بن حرب ، عن أبيه ، حدثنا الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستحجم ، فتبدى له جبريل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب ! ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد !

قال : فوثب النبي صلى الله عليه وسلم فزعاً فعزم على الناس ألا يصلوا صلاة العصر إلا في بني قريظة .

قال : فابس الناس السلاح فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم علينا ألا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فابس علينا ثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وترك طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصاها حين جاءوا بني قريظة احتساباً . فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقي من طريق عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها فسلم علينا رجل ونحن في

لبيت ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقت في أثره فإذا بدحية الكلبي ، قال : هذا جبريل أمرني أن أذهب إلى بني قريظة وقال : قد وضعت السلاح لكننا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حراء الأسد . وذلك حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً وقال لأصحابه : عزمت عليكم ألا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة ، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، قالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد أن تدعوا الصلاة تصلوا . وقالت طائفة : والله إنا لنرى عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علينا من إثم . حلت طائفة إيماناً واحتساباً وترك طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً من الفريقين . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة فقال : هل مر بكم أحد ؟ فقالوا : مر علينا دحية الكلبي على بغلة نهباء تحته قطيفة ديباج . فقال : ذلك جبريل أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في أوبهم الرعب .

فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف^(١) حتى يسمع كلامهم ، فنأداهم : يا إخوة القردة والخنازير . فقالوا : يا أبا القاسم لم تكن فخاشاً . فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلاتهم ونسبي دراريهم ونساؤهم .

ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ من هو ؟ بل الإجماع على أن كلاً من الفريقين مأجور ومعذور غير معنف .

(١) الحجف : جمع حجفة . وهي الثرس من جلد بلا خشب ولا عصب .

فقلت طائفة من العلماء : الذين أخرّوا الصلاة يومئذ عن وقتها المقدّر لها حتى صلّوها في بني قريظة هم المصيبون ، لأنّ أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصّ ، فيقدّم على عموم الأمر بها في وقتها المقدّر لها شرعاً .

قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب السيرة : وعلم الله أنّا لو كنا هناك لم نصلّ العصر إلّا في بني قريظة ولو بعد أيام !

وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية في الأخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم هم المصيبون ، لأنهم فهموا أنّ المراد إنّما هو تعجيل السير إلى بني قريظة لتأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها التي حوّلت إليه يومئذ كما يدعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخرّوا فعُدّوا بحسب ما فهموا ، وأكثّر ما كانوا يؤمرون بالقضاء وقد فعلوه .

وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري حيث احتج على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخرّ ولا على من قدّم أيضاً . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ومعه رايته وابتدورها الناس .

وقال موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُغْتَسَلِهِ كما يزعمون قد رجّل أحدَ شِقِيّهِ أتاه جبريل على فرس عليه لَأَمْتُهُ حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل :

غفر الله لك أو قد وضعت السلاح ؟ ! قال : نعم فقال جبريل : لسكننا لم نضعه منذ نزل بك العدو وما زلت في طلبهم حتى هزمهم الله - ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار - فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بنى قريظة فأنا عامدٌ إليهم بمن معي من الملائكة نزلزل بهم الحصون ، فاخرج بالناس .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر جبريل فر على مجلس بنى غنم وهم ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم فقال : مرّ عليكم فارسٌ آفأ ؟ قالوا : مرّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض تحته نمط أو قطيفة ديباج عليه الألامة . فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ذاك جبريل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه دحية الكلبي بجبريل ، فقال : الحقوني ببني قريظة فصلوا فيهم العصر .

فقاموا وما شاء الله من المسامحة فانطلقوا إلى بنى قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ، فذكروا الصلاة فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمركم أن تصلوا العصر في بنى قريظة . وقال آخرون : هي الصلاة . فصلى منهم قوم وأخرت طائفة الصلاة حتى صلوا في بنى قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا الرسول الله صلى الله عليه وسلم من عجل منهم الصلاة ومن أخرها ، فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعنف واحداً من الفريقين .

قال : فلما رأى عليُّ بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله فإن الله كافيك اليهود . وكان عليٌّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه رضى الله عنهن ، فذكره أن يسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم تأمرني بالجوع ؟ فكتمه . فسمع منهم فقال : أظنك سمعت فيّ منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو رأوني لم يقولوا شيئاً مما سمعت . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضنهم ، وكانوا في أعلاه ، نادى بأعلى

صوته نقرأ من أشرافهم حتى أسمعهم فقال : أجيئوا يامعشر يهود يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزي الله عز وجل .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، ورد الله حُيَّ بن أخطب حتى دخل حصنَ بنى قريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبى لبابة بن عبد المنذر - وكانوا حلفاء الأنصار - فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أذنت لك .

فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال .

فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بهم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سَقَطَ في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنةٌ عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُحْدِثَ لله توبةً نصوحاً يعلمها الله من نفسى .

فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غاب عليه أبو لبابة : أما قرع أبو لبابة من حلفائه ؟ فذكر له ما فعل ، فقال : لقد أصابته بعدى فتنةٌ ولو جاءنى لاستغفرت له ، وإذا قد فعل هذا فإن أحرَّكه من مكانه حتى يقضى الله فيه ما يشاء .

وهكذا رواه ابن لهيعة ، عن أبى الأسود ، عن عروة . وكذا ذكره محمد بن إسحاق في مغازيه في مثل سياق موسى بن عقبة عن الزهرى ، ومثل رواية أبى الأسود عن عروة .

قال ابن إسحاق : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها بئر أنى ، فحاصروهم خمسا وعشرين ليلة حتى جاهدوهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب .

وقد كان حي بن أخطاب دخل معهم حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يفتأجزهم قال كعب بن أسد : يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإني عارضٌ عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقّه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره .

قال : فإذا أيتّم على هذه فمهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلّتين بالسيوف ^(١) ، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن تظهر فلمعمرى لنجدن النساء والأبناء .

قالوا : أقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أيتّم على هذه ، فالليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنونا فيها ، فانزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه غيرة . قالوا : أنفسد سببتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عنك من المسخ .

يقال : ما بات رجلٌ منك منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازماً .

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، نستشيرهم في أمرنا .

فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه ، فرق لهم وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح .

قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدمي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت . وأعاهد الله ألا أطأ بنى قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ^(١) » .

قال ابن هشام : أقام مرتبطاً ست ليال ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتجعله حتى يتوضأ ويصلي ، ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ^(١) » .

وقول موسى بن عتبة أنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به . والله أعلم .
وذكر ابن إسحاق أن الله أنزل توبته على رسوله من آخر الليل وهو في بيت أم

سلمة ، فجعل يبتسم فسألته أم سلمة فأخبرها بتوبة الله على أبي لُبابة ، فاستأذنته أن تبشّره فأذن لها ، فخرجت فبشّرته ، فنار الناس إليه يبشرونه ، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه فقال : والله لا يحلّني منه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفجر حلّه من رباطه رضى الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ وأُسَيد بن سَعْيَةَ وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بني هَـذِل ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم ، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سَعْدَى القرظي فرّ بجرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسَلَمَة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سَعْدَى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن مسَلَمَة حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام . ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب لم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا فذكر شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوفائه .

قال : وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمّة فيمن أوثق من بني قريظة ، فأصبحت رُمّته ملقاةً ولم يُدر أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة . والله أعلم أيّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتواثبت الأوسُ فقالوا : يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت ، يعنون عَفْوَهُ عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله ابن أبي . كما تقدم .

قال ابن إسحاق : فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى . قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده وكانت تداوى الجرحى ، فلما حكمه في بني قريظة أتاه قومه فحمله على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولأك ذلك لئتحسن فيهم . فلما أكتروا عليه قال : قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم !

فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد عن كلمته التي سمع منه .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار ، وأما الأنصار فيقولون : قد عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين . فقاموا إليه . فقالوا : يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولأك أمر مواليك لئتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا . في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسّم الأموال وتسبى الذراري والنساء . قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمر بن سعد ابن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

وقال ابن هشام : حدثني من أثنى به من أهل العلم أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزيير بن العوام وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة أو أفتحن حصنهم . فقالوا : يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت أبا أمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتاه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا لسيدكم أو خيركم . ثم قال : إن هؤلاء نزلوا على حكمك . قال : تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قضيت بحكم الله . وربما قال : قضيت بحكم الملك . وفي رواية الملك .

أخرجاه في الصحيحين من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حُجَين ويونس ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : رُمِيَ يومَ الأحزاب سعدُ بن معاذ فقطعوا أكَحْلَه ، فحسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار فانتفخت يده فزفه ، فلما رأى ذلك قال : اللهم لا تُخرج نفسي حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة . فاستمسك عرقه فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه فحكم أن تقتل رجالهم وتسبي نساؤهم وذرايعهم يستعين بهم المسلمون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصبت حكم الله فيهم . وكانوا أربعمائة . فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وقال الترمذي :

حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن مُعَير ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة قالت : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها اخرج إليهم . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فردَّ الحكمَ فيهم إلى سعد . قال : فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وتُسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم .

قال هشام : قال أبي : فأخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد حكمت فيهم بحكم الله

وقال البخاري : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا عبد الله بن مُعَير ، حدثنا هشام عن أبيه ، عن عائشة قالت : أصيب سعدٌ يومَ الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له حِبان ابن العريقة ، رماه في الأكل ، ففُضِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم خيمةً في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وهو يفيض رأسه من الغبار فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعتُهُ اخرج إليهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين ؟ فأشار إلى بني قريظة . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فَنَزَلُوا على حكمه ، فردَّ الحكمَ إلى سعد . قال : فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال : اللهم إني أعلم أنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبَّ إليَّ أن أجاهدكم فيك من قومٍ كذبوا رسولَكَ وأخرجوه ، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأتبقني له حتى أجاهدكم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها واجعل موتى فيها . فانفجرت من لُبَّتِهِ فلم يرُعْهم وفي

المسجد خيمة من بني غِفَار إلا الدُّمُ يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دمًا فمات منها .

وهذا رواه مسلم من حديث عبد الله بن مُبَرِّك به .

قلت : كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تُمتني حتى تُقرَّ عيني من بني قريظة . فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم وأقر الله عينه أي قرار دعا ثانياً بهذا الدعاء فجعل الله له شهادة رضى الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر عن عائشة مطولاً سبطاً وفيه فوائد فقال : حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جده علقمة بن وقاص ، قال : أخبرني عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت وثيداً الأرض ورأى ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجننه قالت : فجلستُ إلى الأرض فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فأناتخوف على أطراف سعد ، قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرَّ وهو يرتجز ويقول :

لَبَّثَ قَلِيلاً يُدْرِكُ الْهَيَجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت : فقامت فافتحمت حديقةً فإذا نفر من المسلمين ، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبعة له ، تعني المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك والله إنك لجرئة وما يؤمنك أن يكون بلائاً أو يكون تحوُّز . فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض فتحت ساعتئذ فدخلتُ فيها فرفع الرجل السبعة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله فقال : يا عمر ويحك إنك قد أكرت منذ اليوم وأين التحوُّز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل .

قالت : ويرحمي سعداً رجلاً من قريش يقال له ابن العرقة وقال : خذها وأنا ابن العرقة .

فأصاب أكله فقطعه ، فدعا الله سعد فقال : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بنى قريظة . قالت : وكانوا حلفاء ومواليه في الجاهلية . قالت فرقاً بكلمته وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . فالحق أبو سفيان ومن معه بهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد .

ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بقبة من آدم ، فضربت على سعد في المسجد . قالت : فجاء جبريل وإن على ثيابه لَنَمَقَ الغبار فقال : أقد وضعت السلاح ! لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم .

قالت : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا ، فر على بنى نعيم ، وهم جيران المسجد حوله فقال : من مرّ بكم ؟ قالوا : مرّ بنا دحية السكابي ، وكان دحية السكابي تشبهه لحيته وسنّه ووجهه جبريل عليه السلام .

فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء قيل لهم : أنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشاروا أبا لبابة ابن عبد المنذر فاشتأ إليهم أنه الذبح قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزلوا على حكم سعد بن معاذ . فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حُمل عليه وحفّ باقومه ، فقالوا : يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكابة ، ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقتل : قد آن لي ألا أبالي في الله لومة لائم !

قالت : قال أبو سعيد : فلما طلّع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم فأنزلوه . قال عمر : سيدنا الله . قال : أنزلوه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احكم فيهم فقال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلاتهم وتُسبي ذراريهم وتقسم

أموالهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله وحكم رسوله .
ثم دعا سعداً فقال : اللهم إن كنتَ أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني
لها ، وإن كنتَ قطعتَ الحربَ بينه وبينهم فأقبضني إليك . قالت : فأنفجرَ كَلِمَةً وكان
قد برئَ حتى لا يرى منه إلا مثل الخُرْصِ ^(١) ، ورجع إلى قبته التي ضربَ عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

قالت عائشة : فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، قالت : فوالذي
نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاءَ عمر من بكاءِ أبي بكر وأنا في حجرني ، وكانوا كما قال
الله : « رَحَاءَ بَيْنِهِمْ » ^(٢) .

قال علقمة : فقلت : يا أمه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ؟ قالت :
كانت عينه لا تدمع على أحد . ولكنه كان إذا وجدَ فإنما هو آخذٌ بلحيته .
وهذا الحديثُ إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة ، وفيه التصريحُ بدعاء سعد
مرتين ، مرة قبلَ حكمه في بنى قريظة ومرة بعد ذلك ، كما قلناه أولاً والله الحمد والمنة .
وسندُ كَرِيفِيَّة وفاته ودفنه وفضله في ذلك رضى الله عنه وأرضاه بمدِّ فراغنا
من القصة .

قال ابن إسحاق : ثم استنزَلُوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار
بنت الحارث امرأة من بنى النجار . قلت : هي نسيبة ابنة الحارث بن كرز بن حبيب
بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر
ابن كرز .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فحَنَدَقَ بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حَيَّ بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة . والمكثِر لهم يقول : كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة .

قلت : وقد تقدم فيما رواه الليث عن أبي الزبير عن جابر أنهم كانوا أربعمائة فالله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ما تراه يَصْنَعُ بنا ؟ قال : أفي كل مَوْطَنٍ لا تَعْقِلُونَ ! ألا ترون الداعى لا يَنْزِعُ ومن ذهب به منكم لا يَرْجِعُ ، هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم ، وأتى بجي بن أخطب وعائيه حُلَّة له فُقَّاحِيَّةٌ ^(١) قد شقها عليه من كل ناحية قدرَ أنملة لثلاث يُسَلِّبُها ، مجموعةٌ يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ، ولكنه من يَحْذِلُ الله يَحْذِلُ !

ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كِتَابٌ وَقَدَرٌ وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ! ثم جالس فضربت عنقه . فقال جَبَل بن جَوَّال التَّعَلْبِي :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ولكنه من يَحْذِلُ الله يَحْذِلُ
لجَاهِدَ حَتَّى أَبْلُغَ النَفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلْ بِيغْيِ الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقِلٍ ^(٢)

(١) الفقاح : الزهر إذا انشقت أكنه . والمراد أنها كانت تضرب إلى الحرة . قال ابن هشام : فقاحية : ضرب من الوشى .
(٢) قلقل : سعى وتحرك .

وذكر ابن إسحاق قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، وكان قد من يوم بعث على ثابت بن قيس بن شماس وجز ناصيته ، فلما كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفنى يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك . فقال له ثابت : أريد أن أكاثك . فقال : إن الكريم يحزى الكريم .

فذهب ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلقه فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره فقال : شيخ كبير لا أهل [له ^(١)] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ! فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له . ثم جاءه فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستطلق مال الزبير بن باطا ، فأطلقه له .

ثم جاءه فأخبره فقال له : يا ثابت ما فعل الذى كان وجهه امرأة صينية تتراءى فيها عذارى حتى ^(٢) ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حبي بن أخطب ؟ قال : قُتل .

قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا : عزال بن شموال ^(٣) ؟ قال :

قتل .

قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة . قال :

ذهبوا قتلوا .

قال : فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقمتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد

هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة ^(٤) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة .

(٢) ابن هشام : عذارى الحمى .

(١) من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : سموال بالسين .

(٤) المذكور فى ابن هشام والروض الأنف للسهرلى : فتلة بالطاء . ولعله تحريف فيهما ، ما دام ابن كثير

قد ضبطه بالحروف .

فقدّمه ثابت فُضِرَت عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : « أَلْقِ الْأَحْبَةَ » قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً !

قال ابن إسحاق : « قُتِلَ » بالغاء والياء المثناة من أسفل . وقال ابن هشام ، بالقاف والباء الموحدة . وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء لسقى النخل . وقال أبو عبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أُنْبِتَ منهم . فحدثني شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أُنْبِتَ منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدوني لم أُنْبِتْ فخلّوا سبيلي .
ورواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي نحوه .

وقد استدل به من ذهب من العلماء إلى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ ، بل هو بلوغ في أصح قول الشافعي .

ومن العلماء من يفرق بين صبيان أهل الزمة ، فيكون بلوغاً في حقهم دون غيرهم ، لأن المسلم قد يتأذى بذلك لمقصد .

وقد روى إسحاق عن أيوب بن عبد الرحمن ، أن سلمى بنت قيس أم المنذر استطلقت من رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن شموال ، وكان قد بلغ فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبيل ذلك فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله إن رفاعة يزعم أنه سيُصَلَّى وبأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تحدثت معي تضحك ظهراً وبطناً ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها .

وكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها طيبُ نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تُقتل !

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به . قال ابن إسحاق : هي التي طرحت الرّاحا على خلاد بن سويد فقتلته . يعني فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم به .

قال ابن إسحاق في موضع آخر : وسماها نبانة امرأة الحكم القرظي .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد ما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ، سهمين للفارس وسهماً لراكبه ، وسهماً للمراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين . قال : وكان أول فيء وقعت فيه السهمان وخمسون .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع بها خيلاً وسلاحاً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى من نسائهم ريمانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، وكان عليها حتى توفي عنهما وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها الإسلام فامتنعت ثم أسلمت بعد ذلك فسُر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامها

وقد عرض عليها أن يمتقها ويتزوجها فاخترت أن تستمر على الرق ليكون أسهل عليها فلم تزل عنده حتى توفي عليه الصلاة والسلام .

ثم تسكلم ابن إسحاق على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب ، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها والله الحمد والمنة .

وقد قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خَلَاد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي طُرحت عليه رحاً فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرحى تلك المرأة التي لم يقتل من بني قريظة امرأة غيرها كما تقدم . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ومات أبو سنان بن محصن بن حُرْثان من بني أسد بن خزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة فدفن في مقبرتهم اليوم .

وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه

قد تقدم أن حِبَّان بن العَرَقَة لعنه الله رماه بسهم فأصاب أكله ، فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيئاً بالنار فاستمسك الجرحُ ، وكان سعد قد دعا الله ألا يميته حتى يُقر عينه من بني قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والمواثيق والذمام ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلما ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة وباءت بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاصرهم كما تقدم ، فلما ضيق عليهم وأخذهم من كل جانب أنابوا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكم فيهم بما أَرَادَهُ اللهُ ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس وكانوا حلفاءهم في الجاهلية ،

وهو سعد بن معاذ، فرضوا بذلك. ويقال : بل نزلوا ابتداءً على حكم سعد لما يرجون من حُنوّه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير لشدة إيمانه وصديقيته رضى الله عنه وأرضاه .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في خيمة في المسجد النبوى ، فجىء به على حمار تحته إكاف قد وطئ تحته لمرضه ، ولما قارب خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عليه السلام من هناك بالقيام له . قيل : لئِنزل من شدة مرضه ، وقيل توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ليكون أبلغ في نفوذ حكمه . والله أعلم .

فلما حكم فيهم بالقتل والسبى وأقرّ الله عينه وشفى صدره منهم وعاد إلى خيمته من المسجد النبوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله عز وجل أن تكون له شهادة ، واختار الله له ما عنده فأنفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأنُ بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه فمات منه شهيداً .

حدثنى معاذ بن رفاعة الزُرقي قال : حدثنى من شئت من رجال قومي : أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فُتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سرباً يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات رضى الله عنه .

هكذا ذكره ابن إسحاق رحمه الله .

وقد قال الحافظ البيهقي في الدلائل : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا أبي وشعيب بن الليث ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رفاعه ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش ؟

قال : نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سعد بن معاذ ، قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرتين ، فسبح القوم ، ثم قال : « الله أكبر الله أكبر » فكبر القوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبْتُ لهذا العبد الصالح شُدِّد عليه في قبره حتى كان هذا حين فُرِّج له » .

وروى الإمام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، ويحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعه عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا الصالح الذي تحرك له عرشُ الرحمن وفتحت له أبواب السماء ، شُدِّد عليه ثم فَرِّج الله عنه » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعه ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو ابن الجوح ، عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبَّح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا : يا رسول الله مم سبَّحت ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق به .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للقبر ضمةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن للقبر ضفطةً ، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ » .

وهذا الحديث سنده على شرط الصحيحين ، إلا أن الإمام أحمد رواه عن غُذَر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة به .

ورواه الحافظ البزار عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا داود ، عن عبد الرحمن ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمةً القبر ضمة . ثم بكى نافع !

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزار : رواه غيره عن عبيد الله عن نافع مرسلًا .

ثم رواه البزار ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتاب ، عن سُكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرضَ قبلها » وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحدٌ من ضفطة القبر لا نقلت منها سعد » .

وقال البزار : حدثنا إسماعيل بن حفص ، عن محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتز العرش لحب لقاء الله سعد بن معاذ . فقيل : إنما يعني السرير « ورفع أبويه على العرش » قال : تفتحت أعواده . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبره فاحتبس فلما خرج قيل له : يا رسول الله ما حبسك ؟ قال : ضُمَّ سعد في القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه .

قال البزار : تفرد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه .

وقد ذكر البيهقي رحمه الله بعد روايته ضمة سعد رضى الله عنه في القبر أثراً غريباً فقال : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدثني أمية بن عبد الله ، أنه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال : كان يقصّر في بعض الطهور من البول .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا الفضل بن مساور ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ .

وعن الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . فقال رجل لجابر ؟ فإن البراء بن عازب يقول : اهتز السرير ؟ [فقال] إنه كان بين هذين الحيين ضفائناً سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ .

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس وابن ماجه ، عن علي بن محمد ، عن أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش عن أبي صالح عن جابر .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : اهتز لها عرش الرحمن .

ورواه مسلم عن عبد بن حميد ، والترمذى عن محمود بن غسيلان كلاهما عن عبد الرزاق به .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا أبو نضرة ، سمعت

أبا سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم : اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن معاذ .

ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى به .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، قال قتادة : حدثنا أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وجنازته موضوعة : اهتز لها عرش الرحمن . ورواه مسلم عن محمد بن عبد الله الأزدي ، عن عبد الوهاب به .

وقد روى البيهقي من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصري ، قال : اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البراء : حدثنا زهير بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : لما أُحلت جنازةُ سعد قال المنافقون : ما أخفَّ جنازته ! وذلك لحكمه في بني قريظة . فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ولكن الملائكة تحمّله .

إسناد جيد .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حُلّة حرير ، فجعل أصحابه يمسّونها ويمسّونها من لينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديلُ سعد بن معاذ خيرُها أو ألين » .

ثم قال : رواه قتادة والزُّهري ، سمعنا أنسا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد : حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن أكيذر دومة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبةً وذلك قبل أن يُنهي عن الحرير ، فلبسها فعجب الناس منها فقال : « والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسنُ من هذه » .

وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه ، وإنما ذكره البخارى تعليقا .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن عمرو ، حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ، قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ، قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لى : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنك بسعدٍ لشببيه . ثم بكى وأكثر البكاء وقال : رحمةُ الله على سعد ! كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى أكيذر دومة ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة من ديباج منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وجلس فلم يتكلم ثم نزل ، فجعل الناس يامسون الجبة وينظرون إليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد ابن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون » .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عمرو به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

قال ابن إسحاق بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد ابن معاذ : وفى ذلك يقول رجل من الأنصار :

وما اهتزَّ عرشُ الله من موتِ هالك سمعنا به إلا لسعدٍ أبى عمرو

قال : وقالت أمه ، يعنى كميشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية حين احتمل سعد على نعشه تندبه :

ويلَ أم سعدٍ سعداً صرامةً وحداً

وسودداً ومجداً وفارساً مُعداً

سداً به مَسداً يقدّها ماقدّا

قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ ! »

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، إذ كان قدوم الأحزاب في شوال سنة خمس كما تقدم فأقاموا قريباً من شهر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحصار بني قريظة ، فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة من سنة خمس والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق : إن فتح بني قريظة كان في ذى القعدة وصدر ذى الحجة . قال : وولى تلك الحجة المشركون .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يرثي سعد بن معاذ رضى الله عنه :

لقد سَجَمَتْ من دمع عينيَّ عَبرةٌ	وَحَقٌّ لِعيني أن تفيض على سعدٍ ^(١)
قتيلٌ ثوى في مَعْرَكٍ فُجِعَتْ به	عيونٌ ذَواري الدمع دأمة الوَجْدِ ^(٢)
على مِلَّةِ الرحمن وارثُ جنَّةٍ	مع الشهداء وفَذاها أكرمُ الوفْدِ
فإن تكُ قد وعدتنا وتركتنا	وأَمْسَيْتَ في غَبراءٍ مُظلمةٍ اللحدِ
فأنت الذى يأسعدُ أبْتَ بِمَشهدٍ	كريمٍ وأثوابِ المسكارمِ والمجدِ
بحكمك في حَيٍّ قَريظةً بالذى	قضى الله فيهم ما قضيت على عَمْدِ
فوافق حكمُ الله حكمك فيهمُ	ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْتَ ما كان من عَهْدِ
فإن كان ريبُ الدهرِ أمْضاك في الألى	شَرَوْا هذه الدنيا بِجَناتها الخلدِ
فنعم مصيرُ الصادقين إذا دُعوا	إلى الله يوماً للوجاهة والقصدِ

فصل

فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخارى : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا شعبة ، حدثنا عدى بن ثابت ، أنه سمع البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان : اجهم أو هاجهم وجبريل معك . قال البخارى : وزاد إبراهيم بن طهمان ، عن الشيباني ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت : اجهج المشركين فإن جبريل معك .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم والنسائي من طرق عن شعبة بدون الزيادة التي ذكرها البخارى يوم بني قريظة .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب ابن فهر في يوم الخندق . قلت : وذلك قبل إسلامه :

ومُشفقةً تظنُّ بنا الظنوناً	وقد قدنا عرندسةً طحوناً ^(١)
كأن زهاءها أحدٌ إذا ما	بدت أركانه للناظريناً
ترى الأبدان فيها مُسبغاتٍ	على الأبطال واليَبَ الحصيناً ^(٢)
وجُرداً كالقِداحِ مسوَّماتٍ	نؤمُّ بها الغواة الخاطئيناً ^(٣)
كأنهم إذا صالوا وصُلنا	يباب الخندقين مُصاخوناً
أناس لا نرى فيهم رشيداً	وقد قالوا ألسنا راشديناً
فأحجرتناهم شهراً كريئاً	وكننا فوقهم كالقاهريناً ^(٤)

(١) المرندس : القوى . والطحون : المهلكة . يريد الكتيبة .

(٢) الأبدان : جمع بدن وهي الدرع القصيرة . واليَب : محرقة : الترسة أو الدروع من الجلد .

(٣) الجرد : جمع أجرد وهو من الخيل : السباق . والمسومات : المعلمات أو المرسلات .

(٤) أحجرتناهم : حصرناهم . والكريت : التام .

نُراوهم ونغدو كلَّ يوم
بأيدينا صوارمُ مرهقات
كأنَّ وميضهنَّ مُعريَّاتٍ
وميضُ عَقِيقَةٍ لَمَعَتْ بَلِيلٍ
فلولا خَنْدَقٌ كانوا لديه
ولكنَّ حالَ دونهم وكانوا
فإن نرحل فإننا قد تركنا
إذا جنَّ الظلامُ سمعتَ نوحاً
وسوف نزورك عَمَّا قَرِيبٍ
بجمعٍ من كِنَانَةٍ غَيْرِ عُزْلِ
عليهم في السلاح مُدَجِّجِينَا
نَقْدُهَا الْمَفَارِقَ وَالشُّنُونَا^(١)
إذا لاحت بأيدي مُصَلِّتِينَا
تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا^(٢)
لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَا
بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَتَعَوِّذِينَا
لَدَى أَيْيَاتِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
عَلَى سَعْدٍ يَرْجِعُنَ الْحَنِينَا
كَمَا زَرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَا
كَأَسَدِ الْغَابِ إِذْ حَمَتِ الْعَرِينَا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة رضى الله عنه فقال :

وسائلةٍ تُسألُ ما لَقِينَا
صَبْرُنَا لَا نَرَى اللَّهَ عَدْلًا
وكان لنا النبيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ
نَقَاتِلُ مَعَشَرًا ظَلَمُوا وَعَقَوْا
نَعَالِجَهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا
تَرَانَا فِي فَضْافِضٍ سَابِغَاتٍ
وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ خِفَافٍ
بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا
وَكُنَّا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا
بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا
كَغُدْرَانِ الْمَلَأِ مُتَسَرِّبِلِينَا^(٣)
بِهَا نَشْفِي مَرَاخَ الشَّاغِبِينَا

(١) الشُّنُون : جمع شَأْن : يجمع العظام في الرأس .

(٢) العَقِيقَةُ : من البرق ما يبق في السحاب من شعاعه .

(٣) الفَضَافِض : جمع فَضَافُضَة وهي الدرع الواسعة . والغُدْرَان : جمع غُدَيْر . والمَلَأ : الصَّحْرَاء .

بِيَابِ الْخُنْدَقِينَ كَأَنَّ أُسْدًا شَوَابِكُهُمْ يَحْمِيهِمُ الْعَرِينَا
 فَوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شَوْسًا مُعْلِينَا ^(١)
 لِنَنْصُرَ أَحَدًا وَاللَّهُ حَتَّى نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا
 وَيَسْلُمُ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّينَا
 بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ
 فَإِذَا تَقَاتَلُوا سَعْدًا سَفَاهَا فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَ
 سَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ طَيِّبَاتٍ تَكُونُ مَقَامَةً لِلصَّالِحِينَ
 كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلَا شَرِيدًا بَغِيظَكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَ
 خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا نَيْمًا خَيْرًا وَكَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَ
 بَرِيحٌ عَاصِفٌ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّينَا ^(٢)

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ فِي يَوْمِ الْخُنْدَقِ . قُلْتُ : وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ :

حَتَّى الدِّيَارِ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولُ الْبَلَى وَتَرَاوُحُ الْأَحْقَابِ
 فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رِسُومَهَا إِلَّا الْكَتِيفَ وَمَقْعَدَ الْأَطْنَابِ ^(٣)
 فَقَرَأَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا فِي نَعْمَةٍ بِأَوَانِسِ أَتْرَابِ
 فَاتْرَكَ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عَيْشَةٍ وَنَحْوِ خَلْقِ الْمَقَامِ بِيَابِ
 وَإِذَا كَرَّ بِلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرَهُمْ سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ ^(٤)

(١) متكمميننا : عينا لا تبصرون .

(٢) الشوس : جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه كبيرا . والعلم : الذى جعل لنفسه علامة فى الحرب يعرف بها .

(٣) الكنيف : المظيرة . والأطناب : جمع طناب وهو الجبل الذى تشد به الخيمة ونحوها .

(٤) الأنصاب هنا : الحجارة التى يعلم بها الحرم .

أنصاب مكة عامدين ليثرب
يدعُ الحزونَ منهاجاً معلومةً
فيها الجياد شواذبٌ مجنوبةٌ
من كل سلهيةٍ وأجرَدَ سلهٍ
جيشٌ عيينة قاصدٌ بلوائه
قرمان كالبدرين أصبحَ فيهما
حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا
شهرًا وعشرًا قاهرين محمداً
نادوا برحاتهم صبيحةَ قلمٍ
نولا الخنادقُ غادروا من جمعهم
في ذى غياطلَ جحفلَ جبجاب^(١)
في كل نشزٍ ظاهرٍ وشعاب^(٢)
قُبُ البطون لواحقُ الأقرب^(٣)
كالسيد بادر غفلة الرئقاب^(٤)
فيه وصخرٌ قائدُ الأحزاب
غيثُ الفقير ومَعْقِلُ الهُرابِ
للموت كلَّ مُجربٍ قَضابِ
وصحابه في الحرب خيرُ صحابِ
كِدْنَا نكون بها مع الخِيَابِ
قتلى لطيرٍ سغبٍ وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال :

هل رسمُ دارسةِ المقامِ يَبَابِ
ققرُ عفارِهمُ السحابِ رسومَه
ولقد رأيتُ بها الحلولَ يزِينهم
فدعِ الديارَ وذكُرْ كلَّ خريدةٍ
واشكُ الهمومَ إلى الإلهِ وما تَرى
ساروا بأجمعهم إلىه والَبوا
متكلمٌ لمُحاورٍ بجوابِ
وهبوبٌ كلُّ مُطلةٍ مِرَبَابِ^(٥)
بيضُ الوجوه ثواقبُ الأحسابِ
بيضاء أنسةُ الحديثِ كعابِ
من معشر ظلموا الرسولَ غضابِ
أهلُ القرى وبوادي الأعرابِ

(١) الفياطل: الأصوات المختلطة . يريد كثرة الجيش والجحفل : الجيش الكثير . والجبجاب : الكثير .

(٢) الحزون : جمع حزن وهو ما ارتفع من الأرض . والنشز كذلك . والمنساج : جمع منهج وهو الطريق الواضح .

(٣) الشواذب : الضواصر . والمجنوبة : التي تقاد . والقب : جمع أقب وهو الضامر من الخيل . واللواحق : الضامرة . والأقرباب : جمع قرب ، وهو الحاصرة .

(٤) السلهية : الطويلة . (٥) الرهم : جمع رهمة ، وهو الطر الضعيف الدائم . والمرباب : الدائمة .

جيشٌ عُنَيْنَةٌ وابنُ حربٍ فيهمُ
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
وغدّوا علينا قادرين بأيّدهم
بهبوب مُعَصِفَةٍ تَفَرِّقُ جمعهم
فكفَى الإلهُ المؤمنين قتالهم
من بعد ما قنطوا ففرّق جمعهم
وأقرَّ عينَ مُحَمَّدٍ وصحابه
على القوادِ موقعَ ذى رِيَّةِ
عَلِقَ الشقاءَ بقلبه ففَوَّاده
متخمطون بحلّةِ الأحزابِ (١)
قتلَ الرسولَ ومَغَمَّ الأسلابِ
رُدُّوا بفيظهمُ على الأعقابِ (٢)
وجنودِ ربك سيدِ الأربابِ
وأناهمُ فى الأجرِ خيرَ ثوابِ
تنزيلُ نصرٍ مليكنا الوهابِ
وأذلَّ كلَّ مكذِبٍ مرتابِ
فى الكفرِ ليس بظاهرِ الأثوابِ
فى الكفرِ آخرَ هذه الأحقابِ

قال : وأجابه كعب بن مالك رضى الله عنه أيضاً فقال :

أَبَقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً
بيضاءُ مُشْرِقةِ الدُّرَى وَمَعَاظِنَا
كَاللُّوبِ يُبْذَلُ جَهْمًا وَحَفِيلُهَا
ونزائماً مثل السراج نَمَى بها
عَرَى الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَفَ نَحْصَهَا
من خَيْرِ نَحْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَابِ
حُمُّ الْجَذُوعِ غَزِيرَةِ الْأَحْلَابِ (٣)
للجَارِ وابنِ العَمِّ وَالْمُنْتَابِ (٤)
عَلَفُ الشَّعِيرِ وَجَزَّةُ الْمُقْضَابِ (٥)
جُرْدُ الْمُتُونِ وَسَائِرُ الْآرَابِ (٦)

(١) متخمطون : مختلطون .

(٢) الأيد : القوة .

(٣) المعائن : قال السهيلي : يعنى منابت النخل عند الماء شبهها بمعائن الإبل وهى مباركها عند الماء .
وقوله : حمّ الجذوع : وصفها بالحمّة وهى السواد لأنها تضرب إلى السواد من الخضرة والنعمة ، وشبه
ما يجتنى منها بالحلب فقال : غزيرة الأحلاب . الرّوض ٢٠٤/٢ .

(٤) اللوب : جمع لوبة وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجازة سود . واللّوب أيضاً : النحل ،
ويجوز أن يكون شبهها بالنحل فى كثرتها . وجهها وحفيلها : أراد الكثير منها . وللمنتاب : الزائر الملم .
(٥) النزائم : النحل التى تجلب إلى غير بلادها ، يريد أنهم استلبوها من الأعداء . والمقضاب : مزرعة
كما قال السهيلي ، وجزتها : ما يجز منها للنحل .

(٦) الشوى : القوائم . والنحض : اللحم . والآراب : الفاصل واحداً لرب .

قُوداً تُرَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ إِذَا غَدَتْ فَعَلَ الضَّرَاءُ تُرَاحَ لِلْكَلَابِ ^(١)
وَتَحُوطُ سَائِمَةَ الدِّيارِ وَتَارَةً تُرْدِي الْعِدَى وَتُؤَوِّبُ بِالْأَسْلَابِ
حُوشِ الْوَحُوشِ مُطَارَةً عِنْدَ الْوُغَى عُبَسَ الْلِقَاءِ مُبِينَةَ الْإِنْجَابِ ^(٢)
عُلِفَتْ عَلَى دَعَاةٍ فَصَارَتْ بُدْنًا دُخَسَ الْبَضِيعُ خَفِيفَةَ الْأَقْصَابِ ^(٣)
بَقْدُونٍ بِالزَّغَفِ الْمَضَاعِفِ شَكُّهُ وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابِ ^(٤)
وَصَوَارِمٍ نَزَعَ الصِّيَاقِلُ عَلَيْهَا وَبِكُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ ^(٥)
يَصِلُ الْيَمِينَ بَمَارِنٍ مُتْقَارِبِ وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ ^(٦)
وَأَغْرَ أَزْرَقُ فِي التَّنْصَاةِ كَأَنَّهُ فِي طُخْيَةِ الظُّلَمَاءِ ضَوْءُ شَهَابِ ^(٧)
وَكَتِيبَةٍ يَنْفِي الْقِرَافَ قَتِيرُهَا وَتُرْدُّ حَدَّ قَوَاحِزِ النُّشَابِ ^(٨)
جَاوَى مُلْمَلَةً كَأَنَّ رَمَاحَهَا فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ صَرِيمَةٌ غَابِ ^(٩)
تَأَوَّى إِلَى ظِلِّ الْإِوَاءِ كَأَنَّهُ فِي صَمْدَةٍ انْطَلَقَتْ فِيهِ عُقَابِ ^(١٠)
أَعَيْتَ أَبَا كَرْبٍ وَأَعَيْتَ تُبْعًا وَأَبَتْ بِسَالَتِهَا عَلَى الْأَعْرَابِ ^(١١)
وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبَّنَا نُهْدَى بِهَا بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ

- (١) القود : الطوال الأعناق . والضراء : الكلاب الضارية . والسلاب : جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذي يصيد بها .
(٢) الحوش : الوحشية ؛ وأصله من الإبل الحوشية وهي التي يزعمون أن خول نعم الجن قد ضربت فيها ويسمونها الحوش . قال رؤبة : * جرت رحانا من بلاد الحوش *
والمطارة : المستخفة . والعبس : جمع عبوس .
(٣) البضيع : اللحم المستطيل . والدخيس من اللحم : الكثير . والأقصاب : جمع قصب وهو العنق .
(٤) الزغف : الدروع الواسعة . والشك : الخلق والنسج . والمترصات : المحكمة ، يعني الرماح المثقفة .
والصياب : المصيدة . (٥) عليها : خشوتها وتثلها . (٦) المارن : اللين . ووقعته : صقله .
وخباب : اسم صيقل . (٧) أغر أزرقي : يريد الرمح . وطخية الظلماء : شدتها .
(٨) القران : اقتران التبسل واجتماعه . والقنير : رموس مسامير الدرع . القواحز : قنر السهم إذا رماه فوق بين يديه . (٩) الجأوى : التي يخالط غيرها حمرة . والململة : المجتمعة .
(١٠) الصمدة : القناة المستوية . والحطى : الرماح المنسوبة إلى الحط ، موضع كانت تنبع فيه .
والقن : الظل . (١١) أبو كرب وتبع : من ملوك اليمن قبل الإسلام .

عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَبِهْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِرَعْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَيْ تَغْلِبَ رَبِّهَا فَلْيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ ١

قال ابن هشام : حدثني من أثنى به ، حدثني عبد الملك بن يحيى بن عبّاد بن عبد الله ابن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما سمع منه هذا البيت : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

قلت : ومراده بسَخِينَةٍ قريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن الذي لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي . قاله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمْتَنَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَةِ الْأَبَاءِ الْحَرَقِ (١)
فَلِيَّاتٍ مَأْسَدَةً تُسْنُّ سِيوفُهَا بَيْنَ اللَّذَادِ وَبَيْنَ جِذْعِ الْخَنْدَقِ (٢)
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلَمِينَ وَأَسْلَمُوا مُنْجَاتٍ أَنْفُسَهُمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي عَصَبَةٍ نَصَرَ الْإِلَٰهَ نَبِيَّهٖ بِهِمْ وَكَانَ بَعِيدَهُ ذَا مَرْفَقِي
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ لِلتَّرْفِقِ (٣)
بِيضَاءِ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقَ الْجَنَادُ بِذَاتِ شَكِّ مَوْثِقِ (٤)
جَدَلَاءَ يَحْفَظُهَا نِجَادًا مُهَنَّدَ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْنِقِ (٥)

- (١) المعمة : صوت النار فيما عظم وكثف من القصباء . والأباء : القصب وحدثها إباءة . وفي الأصل : الإناء . وما أثبتته عن ابن هشام . (٢) اللزاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق .
(٣) السابغة : الدرع الوافية . وفصولها : أطرافها . والنهي : القدير . والمترق : صفة للنهي .
(٤) القتيير : رهوس مسامير الدرع . والجناد : الجراد . والشاك : المنسج .
(٥) الجدلاء : الدرع القوية القتل . ويحفظها : يرفعها ، وذلك أن الدرع إذا طالت فضولها ربطوها بنجاد سيف . والنجاد : حائل السيف .

تلكم مع التقوى تكون لباسنا
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا
فترى الجاهم ضاحياً هاماتها
نلقى العدو بفخمة مملومة
ونعد للأعداء كل مقلص
تردى بفرسان كأن كمتهم
صدق بماطون الكفاة حتوفهم
أمر الإله بربطها لصدوه
لتكون غيظاً للعدو وحيثاً
ويعيننا الله العزيز بقوة
ونطيع أمر نبيينا ونجيبه
ومتى ينادى للشدائد نأثها
من يتبع قول النبي فإنه
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا
إن الذين يكذبون محمداً

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضاً :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا
أضاميم من قيس بن عيلان أضفقت
علينا وراموا ديننا ما نواعد
وخفد لم يذروا بما هو واقع^(١)

(١) المعلن : الفرس الخفيف .

(٢) تردي : تسرع . والظل : المطر الضعيف . والاثق : ما يكون عن الظل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجراً في ذلك الحين .

(٣) العاية : ظلمة الغبار . والوشيج : الرماح . والزرق : القاتل .

(٤) الأضاميم : واحدها أضامة ، وهو كل شيء مجتمع . وأصفت : اجتمعت .

يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ عَنْ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَأْيٍ وَسَامِعُ
 إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غِيظِهِمْ نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَاسِعُ
 وَذَلِكَ حَفِظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ
 هَذَا لِلدِّينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ^(١)
 قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له - يعني طويلة -

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في مقتل بني قريظة :

أَقْدَ لَقَيْتُ قُرَيْظَةً مَا سَاءَها وَمَا وَجَدْتُ لَذْلًا مِنْ نَصِيرِ
 أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
 غَدَاةُ أَنَاثِهِمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
 لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى بِفَرَسَانِ عَلَيْهَا كَالصَّقُورِ
 تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيْءٍ دَمَاؤُهُمْ عَلَيْهَا كَالْعَبِيرِ
 فَهَمُّ صَرَخَى تَحْوُمُ الطَّيْرِ فِيهِمْ كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ
 فَأَنْزَرُ مِثْلَهَا نُصَجًا قَرِيشًا مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ نَذِيرِي

قال : وقال حسان بن ثابت أيضاً في بني قريظة :

تَعَاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قَرِيشًا وَلَيْسَ لَهُمْ بِيَلَدَتِهِمْ نَصِيرُ
 هُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وَهُمْ عُغْيٌ مِنَ التَّوْرَةِ بُورُ
 كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أُتِيتُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ النَّذِيرُ
 فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُؤْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِ وَحَرَّقَ فِي طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ

(١) الأصل : صانع . وما أثبتته عن ابن هشام .

سَتَعْلَمُ أَبْنَانَا مِنْهَا بِنُزْمٍ وَتَعْلَمُ أَيْ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ^(١)

فَلَوْ كَانَ النُّخَيْلُ بِهَارِكَابَا لَقَالُوا لَا مَقَامَ لَكُمْ فَسَيَرُوا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يُسَلِّمَ ، وقد تقدم في صحيح البخاري بعض هذه الآيات .

وذكر ابن إسحاق جواب حسان في ذلك لجليل بن جَوَّال الثعلبي تركناه قصداً .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد

يوم بنى قريظة :

أَلَا يَا قَوْمِي هَلْ لَمَّا حُمَّ دَافِعُ	وهل ماضى من صالح العيش راجعُ
تَذَكَّرْتُ عَصراً قَدْ مَضَى فَتَهَافَنْتُ	بناتُ الحشَا واهلٌ مَنَى اللدَامِعُ
صَبَابَةٌ وَجَدٍ ذَكَّرْتَنِي إِخْوَةً	وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طُفَيْلٌ وَرَافِعُ
وَمَعْدَةٌ فَأَضْحَجُوا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشَتْ	مَنَازِلَهُمْ فَلْأَرْضِ مِنْهُمْ بَلَّاقِعُ ^(٢)
وَقَوْا يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ	ظِلَالُ الْمَنَآيَا وَالسِّبُوفُ الْوَلَامِعُ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّهِ وَكَلَّمَهُمْ	مَطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَالُوا جَمَاعَةً	وَلَا يَقْطَعُ الْآجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ
لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شِفَاعَةً	إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا	إِجَابَتُنَا اللَّهُ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا	لَأَوَّلُنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ	وَأَنْ قَضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ

مقتل أبي رافع سَلَّام بن أبي الحَقِيق اليهودي لعنه الله
في قصر له في أرض خيبر ، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأنُ الخندق وأمر بنى قريظة ، وكان سَلَّام بن أبي الحَقِيق ، وهو أبو رافع ، فيمن حَزَبَ الأحزابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوسُ قبلَ أُحُدٍ قد قتلت كعبَ بن الأشرف فاستأذن الخزرجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قتل سَلَّام بن أبي الحَقِيق وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزُّهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صَنَعَ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحَيَّين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاولَ الفَحْلين ، لا تَصْنَعُ الأوسُ شيئاً فيه غَنَاءٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها . وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثلَ ذلك .

قال : ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً .

قال : فتذاكروا مَن رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابنَ أبي الحَقِيق وهو بخيبر ، فاستأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قتله فأذن لهم .

فخرج من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود بن سِنان ،

وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم ، فخرجوا وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهلها . قال : وكان في عليّة له إليها عَجَلَة ^(١) قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تحوطاً أن يكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته فنوّهت بنا ، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدللنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيّة ^(٢) مُلْفَاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي . أَيْ حَسْبِي حَسْبِي .

قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوثبت يده وثبتاً شديداً ^(٣) ، وحملناه حتى نأثى به منهراً من عيونهم فندخل فيه . فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه وهو يَقْضَى .

قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس قال : فوجدتها - يعني امرأته -

(١) العلية : الغرفة : والعجلة : الدرج من النخل .

(٢) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع بمصر .

(٣) وثبت : فسكت ، أو أصابها وجع بلا كسر . وفي الأصل : وثبت . وما أثبتته عن ابن هشام .

ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : أما والله قد سمعتُ صوت ابن عتيك ثم أكذبتُ نفسي وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت : فاذ (١) . والله يهود . فما سمعتُ كلمة كانت ألدَّ على نفسي منها .

قال : ثم جاءنا فأخبرنا فاحتملنا صاحبنا وقد منّا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلافنا عنده في قتله كلنا يدعيه . قال : فقال : هاتوا أسياكم . فجئنا بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

الله درَّ عصابة لا قيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كأسد في عرين مغرف (٢)
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض دُفِّ
مُستبصرين لنصر دين نبهم مُستصفرين لكل أمرٍ مُجحف
هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله .

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثنا إسحاق بن نصر ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك يده ليلاً وهو نائم فقتله .

قال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن

إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرّحهم قال عبد الله : اجلسوا مكانكم فإني منطلق متلطّف للبواب لعلّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنّع بشوبه كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمّنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علّق الأغاليق على وَدٍّ^(١) قال : قممت إلى الأقاليد وأخذتها وفتحت الباب ، وكان أبو رافع يَسمر عنده وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل ، فقلت : إن القوم نذروا بي^(٢) لم يخلصوا إلىّ حتى أقتله . فانهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ . فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دَهِش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت فأمكنث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأملك الويل إن رجلاً في البيت [ضربني^(٣)] قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أنخنته ولم أقتله ، ثم وضعت صبيب^(٤) السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلتها ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت ، فوقعت في ليلة مقمرة فاندكسرت ساق فصبّتها بعمامة حتى انطلقت حتى جلست على الباب فقات : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع ناصر أهل

(١) الود : الوند ، أدغم التاء بعد قلبها دالا .

(٢) نذروا : علموا . وفي الأصل : سدروا لي . وما أثبتته عن صحيح البخاري ٢١٤/٢ .

(٣) الصبيب : طرف السيف .

(٤) من صحيح البخاري ٢١٥/٢ .

الحِجَارَ . فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَقُلْتُ : النِّجَاءُ فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ . فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَدِثْتُهُ فَقَالَ : ابْسُطْ رِجْلَكَ . فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَسَحَّهَا فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكُمَا قَطْ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمَّانَ بْنُ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ ، حَدَّثَنَا شُرَيْحٌ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَمِعْتَ الْبَرَاءَ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ فِي نَاسٍ مَعَهُمْ ، فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْحَصَنِ ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ : امْكُثُوا أَنْتُمْ حَتَّى أَنْطَلِقَ أَنَا فَأَنْظُرْ . قَالَ : فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى أَدْخَلَ الْحَصْنَ ، فَفَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ . قَالَ : فَخَشِيتُ أَنْ أَعْرِفَ قَالَ : فَفَطَيْتُ رَأْسِي وَجَلَسْتُ كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً فَقَالَ ^(١) : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أَغْلِقَهُ . فَدَخَلْتُ ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبُطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الْحَصَنِ ، فَفَعَشُوا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بِيُوتِهِمْ .

فَلَمَّا هَدَّاتِ الْأَصْوَاتُ وَلَا أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ . قَالَ : وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْبَابِ حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الْحَصَنِ فِي كَوَّةٍ ، فَأَخَذَتْهُ . فَفَتَحَتْ بِهِ بَابَ الْحَصَنِ قَالَ : قُلْتُ : إِنْ نَذَرْتُ الْقَوْمُ أَنْطَلَقْتُ عَلَى مَهْلٍ . ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بِيُوتِهِمْ فَفَلَقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ .

ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سُلَّمٍ فَإِذَا الْبَيْتُ مَظْلَمٌ قَدْ طَفِيَ سِرَاجُهُ ، فَلَمْ أَذَرِ أَيْنَ الرَّجُلُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا رَافِعٍ . قَالَ : مِنْ هَذَا ؟ فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرَبُهُ ، وَصَاحَ فَلَمْ تَنْفَن شَيْئًا . قَالَ : ثُمَّ جِئْتُهُ كَأَنِّي أَغْيَيْتُهُ فَقُلْتُ : مَالِكُ يَا أَبَا رَافِعٍ . وَغَيَّرْتُ صَوْتِي قَالَ : لَا أُعْجِبُكَ ^(٢) لَأَمْكُ الْوَيْلُ ! دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ فَضَرَبَنِي بِالسَّيْفِ . قَالَ : فَعَمَدْتُ إِلَيْهِ

أيضا فأضر به أخرى فلم تفن شيئا ، فصاح وقام أهله . ثم جثت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره فأضع السيف في بطنه ثم أنكفي عليه حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً حتى أتيت السلم أريد أن أنزل فأسقط منه ، فأنحامت رجلي فمصبتها ، ثم أتيت أصحابي أحجل . فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأني لا أبرح حتى أسمع الناعية . فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال : أنمي أبا رافع . قال : فقمتم أمشي ما بي قلبه^(١) فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشروته .

تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة . ثم قال : قال الزهري : قال أبي بن كعب : قد قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : أفلحت الوجوه . قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله . قال : أفتمكتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ناولني السيف . فسله فقال : أجل هذا طعامه في ذباب السيف .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة انفكت قدمه وانكسرت ساقه ووئدت^(٢) رجله ، فلما عصبها استكن ما به لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقرت نفسه ثاوره الوجع في رجله ، فلما بسط رجله ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدمت . والله أعلم .

هذا ، وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق وإبراهيم وأبو عبيد .

(١) القلبية : العلة والداء . (٢) الأصل : وثبت . وهو تحريف .

مقتل خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي

ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلوه مقتل أبي رافع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بشني أن خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلي يجمع لي الناس ليفزوني وهو بعرة ، فأنته فقتله . قال : قلت : يا رسول الله انعمه لي حتى أعرفه . قال : إذا رأيته وجدت له قشعيرة .

قال : فخرجت متوشحاً سبي حتى وقعت عليه وهو بعرة مع طعن يرتاد لمن منزلاً وحين كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعيرة ، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه مجادلة تشغاني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي للركوع والسجود ، فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك . قال : أجل أنا في ذلك . قال : فشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلت ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه .

فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال : أفلح الوجه . قال : قلت : قتلته يا رسول الله . قال : صدقت . قال : ثم قام معي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال : أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله لم أعطيتني

هذه العصا؟ قال : آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة إن أقلّ الناس المتخصّرون^(١) يومئذ .
قال : فقرّنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمت في كفنه
ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن
إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن بعض ولد عبد الله بن أنيس ، أو قال : عن
عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود ، عن أبي مَعمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ،
عن محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكر نحوه . ورواه الحافظ البيهقي
من طريق محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله
ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . فذكره .

وقد ذكر قصته عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما رسالةً . قاله أعلم .
قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان :

تركتُ ابنَ ثورٍ كالحوارِ وحوله	نوائحُ تفرى كلَّ جيبٍ مُقدّرٍ ^(٢)
تناولتهُ والظعنُ خلفه	بأبيض من ماء الحديدِ المهذّرِ
عَجُومٍ لِهَامِ الدارينِ كأنه	شهابٌ غَضِيٌّ من هُلبٍ مُتوقّدٍ ^(٣)
أقول له والسيفُ يعجّمُ رأسه	أنا ابن أنيس فارسٌ غيرُ قعدُدٍ
أنا ابن الذي لم يُنزل الدهرُ قدره	رَحيبٌ فِناء الدار غيرِ مزَنَدٍ ^(٤)
وقلت له خذها بضربةٍ ماجدٍ	خفيفٍ على دين النبي محمدٍ
وكنت إذا همّ النبيُّ بكافرٍ	سبقت إليه باللسان وباليدِ

(١) المتخصرون : المتكثرون على المخاصر ، جمع غصرة ، وهي ما عسك الإنسان بيده من عصا ونحوها .

(٢) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . وتفرى : تقطع .

(٣) عجوم : مختبر . والقعدد : الجبان . (٤) المزند : البخيل الضيق .

قلت : عبد الله بن أنيس بن حرام أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر ، كان فيمن شهد العقبة ، وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور . وقيل توفي سنة أربع وخمسين . والله أعلم .

وقد فرق علي بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاري ، الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء فخلّ فيها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه . ثم قال الترمذي : وليس إسناده يصح ، وعبد الله العمري ^(١) ضعيف من قبل حفظه .

(١) هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمري . وهو ضعيف غلب عليه الصلاح فلم يحفظ وكثر الخطأ في روايته . الباب ١٥٣/٢ .

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي بعد وقعة الخندق

وإسلامه

قال محمد بن إسحاق بعد مقتل أبي رافع .

وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أوس الثقفي ، عن حبيب ابن أوس ، حدثني عمرو بن العاص من فيه قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً فأترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنّا عند النجاشي ، فإننا إن كنّا تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير .

قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهدي له . فكان^(١) أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم^(٢) ، فجمعنا له أدماً كثيراً .

ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه .

قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ،

(٢) الأدم : الجلد أو أحره ، أو المصبوغ منه .

(١) ابن هشام : وكان .

لو قد دخلتُ على النجاشي فسأله إياه فأعطانيه فضربتُ عنقه ، فإذا فعلتُ رأيتُ قريشُ
أنى قد أجزأتُ عنها حين قتلْتُ رسولَ محمد .

قال : فدخلتُ عليه فسجدتُ له كما كنتُ أصنع . فقال : مرحبا بصديقي ، هل
أهديتَ لى من بلادك شيئا ؟ قال : قلتُ : نعم أيها الملك ، قد أهديتُ لك أدما كثيرا .
قال : ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه . ثم قلتُ له : أيها الملك إني قد رأيتُ رجلا خرج من
عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من
أشرافنا وخيارنا .

قال : فغضب ثم مدَّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقت
الأرض لدخلتُ فيها فرقا !

ثم قلتُ : أيها الملك والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتُكه .
قال : أنسألني أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي
موسى فنتقتله ؟

قال : قلتُ : أيها الملك أ كذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أ طعني واتبعه ، فإنه
والله أعلمُ الحق ، وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده .
قال : قلتُ : أفتبأي معنى له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبأي معته
على الإسلام .

ثم خرجتُ على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي إسلامي ،
ثم خرجتُ عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد وذلك
قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة فقلتُ : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسم^(١)

(١) الميسم : المسكوة . وهو أثر الحسن أيضا . ورواية أبي ذر : في شرح السيرة : المنسم بالنون .
قال : « ومعناه : تبين الطريق ووضح » .

وإن الرجل لَنبيٍّ ، أذهبُ واللهُ أُسلمُ فحتى متى ! قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم .

قال : فقد منّا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو بايع فإن الإسلام يحب ما كان قبله ، وإن الهجرة تحب ما كان قبلها .
قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن أبي الزبعرى السهمي :

أنشدُ عثمان بن طلحة خلفنا ومُلقي نعالِ القوم عند المَقْبَلِ (١)
وما عقد الآباء من كل حِلْفَةٍ وما خالدٌ من مثلها بِمَحَلِّ
أُفْتِتاحِ بيتٍ غير بيتك تبتغي وما تبتغي من بيتِ مجدٍ مُؤَثِّلِ (٢)
فلا تأمننَّ خالداً بعد هذه وعثمان جاء بالدهيمِ المعضِّلِ (٣)

قلت : كان إسلامهم بعد الحديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى ، لأن أول ذهاب عمرو ابن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق ، [و] الظاهر أنه ذهب بقية سنة خمس . والله أعلم .

(٢) ابن هشام : من مجد بيت مؤثِّل .

(١) خلفنا : كذا بالأصل ، ولعلها : خلفنا .

(٣) الدهيم : الداهية .

فصل

في تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان

ذكر البيهقي بعد وقعة الخندق من طريق السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة » قال : هو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أم المؤمنين وصار معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أحمد بن نجيدة ، حدثنا يحيى ابن عبد الحميد ، أنبأنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أم حبيبة أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشي فمات ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة وزوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها من عنده وما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء . قال : وكان مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أربعائة .

قلت : والصحيح أن مهور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثلثي عشرة أوقية ونشأ ، والوقية أربعون درهما ، والنش النصف . وذلك يعدل خمسمائة درهم .

ثم روى البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانيا ، فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجها منه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قلت : أما تنصّر عبيد الله بن جحش فقد تقدم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع

المسلمين إلى أرض الحبشة استنزله الشيطان فزين له دين النصراني فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله . وكان يعيّر المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم . وقد تقدم شرح ذلك في هجرة الحبشة ^(١) .

وأما قول عروة : إن عثمان زوّجها منه . فغريب ، لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدم . والله أعلم .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولي نكاحها ابنُ عمها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبول العقد أضحمة النجاشي ملك الحبشة ، كما قال يونس عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمّري إلى النجاشي فزوّجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربع مائة دينار .

وقال الزبير بن بَكَار : حدثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ، جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنه فاستأذنت عليّ فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أزوجك . فقلت : بشرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك : وكلّي من يزوجك .

قالت : فأرسلتُ إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين

من فضة وخذمتين ^(١) من فضة كانتا على وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلى ، سروراً بما بشرتني به .

فلما أن كان من العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشي وقال : الحمد لله الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم . أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها أربعمئة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله أحسنه وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعاماً على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق إنما كان في قضية أم حبيبة . فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقي : ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه عليه السلام بأم حبيبة كان في سنة ست ، وأن تزويجه بأم سلمة كان في سنة أربع .

(١) الخدمة في الأصل : سمة للابل .

قلت : وكذا قال خليفة وأبو عبيد الله معمر بن النخعي وابن البرقي ، وأن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست . وقال بعض الناس : سنة سبع . قال البيهقي : هو أشبه .
 قلت : قد تقدم تزويجه عليه السلام بأم سلمة في أواخر سنة أربع ، وأما أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ، لما تقدم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي ، فهو في قضيتها والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في الغابة عن قتادة ، أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها .
 وحكى عن بعضهم أنه تزوجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتج هذا القائل بما رواه مسلم من طريق عكرمة بن عمار اليماني عن أبي زُمَيْل سَمَّاك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يارسول الله ثلاث أعطين . قال : نعم . قال : تؤمّرنى على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : نعم . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : نعم . قال : وعندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكم . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أنكر على مسلم ، لأن أبا سفيان لما جاء يحدد العقد قبيل الفتح دخل على ابنته أم حبيبة فنذت عنه فراش النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله ما أدري أرغبت بي عنه أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدى يابنية شرٌّ . وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار ، وهذا القول منه لا يتابع عليه .
 وقال آخرون : أراد أن يحدد العقد لما فيه بغير إذنه من الفضاضة عليه . وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه .

وهذه كلها ضعيفة ، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوجه ابنته الأخرى عمرة لما رأى في ذلك من الشرف له واستعان بأختها أم حبيبة كما في الصحيحين . وإنما وهم الراوى في تسميته أم حبيبة وقد أوردنا لذلك خبراً مفرداً .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة . وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

تزوجها عليه السلام بزَيْنَب بنت جحش

ابن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مُرَّة بن كَعب بن غَهم بن دُودان بن أسد بن خزيمَة الأَسَدِيَّة أم المؤمنين . وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه .

قال قتادة والواقديّ وبعض أهل المدينة : تزوجها عايه السلام سنة خمس ، زاد بعضهم في ذى القعدة . قال الحافظ البيهقي : تزوجها بعد بنى قريظة . وقال خليفة بن خياط وأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن منده : تزوجها سنة ثلاث . والأول أشهر وهو الذى سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين والفقهاء وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها عايه السلام حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في مسنده تركنا إيراد قصداً لئلا يضعه من لا يفهم على غير موضعه .

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسِكْ عليك زوجك واتقِ الله وتحفى في نفسك ما الله مبديه وتحشى الناس والله أحق أن تحشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً . ما كان على

النبي من جرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً » (١) .

وقد تسكأنا على ذلك في التفسير بما فيه كفاية .

فالمراد بالذي أنعم الله عليه ها هنا زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعق وزوجه بآبنة عمه زينب بنت جحش .

قال مقاتل بن حبان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخاراً ومِلْحَفَةً ودرعاً وخمسين مُدّاً وعشرة أمداد من تمر ، فكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

قال الله : « وتخفى في نفسك ما الله مبديه » قال علي بن الحسين زين العابدين والسدي : كان [رسول] الله قد علم أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف ها هنا بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر تركناها .

قال الله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » ذلك أن زيدا طلقها ، فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبها إلى نفسها ثم تزوجها ، وكان الذي زوجها منه رب العالمين تبارك وتعالى ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أنس ابن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : زوّجكن أهليـكن وزوجني الله من فوق سبع سموات .

وفي رواية من طريق عيسى بن طهمان عن أنس ، قال : كانت زينب تفخر على

نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول : أنكحني الله من السماء . وفيها أنزلت آية الحجاب « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَازِلِينَ بِهَا » الآية .

وروى البيهقي من حديث حماد، بن زيد عن ثابت، عن أنس، قال : جاء زيد يشكو زينب ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اتق الله وأمسك عليك زوجك . قال أنس : فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئاً لسكرتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : زوّجكن أهليكن وزوّجنى الله من فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدسي ، عن حماد بن زيد .

ثم روى البيهقي من طريق عفان ، عن حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك أهلك . فنزلت : « وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ » .

ثم قال : [رواه] البخاري : عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلى بن منصور ، عن محمد مختصراً . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير عن مغيرة، عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لأدل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تُدُلُّ بهن ، أن جدى وجدك واحد ، تعنى عبد المطلب ، فإنه أبو أبى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو أمها أئمة بنت عبد المطلب ، وأنى أنكحنيك الله عز وجل من السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم - يعنى ابن القاسم - حدثنا النضر ، حدثنا سليمان ابن المنيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد : اذهب فاذكرها على . فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجبها، قال : فلما رأيتهما

عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا اسْتَطِيعَ أَنْ أَنْظَرَ إِلَيْهَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا ، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي . وَقُلْتُ : يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِي ، أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُكَ . قَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانَعَةِ شَيْئَا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ قَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ أَنَسٌ : وَلَقَدْ رَأَيْنَا حِينَ دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَطْعَمَنَا عَلَيْهَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ ، فَفَرَجَ النَّاسَ وَبَقِيَ رَجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ ، فَفَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبَعْتَهُ فَجَعَلَ يَتْبَعُ حُجْرَ نِسَائِهِ يَسْلُمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقْلُنَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتِ أَهْلَكَ ؟ فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتَهُ وَالْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبِرَ . قَالَ : فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبَتْ أَدْخَلَ مَعَهُ ، فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَنَزَلَ الْحِجَابَ وَوَعِظَ الْقَوْمَ بِمَا وَعَظُوا بِهِ : « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ » الْآيَةُ . وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمَغِيرَةِ .

ذِكْرُ نَزُولِ الْحِجَابِ صَبِيحَةَ عَرْسِهَا

الَّذِي وَلَّى اللَّهُ عَقْدَ نِكَاحِهِ

فَنَاسِبُ نَزُولِ الْحِجَابِ فِي هَذَا الْعَرَسِ صَيَانَةً لَهَا وَلِأَخَوَاتِهَا مِنْ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ وَفْقَ الرَّأْيِ الْعَمَرِيِّ .

قَالَ الْبُخَارِيُّ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَّاشُ ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ فَطَعَمُوا وَجَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ ، فَإِذَا هُوَ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُمْ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مِنْ قَامٍ وَقَعْدَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا ، فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ

قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي » الآية .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر ومسلم والنسائى من طرق عن معتمر . ثم رواه البخارى منفردا به من حديث أيوب عن أبى قلابه عن أنس نحوه .

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : بُنى على النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعياً ، فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ماأجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ماأجد أحداً أدعوه . قال : ارفعوا طعامكم ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون فى البيت ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . قالت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف وجدت أهلَكَ باركَ الله لك ! فتمرى حجر نسائه كلهن ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة فى البيت يتحدثون ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا ، فخرج حتى إذا وضع رجله فى أسكفة الباب وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

تفرد به البخارى من هذا الوجه . ثم رواه منفرداً به أيضاً عن إسحاق ، هو ابن نصر ، عن عبد الله بن بكير السهمي ، عن محمد بن أنس بنحو ذلك ، وقال : « رجلان » بدل ثلاثة . فالله أعلم .

قال البخارى : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبى عثمان ، عن أنس فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُظَفَّر ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ،
عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُمَانَ الْيَشْكُرِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : أَعْرَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ نِسَائِهِ ، فَصَنَعَتْ أُمُّ سَلِيمٍ حَيْسًا ثُمَّ حَطَّتْهُ فِي تَوْرٍ فَقَالَتْ : اذْهَبْ إِلَى رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّ هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ . قَالَ أَنَسٌ : وَالنَّاسُ يَوْمئِذٍ فِي جَهْدٍ ،
فَجِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعَثْتَ بِهَذَا أُمَّ سَلِيمٍ إِلَيْكَ وَهِيَ تَقْرُتُكَ السَّلَامُ وَتَقُولُ : إِنْ
هَذَا مِنَّا لَهُ قَلِيلٌ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : ضَعْنِي فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَادْعِ لِي فَلَانًا
وَفَلَانًا . فَسَمِيَ رَجُلَانِ كَثِيرًا قَالَ : وَمَنْ لَقِيتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَدَعَوْتُ مَنْ قَالَ لِي وَمَنْ لَقِيتُ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَجِئْتُ وَالْبَيْتُ وَالصُّفَّةُ وَالْحَجَرَةُ مَلَأَتْ مِنَ النَّاسِ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا عُمَانَ كَمْ كَانُوا ؟
قَالَ : كَانُوا زَهَاءً ثَلَاثُمِائَةٍ .

قَالَ أَنَسٌ : فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جِئِي . فَجِئْتُ بِهِ إِلَيْهِ فَوَضَعَ يَدَهُ
عَلَيْهِ وَدَعَا وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ : لِيَتَحَلَّقَ عَشْرَةُ عَشْرَةٍ وَيُسَمُّوْا ، وَلِيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ
مِمَّا يَكُلِيهِ . فَفَعَلُوا يَسْمُونَ وَيَأْكُلُونَ حَتَّى أَكَلُوا كُلَّهُمْ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : ارْفَعِيهِ . قَالَ : فَجِئْتُ فَأَخَذْتُ التَّوْرَ فَنَظَرْتُ فِيهِ ، فَلَا أَدْرِي أَهْوَ حِينَ وَضَعْتَهُ أَكْثَرَ
أَمْ حِينَ رَفَعْتَهُ !

قَالَ : وَتَخَلَّفَ رَجُلَانِ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَوْجُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مَعَهُمْ مُوَلِّيَةٌ وَجْهًا إِلَى الْحَائِطِ ، فَاطَالُوا الْحَدِيثَ
فَشَقُّوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً ، وَلَوْ عَلِمُوا كَانَ ذَلِكَ
عَلَيْهِمْ عَزِيزًا . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ عَلَى حُجْرَتِهِ وَعَلَى نِسَائِهِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ
قَدْ جَاءَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقَلُوا عَلَيْهِ ابْتَدَرُوا الْبَابَ فَخَرَجُوا ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حَتَّى أَرَخَى السِّتْرَ وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَنَا فِي الْحَجَرَةِ ، فَكَثَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ يَسِيرًا وَأَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ، وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا . إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ^(١) .

قال أنس : فقرأهن على قِبَلِ النَّاسِ وَأَنَا أُحَدِّثُ النَّاسَ بِهِنَ عَهْدًا .

وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبى عثمان به . وقال الترمذى : حسن صحيح . ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن الجعد أبى عثمان به .

وقد روى هذا الحديث البخارى والترمذى والنسائى من طرق ، عن أبى بشر الأحمسى الكوفى ، عن أنس بنحوه . ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى نَضْرَةَ الْعَبْدَى عن أنس بنحوه ، ولم يخرّجوه . ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزُّهْرَى عن أنس نحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش رضى الله عنها من المهاجرات الأول ، وكانت كثيرة الخير والصدقة ، وكان اسمها أولا رَءَةَ فسمّاها النبي صلى الله عليه وسلم زينب ، وكانت تكنى بأُمِ الْحَكَمِ .

قالت عائشة رضى الله عنها : ما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة .

وثبت في الصحيحين كما سيأتى في حديث الإفك عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زينب بنت جحش وهى التى كانت تُسامينى من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع فقالت : يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا محمود بن عيلان ، حدثنا الفضل بن موسى الشيبانى ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسرعكن لحوقاً بى أطولكن يداً . قالت : فكنا نتطاول أينا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ، لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق . انفراد به مسلم .

قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازى والتواريخ : توفيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ودفنت بالبقيع وهى أول امرأة صُنِعَ لها النَشْءُ .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي : كان يقال : في الحرم منها سرية محمد بن مسleme قبل نجد ، وأسروا فيها ثمامة بن أثال اليمامي .

قلت : نكس في سياق ابن إسحاق عن سعيد القبري عن أبي هريرة ، أنه شهد ذلك . وهو إنما هاجر بعد خيبر فيؤخر إلى ما بعدها . والله أعلم .

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني الحنات على الصحيح .

قال ابن إسحاق : وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، يعني في سنة خمس . كما تقدم .

قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهري ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني الحنات يطاب بأصحاب الرجع خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرّة . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

والمقصود أنه عليه السلام لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصنوا في رؤوس الجبال فقال إلى عسفان فلقى بها جمعًا من المشركين وصلى بها صلاة الخوف . وقد تقدم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع وهنالك ذكرها البيهقي .

والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق . وقد ثبت أنه صلى بعسفان يوم بني الحنات ، فلتكتب هاهنا وتحول من هناك ، اتباعًا لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده ، كما قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك في غزوة بني الحنات :

لَوْ أَنَّ بَنِي لَحِيَّانَ كَانُوا تَنَاضَرُوا اقْعُوا عُصَبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقٍ
لَقَعُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طَحُونٍ كَالْجَرَّةِ قَيْلَقٍ ^(١)
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وَبَارَأ تَتَبَعْتُ شِعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَفِقٍ ^(٢)

غزوة ذي قرد

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يُقيم بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على إقحاح النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لاأتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك - كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف في ناحية سَلَمَ ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم فجعل يردُّهم بالنبل ويقول :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قال : فيقول قائلهم : أَوْيَكُنْمَا ^(٣) هو أول النهار .

(١) السرعان : أوائل الخيل . والسرب : القلب . والطحون : الكتبية العظيمة . والحجرة : باب السماء . والقيلق : الكتبية .

(٢) الوبار : جمع وبر وهي دوية كالسنور . والشعاب : جمع شعب . والمتنفق : المخرج .

(٣) يكمن : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأَكوع فصرخ بالمدينة :
 الفرع الفرع . فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أول من
 انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود ، ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد وأسيد بن
 ظهير - يشك فيه - وعُكاشة بن محصن ، ومُحرز بن فضلة أخو بني أسد بن خزيمة وأبو
 قتادة الحارث بن ربیع أخو بني سلمة ، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زريق
 قال : فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد ثم قال :
 اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي
 عياش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو
 أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله أنا أفرسُ الناس . ثم
 ضربت الفرس فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحتني فمضيت من ذلك ، فزعم
 رجال من زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص أو
 عائد بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعدُّ سلمة بن الأكوع
 ثامناً ويطرح أسيد بن ظهير . قاله أعلم أي ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع
 يومئذ فارساً ، قد كان أول من لحق بالقوم على رجليه .

قال : ففرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس
 لحق بالقوم مُحَرز بن فضلة وكان يقال له الأخرم ويقال له قُمير ، وكانت الفرس التي تحته
 لمحمود بن مسلمة ، وكان يقال للفرس ذو اللمة فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قِفُوا معشر
 بني الأسكيفة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال :
 فحمل عليه رجل منهم فقتله وجال الفرس فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه من بني عبد
 الأشهل ، أي رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره . قال ابن هشام :

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قُتل معه أيضا وقاص بن مجرز المدلجي .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محزرا كان على فرس لمُكاشة بن مِحصن يقال لها الجناح ، فقتل محرز واستلب جناح . فإله أعلم .

قال : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عينة وغشاه برده ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . فإذا حبيب مسجى يبرد أبي قتادة فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيْل لأبي قتادة . ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه .

قال : وأدرك عكاشة بن محصن أوبارا وابنه عمرو بن أوبار وهما على بعير واحد فانتظهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذوا بعض اللقاح . قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس فأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : إني إني الآن ليُغَبِقُونَ في غطفان . فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جَزورا وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلا حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بئسما جزيتهما

أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحريها ، إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقةٌ من إبلٍ ، فارجمي إلى أهلِكَ على بركة الله .

قال ابن إسحاق : والحديث في ذلك عن أبي الزبير المكي عن الحسن البصري .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكر من الإسناد والسياق .

وقد قال البخاري رحمه الله بعد قصة الحديبية وقبل خير : غزوة ذي قرد ، وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خير بثلاث .

حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَنَ بالأولى^(١) ، وكانت لقاح النبي صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاحُ النبي صلى الله عليه وسلم . فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرختُ ثلاث صرخات : واصباحاه ! قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة . ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول : أنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع^(٢) . وأرتجز . حتى استنفذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بُردة .

قال : وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فقلت : يا رسول الله قد حميتُ القومَ الماءَ وهم عطاش فابعت إليهم الساعة . فقال : « يا ابن الأكوع ، ملكت فأسجج^(٣) » ثم رجعنا وبردفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم عن قتيبة به ، ورواه البخاري عن أبي عاصم السهلي ، عن يزيد ابن أبي عبيدة ، عن مولاة سلمة بنحوه .

(١) الأولى : صلاة الصبح . (٢) يوم الرضع : يوم هلاك اللثام . (٣) أسجج : اعف (١٩ - السيرة ٣)

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت أنا ورياح غلام النبي صلى الله عليه وسلم بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أُنديه مع الإبل ، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عُبَيْنة على إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يارباح أقعد لي هذا الفرس فألحقه بطلحة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أغير على سَرَحِه .

قال . وقتت على تل فجعلت وجهي من قِبَل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه اقال : ثم اتبعتُ القومَ معي سيفي وَنَبْلِي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يَكْثُرُ الشجر ، فإذا رجع إلى فارسُ جلست له في أصل شجرة ثم رميت ، فلا يُقْبَلُ إلى فارسُ إلا عَقَرْتُ به ، فجعلت أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الأكوع واليومُ يوم الرُّضْع

قال : فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلته فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه فقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليومُ يوم الرُّضْع

، فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل ، فإذا تضايقت الشيايا علوت الجبل فردّيتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رجلاً وأكثر من ثلاثين برودة يستخفون منها ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جمعات عليه حجارة وجمعت على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا امتد الضحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاري مدداً لهم وهم في ثنية ضيقة ، ثم علوت

الجليل فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح ، ما فارقنا
بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة : لولا أن هذا
يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إلى نفر منهم أربعة فصعدوا
فى الجبل ، فلما أسمعتهم الصوت قلت : أنعرفوننى ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن
الأكوع ، والذى كرّم وجه محمد لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى .
فقال رجل منهم : إن أظن . قال : فما برحتُ مقعدى ذلك حتى نظرت إلى فوارس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخللون الشجرَ وإذا أولهم الأخرم الأسدى ، وعلى أثره أبو
قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندى ، فولى
المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أكرم ائذن القوم
- يعنى احذرهم - فإنى لا آمن أن يقطعوك فأتشد حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه . قال : ياسلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أن الجنة حق
والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة !

قال : فخلّيت عنان فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة ويعطف عليه عبد الرحمن ،
فاختلفا طمعتين ، فقمر الأخرم بعبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله . فتحول عبد
الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طمعتين فقمر بأبى قتادة
وقتله أبو قتادة ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم .

ثم إنى خرجت أعدو فى أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبى صلى الله عليه
وسلم شيئاً ، ويمرّ ضون قبل غيبوبة الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ، فأرادوا أن
يشربوا منه فأبصرونى أعدو وراءهم فعطفوا عنه وأسندوا فى الثنية ثنية ذى بئر وغربت
الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه فقلت : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع . قال :
فقال : يائسكل أم أكوع بُكرة . فقلت : نعم أى عدو نفسه . وكان الذى رميته بُكرة^(١) ،

(١) ضحبح مسلم : « قال : يائسكلته أمه أكوعه بكرة . قال . قلت : ياعدو نفسه أكوعك بكرة . »

وأتبعته سهما آخر فعلق به سهما ، ويخلفون فرسين فجثت بهما أسوقها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنى الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفت فهو يشوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها .

فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله خلني فأتخب من أصحابك مائة فأخذها على الكفار بالعشوة فلا يبق منهم نخب إلا قتلته . فقال : أأكنت فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : إنهم يُقرّون الآن بأرض غطفان . فجاء رجل من غطفان فقال : مرؤا على فلان النطفاني فنحر لهم جزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وخرجوا هرباً .

فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيرُ فرساننا أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة . فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة .

فلما كان بيننا وبينها قريب من ضحوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق جعل ينادى : هل من مسابق ، ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم مُردِّفٍ ، فقلت له : أما تُكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي خلني فلاُسبق الرجل . قال : إن شئت . قلت : أذهب إليك . فطفر عن راحلته وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة ، ثم إنى ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسي ، ثم إنى عدوت حتى ألحقته فأصك بين كتفيه بيدي قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظن . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم من طرق عن عكرمة بن عمار بنحوه ، وعنده : فسبقتة إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثا حتى خرجنا إلى خير . ولأحمد هذا السياق .

ذكر البخارى والبيهقى هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خير ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق والله أعلم . فينبغى تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإن خير كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ونذرت نحرها لنجاتها عليها فقد أوردها ابن إسحاق بروايته عن أبي الزبير ، عن الحسن البصرى مرسلا . وقد جاء متصلا من وجوه آخر .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أبو بوب عن أبي قلابة ، عن أبي للملب ، عن عمران بن حصين ، قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل وكانت من سوابق الحاج فأخذت العضباء معه . قال : فرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في وثاق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار عاية قطيفة ، فقال : يا محمد علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وقال فيما قال : [إني] مسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَّاحِ . قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إني جائع فأطعمني وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه حاجتك . ثم فُدى بالرجلين وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لرحله .

قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة فذهبوا به ، وكانت العضباء فيه ، وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبله بأفئيتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نائموا فجمعت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء ، فأنت

على ناقة ذلول مُجَرَّسَةً^(١) فركبتها ثم وجهتها قبل المدينة. قال : ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة عُرِفَت الناقة فقييل : ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنذرها أو أنه فأخبرته ، فقال : بئس ماجزيتها أو بئس ماجزتها إن أنجاها الله عليها لتنحرنها .

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حماد بن زيد .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

لولا الذي لاقت ومسن نسورها	بجنوب ساية أمس في التقواد ^(٢)
للقيينكم يحملن كل مدجج	حامى الحقيقة ماجد الأجداد
ولسر أولاد اللقيطة أننا	سلم غداة فوارس للقداد
كنا ثمانية وكانوا جحفلا	لجبا فشكوا بالرماح بداد ^(٣)
كنا من القوم الذين يلونهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الراقصات إلى متى	يقطعن عرض تخارم الأطواد ^(٤)
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم	وتؤوب بالملكات والأولاد ^(٥)

(١) المجرس : المدربة في الركوب والسير .

(٢) لاقت : يربد الخيل . ونسورها : النسر كالنواة في بطن الحافر ، وفي الفرس عشرون عضوا

كل عضو منها باسم طائر . وساية : موضع .

(٣) الجحفل : الجيش الكثير . والجب : ذو الجلبة والصياح . وبداد : متفرقين .

(٤) المخارم : الطرق . والأطواد : الجبال .

(٥) نبيل : نجعلها تبول . والعرصات : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور . والملكات : النساء .

رَهْوَاً بِكُلِّ مُقْلَصٍ وَطِمْرَةٍ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ عَطْفَنٍ وَوَادٍ ^(١)
 أَفْنَى دَوَابِرْهَا وَلاَحِ مَتُونِهَا يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمٌ طِرَادِ
 فَكَذَلِكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادٍ ^(٢)
 وَسَيُوفُنَا بِيضُ الْخُدَائِدِ تَجْتَلِي جُنْنَ الْحَدِيدِ وَهَامَةُ الْمِرْتَادِ
 أَخَذَ إِلَهِهِمْ لِحْرَامِهِ وَلَمَرَّةَ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ
 كَانُوا بَدَارٍ نَاعِمِينَ فَبَدَّلُوا أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجَوْهَ عَنَادِ

قال ابن إسحاق : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس للمتقدمين أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان وحلف لا يكلمه أبداً ، وقال : انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد . فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الروي اسم المقداد ثم قال أبياتا يمدح بها سعد بن زيد :

إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غَنَاءِ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا
 سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَا يَهْدُ هَدَا

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد :

أَظَنَّ عَيْنِيَّةُ إِذْ زَارَهَا بَأْنَ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورَا
 فَأَكْذَبْتَ مَا كُنْتَ صَدَّقْتَهُ وَقَلْتُمْ سَنَقْنُمُ أَمْرًا كَبِيرَا
 فَعِفَّتِ الْمَدِينَةُ إِذْ زَرْتَهَا وَأَنْتَ لِلْأَسَدِ فِيهَا زُبَيْرَا
 وَوَلَّوْا سَرَاعًا كَشَدَّ النِّعَامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا غِنًى مُلِطٍ حَصِيرَا ^(٣)
 أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرَا

(١) رهوا : سريعا . والمقلس : المشمر . والطمرة : الفرس السريع .

(٢) ملبونة : تسقى الابن .

(٣) اللط : الناقة ، من قولهم : أطلت الناقة بذنبها إذا أدخلته بين رجلها . والحصير ما يكتف به حول الإبل من عيدان الخظيرة .

رسولٌ يصدق ما جاءه . ويتلو كتاباً مضيئاً منيراً .
 وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين :
 أَيْحَسِبُ أَوْلَادُ الْقَيْطَةِ أَنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
 وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْتَنِي عِنْدَ الرَّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ ^(١)
 وَإِنَّا لَنَفَرَى الضَّيْفَ مِنْ قَعِ الدَّرَى وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَجِ الْمُنْشَاوِسِ ^(٢)
 نَزْدُ كَمَاةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا بِضَرْبِ يَسْلَى نَحْوَةَ الْمُتَقَاعِيسِ ^(٣)
 بِكُلِّ فِتْنَى حَامِيَ الْحَقِيقَةِ مَا جَدِ كَرِيمٍ كَسَرَ حَانَ الْعِضَاءِ مُخَالِيسِ ^(٤)
 يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَبِلَادِهِمْ بَيْضِ تَقْدُ الْمَامِ تَحْتَ الْقَوَانِيسِ ^(٥)
 فَسَائِلُ بَنِي بَدْرِ إِذَا مَالَقِيهِمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ ^(٦)
 إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مِنْ لَقِيمِ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَ كَمْ فِي الْمَجَالِسِ
 وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرُّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُمَارَسِ ^(٧)

(١) المداعس : الرماح التي لا تنثنى . (٢) القمع : جمع قمع وهو أعلى سنام البعير . والأبلج : المشرق . والمنشاوس : المتكبر . وفي ابن هشام : الأبلج . (٣) السكامة : الفوارس . والمتقاعس : الذي لا يلين . (٤) السرحان : الذئب . والعشاء : شجر ضخم . (٥) القوانس : أعلى بيض الحديد (٦) التمارس : المجادلة في الحرب . (٧) الحادر : الأسد الذي يلزم أخته . والوحر : الحقد

غزوة بنى المصطلق من خزاعة

قال البخارى : وهى غزوة المريسيع . قال محمد بن إسحاق : وذلك فى سنة ست . وقال موسى بن عقبة سنة أربع . وقال النعمان بن راشد عن الزهرى : كان حديث الإفك فى غزوة المريسيع . هكذا رواه البخارى عن مغازى موسى بن عقبة أنها كانت فى سنة أربع . والذى حكاه عنه وعن عروة أنها كانت فى شعبان سنة خمس . وقال الواقدى : كانت لليلتين من شعبان سنة خمس فى سبعمائة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، بعد ما أورد قصة ذى قرد : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجب ، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ويقال نميلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ومحمد بن يحيى ابن حبان ، كلٌ قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له وفائدهم الحارث بن أبى ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث التى تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا ، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتراحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه . وقال الواقدى : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة فى سبعمائة من أصحابه إلى بنى المصطلق ، وكانوا حلفاء بنى مُذَلْج ، فلما انتهى إليهم دفع راية المهاجرين إلى أبى بكر الصديق ، ويقال إلى عمار بن ياسر ، وراية الأنصار إلى سعد بن عباد ، ثم أمر عمر بن

الخطاب فنَادَى فِي النَّاسِ أَنْ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . تَمَنَعُوا بِهَا أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ . فَأَبَوْا
فَقَتَرَامُوا بِالنَّبْلِ ، ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ فَحَمَلُوا حِمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ،
فَمَا أَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ وَأَسْرَ سَائِرَهُمْ وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ
إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا .

وَبُثِّتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ أَسْأَلُهُ عَنْ
الدَّعَاءِ قَبْلَ الْقِتَالِ فَقَالَ : قَدْ أَغَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَمِ
فَارَزُونَ فِي أَنْعَامِهِمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ ، فَقَتَلَ مَقَاتِلَهُمْ وَسَبَى سَبْيَهُمْ فَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ - أَحْسَبُهُ
لَحَالٍ - جُوزِيَّةَ بِنْتِ الْحَارِثِ . وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ بِذَلِكَ الْجَيْشِ .
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ أَصِيبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ هِشَامُ بْنُ صُبَابَةَ ، أَصَابَهُ
رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ فَقَتَلَهُ خَطَأً .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَخَاهُ مِقْيَسَ بْنَ صُبَابَةَ قَدِمَ مِنْ مَكَّةَ مَظْهَرًا لِلْإِسْلَامِ فَطَلَبَ
إِدِيَةَ أَخِيهِ هِشَامَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ قَتَلَ خَطَأً ، فَأَعْطَاهُ دِيَّتَهُ ، ثُمَّ مَكَثَ
بَسِيرًا ثُمَّ عَدَا عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، وَرَجَعَ مُرْتَدًّا إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدَّ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا يَضْرَجُ ثَوْبِيَهُ دِمَاءَ الْأَخْدَاعِ ^(١)
وَكَانَتْ هَوْمُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تُلْمُ فَتَحْمِيْنِي وَطَاءَ الْمُضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكَتْ تُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَارَتْ بِهِ فَهْرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ ^(٢)

قُلْتُ : وَلِهَذَا كَانَ مِقْيَسُ هَذَا مِنَ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ أَهْدَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمَ الْفَتْحِ دِمَاءَهُمْ وَإِنْ وَجِدُوا مَعْلَقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ .

(١) الْأَخْدَاعُ : جَمْعُ أَخْدَعَ ، وَهُوَ عَرَقٌ فِي الْحُجُبَتَيْنِ ، وَهُوَ شَعْبَةٌ مِنَ الْوَرِيدِ .

(٢) فَارِعُ : حَصْنٌ بِالْمَدِينَةِ .

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيرو له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبرة الجهني حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار . وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين . فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلامٌ حدث فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ! والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول : « سمن كلبك يا كلك ! » أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مرّ به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن بالرحيل . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس .

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله غسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل . حدّبا على ابن أبي ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال : يا رسول الله والله لقد رحّت في ساعة منكّرة ما كنت تروّج

في مثلها ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال :
أتى صاحب يارسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع
إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل . قال : فأنت والله يارسول الله تخرجه إن شئت ،
هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يارسول الله ارفق ، فوالله لقد جاءنا الله بك
وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته منك .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليتهم حتى
أصبح ، وصذر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا
من الأرض فوقعوا نياما . وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس
من حديث عبد الله بن أبي ، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وسلك
الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع يقال له بقاء . فلما راح رسول الله صلى
الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة فأذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لا تخوفوها فإنما هبت لموت عظيم من عطاء الكفار . فلما قدموا المدينة
وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت أحد بني قينقاع ، وكان عظيما من عطاء اليهود وكهفا
للمنافقين ، مات ذلك اليوم .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة والواقدي .

وروى مسلم من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر نحو هذه القصة ، إلا أنه
لم يسم الذي مات من المنافقين . قال : هبت ريح شديدة والنبي صلى الله عليه وسلم
في بعض أسفاره فقال : هذه لموت منافق . فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من
عطاء المنافقين .

قال ابن إسحاق : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن
كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم وقال :

هذا الذى أَوْفَى الله بأذنه . قلت : وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها فى كتابنا السابق .
بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسرّذنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم والله
الحد والملة ، فمن أراد الوقوف عليه أو أحب أن يكتبه هاهنا فليطلبه من هناك .
وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن
سأول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل
عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرّ لي به فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله
لقد علمت الخزيج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى
فيقتله فلا تدعى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل
مؤمنًا بكافر فأدخل النار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترقب به ونحسن صحبته ما بقى مغيبا . وجعل
بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف
ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلت يوم قلت لي لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله
لقتلته . فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة
من أمرى .

وقد ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن ابنه عبد الله رضى الله عنه وقف لأبيه
عبد الله بن أبيّ بن سأول عند مضيق المدينة فقال : قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه فى
ذلك فأذن له فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق : وأصيب يومئذ من بنى المصطلق ناسٌ ، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين : مالكا وابنه .

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين : يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمهم في المسلمين .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن ابن مُحَيْرِز ، أنه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخدري فجلست إليه فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بنى المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزوبة ، وأحببنا العزل وقلنا نازل ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا قبل أن نسأله ، فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم ألا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا كائنة » وهكذا رواه [مسلم] .

قال ابن إسحاق : وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة عن عائشة قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت ابن قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحاة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستعينه في كتابتها . قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت . فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقفت في السهم لثابت بن قيس بن شماس

أولابن عم له فكاتبته على نفسى فجئتكَ أستعينك على كتابتى .

قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أفضى عنك كتابك وأنزولك . قالت : نعم يا رسول الله قد فعلتُ .

قالت : وخرج الخبرُ إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرة بنت الحارث ، فقال الناس : أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد اعتق بزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الإفك بتمامها فى هذه الغزوة ، وكذلك البخارى وغير واحد من أهل العلم ، وقد حررت طرق ذلك كله فى تفسير سورة النور ، فليحقق بكأله إلى هاهنا وبالله المستعان .

وقال الواقدى : جدثنا حرام ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت جويرة بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سُبينا رجوت الرؤيا ، قالت : فأعتقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجنى ، والله ما كلفته فى قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت إلا بجارية من بنات عُمى تخبرنى الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقدى : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق أربعين من بنى المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة عن بنى المصطلق أن أباهما طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها .

قصة الإفك

وهذا سياق محمد بن إسحاق حديث الإفك :

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن علقمة بن وقاص وسعيد بن المسيب ^(١) وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله ^(٢) بن عتبة ، قال الزهري : وكل قد حدثني بهذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت كل الذي ^(٣) حدثني القوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة عن نفسها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها بما سمع قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرأ أقرع بين نسائه فأبتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كان غزوة بني الأصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العلق ^(٤) لم يهجن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِل لي بعيري جلست في هودجى ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحلون لي فيحملوني ويأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به .

(١) ابن هشام : سعيد بن جبير . (٢) الأصل : وعبد الله بن عبيد الله . وما أنبته عن ابن هشام .
(٣) ابن هشام : لك الذي . (٤) العلق : جمع علقة ، وهى كل ما يتبلغ به من العيش .

قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل ، ثم أذن مؤذنٌ في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جَزَع ظفَار^(١) فلما فرغت أنسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتصمت حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا المودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعت إلى العسكر وما فيه دأع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو افتتحت لرجع الناس إلى .
قالت : فوالله إنني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي وكان قد تحلف عن العسكر لبعض حاجاته فلم يبت مع الناس ، فرأي سوادى فأقبل حتى وقف عليّ وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طعمينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته . ثم قرب إلى البعير فقال : اركبي . واستأخر عني .

قالت : فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنّا الناس وما افتتحت حتى أصبحت ، ونزل الناس فلما اطمأنوا طاع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتج العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء .

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن .

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبويّ ، لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ لطفه بي ، كنت إذا اشتكيت رحمي ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي ذلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندى أمي تمرّضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد علي ذلك .

قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي فانتقلتُ إلى أمي فرَضتني . قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نَفِيت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم نعافها ونكرها ، إنما كنا نخرج في فُسح المدينة وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مسطح ابنة أبي رُهم بن المطلب ، قالت : فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب واسمه عوف . قالت : فقلت : بئس لعمر و الله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدرأ . قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم . والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيَصُدّع كبدي . قالت : وقلت لأمي : يفر الله لك تحدثت الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بنية خَفَفِي ^(١) عليك الشأن فوالله لقلّ ما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناسُ عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمتُ عليهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معي .

قالت : وكان كبيرُ ذلك عند عبد الله بن أبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحنّة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن امرأة من نسائه تناصبني في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حنّة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارّني لأختها فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفيهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

قالت : فقام سعد بن عباد ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله ما تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد بن حضير : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

قالت : وتساور الناس حتى كاد يكون بين هذين الحَيَّين من الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علىّ فدعا علىّ بن أبي طالب وأسماء ابن زيد فاستشارهما ، فأما أسماء فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذبُ والباطل . وأما علىّ فإنه قال : يا رسول الله إن النساء

لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسَل الجارية فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُريرة يسألها . قالت : فقام إليها على فضربها ضرباً شديداً ويقول : أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنى كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله !

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواى وعندي امرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لى ذلك فقلص^(١) دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يحببا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلما .

قالت : وایم الله لأننا كنت أحقّر فى نفسى وأصغر شأننا من أن يُنزل الله فى قرآننا يقرأ به ويُصلّى به ، ولكنى كنت أرجو أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب الله به عنى لما يعلم من براءتى ويخبر خبيراً ، وأما قرآننا ينزل فى فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا نجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ما ندرى بما نجيبه . قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام . قالت : فلما استعجبا على استعبرتُ فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه بريئة لأتوان ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت

ما يقولون لا تُصدقوني . قالت : ثم التمت اسم يعقوب فما أذكره فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون » قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرغت وما باليت ، قد عرفت أنى بريئة وأن الله غير ظالمى ، وأما أبوإي فوالذى نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس .

قالت : ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس وإنه ليتحدّر من وجهه مثل الجمان فى يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول : أبشرى يا عائشة ، قد أنزل الله عز وجل براءتك . قالت : قلت : الحمد لله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وخمعة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدّهم .

وهذا الحديث مخرّج فى الصحيحين عن الزُّهرى ، وهذا السياق فيه فوائد جمة . وذكر حدّ القذف لحسان ومن معه ، رواه أبو داود فى سننه .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه :

لقد ذاق حسان الذى كان أهله وخمعة إذ قالوا هجيراً ومسطح^(١)
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا^(٢)
وآذوا رسول الله فيها فجلّوا مخازى تنبى عمومها وفُضّحوا

(١) الهجير : الفاحش من القول .

(٢) أترحوا : أحزنوا ، من الفرح .

وَصُبَّتْ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتُ كَأَنهَا شَائِبٌ قَطَرٌ فِي دُرِّ الزُّنْ نَسْفَحٌ^(١)

وقد ذكر ابن إسحاق أن حسان بن ثابت قال شعراً يهجو فيه صفوان بن المعطل
وجاعة من قريش ممن تخاصم على الماء^(٢) من أصحاب جهنم كما تقدم أوله هي :
أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وابن الفريضة أَمْسَى بِيضَةُ الْبَلَدِ^(٣)
قَدْ ثَكَلَتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
مَا لِقَتَيْلَى الَّذِي أَغْدُو فَاخْذِهِ مِنْ دَبَةٍ فِيهِ يُمَظَاهَا وَلَا قَوْدِ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطِئُ وَيَرَى السَّيْفَ بِالزَّبْدِ^(٤)
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَتَى حِينَ تُبْصِرُنِي مِنْغِيظُ أَفْرَى كَفَرَى الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٥)
أَمَّا قَرِيشُ فَإِنِّي لَا أَسْلَمُهَا حَتَّى يُنَبِّئُوا مِنَ الْغِيَاثِ لِلرَّشْدِ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعَزَى بِمَعْرَلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصِّدِّ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالِ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ فَيُوفُوا بِحَقِّ اللَّهِ وَالْوُكْدِ^(٦)
قال : فاعترضه صفوان بن المعطل فضر به بالسيف وهو يقول :

تَلَقَّى ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ
وذكر أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان فشده وثاقاً ،
فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله :
هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك ؟ قال : لا . فأطلقه ثم أتوا كلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابنُ المعطل : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتملني

(١) المحصدات : السياط الشديدة القتل . والشائب : جمع شؤبوب وهي الدفعة من المطر . والزُن : السحاب
(٢) ابن هشام : يعرض باين المعطل فيه ، ويمن أسلم من العرب من مضر .
(٣) الجلايب : الغرباء . (٤) يغطئ : يركب بعضه بعضاً . والعير : جانب البحر .
(٥) أفرى : أقطع . والعارض : السحاب .
(٦) الوكد : العهد والمواثيق .

الغضبُ فضرِبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حسان أنشَوْهُتَ على قومي إذ هدام الله . ثم قال : أحسن يا حسان فيما أصابك . فقال : هي لك يا رسول الله . فموضه منها بيرحاء^(١) التي تصدق بها أبو طلحة وجارية قبطية يقال لها سيرين جاءه منها ابنه عبد الرحمن .

قال : وكانت عائشة تقول : سُئِلَ عن ابن المفضل فوجد رجلاً حَصُوراً ما يأتى النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً رضى الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : ثم قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة :

حَصَانُ رَزَانُ مَا تَزُنُ بِرَبِيبَةٍ	وَتَصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ ^(٢)
عَقِيلَةٌ حَيٍّ مِنْ لَوْيِّ بْنِ غَالِبٍ	كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
وَإِنْ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ	بِكَ الدَّهْرِ بِلَ قَبْلُ امْرِئٍ بِي مَاحِلٍ ^(٣)
فَإِنْ كَفْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ	فَلَا رَفَعْتُ سَوَطِي إِلَى أَنَا مِلِي
فَكَيْفَ وَوَدَّيْ مَا حَيِّتَ وَنُصْرَتِي	لَأَلَّ رَسُولَ اللَّهِ زَيْنُ الْحَافِلِ
وَإِنْ لَمْ عَزًّا تَرَى الْفَاسَ دُونَهُ	قَصَاراً وَطَالَ الْعَزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ

ولتكتب هاهنا الآيات من سورة النور ، وهى من قوله : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ » إلى : « مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » وما أوردناه هنالك من الأحاديث والطرق والآثار عن السلف والخلف . وبالله التوفيق .

(١) حاء : اسم رجل أضيفت إليه البئر وفى ابن هشام : وهى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة .

(٢) تزن : تنهم والغرنى : الجماعة . (٣) لائط : لاصق . والمالح : الواشى .

غزوة الحديبية

وقد كانت في ذى القعدة سنة ست بلا خلاف . ومن نص على ذلك الزهري ،
ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عُقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار وغيرهم .
وهو الذى رواه ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ، أنها كانت في ذى القعدة
سنة ست .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسماعيل بن الخليل ، عن على بن مُسهر ، أخبرنى
هشام بن عروة ، عن أبيه : قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان ،
وكانت الحديبية في شوال :

وهذا غريب جدا عن عروة .

وقد روى البخارى ومسلم جميعا عن هُذَبة ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن
مالك أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمرَ في ذى القعدة إلا العمرة التى
مع حجته ، عمرة من الحديبية في ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذى القعدة ، ومن
الجعرانة في ذى القعدة حيث قسم غنائم حُنَيْن ، وعمرة مع حجته .
وهذا لفظ البخارى .

وقال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة رمضان وشوالا
وخرج في ذى القعدة معتمراً لا يريد حرباً . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة مُمَيْلَة
ابن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا

معه ، وهو يخشى من قریش أن یدرّضوا له بحرب أو یصدوه عن البیت ، فأبطأ علیه كثير من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى وأحرّم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحکم أنهما حدّثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعائة رجل ، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر ابن عبد الله فيما بلغني يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة .

قال الزهري : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بُعسفان لقيه بشر^(١) بن سفيان السكبي ، فقال : يا رسول الله هذه قریش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٢) ، قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى ، يماهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع النعيم .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قریش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قریش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على هذا الذي بعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .^(٣) ثم

(١) ويقال له : بسر . كما قال ابن هشام .

(٢) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللين معها أولادها . وهى كناية عن النساء معها الأطفال .

(٣) السالفة : صفحة العنق . وأراد بذلك الموت .

قال : مَنْ رجلٌ يخرج بنا على طريقٍ غير طريقهم التي هم بها ؟ .
قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أسلم قال : أنا يارسل
الله . فسلكت بهم طريقاً وغراً أُجْرَلُ (١) بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شَقَّ ذلك
على المسالين فأفَضُوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله : قولوا : نستغفر
الله ونتوب إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها لَلْحِطَّةُ التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل
فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا
ذات اليمين بين ظهري الحمض . في طريق يُخْرِجُهُ على ثنية المَرَار مَهْبِطَ الحُدَيْبِيَّةِ
من أسفل مكة .

قال : فسلكت الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَةَ الجيش قد خالفوا
عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك في ثنية المَرَار بركت ناقته
فقال الناس : خلَّأتُ (٢) . فقال : ما خلَّأتُ وما هو لها بخلق ، ولا كن حبسها حابسُ
الفيل عن مكة ، لا تَدْعُونِي قريشُ اليومَ إلى خطبة يسألوني فيها صَلاةَ الرحم إلا
أعطيهم إياها .

ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يارسل الله ما بالوادي ماء يُنْزَلُ عليه . فأخرج
سهماً من كنفاته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل به في قلب من تلك القلب ، ففرزه في
جوفه فجاش بالرواء حتى ضَربَ الناسُ عنه بعُطْنِ (٣) .

(١) الأجرل : الكثير المجارة .

(٢) خلَّأت : حرنت وبركت من غير علة . (٣) ضرب الناس بعطن : أناخوا حول الماء بعد الذي

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدَب^(١) ، سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله أعلم أى ذلك كان . ثم استدلل ابن إسحاق للأول أن جارية من الأنصار جاءت البئر وناجية أسفله يَمِيح^(٢) فقالت :

ياأيها المائح دَلَوِي دونكا إني رأيت الناس يَمُحِدُونكا
يُذْنُون خيراً ويُمُجِدُونكا

فأجابها فقال :

قد علمت جارية يَمَانِيهِ أنى أنا المائحُ واسمى ناجية
وطعنة ذات رَشاش واهِيهِ طعنُها عند صدور العادِيهِ

قال الزهري في حديثه : فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، فكلّموه وسألوه ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمته . ثم قال لهم نحو ما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تَعَجَلُونَ على محمد ، وإن محمداً لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت . فأتهمهم وجبهم وقلوا : وإن جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكانت خزاعة عَيبة^(٣) نُصَح رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمها ومشرکہا لا يُخَفُونَ عنه شيئاً كان بمكة .

(٢) يَمِيح : يملأ الدلاء .

(١) ذكر ابن هشام بقية نسبه .

(٣) العيبة : موضع السر والخاصة .

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحووا مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم بعثوا بـمُحَلِّيس بن علقمة أو ابن زبَّان وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى يسيل عليه من غرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش والله ما على هذا حالنا كم ولا على هذا عاهدناكم ، أصدُّ عن بيت الله من جاءه معظما له ؟ والذي نفس الحليس بيده لئن خُلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه كفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي فقال : يامعشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والدُّ وأنى ولد ، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس ، وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى . قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم .

فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أو شباب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر ، بماهدون الله لاندخلها عليهم عنة أبدا ، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا .

قال : وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : امضن بظر اللات ! أنحن نكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يدك كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بهذه . قال : ثم جعل يتناول حية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمغيرة ابن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، قال : فجعل يقرع يده إذ يتناول حية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ما أفضلك وأغلظك !

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . قال : أى غدر وهل غسلت سوائتك إلا بالأمس !

قال الزهرى : فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فرجع إلى قریش فقال : يا معشر قریش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه ! ولقد رأيت قوماً لا يؤمنون بشيء أبداً ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الخِزَاعِي فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيشُ فخلَّوْا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لائتهم عن عكرمة عن ابن عباس ، أن قريشا كانوا يمشون أربعين رجلاً منهم أو خمسين ، أمرهم أن يُطِيفُوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا ، فأُتِيَ بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعا عنهم وخلي سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي وليس بمكة من بني عدى أحد يمتعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليهما ولكنني أدلك على رجل أعزَّ بهما مني ، عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته .

فخرج عثمان إلى مكة فلقبه أبا ن بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظاء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد

قتل . قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نُنَاجِزَ القومَ .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجُدُّ بن قيس أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكانني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته قد ضباً^(١) إليها يستقر من الناس .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : وذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حديثه بإسناده عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد ضعيف ، لكنه ثابت في الصحيحين .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : انت محمدًا وصالحه ، ولا يكن في صالحه

(١) ضباً : لصق .

إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العربُ أنه دخلها عنوة أبداً .
فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : قد أراد
القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل .

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا
ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمرُ ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر أليس
برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركون ؟
قال : بلى . قال : فعلامَ نُعطى الدِّينِيَّةُ في ديننا ؟ قال : أبو بكر : يا عمر الزم غَرْزَه ^(١)
فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألتَ برسول الله ؟ قال :
بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أو ليسوا بالمشركون ؟ قال : بلى . قال :
فعلامَ نُعطى الدِّينِيَّةُ في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله إن أخالف أمره ولن يضيعني .
وكان عمر رضى الله عنه يقول : ما زلتُ أصوم وأصدق وأصلي وأعتق من الذي
صَنَعْتُ يومئذٍ ، مخافةً كلامي الذي تكلمته يومئذٍ ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب رضى الله عنه فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب :
باسمك اللهم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم . فكتبها .
ثم قال : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . قال :
فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقانك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .

(١) الغرز : ركاب من جلد توضع فيه الرجل . والمراد : اتبع أمره ولا تخالفه .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من مع محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبة ^(١) مكفوفة ، وأنه لا إسلال ^(٢) ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه » .

فتوالت خراطة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلناها بأصحابك فاقت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب : السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها .

قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون .

فلما رأى سهيلُ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه وقال : يا محمد قد تجلت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . فجعل ينتره بتليبيه ويحرقه

(١) العيبة : موضع السر ومكفوفة : مطوية . (٢) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

يعنى يردّه^(١) إلى قریش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين اُردُّوا إلى المشركين يَفْتَنُونَنِي في ديني .

فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرَجًا ومخرجًا . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهدًا الله ، وإنا لا نغدر بهم » .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دمٌ أحدهم دم كلب . قال : ويذني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيفَ فيضرب أباه ! قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذت القضية .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهدَ على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسَلَمَة ومِكْرَز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُضْطَرَبًا في الحِلِّ^(٢) ، وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هَذِيه فنَحَرَه ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي خلقه في ذلك اليوم خِرَاش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله وسلم قد نَحَرَ وحَلَقَ تَوَاتَبُوا يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ .

(٢) مضطربا : كانت خيامه مقامة في الحل .

(١) ابن هشام : ليرده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حاق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يرحم الله المحلقين » . قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين » .

قالوا : يارسول الله فلم ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكروا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليعطي بذلك المشركين .

هذا سياق محمد بن إسحاق رحمه الله لهذه القصة ، وفي سياق البخارى كما سيأتى مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق كما سترها إن شاء الله وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ، ونذكر في الأحاديث الصحاح والحسان ما فيه [غناء] . إن شاء الله تعالى وعليه التسلان وهو المستعان .

قال البخارى : حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم » ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . فقال : قال الله تعالى : « أصبح من عبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ بى ، فأما من

قال: مُطَرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَبِفَضْلِ اللَّهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالسُّكُوبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطَرْنَا
بِنَجْمٍ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالسُّكُوبِ كَافِرٌ بِي .

وهكذا رواه في غير موضع من صحيحه ، ومسلم من طرق عن الزهري ، وقد روى
عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة .

وقال البخاري : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ
الْبَرَاءِ قَالَ : تَعْدُونَ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ ، وَقَدْ كَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فَتَحًا ، وَنَحْنُ نَعْدُ الْفَتْحَ بَيْعَةَ
الرَّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْحُدَيْبِيَّةُ بَثْرٌ
فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرِكْ فِيهَا قَطْرَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهَا فَجَلَسَ عَلَى
شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ
ثُمَّ لَمَّهَا أَصْدَرْتُنَا مَا شَدْنَا نَحْنُ وَرِكَابُنَا .
انفرد به البخاري .

وقال ابن إسحاق في قوله تعالى : « فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » : صَلَحَ
الْحُدَيْبِيَّةُ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَمَا فَتِحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ
حَيْثُ اتَّقَى النَّاسُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْهُدْنَةُ وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا وَأَمِنَ النَّاسُ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا وَاتَّقَوْا فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازَعَةِ ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ يَمْقُلُ شَيْئًا إِلَّا
دَخَلَ فِيهِ ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْبِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلَ مَنْ كَانَ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ .
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالِدَيْلِيلُ عَلَى مَا قَالَهُ الزُّهْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَرَجَ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةِ رَجُلٍ فِي قَوْلِ جَابِرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتَحِ مَكَّةَ بِمَدِّ
ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ .

وقال البخاري : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عِيسَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ ،
عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

يديهِ رَكْوَةٌ فتوضاً منها ، ثم أقبل الناسُ نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشرب إلا مافى رَكْوَتِكَ .
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال
العيون . قال : فشربنا وتوضأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف
لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق ، عن حصين ، عن سالم بن أبى الجعد
عن جابر به .

وقال البخارى : حدثنا الصلت بن محمد ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن
قتادة قلت لسعيد بن المسيب : بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع
عشرة مائة . فقال لى سعيد : حدثنى جابر : كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية .

تابعه أبو داود ، حدثنا قرّة عن قتادة . تفرد به البخارى .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً
قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض »
وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر لليوم لأريتكم مكان الشجرة .

وقد روى البخارى أيضاً ومسلم من طرق ، عن سفيان بن عيينة به . وهكذا رواه
الليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر قال : إن عبداً لحاطبٍ جاء يشكوه فقال :
يا رسول الله ليدخان حاطبُ النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت
لا يدخلها ، شهد بدرأ والحديبية » .

رواه مسلم .

وعند مسلم أيضاً من طرق [عن] ابن جريج ، أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابراً

يقول : أخبرتنى أم ميسر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : « لا يدخل أحد النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها » فقالت حفصة : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : « وإن منكم إلا واردُها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قال تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذرُ الظالمين فيها جثيا » . قال البخارى : وقال عبيد الله بن معاذ : حدثنا أبى ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، حدثنى عبد الله بن أبى أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثم المهاجرين .

تابعه محمد بن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة .

هكذا رواه البخارى معلقا عن عبد الله . وقد رواه مسلم عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه عن شعبة به . وعن محمد بن المنقّى ، عن أبى داود ، عن إسحق بن إبراهيم ، عن النضر ابن شميل كلاهما عن شعبة به .

ثم قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن مروان والمِسُور بن مَخْرَمَة ، قالا : خرج النبى صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان بذي الحليفة قلَّدَ الهذلى وأشعرَ وأحرَمَ منها . تفرد به البخارى وسيأتى هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق من أن أصحاب الحديبية كانوا سبع مائة .

وهو والله أعلم إنما قال ذلك تفقُّهاً من تلقاء نفسه من حيث إن البدن كن سبعين بدنة ، وكل منها عن عشرة على اختياره ، فيكون المهاون سبعائة .

ولا يلزم أن يهذى كلُّهم ولا أن يُحرَمَ كلُّهم أيضاً ، فقد ثبت أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعث طائفة منهم فيهم أبو قتادة ولم يُحْرَم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحمار الوحشي فأكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق فقال : هل منكم أحدٌ أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها ؟ قالوا : لا . قال : فكلوا ما بقي من الحمار .

وقد قال البخارى : حدثنا شعبة بن الربيع ، حدثنا علي بن المبارك ، عن يحيى عن عبد الله بن أبي قتادة أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فأحرَم أصحابي ولم أحرَم .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن رافع ، حدثنا شبابة بن سوار القزاري ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . حدثنا موسى ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا طارق ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه أنه كان فيمن بايع تحت الشجرة فرجعنا إليها العام المقبل فعميت علينا .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا محمود ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجاً فررت بقوم يصلون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة حيث بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان . فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نَقْدِر عليها .

ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد لم يَعْلَموها ، وعَلِمْتُمُوهَا أَنْتُمْ ! فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ ؟ ورواه البخارى ومسلم من حديث الثوري وأبي عوانة وشبابة عن طارق .

وقال البخارى : حدثنا سعيد ، حدثني أخى ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عباد بن تميم قال : لما كان يومُ الحرة والناسُ يبائعون لعبد الله بن حفظة ، فقال ابن

زيد : على ما يبايع ابنَ حفظة الناسُ ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان شهد معه الحديبية .

وقد رواه البخارى أيضاً ومسلم من طرق عن عمرو بن يحيى به .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبى عبيد قلت

لسلمة بن الأكوع : على أى شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم من حديث يزيد بن أبى عبيد .

وفى صحيح مسلم عن سلمة أنه بايع ثلاث مرات فى أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم .

وفى الصحيح عن معقل بن يسار أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو يبايع الناس ، وكان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يومئذ أبو سنان ، وهو وهب بن مخصن أخو عكاشة بن محصن ، وقيل سنان

ابن أبى سنان .

وقال البخارى : حدثنى شجاع بن الوليد ، سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر بن

الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ،

ولسكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار أن يأتى به

ليقاتل عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدرى بذلك ،

فبايعه عبد الله ، فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى

تحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمار : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا عمر بن محمد العمرى ، أخبرنى

نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا

فى ظلال الشجرة ، فإذا الناس مُحْدِقُونَ بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا عبد الله انظر

ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهم يبائعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع .

تفرد به البخارى من هذين الوجهين .

ذكرى سياق البخارى لعمرة الحديبية

قال فى كتاب المغازى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهري حين حدث هذا الحديث حفظتُ بعضه وثبتتني معمرٌ ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما أتى ذا الحليفة قلَّد الهدنى وأشعره^(١) وأحرم منها بعمرة وبعث عيناً له من خزاعة .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بقدير الأخطاط أتاه عينه قال : إن قريباً جمعوا لك جموعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : أشيروا أيها الناس على ، أترون أن أميل إلى عيالمهم وذراى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركفاهم مخروبين . قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له فن صدنا عنه قاتلناه . قال : امضوا على اسم الله . هكذا رواه هاهنا ووقف ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال فى كتاب الشهادات^(٢) : حدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمرٌ ، أخبرني الزهري ، أخبرني عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه

(١) أشعره : ألبسه الشعار تمييزاً له . (٢) هو فى كتاب الشروط صحيح البخارى ١٠ / ٢

وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن خالد ابن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يرّكض نذيراً لقريش .

وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حلّ حل^(١) ، فألحت ، فقالوا : خلّات القصواء خلّات القصواء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلّات القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس القيل . ثم قال : والذي نفسي بيده لا يسألوني خطّة يعظمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها . ثم زجرها فوثبت .

فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمّد قليل الماء يتبرّضه^(٢) [الناس^(٣)] تبرّضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهماً من كنفاته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّيح حتى صدّروا عنه .

فبينما هم كذلك إذا جاء بُدّيل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيّبة نصحر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ للمطافيل ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا مُقتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاءوا مادّتهم مدة ويحلّوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جئوا ،

(٢) يتبرّضه : يأخذونه قليلاً قليلاً .

(١) حلّ : كلمة يقال للناقة إذا بركت .

(٣) من صحيح البخارى ١٠/٢

وإن هم أبوا فالذى نفسى بيده لأفاننهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى، ولينفذن أمر الله .

قال بُدِيل : سأبلغهم ماتقول . فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ماسمعه يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا . فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقام عروة بن مسعود فقال : أى قوم ، أأست بالوالد ؟ قالوا : بلى . قال : أو لستم بالولد ؟ قالوا بلى . قال : فهل تهمنى ؟ قالوا : لا . قال : أأستم تعلمون أنى استغفرت أهل عكاظ فلما بلّحوا ^(١) على جئسكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عرض لكم خطّة رُشد اقبلوها ودعونى آتية ، فقالوا : ائته .

فأتاه ، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبُديل فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرايت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك ؟ وإن تسكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهاً وإنى لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك .

فقال له أبو بكر : امصص بظر اللات ! أنحن نفرّ عنه وندّعه ؟ ! قال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذى نفسى بيده لولا يدك كانت لك عندى لم أجرك بها لأجبتك .

قال : وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بفعل السيف وقال له : آخر

(١) بلّحوا : أبطأوا .

يدك عن خية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرفع عروة رأسه فقال . من هذا ؟ قالوا :
المغيرة بن شعبة . فقال : أى غدر ألت أسعى فى غدرتك !

وكان المغيرة بن شعبة صَحِيبَ قَوْمًا فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ،
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه فى شىء .
ثم إن عروة جعل يَرْمُقُ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينيه ، قال : فوالله
ما تنخَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامةً إلا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها
وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا
تكلم خفصوا أصواتهم عنده وما يُحَدِّثُونَ إليه النظرَ تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، وفدت على
قيصر وكسرى والنجاشى ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحابُ
محمد محمداً ؛ والله إن تنخَّم نخامةً إلا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ^(١) ،
وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفصوا
أصواتهم عنده وما يُحَدِّثُونَ النظرَ إليه تعظيماً له ، وإنه قد عَرَضَ عليكم
خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل من بنى كنانة : دعونى آتية . فقالوا : ائنه . فلما أشرف على النبى صلى الله
عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا فلان وهو من قوم يعظِّمون
البُذُنَ فابعثوها له . فُبعِثَتْ له واستقبله الناس يلْبِسُونَ . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله
ما ينبغى لهؤلاء أن يُصدَّوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البُذُنَ قد قُلِّدَتْ
وأشعرت ، فما أرى أن يُصدَّوا عن البيت .

(١) لعل هذا الوصف مبالغة فى الحب والتعظيم ، كان فيه مخالفة لمبادئ الإسلام التى تدعو إلى النظافة
وتحت على التطهر ، ولعل هذا لا يتناسب مع ما كان عليه المسلمون من وضوء وطهر . ونحن لا ننكر
الرواية ولكننا نحملها على المبالغة والتجاوز .

فقام رجل منهم يقال له مِكَرَز بن حفص فقال : دعوني آتيه . قالوا : ائته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مِكَرَز وهو رجل فاجر . فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة ، أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد سُهِّلَ لكم من أمركم » .

قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات فاكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ماهو ، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم .

ثم قال : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني ، اكتب محمد ابن عبد الله .

قال الزهري : وذلك لقوله : لا يسألوني خُطَّةً يعظّمون فيها حرمة الله ، إلا أعطيتهم إياها .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أن تُخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به . قال سهيل : والله لا نتحدث العرب أنا أخذنا ضُفْطَةً ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا .

قال المسلمون : سبحان الله كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً .

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن مهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أفاضيك عليه أن ترده إلى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نقض الكتاب بعد . قال : فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأجزه لى . قال ما أنا بمجيزه لك . قال : بلى فافعل . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بلى قد أجزناه لك .

قال أبو جندل : أى معشر المسلمين أردت إلى المشركين وقد جئت مسلماً ، ألا ترون ما قد لقيت ؟ ! وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله . فقال عمر رضى الله عنه : فأنتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : ألسنت نبى الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فلم نُعطى الدنية فى ديننا إذن ؟ . قال : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى .

قلت : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتكم أنا نأتيه العام » ؟ قال : قلت : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوف به » .

قال : فأنتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقاً . قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل . قال : بلى . قال : قلت : فلم نُعطى الدنية فى ديننا إذن . قال : أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصى ربّه وهو ناصره ، فاستمسك بغيره فوالله إنه على الحق .

قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام . فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوف به .

قال الزهري : قال عمر : فعملتُ لذلك أعمالاً .

قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا ثم احلقوا .

قال : فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ؛ فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَكَ وتدعو حالقك فيحلقك .

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بُدْنَه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً .

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن » حتى بلغ « بعصم الكوافر » فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . فتزوج إحداها معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير ، رجل من قريش ، وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يافلان جيداً . فاستله الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه فضربه حتى برد وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه : « لقد رأى هذا ذعراً » .

فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : قُتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وبلى أمه ! مسعر حرب لو كان له أحد ! »

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر .

قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون

بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعتراضوا لها فقتلوه وأخذوا أموالهم .
فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل إليهم فن
أناه فهو آمن ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم . فأنزل الله تعالى : « وهو الذي كف
أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » حتى
بلغ : « الحمية حمية الجاهلية » .

وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله ، ولم يقرؤا ببسم الله الرحمن الرحيم ،
وحالوا بينهم وبين البيت .

فهذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري ، فقد
رواه عن الزهري عن جماعة منهم سفيان بن عيينة ومَعْمَر ومحمد بن إسحاق ، كلهم عن
الزهري عن عروة عن مروان ومِسْوَر ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاري في أول كتاب الشروط عن يحيى بن بُكَيْر ، عن الليث بن سعد ،
عن عُقَيْل عن الزهري عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القصة .

وهذا هو الأشبه ، فإن مروان ومِسْوَر كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما
أخذاه عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سابق ، حدثنا مالك
ابن مِفْعُول ، سمعت أبا حُصَيْن قال : قال أبو وائل : لما قدم سُهيل بن حُنيف من صِفِّين
أتيناه نستخبره فقال : اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا أسيافنا

عن عواتقنا لأمر يُفْطِننا إلا أسهلن بنا إلى أمرٍ نعرفه ، قبل هذا الأمر مانسُدُّ منها خُصْماً
إلا انفجر علينا خُصْمٌ^(١) ما ندرى كيف نأتى له .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن
أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وكان عمر بن الخطاب
يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : شككتك أمك يا عمر ، نَزَرْتُ^(٢)
رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك .

قال عمر : فحُركْتُ بعيرى ثم تقدمت أمامَ المسلمين ، وخشيت أن ينزل فى قرآن ،
فما نَسِبتُ أن سمعت صارخاً يصرُخ بى ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن .
فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت عليه فقال : « لقد أنزلت علىَّ الليلة
سورة لَهْيَ أَحَبُّ إلىَّ مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ : « إنا فتَحْنَا لك فتْحاً مَبِيناً » .
قلت : وقد تكلمنا على سورة الفتح بكآلها فى كتابنا التفسير بما فيه كفاية والله الحمد
والمنة ، ومن أحب أن يكتب ذلك هنا فليفعل .

(١) الحُصْم : الجانب . ويريد بهذا الأمر : الفتنة التى حدثت بين على ومعاوية .

(٢) نَزَرْتُ : ألحجت عليه .

فصل في ذكر السرايا والبعوث

التي كانت في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي عن الواقدي :

في ربيع الأول منها أو الآخر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عُكَّاشَةَ بْنَ مَخْصَنٍ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا إِلَى [غُرُو مَرْزُوق] ^(١) فَهَرَبُوا مِنْهُ وَنَزَلَ عَلَى مِيَاهِهِمْ وَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ مَائَتِي بَعِيرٍ فَاسْتَأْقَمَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

وفيهما كان بَعَثَ أَبِي عَمِيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ إِلَى ذِي الْقِصَّةِ بِأَرْبَعِينَ رَجُلًا أَيْضًا ، فَسَارُوا إِلَيْهِمْ مَشَاءَ حَتَّى أَتَوْهَا فِي عِمَايَةِ الصُّبْحِ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ فِي رَعُوسِ الْجِبَالِ ، فَاسْرَمَ مِنْهُمْ رَجُلًا فَقَدِمَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعَثَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي عَشْرَةِ نَفَرٍ وَكُنَ الْقَوْمُ لَهُمْ حَتَّى بَاتُوا [فَقُتِلَ] ^(٢) أَصْحَابُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ كُلِّهِمْ وَأَفْلَتَ هُوَ جَرِيحًا .
وفيهما كان بَعَثَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِالْجُمُومِ ^(٣) فَأَصَابَ امْرَأَةً مِنْ مَزِينَةَ يُقَالُ لَهَا حَلِيمَةُ ، فَدَلَّتْهُمْ عَلَى مَحَلَّةٍ مِنْ كَحَالِ بْنِ سَلِيمٍ فَأَصَابُوا مِنْهَا نَعْمًا وَشَاءَ وَأَسْرَوْا [جَمَاعَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ] ^(٤) وَكَانَ فِيهِمْ زَوْجٌ حَلِيمَةٌ هَذِهِ فَوَهَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَزَوْجِهَا وَأَطْلَقَهُمَا .

وفيهما كان بَعَثَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَيْضًا فِي جَمَادَى الْأُولَى إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ الْأَعْرَابُ ، فَأَصَابَ مِنْ نَعْمِهِمْ عَشْرِينَ بَعِيرًا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَرْبَعِ لَيَالٍ .

(١) سَقَطَتْ مِنَ الْأَصْلِ وَأُثْبِتَتْ مِنَ الْمَوَاقِبِ . (٢) سَقَطَتْ مِنَ الْأَصْلِ .

(٣) الْأَصْلُ : الْجُمُومُ . وَمَا أُثْبِتَهُ مِنَ الْمَوَاقِبِ . (٤) سَقَطَتْ مِنَ الْأَصْلِ وَأُثْبِتَتْ مِنَ الْمَوَاقِبِ .

وفيهما خرج زيد بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيص .

قال : وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجار بزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجارته .

وقد ذكر ابن إسحاق قصته حين أخذت العير التي كانت معه وقتل أصحابه وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هاجرت بعد بدر ، فلما جاء المدينة استجار بها فأجارته بعد صلاة الصبح ، فأجاره لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بردّ ما أخذوا من غيره ، فردّوا كلّ شيء كانوا أخذوه منه حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها إلى مكة وأدّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع أسلم ، وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته بالنكاح الأول ولم يُحدث نكاحاً ولا عقداً كما تقدم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهجرتها ست سنين ، ويروى سنتين .

وقد بينّا أنه لا منافاة بين الروایتين ، وأن إسلامه تأخر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح لا كما تقدم في كلام الواقدي من أنه سنة ست . فالله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر ، قد أجاز به بأموال وخلع ، فلما كان بحُسمى لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة أيضاً رضى الله عنه .

قال الواقدي : حدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج عليّ رضى الله عنه في مائة رجل إلى أن نزل إلى حى من بنى أسد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل

وَكُنْ بِالنَّهَارِ وَأَصَابَ عَيْنًا لَهُمْ ، فَأَقْرَبَ لَهُ أَنَّهُ بُعِثَ إِلَى خَيْبَرَ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ تَمْرَ خَيْبَرَ .

قال الواقدي رحمه الله تعالى : وفي سنة ست في شعبان كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم تماضر بنت الإصبع الكلبية ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى الرُّمَيْيِّين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً فردّوهم .

وكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ومسلم ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رهطاً من عُكْلٍ وعُرَيْنَةَ - وفي رواية : من عكل أو عرينة - أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله إنا أناس أهل ضَرْع ، ولم نكن أهل ريف فاستوَحْنَا المدينة . فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بدَوْدٍ^(١) وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من أنبائها وأبوالها ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّر^(٢) أعينهم وتركهم في الحرة حتى ماتوا وهم كذلك .

قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب بعد ذلك حصّاً على الصدقة ونهى عن المثلّة .

(١) الذود : القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر . (٢) سمر : فقا .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ورواه جماعة عن أنس بن مالك .
وفي رواية مسلم عن معاوية بن قرة عن أنس ، أن نفراً من غُرينة أتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام ^(١) - فقالوا :
هذا الموم قد وقع يارسول ، لو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : نعم فاخرجوا فكونوا
فيها . فخرجوا فقتلوا الراعين وذهبوا بالإبل .

وعنده : سار من الأنصار قريبُ عشرين فأرسلهم إليهم وبعث معهم قائفاً يقتصّ
أثرهم ، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّر أعينهم .

وفي صحيح البخارى من طريق أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، أنه قال :
قدم رهط من عَكل فأسلموا واجتووا المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا ذلك له فقال : الحقوا بالإبل واشربوا من أبوالها وألبانها . فذهبوا وكانوا فيها
ما شاء الله ، فقتلوا الراعى واستاقوا الإبل فجاء الصريحُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم فأمر بمسامير فأحيت فكواهم بها وقطع أيديهم وأرجلهم ،
وألقام في الحرّة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا ولم يحجمهم .

وفي رواية عن أنس قال : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش .
قال أبو قلابة : فهؤلاء قتلوا وسرقوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم .

وقد روى البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن
محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث
في آثارهم قال : اللهم عمّ عليهم الطريقَ ، واجعلها عليهم أضيّقَ من مسك جمل ،
قال : فعمّى الله عليهم السبيل ، فأدركوا فأتى بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمّل أعينهم .
وفي صحيح مسلم : إنما سمّلهم لأنهم سمّلوا أعين الرّعاء .

(١) البرسام : ذات الجنب . وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .

فصل فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة .

فيها نزل فَرَضَ الْحَجِّ ، كما قرره الشافعي رحمه الله زمن الحديبية في قوله تعالى « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » .

ولهذا ذهب إلى أن الحج على التراخي لا على الفور ، لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا في سنة عَشر .

وخالفه الثلاثة مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحج يجب على كل من استطاعه على الفور ، وَمَنَعُوا أَنْ يَكُونَ الْوَجُوبُ مُسْتَفَاداً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا التفسير والله الحمد والمنة بما فيه كفاية .

وفي هذه السنة حرِّمَتِ الْمَسَلَمَاتُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحديبية على أنه لا يأتيك منا أحدٌ وإن كان على دينك إلا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا ، فنزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَاحِنٌ لِلَّذِينَ هُمْ لَا يُحِلُّونَ لَهُنَّ » الآية .

وفي هذه السنة كانت غزوة المَرَيْسَعِ التي كان فيها قصة الإفك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما تقدم .

وفيها كانت عمرة الحديبية ، وما كان من صَدِّ الْمُشْرِكِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأَمِنَ النَّاسُ فِيهِمْ

بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال . وقد تقدم كل ذلك مبسوطاً في أما كنهه
ولله الحمد والمثنة . وولى الحج في هذه السنة المشركون .

قال الواقدي : وفيها في ذى الحجة منها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية . وشجاع بن وهب
ابن أسد بن جذيمة شهد بدرأ إلى الحارث بن أبي شمر الفسائي يعني ملك عرب النصارى ،
ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة
السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي ،
وعمر بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الحر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر في أولها

قال شعبة عن الحاكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله : « وأتابهم فتحا قريبا » قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية مكث عشرين يوما أو قريبا من ذلك ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إياها .
وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع . كما قدمنا .

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض الحرم ، ثم خرج في بقية الحرم إلى خيبر .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن الزهري ، عن عروة عن مروان والمسيور قالا : . انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر فنزل بالرجيع : واد بين [خيبر و] غطفان فتخوف أن يمدم غطفان ، حتى أصبح ففدا عليهم .

قال البيهقي : وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخي في خروجه أول سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس : عن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : لما كان افتتاح خيبر في عقيب الحرم ، وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في آخر صفر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة مُمَيْلَة بن عبد الله الليثي .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا خُثَيْم يعني ابن عراك ، عن أبيه أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وقد استخلف سِبَاع بن عُرْفُطَة يعني الغطفاني على المدينة . قال : فأنتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى كهيمص وفي الثانية ويل للمطففين ، فقلت في نفسي : ويل لفلان إذا اكتال [اكتال] بالوافي وإذا كال كال بالناقص .

قال : فلما صلى رددنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقي من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خُثَيْم بن عراك ، عن أبيه عن نفر من بني غِفَار قال : إن أبا هريرة قدم المدينة فذكره .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وبني له فيها مسجداً ثم على الصَّهَاء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمددوا أهل خيبر ، كانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك جمعوا ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أموالهم وأهلهم وخلّوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن

بشير أن سويد بن النعمان أخبره أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق فأمر به فترى فأكل وأكلنا : ثم قام إلى المغرب فمضى ثم صلى ولم يتوضأ .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ألا تسمعنا من هُنيئاتك ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً . فنزل يحدو بالقوم يقول :

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَاغْفِرْ فِدَاءَ لَكَ مَا أَبْقَيْنَا وَأَلْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَتَبَّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنْذَا صِيحَ بِنَا أُبَيْنَا
وبالصياح عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا السائق ؟ قالوا : عامر بن الأكوع قال : يرحمه الله ! فقال رجل من القوم : وجبت يانبي الله لولا أمتعتنا به !

فأتينا خيبر فنصرناهم حتى أصابتنا نخمسة شديدة . ثم إن الله فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذى فتحت عليهم أوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على أى شئ توقدون ؟ قالوا : على لحم . قال : على أى لحم ؟ قالوا : لحم الحمر الإنسانية . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أهريقوها واكسروها . فقال رجل : يا رسول الله أو نهريقها ونفسلها ؟ فقال : أو ذاك . فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودى ليضره به فيرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال سلمة : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيدي قال : مالك ؟ قلت : فذاك أبى وأمى

زعموا أن عامراً حبط عمله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : كذب من قاله ، إن له لأجرين - وجمع بين إصبعيه - إنه لجاهدٌ مجاهدٌ قلَّ عرى مشى بها مثله .

ورواه مسلم من حديث حاتم بن إسماعيل وغيره عن يزيد بن أبي عبيد مثله . ويكون [مثله] منصوباً على الحالية من نكرة ، وهو سائغ إذ ادلت على تصحيح معنى ، كما جاء في الحديث «فصلى وراءه رجال قياماً» .

وقد روى ابن إسحاق قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي ، أن أباه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر لعمامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يا بن الأكوع نخذ لنا من هفاتك » . قال : فنزل يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إننا إذا قومٌ بغوا علينا
فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك ربك . فقال عمر بن الخطاب : وجبت يا رسول الله لو أمتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاري .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه عن أبي معتب بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : « اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية

وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا
بسم الله .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن العطاردى ، عن يونس
ابن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان
الأسلمى ، عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر حتى
إذا كنا قريباً وأشرقنا عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قفوا . فوقف الناس
فقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أظللن ، ورب
الشياطين وما أضللن ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من
شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغزَ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم
يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبرَ ليلاً فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح لم
يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه وركبتُ خلفَ أبي طلحة وإن قدمي لتمسُّ قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا عمالَ خيبر غادين قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ،
فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والخميس معه ! فأذبروا هُراً ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباحُ المُنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هرون عن حميد عن أنس بمثله .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا مالك ، عن حميد الطويل ، عن

أنس بن مالك أن رسول الله أتى خيبر ليلاً وكان إذا أتى قوماً بليلاً لم يُغزِ بهم حتى يصبح ، فلما أصبح خرجت اليهودُ بمساحيهم ومكائيلهم ، فلما رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا أبو عيينة ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، قال : صَبَحْنَا خَيْبَرَ بَكْرَةً فخرج أهلها بالمساجي ، فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا : محمد والله ، محمد والخميس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال : فأصبنا من لحوم الحمر فنأدى منأدى النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس .

تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم ومساحيهم ، فلما رأوه ومعه الجيش نكصوا فرجعوا إلى حصنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيحين .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال صلى رسول الله عليه وسلم الصبح قريباً من خيبر بفلس ، ثم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

فخرجوا يسمعون بالسكك فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبى الذرية

وكان في السبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أنت قلت لأنس : ما أضدقها ؟
فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم . وقد أورد البخاري ومسلم النهي عن
لحوم الحرم الأهلية من طرق تذكر في كتاب الأحكام .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو طاهر الفقيه ، أنبأنا خطاب بن أحمد الطوسي ،
حدثنا محمد بن حميد الأبيوردی ، حدثنا محمد بن الفضل ، عن مسلم الأعور الملائی ، عن
أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز
ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم بنى قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر
على حمار مخطوم برسن ليف وتحته إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي ، عن علي بن حجر ، عن علي بن مظهر ،
وابن ماجه ، عن محمد بن الصباح ، عن سفيان ، وعن عمر بن رافع عن جرير ، كلهم عن
مسلم ، وهو ابن كيسان الملائی الأعور الكوفي ، عن أنس به . وقال الترمذي : لا نعرفه
إلا من حديثه وهو يضعف .

قلت : والذي ثبت في الصحيح عند البخاري عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أجرى في رفاق خيبر حتى انحسر الإزار عن نخذة ، فالظاهر أنه كان يومئذ على
فرس لا على حمار .

ولعل هذا الحديث إن كان صحيحاً محمول على أنه ركبته في بعض الأيام وهو
محاصرها . والله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن سعيد الخزازي ، حدثنا زياد بن الربيع ، عن

أبي عمران الجوني ، قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة فرأى طيالة فقال : كأنهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان رمداً ، فقال : أنا أنخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلقق به .

فلما بنتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : لأعطين الراية غداً ، أو ليأخذن الراية غداً ، رجل يحب الله ورسوله يفتح عليه . فنحن نرجوها ، فقيل : هذا علي . فأعطاه . ففتح عليه .

وروى البخاري أيضاً ومسلم عن قتبية عن حاتم به .

ثم قال البخاري : حدثنا قتبية ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . قال : فبات الناس يدوكون ^(١) ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقالوا : هو يارسول الله يشتكي عينيه . قال : فأرسل إليه فأتى ، فصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يحب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم .

(١) يدوكون : يختلفون ويسألون .

وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً عن قتيبة به .

وفي صحيح مسلم والبيهقي من حديث سُهَيْل بن أَبِي صالح ، عن أَبِيهِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله
ويحبه الله وسوله يفتح الله عليه » .

قال عمر : فما أحبتُ الإمارة إلا يومئذ !

فدعا علياً فبعثه ثم قال : « اذهب فقاتلْ حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت » قال
علي : على ما أقاتِلُ الناسَ ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً
عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم
على الله » .

لفظ البخاري .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مُصْعَب بن المِقْدَام وجحش بن المنثري ، قالا : حدثنا
إسرائيل ، حدثنا عبد الله بن عِصْمَةَ العِجْلِي ، سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله
عنه يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية فهزَّها ثم قال : من يأخذها
بحقها ؟ فجاء فلان فقال : أنا . قال : امض . ثم جاء رجل آخر فقال : امض . ثم قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « والذي كرَّم وجه محمد لأعطينها رجلاً لا يفرُّ » فقال :
هاك يا علي .

فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وقدك وجاء بعجوتها وقديدها .

تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة .

وعبد الله بن عِصْمَةَ ، ويقال ابن أعصم ، وهكذا يكتبني بأبي علوان العِجْلِي ، وأصله
من اليمامة سكن الكوفة ، وقد وثقه ابنُ معين ، وقال أبو زُرْعَةَ : لا بأس به ، وقال

أبو حاتم : شيخ . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يخطئ كثيراً . وذكره في الضعفاء ، وقال : يحدث عن الأثبات مما لا يشبه حديث الثقات حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوخ رضى الله عنه قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتحاً وقد جهد .

ثم بعث عمر رضى الله عنه فقاتل ثم رجع ولم يكن فتحاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله . ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، وليس بفرار .

قال سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهو يومئذ أرمَد ، فتفل في عينيه ثم قال : « خذ الراية وامض بها حتى يفتح الله عليك » .

فخرج بها والله يأنح^(١) يهرول هرولاً ، وإنا خلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته في رَضْم^(٢) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودى : غلبتم وما أنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقي : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصبم ، أنبأنا العطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُريدة ، أخبرني أبي ، قال : لما كان يوم خيبر أخذ اللواء

(١) يأنح : من لأنح وهو علو النفس من شدة العدو . وتروى : يصول .

(٢) الرَضْم : حجارة بعضها فوق بعض ، من غير بناء .

أبو بكر ، فرجع ولم يفتح له ، وقُتل محمود بن مسلمة ورجع الناس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأدفعن لوأني غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح الله له » فَبِتْنَا طَيْبَةً نفوسنا أَنْ الفتحَ غداً ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، ثم دعا بالواء وقام قائماً ، فما منا من رجل له منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولتُ أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه ، فدعا عليّ بن أبي طالب وهو يشتكي عينيه . قال : فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففُتح له ، فسمعت عبد الله بن بُريدة يقول : حدثني أبي أنه كان صاحب مَرْحَب .

قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسلمة أُلقيت عليه رَحَى منه فقتلته .

ثم روى البيهقي ، عن يونس بن بكير ، عن المسيّب بن مسلمة الأزدي ، حدثنا عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشَّقِيقَةُ^(١) فلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشَّقِيقَةُ فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع فأخذه امر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لأعطينها غداً [رجلاً] يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عَنوة » وليس ثمَّ عليٌّ ، فتطاولت لها قريش ، ورجا كلُّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح وجاء علي بن أبي طالب على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أَرْمَد قد عَصَب عينه بشقة بُرْد

(٣) الشَّقِيقَةُ : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه .

قطرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدتُ بعدك . قال : ادنُ منى . فتفل فى عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله .

ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبةُ أرجوانٍ حمراء قد أخرج خملها ، فأتى مدينة خيبر وخرج مَرَحَب صاحب الحصن وعليه مِغْفَر يَمَانَى وَحَجَر قد ثقبه مثل البَيضَةِ على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَحَبُ شاكٍ سلاحي بطلٌ مجرَّبُ
إذا الليوثُ أقبلتُ تَلَهَبُ وأحجمتُ عن صولةِ المغلَبِ
فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سَمِنَى أُمى حَيدَرَه كَلَيْتُ غاباتٍ شديداً القَسُورَه
أكيلكم بالصاع كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(١)

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره على بضربة فقدَّ الحجرَ والمغفرَ ورأسه ، ووقع فى الأضراس ، وأخذ المدينة .

وقد روى الحافظ البزار عن عباد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكر ، عن حكيم ابن جُبَيْر ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قصة بَعَثَ أبى بكر ثم عمر يوم خيبر ثم بعث على فكان الفتح على يديه . وفى سياقه غرابة ونكارة وفى إسفاده من هو متهم بالتشيع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقى واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ابن الأَكْوع عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلاً وذكر فيه رجوعهم عن غزوة بنى قُرَازة . قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر فجعل يقول :

(١) السندرة : ضرب من السكيل غراف جراف .

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن من فضلك ما استغفنا فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذا القائل ؟ فقالوا : عامر . فقال :
غفر لك ربك . قال : وما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أحداً به إلا استشهد .
فقال عمر وهو على جمل : لولا متعتنا بهامر !

قال : فقدمنا خير نخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول :
قد علمت خير أنى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تأهب
قال : فبرز له عامر رضى الله عنه وهو يقول :

قد علمت خير أنى عامر شاكي السلاح بطل مغامر
قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر فذهب يسعل له^(١) ، فرجع
على نفسه فقطع أ كحله فكانت فيها نفسه .
قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : بطل
عمل عامر قتل نفسه !

قال : فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال : مالك ؟ فقلت :
قالوا : إن عامراً بطل عمله . فقال : من قال ذلك ؟ فقلت : نفر من أصحابك . فقال :
كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين .

قال : وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضى الله عنه يدعوه وهو
أرمد وقال : لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله . قال : فحسبته أتوده . قال :
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينه فبرأ ، فأعطاه الراية ، فبرز مرحب وهو يقول :

(١) يسعل : ينشط .

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَحِبُ شاكى السلاحِ بطلُ مجرِبُ
إذا الحروبِ أقبلتْ تلهِبُ

قال : فبرز له على وهو يقول :

أنا الذى سَمَّنى أُمى حَيْدره كليث غاباتِ كَرِه المنظره
أوفيهـم بالصاع كيلَ السُنْدَره

قال : فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله . وكان الفتح .

هكذا وقع فى هذا السياق أن علياً هو الذى قتل مرحباً اليهودى لعنه الله .

وقال أحمد : حدثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدثني قابوس بن أبى ظبيان ، عن
أبيه عن جده عن على قال : لما قتلتُ مرحباً جثت برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقد روى موسى بن عُقبة عن الزهرى ، أن الذى قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة .
وكذلك قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن سهل أحد بني حارثة ، عن

جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودى من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول :

قد علمتُ خيبرُ أنى مَرَحِبُ شاكى السلاحِ بطلُ مجرِبُ
أطعن أحياناً وحيناً أضربُ إذا الليوثُ أقبلتْ تلهِبُ
إنِ حمى لَأَحِمى لَأُقربُ

قال : فأجابه كعب بن مالك :

قد علمتُ خيبرُ أنى كعبُ مفرجُ الغمِّ جَرى صلبُ
إذ شَبَّت الحربُ وثارُ^(١) الحربُ معى حُسامُ كالعقيقِ عَضْبُ
بطاًكم حتى يَذِلَّ الصعبُ بكفِّ ماضٍ ليس فيه عيبُ

قال : وجعل مَرَحِب يرتجز ويقول : هل من مبارز ؟ فقال رسول الله صلى الله

(١) ابن هشام : تلها الحرب

عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور والثائر ، قتلوا أخى بالأمس . فقال : قم إليه اللهم أعنه عليه .

قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية ^(١) من شجر العُشر ^(٢) المسد ^(٣) ، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه مادونه ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرة فوقع سيفه فيها فعضت [به] ، فاستمته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن إسحاق بنحوه . قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال :

قد علمت خير أنى ماضٍ حلوا إذا شئتُ وسمي قاضٍ
وهكذا رواه الواقدي عن جابر وغيره من السلف ، أن محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحباً .

ثم ذكر الواقدي أن محمداً قطع رجلى مرحب فقال له : أجهز على . فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به على وقطع رأسه ، فاخصما فى سلبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة سيفه وريحه ومغفره ويبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه :

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب

(١) العمرية : القديمة .

(٢) العُشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه .

(٣) المسد : الشديد القتل . ولم ترد هذه الكلمة فى ابن هشام .

ثم ذكر ابن إسحاق أن أخا مرحب وهو ياسر خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز؟

فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أم صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله . فقال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فالتقيا فقتله الزبير . قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ صارما يقول : والله ما كان بصارم ولكني أكرهته .

وقال يونس عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع علي إلى خيبر ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيته ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل منهم من يهود فطرح ثُرُسَه من يده ، فتساول على باب الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجَّه على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه .

وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق مُطَّلَب بن زياد ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها ، وإنه جُرَّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً !

وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جَهِدُهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاري : حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عبيد ، قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابني

يوم خيبر فقال الناس : أصيب سلمة . فأنيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفت فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيتها حتى الساعة .

ثم قال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسleme ، حدثنا ابن أبى حازم ، عن أبيه عن سهل ، قال : التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون فى بعض مغازيه فاقتتلوا ، فقال كل قوم إلى عسكرهم ، وفى المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه ، فقيل : يا رسول الله ما أجراً منا أحدث ما أجراً فلان . قال : إنه من أهل النار . فقالوا : أينما من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ ! فقال رجل من القوم : لأتبعنه فإذا أسرع وأبطأ كنت معه ، حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين نديه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : وماذا لك ؟ فأخبره فقال : « إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة .

رواه أيضاً عن قتيبة عن يعقوب ، عن أبى حازم ، عن سهل . فذكره مثله أو نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى سعيد ابن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعى الإسلام : هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب . فوجد الرجل ألم جراحه فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهماً فحجر بها نفسه ، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : قم يا فلان فأذن : إنه لا يدخل

الجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ ! » .

وقد روى موسى بن عُقبة عن الزهري قصة العبد الأسود الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة . وكذلك رواها ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة قالا : وجاء عبد حبشي أسود من أهل خيبر كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي .

فوقع في نفسه ذِكر النبي فأقبل بغمفه حتى عمد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إلى ما تدعو ؟ قال : أدعوك إلى الإسلام ، إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وألا تعبد إلا الله . قال : فقال العبد : فماذا يكون لى إن شهدت بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجنة إن متَّ على ذلك .

فأسلم العبد فقال : يا نبي الله إن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آخر جها من عسكرنا وارمها بالحصا ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهودى أن غلامه قد أسلم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظ الناس فذكر الحديث في إعطائه الراية علياً ودنوه من حصن اليهود وقتله مَرَجَباً ، وقُتِلَ مع عليٍّ ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم فأدخل في الفسطاط ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع في الفسطاط ثم اطلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام في قلبه حقاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ! » .

وقد روى الحافظ البيهقي من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد ، عن شُرَحْبِيل بن سعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة خيبر، فخرجت سرية فأخذوا إنساناً معه غنم يربعها فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود وقال فيه : قُتل شهيداً وما سجد لله سجدة !

ثم قال البيهقي : حدثنا محمد بن محمد بن محمد بن محمد الفقيه ، حدثنا أبو بكر القطان ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة ؟ قال : نعم .

فتقدم فقاتل حتى قُتل ، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقتول فقال : لقد حسن الله وجهك وطيب ريحك وكثر مالك وقال : « لقد رأيت زوجتي من الحور العين يقفزان جنته عليه ، يدخلان فيما بين جلده وجنته » .

ثم روى البيهقي من طريق ابن جريج ، أخبرني عكرمة بن خالد ، عن ابن أبي عمار ، عن شداد بن الحاد ، أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهريهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسم لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمي هاهنا ، وأشار إلى حلقه بسهم ، فأموت فأدخل الجنة . فقال : « إن تصدق الله يصدقك » .

ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحمل وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو هو ؟ قالوا : نعم . قال : « صدق الله فصدقه » .

وكفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قدّمه فصلى

عليه وكان مما ظهر من صلاته : « اللهم هذا عَبْدُكَ خرج مهاجراً في سبيلك قُتل شهيداً وأنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائي عن سُويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك عن ابن جريج به نحوه .

فصل

قال ابن إسحاق : وتدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ويفتتحها حصناً حصناً ، وكان أول لُحصونهم فُتِح حصنُ ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رَحَى منه فقتلته . ثم القموص حصن بنى أبي الحقيق .

وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفية بنت حُي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، وكان دِخية بن خليفة قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها .

قال : وفشت السبايا من خير في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر فذَكَرَ نَهْيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عن أكلها .

وقد اعتنى البخارى بهذا الفصل ، فأورد النهى عنها من طرق جيدة .

وتحريمها مذهبُ جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وهو مذهب الأئمة الأربعة .

وقد ذهب بعض السلف ، منهم ابن عباس إلى إباحتها ، وتنوعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهى عنها .

فقيل : لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الحملة . وقيل : لأنها لم تكن تُحْتَس بعد . وقيل : لأنها كانت تأكل العذرة ، يعني جَلالة .

والصحيح أنه نهى عنها لذاتها ، فإن في الأثر الصحيح أنه نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ورسوله ينهايكم عن لحوم الحمر ، فإنها رجس .
فأكفأوها والقدور تفور بها ..

وموضع تقرير ذلك في كتاب الأحكام .

قال ابن إسحاق : حدثني سَلَامُ بْنُ كِرْكِرَةَ ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، ولم يشهد جابر خيبر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل .

وهذا الحديث أصله ثابت في الصحيحين ، من حديث حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن علي ، عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر ورخص في الخيل .

لفظ البخاري .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مكحول ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تُقسم .

وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى نجيب ، عن حَسَنِ الصَّنَعَانِي ، قال : غزونا مع رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الأنصارى المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جِرَبَة ، فقام نينا خطيباً فقال : أيها الناس إني لا أقول فيكم إلا ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرعاً

غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبى ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَفْنًا حتى يُقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من قَء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس يوما من قَء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق . ورواه الترمذى عن حفص بن عمرو الشيبانى ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن رويغ بن ثابت مختصراً . وقال : حسن .

وفى صحيح البخارى عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم .

وقد حكى ابن حزم عن على وشريك بن الحنبل أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النَّى . والذي نقله الترمذى عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلم الناس فى الحديث الوارد فى الصحيحين من طريق الزهرى ، عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن الحنفية ، عن أبيهما ، عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية .

هذا لفظ الصحيحين من طريق مالك وغيره ، عن الزهرى وهو يقتضى تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر .

وهو مُشكل من وجهين : أحدهما أن يوم خيبر لم يكن ثمّ نساء يتمتعون بهن ، إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسّباء عن نكاح المتعة .

الثانى : أنه قد ثبت فى صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة ، عن مَعْبَد عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم فى المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها وقال : إن الله قد حرمها إلى يوم القيامة .

فعلى هذا يكون قد نهى عنها ثم أذن فيها ثم حُرمت ، فيلزم النسخ مرتين وهو بعيد .

ومع هذا فقد نصَّ الشافعى على أنه لا يعلم شيئاً أبيع ثم حُرِّم ، ثم أبيع ثم حرم ، غير نكاح المتعة . وما حذاه على هذا رحمه الله إلا اعتماده على هذين الحديثين كما قدمناه ^(١) .

وقد حكى السهيلي وغيره عن بعضهم أنه ادعى أنها أبيعث ثلاث مرات ، وحُرمت ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جداً . والله أعلم .

واختلفوا أىَّ وقتٍ أول ما حُرمت ، فقيل : فى خيبر . وقيل : فى عُمرَةَ القضاء . وقيل : فى عام الفتح . وهذا يظهر . وقيل : فى أوطاس . وهو قريب من الذى قبله . وقيل : فى تبوك . وقيل : فى حجة الوداع .

رواه أبو داود .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث على رضى الله عنه بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

ولمّا الحفوظ فيه ما رواه الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن الحسن وعبد الله ابني محمد عن أبيهما ، وكان حسن أرضاهما فى أنفسهما ، أن علياً قال لابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الجمر الأهلية زمن خيبر .

قالوا : فاعتقد الراوى أن قوله خير ظرف للنهى عنهما ، وليس كذلك إنما هو ظرف للنهى عن لحوم الجر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفا ، وإنما جمعه معه لأن عليا رضى الله عنه بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ولحوم الجر الأهلية كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين على : إنك امرؤ تانه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة ولحوم الجر الأهلية يوم خير .

فجمع له النهى ليرجع عما كان يعتقد في ذلك من الإباحة .

وإلى هذا التقرير كان مَيْلُ شيخنا الحافظ أبى الحجاج المِزى نفعه الله برحمته آمين .

ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب [إليه] من [إباحة] الحُر والمتعة .

أما النهى عن الجر فتأوله بأنها كانت حمولتهم ، وأما المتعة فإنما كان يبيحها عند الضرورة في الأسفار ، وجعل النهى على ذلك في حال الرفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهورا عن علماء الحجاز إلى زمن ابن جريج وبعده .

وقد حُكي عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كذهب ابن عباس ، وهى ضعيفة .

وحاول بعض من صَنَّف في الحلال نقل رواية عن الإمام بمثل ذلك . ولا يصح أيضا والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب الأحكام . وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدْنِي الحصون والأموال . فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدثه بعض من أسلم^(١) أن بنى سَهْم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لقد جَهِدْنَا وما بأيدينا شيء فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست لهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء^(٢) »

(٢) الأصل : غنى . وما أثبتته من ابن هشام .

(١) ابن هشام : بعض أسلم

وأكثرها طعاماً وودّكا . ففدنا الناس ففتح عليهم حصن الصَّعب بن معاذ ، وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودّكا منه .

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلام ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة .
قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : وحدثني بُريدة بن سفيان الأسدي الأسلي ، عن بعض رجال بني سلمة ، عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله . قال : فافعل .

قال : فخرجت أشدُّ مثل الظِّلِم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً قال : اللهم أمتعنا به . قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلتُ أولها الحصن ، فأخذتُ شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم جئت بهما أشدُّ كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحوهما فأكلوها .

فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موتاً . وكان إذا حدث هذا الحديث بكى ثم قال : أمتعوا بني لعمري ! حتى كنت من آخرهم .

وقال الحافظ البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، حدثنا أبو سعيد بن الأعرجي ، حدثنا سعدان بن نصر ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحرول ، عن أبي عثمان النهدي ، أو عن أبي قلابة ، قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر قدم والتمر خضرة ، قال : فأسرع الناس إليها فحجموها فشكروا ذلك لإليه ، فأمرهم

أَنْ يَرْسُوا الْمَاءَ فِي الشَّانِ^(١) ثُمَّ يَجْرُونَهُ عَلَيْهِمْ إِذَا أَتَى الْفَجْرُ وَيَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
فَفَعَلُوا ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا نَشِطُوا مِنْ عَقْلِ .

قال البيهقي : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولا ، وعنه : بين صلاتي
المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى وبهرز ، قالا : حدثنا سليمان بن المغيرة ، حدثنا حميد بن
هلال ، حدثنا عبد الله بن مفضل ، قال : دلى جراب من شحم يوم خيبر فالتزمته فقلت :
لا أعطى أحدا منه شيئا . قال : فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم .
وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مفضل ،
قال : كنا نحاصر قصر خيبر ، فألقى إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت فأخذهت فראيت
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت .

وقد أخرجه صاحبها الصحيح من حديث شعبة . ورواه مسلم أيضا عن شيبان بن
فروخ ، عن عثمان بن المغيرة .

وقال ابن إسحق : وحدثني من لآتهم عن عبد الله بن مفضل المزني قال : أصبت من
في خيبر جراب شحم ، قال : فاحتلمته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني
صاحب المغنم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم حتى تقسمه بين المسلمين .
قال : وقلت : لا والله لا أعطيك . قال : وجعل يحاذيني الجراب ، قال : فرآنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغنم : خل بينه وبينه .
قال : فأرسله فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه .

(١) يرسوا : يبدوا . والشان : القرب .

وقد استدلل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك في تحريمه شحوم ذبائح اليهود وما كان غلبهم عليه غيرهم من المسلمين ، لأن الله تعالى قال : « وطعامُ الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم » قال : « لكم » قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث وفيه نظر . وقد يكون هذا الشحم مما كان حلالاً لهم والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُخَمَّس ، ويعضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا إسحاق الشيباني ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلت : كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، وكان الرجل يحییء فياً خذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف .

تفرد به أبو داود وهو حسن .

ذكر قصة صفية بنت حُيَّ بن أخطب النضرية

رضى الله عنها

كان من شأنها أنه لما أجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بني النضير من المدينة كما تقدم ، فذهب عامتهم إلى خير وفيهم حُيَّ بن أخطب وبنو أبي الحقيق ، وكانوا ذوى أموال وشرف في قومهم ، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ، ثم لما تأهلت للتزويج تزوجها بعض بني عمها ، فلما زفت إليه وأدخلت إليه بنى بها ومضى على ذلك ليال ، رأت في منامها كأن قر السماء قد سقط في حجرها ، فقصت رؤياها على ابن عمها فطمم وجهها وقال : أتتمنين ملك يثرب أن يصير بعلك !

فما كان إلا مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصاره إيامهم ، فكانت صفية في جملة السبي ، وكان زوجها في جملة القتلى .

ولما اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت في حوزة وملكه كما سيأتي ، وبني بها بعد استبرائها وحملها وجد أثر تلك اللطمة في خدها ، فسألها ما شأنها فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضى الله عنها وأرضاها .

قال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم الصبح قريبا من خير بفلس ثم قال : « الله أكبر خير بخت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .
فخرجوا يسعون في السكك ، فقتل النبي صلى الله عليه وسلم المقاتلة وسبي الذرية ، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها .

ورواه مسلم أيضا من حديث حماد بن زيد ، وله طرق عن أنس .
 وقال البخارى : حدثنا آدم ، عن شعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب قال : سمعتُ
 أنس بن مالك يقول : سبى النبي صلى الله عليه وسلم صفية فأعتقها وتزوجها . قال ثابت
 لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فأعتقها .
 تفرد به البخارى من هذا الوجه .

قال البخارى : حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ح .
 وحدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن
 عمرو مولى المطلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيرَ فلما فتح صلى الله عليه وسلم
 الحصن ذُكر له جمالُ صفية بنت حُي بن أخطب ، وقد قتل زوجها وكانت عروسا ،
 فاصطفاه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سُدَّ الصَّهباء ^(١) حلت
 فبني بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صنع حَيْسًا فى نِطْعٍ ^(٢) صغير ثم قال لى :
 آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ . فكانت تلك وليمة على صفية . ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي
 صلى الله عليه وسلم يُجَوِّى لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره ، فيضع ركبته وتضع صفية
 رجلها على ركبته حتى تركب .

تفرد به دون مسلم .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن أبى مریم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير ،
 أخبرني حُميد ، أنه سمع أنسًا يقول : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خير والمدينة
 ثلاث ليل يُبْنَى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمة وما كان فيها من خبز ولحم ،
 وما كان فيها إلا أن أمر بلالا بالأنطاع فُبَسِطت فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال
 المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو مملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجَّ بها فهي إحدى

(١) الصَّهباء : موضع بينه وبين خير مرحلة . والسد : الحاجز .

(٢) النِطْع : بساط من الأديم .

أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومدَّ الحجاب .

افرد به البخارى .

وقال أبو داود : حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : صارت صفيّة لدِحية الكلبي ، ثم صارت لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جُمع السبي - يعنى بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله أعطنى جارية من السبي قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفيّة بنت حبي ، فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أعطيت دحية . قال يعقوب : صفيّة بنت حبي سيدة قريظة والنضير ، ماتصلح إلّا لك . قال : ادعوا بها . فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال : خذ جارية من السبي غيرها . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقها وتزوجها .

وأخرجاه من حديث ابن عليّة .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن خلّاد الباهلي ، حدثنا بهز بن أسد ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت عن أنس ، قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فاشترأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سلمة تصنعها وتهيئها . قال حماد : وأحسبه قال : وتعتد في بيتها ، صفيّة بنت حبي .

تفرد به أبو داود .

قال ابن إسحاق : فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص حصن بني أبي

الحقيق أتى بصفية بنت حبي بن أخطب وأخرى معها ، فمر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكّت وجهها وحشت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أغزبوا^(١) عنى هذه الشيطانة . وأمر بصفية فخيرت خلفه وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية مارأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! .

وكانت صفية قد رأت في المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق أن قرأ وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لكمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ما هذا ، فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أرايت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ قال : نعم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بمض كنزهم ، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده . وكان الزبير يقدح بزنده^(٢) فى صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

(٢) ابن هشام : زنده .

(١) أغزبوا : أبعدوا .

فصل

قال ابن إسحاق : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم . ففعل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها الشق والنظاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين ، فلما سمع [بهم] أهل فذلك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل . وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأنعم لها . فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وعامل أهل فذلك بمثل ذلك .

فصل في فتح حصونها وقسمة أرضها

قال الواقدي : لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ إلى قلعة الزبير حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له عزال فقال : يا أبا القاسم تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النظاة وتخرج إلى أهل الشق ، فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك ؟

قال : فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله وماله فقال له اليهودي : إنك لو أقت شهرأ تحاصرهم ما بالوا بك ، إن لهم تحت الأرض دُبُولاً^(١) يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعهم .

(١) الدبول : الجداول .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع دُبُولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر حصون النبطاة . وتحوّل إلى الشق ، وكان به حصون ذوات عدد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أبيّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أشد القتال ، فخرج منهم رجل يقال له عزول فدعا إلى البراز فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ووقع السيف من يده ، وفر اليهودى راجعاً فاتبه الحباب فقطع عرقوبه . وبرز منهم آخر فقام إليه رجل من المسلمين فقتله اليهودى ، فهض إليه أبودجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البراز فكبر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه وأمامهم أبودجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة وتجمعوا الجزر كأنهم الضباب حتى ساروا إلى حصن البزاة بالشق ، وتمنّوا أشدّ الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقاموا ورمى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلهم بجانه عليه الصلاة والسلام فأخذ عليه السلام كفّاً من الحصار فرمى حصنهم بها فرجف بهم حتى ساءخ في الأرض وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

قال الواقدي : ثم تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأخيصة والوطيح والسلام ، حصن أبي الحقيق ، وتحصنوا أشدّ التحصن وجاء إليهم كل من كان انهزم من النبطاة إلى الشق ، فتحصنوا معهم في القموص وفي الكتيبة ، وكان حصناً منيعاً وفي الوطيح والسلام وجعلوا لا يطاعون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم .

فلما يقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر يوماً نزل إليه ابن أبي الحقيق فصالحه على حَقن دمائهم ويسيرهم ويحلّون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبين ما كان لهم من الأرض والأموال والصفراء والبيضاء والسكرع والحقة وعلى البر،
إلا ما كان على ظهر إنسان، يعنى لباسهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وبرئت
منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم شيئا. فصالحوه على ذلك.
قلت: ولهذا لما كنتموا وكذبوا وأخفوا ذلك المسك الذى كان فيه أموال جزيلة،
تبين أنه لا عهد لهم، فقتل ابنى أبى الحقيق وطائفة من أهله، بسبب نقض العهد
منهم واللواتيق.

وقال الحافظ البيهقي: حدثنا أبو الحسن على بن محمد المقرئ الأسفرايينى، حدثنا
الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا عبد الواحد بن غياث،
حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عبيد الله بن عمر، فيما يحسب أبو سلمة، عن نافع عن ابن عمر،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض
والزرع والنخل، فصالحوه على أن يحملوا منها ولهم ما حملت ركابهم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم الصفراء والبيضاء، ويخرجون منها، واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا،
فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد.

فغيبوا مسكاً^(١) فيه مال وحلى لحى بن أخطب، وكان احتمله معه إلى خيبر حين
أجليت النضير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ: ما فعل مسك حى الذى جاء
به من النضير؟ فقال: أذهبت النفقات والحروب. فقال: العهد قريب والمال أكثر من ذلك
فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير فمسه بمذاب، وقد كان حى قبل ذلك
دخل خربة، فقال: قد رأيت حياً يطوف فى خربة هاهنا. فذهبوا فطافوا فوجدوا
المسك فى الخربة.

فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنى أبى الحقيق، وأحدهما زوج صفية بنت

حي بن أخطب ، وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم وذرياتهم وقسم أموالهم بالنكت الذى نكتوا .

وأراد إجلاءهم منها ، فقالوا : يا محمد دَعْنَا نَكُون فِي هَذِهِ الْأَرْض نَصْلَحُهَا وَنَقُومُ عَلَيْهَا . ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلال يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشَّطْرَ من كل زرع ونخيل وشئ ، ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان عبد الله بن رواحة يأتهم كلَّ عام فيُخَرِّجُها عليهم ، ثم يُضمُّهم الشَّطْرَ ، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدةَ خَرْصِهِ ، وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطعموني السُّحْت ! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلى ، ولأنتم أبغضُ إلى من عدتكم من القردة والخنزير ، ولا يَحْمَلُنِي بَغْضَى إِيَّاكُمْ وَحِجَى إِيَّاهِ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ .

فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض !

قال : فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صَفِيَّةَ خُضْرَةَ ، فقال : يا صَفِيَّةُ مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ ؟ فقالت : كان رأسى في حجر ابن أبي الحَقِيقِ وأنا نائمة ، فرأيت كأن قرأ وقع في حجرى ، فأخبرته بذلك فلطمنى وقال : تَتَمَنَّينِ مَلِكٌ يَثْرِبُ .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَى ، قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي ، فما زال يعتذر إلى ويقول : إِنَّ أَبَاكَ أَلَبَّ عَلَى الْعَرَبِ وَفَعَلَ مَا فَعَلَ ، حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى كلَّ امرأةٍ من نسائه ثمانين وَسَقًا من تمر كل عام وعشرين وَسَقًا من شعير ، فلما كان في زمان عمر غَشُوا الْمُسْلِمِينَ وَالْقَوَا ابْنَ

عمر من فوق بيت ففقدوا^(١) يديه ، فقال عمر : من كان له سهمٌ بخيبر فليحضر حتى نقسمها . فقسمها . بينهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنّا دَعْنَا نكُون فيها كما أقرّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . فقال عمر : أتراني سقطَ على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف بك إذا وقصّت »^(٢) بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً .

وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الخديبية .

وقد رواه أبو داود مختصراً من حديث حماد بن سلمة .

قال البيهقي : وعلقه البخاري في كتابه فقال : ورواه حماد بن سلمة . قلت : ولم أره في الأطراف فالله أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهري ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني أسامة ابن زيد اللثبي ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : لما فُتحت خيبر سألت يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقرّهم على أن يعملوا على النصف مما خرج منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرّكم فيها على ذلك ما شئنا .

فكانوا على ذلك ، وكان التمر يُقسم على الشَّهْمَانِ من نصف خيبر وبأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ، وكان أطعم كل امرأة من أزواجه من الخمس مائة وسق من تمر وعشرين وسقا من شعير .

فلما أراد عمر إخراج اليهود أرسل إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهن : من أحبّ منكن أن أقسم لها مائة وسق فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن الزرع مزرعة عشرين وسقا من شعير فعلنا ، ومن أحب أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا .

(١) الفدع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل . (٢) وقصت : أسرعت .

وقد روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق حدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مالٌ فليلحق به ، فإني أخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » . قال جبير بن مطعم : ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً .

تفرد به دون مسلم .

وفي لفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بني هاشم وبني عبد المطلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعي : دخلوا معهم في الشعب وناصرهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذم أبو طالب بني عبد شمس ونوفلاً حيث يقول :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً عقوبة شرٍ عاجلاً غير آجلٍ

وقال البخاري : حدثنا الحسن بن إسحاق ، حدثنا محمد بن ثابت ، حدثنا زائدة ،

عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للفرس سهمين وللرجال سهماً .

قال : فسرره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن

معه فرس فله سهم .

وقال البخاري : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ،

عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بيانا^(١) ليس لم شيء ما فُتحت على قرية إلا قسّمها كما قسّم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ، ولكني أتركها خزانة لم يقسمونها .

وقد رواه البخاري أيضا من حديث مالك ، وأبو داود عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهدي ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر به .

وهذا السياق يقتضي أن خيبر بكاملها قُسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داود : حدثنا ابن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عتوة بعد القتال وترك من ترك من أهلها بعد القتال .

وبهذا قال الزهري : خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ثم قسم سائرها على من شهدا .

وفيا قاله الزهري نظر ، فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الناس كما سيأتي بيانه .

وقد احتج بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخير في الأراضي المغنومة ، إن شاء قسمها وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح^(٢) .

قال أبو داود : حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن ، حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، حدثني سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار ، عن سهل بن أبي حثمة قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوابه ، ونصفاً بين المسلمين : قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً .

(١) بيانا : أى على طريقة واحدة ، وهي كلمة غير عربية .

(٢) ت : « إن شاء قسمها ، وإن شاء قسم بعضها ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر ، فإنه خمسها ثم قسم نصفها في الغانمين ، وأرصد نصفها لما ينوبه في الحاجات والمصالح » .

تفرد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بشير بن يسار مرسلًا ، فعين نصف النوائب الوطيح والكتيبة والسَّلام وما حيزَ معها ، ونصف المسلمين الشَّق والنَّظاة وما حيزَ معهما ، وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حيزَ معهما .

وقال أيضاً : حدثنا حسين بن علي ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بشير بن يسار مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلَّ سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس .

تفرد به أبو داود .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن عيسى ، حدثنا مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد الأنصاري ، سمعت أبي يعقوب بن مجمع يقول عن عمه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ، عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري - وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن - قال : قُسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة فيهم ثلثمائة فارس ، فأعطى الفارس ، سهمين وأعطى الراجل سهماً .

تفرد به أبو داود .

وقال مالك عن الزهري ، أن سعيد بن المسيب أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم افتتح بعضَ خيبر عنوةً .

ورواه أبو داود . ثم قال أبو داود : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب أن خيبر بعضها كان عنوة وبعضها صلحاً ، والكتيبة أكثرها عنوة وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكتيبة ؟

قال : أرض خيبر ، وهى أربعون ألف عَذْق . قال أبو داود : والعَذْق : النخلة .
والعَذْق : العرجون .

ولهذا قال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا حرَمَى ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمارة ،
عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

حدثنا الحسن ، حدثنا قرّة بن حبيب ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن
أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شعبنا - يعنى من التمر - حتى فُتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق : كانت الشق والنطاة فى سهمان المسلمين ، الشق : ثلاثة عشر
سهما ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد
الحديبية من حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر
ابن عبد الله فضرب له بسهمه .

قال : وكان أهل الحديبية ألفا وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس لكل فرس
سهمان ، فصرف إلى كل مائة رجل سهم من ثمانية عشر سهما ، وزيد المائتا فارس
أربعمائة سهم نخلوهم .

وهكذا رواه البيهقى من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن
كيسان أنهم كانوا ألفا وأربعمائة معهم مائتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهم وكان أول سهم من سهمان
الشق مع عاصم بن عدى .

قال ابن إسحاق : وكانت الكتيبة خُسمًا لله تعالى ^(١) ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ،
وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطُعمة أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ، وطُعمة أقوام مشوا فى صلح أهل فَدَك ، منهم مُحِيصة بن مسعود أقطعه رسول الله

(١) ابن هشام : خمس الله .

صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا من تمر وثلاثين وسقا من شعير . قال : وكان وادياها اللذان قسمت عليه يقال لهما وادى السُرير ووادى خاص .

ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها ، فأجاد وأفاد رحمه الله .
قال : وكان الذى ولى قسمتها وحسابها جبار بن صخر بن أمية بن خنساء أخو بنى سلمة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما .

قلت : وكان الأمير على خَرَص نخيل خيبر عبد الله بن رواحة فخرصها سنتين ، ثم لما قتل رضى الله عنه فى يوم مؤتة ولى بعده جبار بن صخر رضى الله عنه .

وقد قال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثنى مالك ، عن عبد الجيد بن سهيل ، عن سعيد بن المسيب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمرٍ جَنِيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكلَ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة ، فقال : « لا تفعل بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا » .

قال البخارى : وقال الدراوردي ، عن عبد الجيد ، عن سعيد بن المسيب ، أن أبا سعيد وأبا هريرة حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أخا بنى عدى من الأنصار إلى خيبر وأمره عليها . وعن عبد الجيد عن أبى صالح السمان ، عن أبى سعيد وأبى هريرة مثله .

قلت : كان سهمُ النبي صلى الله عليه وسلم الذى أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكاملها ، وهى طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه صلوات الله وسلامه عليه فصالحوه ، وأموال بنى النضير المتقدم ذكرها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب .

فكانت هذه الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، وكان يعزّل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي فجعل مال الله يصرفه في السكران والسلاح ومصالح المسلمين . فلما مات صلوات الله وسلامه عليه اعتقدت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم - أو أكثرهن - أن هذه الأراضي تكون موروثه عنه ، ولم يبلغن ما ثبت عنه من قوله صلى الله عليه وسلم : « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » .

ولما طلبت فاطمة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم ؛ ذكر لهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا نورث ما تركنا صدقة » وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لقربة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي .

وصدق رضي الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد في ذلك التابع للحق .

وطلب العباس وعليّ على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث ، أن ينظرا في هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ، ورأى أن حقاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وألا يخرج من مسلكه ولا عن سننه .

فتنضبت فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض الموجدة .

ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محله ومنزله من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيه وعن الإسلام وأهله خيراً .

وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد ستة أشهر ثم جدّد على البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب سألوه أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى علي والعباس ، وثقلوا

عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر رضى الله عنه ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته .

فتغلب على^١ على عمه العباس فيها ، ثم تساوفاً يَحْتَصِمَانِ إلى عمر ، وقدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة وسألوا منه أن يقسمها بينهما فينظر كل^٢ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع وخشى أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة الموارث وقال : انظروا فيها وأنتم جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعوها إلى^٣ ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أفضى فيها قضاءً غير هذا .

فاستمرَّ فيها ومن بعدها إلى ولدهما إلى أيام بنى العباس ، تُصرف في المصارف التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفها فيها ؛ أموال بنى النضير وفدك وسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء فَرَضَ (١) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الغنيمة ولم يُسْهِم لهم .

قال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا بشر بن المفضل ، عن محمد بن زيد ، حدثني عمير مولى أبي الأحزم قال : شهدت خيبر مع سادتي ، فكلّموا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بي فقلدت سيفاً ، فإذا أنا أجْرُهُ ، فأخبر أنى مملوك ، فأمر لى بشىء من طريق اللئاع .

ورواه الترمذى والنسائى جميعاً ، عن قتيبة ، عن بشر بن المفضل به . وقال الترمذى :

(١) الرضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .

حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن مُنْقِذ عن عُمر به .

وقال محمد بن إسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء فرضخ لهن [من الفء ^(١)] ولم يضرب لهن بسهم .

حدثني سليمان بن سُحيم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن امرأة من بنى غنار قد سماها لي ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بنى غفار ، فقلنا : يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خير - فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال : « على بركة الله » .

قالت : فخرجنا معه ، قالت : وكنت جارية حدثه السن ، فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله ، قالت : [فوالله أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله ^(١)] قالت : وإذابها دم مني وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضتُ إلى الناقة واستحييت . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم قال : « مالك ؟ لعلك تفسد » قالت : قلت : نعم ، قال : « فأصلي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودي لمرّ بك » .

قالت : فلما فتح الله خير رضى لنا من الفء ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها .

قالت : وكانت لا تطهر من حيضها إلا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث محمد بن إسحاق به .

قال شيخنا أبو الحجاج المِزِّي في أطرافه : ورواه الواقدي ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سُحيم ، عن أم علي بنت أبي الحكم ، عن أمية بنت أبي الصلت عن النبي صلى الله عليه وسلم به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا رافع بن سلمة الأشجعي ، حدثني حُشْرَج بن زياد ، عن جدته أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن معه نساء ، قالت : فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا في وجهه الغضب فقال : « ما أخرجكن وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا ننساول السهام ونسقى السَّويق ، ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله . قال : فمرنن فانصرفن .

قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاما كسهام الرجال ، فقلت لها : يا جدَّة وما الذي أخرج لـكن ؟ قالت : تمرّاً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسَّهَمَ لهن في الأرض كسهام الرجال فلا ! والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي : وفي كتابي عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصهباني أخبره ، حدثنا الحسين بن الجهم ، حدثنا الحسين بن الفرج ، حدثنا الواقدي ، حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه عن جده ، عن عبد الله بن أنيس قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ومعى زوجتي وهي حبلى فنَفَسَتْ في الطريق ، فأخبرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « انقع لها تمرّاً فإذا انغمر فأمر به لتشر به » ففعلت فما رأت شيئاً تسكره ، فلما فتحنا خيبر أجَدَى ^(١) النساء ولم يُسْهم لهن ، فأجَدَى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ومن كان بقى بالحبيشة
من هاجر إليها من المسلمين ، ومن انضم إليهم من أهل اليمن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخيم بخيبر

قال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا بُرَيْد بن عبد الله بن
أبي بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : بلغنا تَخْرُجُ النبي صلى الله عليه وسلم ونحن
باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهم ، أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم ،
إما قال : فى بَضْع ، وإما قال : فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومى .

فركبنا سفينةً فالتفتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبيشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب ،
فأقنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، فكان
أناسٌ من الناس يقولون لنا - يعنى لأهل السفينة - : سبقناكم بالهجرة .

ودخلت أسماء بنت عميس - وهى بمن قدم معنا - على حفصة زوج النى صلى الله عليه
وسلم زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة وأسماء
عندها فقال حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء ابنة عميس . قال عمر : الحبيشية هذه ؟
البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه
وسلم منكم . فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ،
ويعطى جاهلكم ، وكنا فى دار - أو فى أرض - البُعداء والبُغضاء بالحبيشة ، وذلك فى الله
وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيم الله لا أظعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر
ما قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه .

فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت : يابى الله إن عمر قال كذا وكذا . قالت : قال :

« فقلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه
جرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » .

قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالا يسألوني عن هذا
الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى
الله عليه وسلم .

قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .
وقال أبو بردة عن أبي موسى : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إني لأعرف أصوات
رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن
بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم بن خزام إذا لقي العدو
— أو قال الخيل — قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب وعبد الله بن برء عن أبي أسامة به .

ثم قال البخاري : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا بُريد
[ابن عبد الله^(١)] عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، قال : قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا .

تفرد به البخاري دون مسلم ورواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث بُريد به .
وقد ذكر محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية
الضُمري إلى النجاشي يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد
فتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر .

قال : وقد ذكر سفيان بن عيينة عن الأجاج عن الشعبي ، أن جعفر بن أبي طالب
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين عينيه والتزمه وقال : « ما أدرى بأيهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

وهكذا رواه سفيان الثوري عن الأجلح ، عن الشعبي مرسلًا .

وأُسند البيهقي من طريق حسن بن حسين العرزمي ، عن الأجلح ، عن الشعبي عن جابر قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقاها وقبّل جبهته وقال : « والله ما أدرى بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » . ثم قال البيهقي ، حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا الحسين بن أبي إسماعيل العلوي ، حدثنا أحمد بن محمد البيروتي ، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكى بن إبراهيم الرُّعَيْنِي ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر جعفر إليه حَجَلَ - قال مكى : يعنى مشى على رجل واحدة - إعظاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه .

ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يُعرف إلى الثوري .

قال ابن إسحاق : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مكة إلى أن قدموا معه خير ستة عشر رجلاً . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم : جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامراته أسماء بنت عُمَيْس ، وابنه عبد الله ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولده سعيد ، وأمة بنت خالد ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، وأسود ابن نوفل بن خويلد بن أسد الأسدي ، وجَنَّهُم بن قيس بن عبد شُرَحْبِيل العبدي ، وقد ماتت امرأته أم حَرَملة بنت عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو ، وابنته خزيمة ماتتا بها رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقاص الزُّهري ، وعتبسة بن مسعود حليف لهم من

هذيل ، والحارث بن خالد بن صخر التيمي ، وقد هلك بها امرأته ربيعة بنت الحارث
رحمها الله ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان الجحى ، ومحمية بن جزء الزبيدي حليف بني سهم ،
ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدوي ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك
ابن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عمرة بنت السعدى ،
والحارث بن عبد شمس بن لقيط الفهري .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعرين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري
وأخويه أبا بردة وأبا رهم وعمه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعرين غير أبي موسى ولم
يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخارى .

وكان ابن إسحاق رحمه الله لم يطلع على حديث أبي موسى في ذلك . والله أعلم .
قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك من المسلمين هنالك وقد
حرر هاهنا شيئاً كثيراً حسناً .

قال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهرى ، وسأله
إسماعيل بن أمية قال : أخبرني عتبة بن سعيد ، أن أبا هريرة أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسأله - يعنى أن يقسم له - فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لاتعطه . فقال
أبو هريرة : هذا قاتل ابن قوئل . فقال : واعجباً لو بر تدلى من قدوم الضأن ^(١) .
تفرد به دون مسلم .

قال البخارى : ويذكر عن الزبيدي عن الزهرى ، أخبرني عتبة بن سعيد ، أنه

(١) الوبر : فراء دوية تشبه السنور ، وتسمى غنم بنى إسرائيل . وتدلى : انحدر . وقدوم الضأن :
جبل بأرض دوس قوم أبي هريرة . أراد بذلك تحقيره . ورواية صحيح البخارى : قدوم الضأل باللام .
وما هنا رواية الأصل وأبى ذر .

سمع أبا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا نأ على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما افتتحها ، وإن حُزم خيلهم لليف .

قال أبو هريرة : فقلت : يا رسول الله لا تقسم لهم . فقال أبان : وأنت بهذا يا وبر تحذر من رأس ضال . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبان اجلس » ولم يقسم لهم . وقد أسند أبو داود هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن الوليد الزبيدي به نحوه .

ثم قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدي وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل . فقال أبان لأبي هريرة : وأعجبا لك يا وبر ^(١) تردى من قدوم ضأن ، تنعى على امرأ أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده ؟ .

هكذا رواه منفرداً به هاهنا ^(٢) . وقال في الجهاد بعد حديث الحميدي ، عن سفيان ، عن الزهري عن عنبسة بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله أسهم لى . فقال بعض آل سعيد ابن العاص : لا تقسم له . فقلت : يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل . الحديث .

قال سفيان : حدثني السعيدى - يعنى عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جده عن أبي هريرة بهذا :

ففى هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر وتقدم فى أول هذه

(١) صحيح البخارى : وأعجبا لك وبر تدأ .

(٢) من هنا إلى أول خبر الحجاج علاط ساقطة من (١) .

الغزوة . رواه الإمام أحمد من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هريرة وأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما افتتح خيبر فكلّم المسلمين فأشركونا في أسهامهم . وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عمار بن أبي عمار ، قال : ما شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنماً قط إلا قسم لي ، إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى جاءا بين الحديبية وخيبر .

وقد قال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدثني ثور ، حدثني سالم مولى [عبد الله] بن مطيع ، أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل والبقر والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدغم أهده له بعض بني الضبيب ، فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذي نفسي بيده إن الشّملة التي أصابها يوم خيبر لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراك أو شركا كين فقال : هذا شيء كنتُ أصبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شرك أو شركا كين من نار » .

ذكر قصة الشاة المسمومة

وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها والحجة البالغة فيها

قال البخاري : رواه عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث ، حدثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم .
هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود » فجمعوا له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادق عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبتكم بل أبوكم فلان » قالوا : صدقت وبررت . فقال : « هل أنتم صادق عن شيء إذا سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أيينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله لا تخلفكم فيها أبداً » .
ثم قال لهم : « هل أنتم صادق عن شيء إذا سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضررك .

وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً عن قتيبة ، كلاهما عن الليث به . وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفیان بن حسين ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن امرأة من يهود أُهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه : « أمسكوا فإنها مسمومة » وقال لها :

« ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أردتُ أن أعلم إن كنت نبيّاً فسيُطْلَعك الله عليه ، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك . قال : فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو داود عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان به .
ثم روى البيهقي عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا شريح ، حدثنا عبّاد ، عن هلال - هو ابن خَبَّاب - عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة ، فأرسل إليها فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أحببتُ - أو أردتُ - إن كنت نبيّاً فإن الله سيُطْلَعك عليه ، وإن لم تكن نبيّاً أريح الناس منك .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم ، قال : فسافر مرةً فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم .
تفرد به أحمد وإسناده حسن .

وفي الصحيحين من حديث شعبة عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك ، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك . فقال : « ما كان الله لیسْلُطْكَ عَلَى » أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : « لا » .
قال أنس : فما زلتُ أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود المهزبي ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سُمِّت شاة

مَصْلِيَّةٌ^(١) ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها ، وأكل رهطٌ من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم » .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها فقال لها : « أَسَمِّتِ هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتنى هذه التي في يدي » وهي الذراع ، قالت : [نعم] . قال : « فما أردتِ بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبيا فلن تضرك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك .

فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها ، وتوفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجهم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ، حجَّه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار .

ثم قال أبو داود : حدثنا وهب بن بَقِيَّة ، حدثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخبز شاة مَصْلِيَّة نحو حديث جابر . قال : فمات بِشْرُ بن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية فقال : « ما حملك على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت ولم يذكر أمرَ الحِجَامَةِ .

قال البيهقي : ورويناه من حديث حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة .

قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بِشْرُ بن البراء أمر بقتلها . وروى البيهقي من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن

ابن كعب بن مالك ، أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مَصْلِيَّةَ بخير ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هدية . وحذرت أن تقول صدقة فلا يأكل . قال : فأكل وأصحابه ثم قال : « أمسكوا » ثم قال للمرأة : « هل سمعتِ ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها وهو في يده ، قالت : نعم . قال : « لم » . قالت : أردت إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، وإن كنت نبيا لم يضرك . قال : فاحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكاهل وأسر أصحابه فاحتجموا . ومات بعضهم .

قال الزهري : فأسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم .

قال البيهقي : هذا مُرْسَل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه .

وذكر ابنُ لُهِيعَةَ عن أبي الأسود ، عن عروة ، وكذلك موسى بن عُقْبَةَ عن الزهري قالوا : لما فَتَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مَرْحَبٍ لصفية شاة مَصْلِيَّةَ وسمَّتها ، وأكثرت في الكتف والذراع ، لأنه بلغها أنه أحبُّ أعضاء الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور ، وهو أحد بني سلمة ، فقدَّمت إليهم الشاة المَصْلِيَّةَ ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتفَ وانتَهِشَ منها ، وتناول بشر عظاما فانتَهِشَ منه ، فلما استرطَ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة استرطَ بشرُ بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أني نَعِيتُ فيها » فقال بشر بن البراء :

(١) استرط : ابتلع .

والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما معنى أن ألقظها إلا أنى أعظمتك أن أبفضك طعامك ، فلما أسغت ما فى فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى . فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وماطله وجهه حتى كان لا يتحول حتى يحول .

قال الزهري : قال جابر : واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، حججه مولى بنى بياضة بالقرن والشفرة ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجهه الذى توفى فيه فقال : « مازلت أجِدُ من الأكلة التى أكلتُ من الشاة يوم خيبر عِدَاداً ^(١) حتى كان هذا أو انقطاع أبهرى » . فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً .

وقال محمد بن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل لها الذراع . فأكثر فيها من السم ، ثم سُمّت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغاً فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال : « إن هذا العظ يخبرنى أنه مسموم » .

ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك » قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان كذا با استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فسئخبر .

قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور - : « يا أم بشر إن هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاع أبهرى من الأكلة التي أكلت مع أخيك بنخبير » .

قال ابن هشام : الأبهز : العرق المعلق بالقلب .

قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا هلال بن بشر وسليمان بن يوسف الحرّاني ، قالا : حدثنا أبو غياث سهل بن حماد ، حدثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسكوا فإن عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » فأرسل إلى صاحبته : « أستمّت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حالك على ذلك ؟ » قالت : إن كنت كذاباً أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه .

فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر

أحداً منا .

ثم قال : لا يُروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلا من هذا الوجه .

قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة . والله أعلم .

وذكر الواقدي أن عيينة بن حصن قبل أن يسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله صلى

الله عليه وسلم محاصرٌ خبير ، فطمع من رؤياه أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وجده قد افتتحها ؛ فقال :
يا محمد أعطني ما غنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « كذبت رؤياك » وأخبره بما رأى .

فرجع عيينة فلقية الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء ، والله
ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإن يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعتُ
أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني
هارون ، إنه لم يرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا . ولنا منه ذبحان ؛ واحد يثرب وآخر
بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام : يملك الأرض ؟ قال : نعم والتوراة التي أنزلت على
موسى وما أحب أن تعلم يهود بقولي فيه .

فصل

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى
وادي القرى فحاصر أهلها ليالي ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

ثم ذكر من قصة مدغم وكيف جاءه سهمٌ غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئاً له
الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا والذي نفسي بيده إن الشَّملة التي
أخذها يوم خيبر لم يصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » .

وقد تقدم في صحيح البخاري نحو ما ذكره ابن إسحاق والله أعلم .
وسياتي ذكر قتاله عليه السلام بوادي القرى .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبي
عمرة ، عن زيد بن خالد الجهني ، أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم توفي يوم خيبر ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « صلُّوا على صاحبكم »

فتغير وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلّ في سبيل الله » فقدشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود مايساوى درهمين .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان . ورواه أبو داود وبشر بن الفضل وابن ماجه من حديث الليث بن سعد ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به .

وقد ذكر البيهقي أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من خيبر وتجمعوا لذلك فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً فلما تحققوا ذلك هربوا كل مهرّب ؛ وذهبوا من طريقه كل مذهب .

وتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلتّ صفية من استبرائها دخل بها بمكان يقال له سدّ الصهباء في أثناء طريقه إلى المدينة ؛ وأولم عليها بحنيس ، وأقام ثلاثة أيام يُبني عليه بها ، وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين كما فهمه الصحابة لما مدّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه رضى الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في السيرة قال : لما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بخيبر - أو ببعض الطريق - وكانت التي جمّتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له وبات أبو أيوب متوشحاً بسيفه يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُطيف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه قال : « مالك يا أبا أيوب ؟ » قال : خِفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر فخِفْتُها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » .

ثم قال : حدثني الزهري عن سعيد بن المسيّب ، فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خير ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولهم استيقاظاً فقال : « ماذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : « صدقت » ثم اقتاد ناقته غير كثير ثم نزل فتوضأ وصلى كما كان يصلّيها قبل ذلك . وهكذا رواه مالك عن الزهري عن سعيد مرسل . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قُتل من غزوة خيبر ، فسار ليلةً حتى إذا أدركنا الكرى عرّس وقال بلال : « اكلاً لنا الليل » قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستندٌ إلى راحلته فلم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا بلال » قال : أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك بأبى أنت وأمى يا رسول الله . قال : فاقتادوا رواحلتهم شيئاً ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بلالاً فأقام الصلاة وصلى لهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : « من نسي صلاةً فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى يقول : « وأقم الصلاة لِذِكْرِي » .

قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك .

وهكذا رواه مسلم عن حرّمة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب به ، وفيه أن ذلك كان مرجعهم من خير .

وفى حديث شُعبة عن جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن بن أبى علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، فى رواية عنه أن بلالاً هو الذى كان يَكُلُوهم ، وفى رواية عنه أنه هو الذى كان يَكُلُوهم .

قال الحافظ البيهقي : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضاة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين أو مرة ثالثة .

قال : وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شدّاد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فالله أعلم .

ثم أورد البيهقي ما رواه صاحب الصحيح من قصة عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء عن عمران بن حصين ، في قصة نومهم عن الصلاة وقصة المرأة صاحبة السّطيحتين وكيف أخذوا منهما ماء روى الجليش بكأله ولم ينقص ذلك منهما شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم من حديث ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، وهو حديث طويل وفيه نومهم عن الصلاة وتكثير الماء من تلك الميضاة . وقد رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبد الواحد ، عن عاصم عن أبي عثمان ، عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبراً ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال : يا عبد الله بن قيس . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله فذاك أبي وأمي . قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق ، عن عبد الرحمن بن مُلٍ أبي عثمان النهدي ، عن
أبي موسى الأشعري .
والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ، فإن أبا موسى إنما قدِم بعد فتح خيبر .
كما تقدم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - قد أعطى
ابن لقيم العباسي حين افتتح خيبر ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ،
فقال ابن لقيم في فتح خيبر :

رُميت نَظَاةٌ مِنَ الرُّسُولِ بِفَيْلِقٍ	شهباء ذاتِ مناكِبٍ وَفَقَارٍ ^(١)
وَاسْتَيْقَنْتُ بِالذَّلِّ لَمَّا شُيِّعَتْ	وَرِجَالُ أَسْلَمٍ وَسَطَهَا وَغِفَارٍ
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِزْزَعَةٍ غُدُوَّةٍ	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلُهُ بِنَهَارٍ
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الذُّيُولُ فَلَمْ تَدَعْ	إِلَّا الدَّجَاجَ نَصِيحَ الْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ حَصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خِيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلِمُوا سِيَاهَهُمْ	فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَنْوُوا لِفِرَارٍ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِيَعْلَبِينَ مُحَمَّدٌ	وَلِيَمْتُونِ بِهَا إِلَى أَصْفَارٍ ^(٢)
فَرَّتْ يَهُودٌ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْوَغَى	تَحْتَ الْعِجَاجِ غَمَامٌ الْأَبْصَارِ ^(٣)

(١) نَظَاةٌ : حصن بخيبر . والفَيْلِقُ الكَتِيبة . والشهباء : السكينة السلاح وذات مناكِب وفقار : شديدة .

(٢) أَصْفَارٌ : جمع صفر وهو الشهر المعروف .

(٣) الغمام : جفون العين . قال السهيلي : وهو بيت مشكل ؛ غير أن في بعض النسخ وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، فإذا فتحت فاهها ، وغمام الأبصار : هي مفعول فرت ، وهي جفون أعينهم . انظر الروض الأنف .

فصل

في ذكر من استشهد بخير من الصحابة رضى الله عنهم
على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين ربيعة بن أكنم بن سَخْبَرَة الأسدي مولى بنى أمية ، وثقيف بن عمرو ورفاعة بن مسروح خلفاء بنى أمية ، وعبد الله بن الهيثب بن أهيب بن سُحَيْم بن غيرة من بنى سعد بن ليث حليف بنى أسد وابن أختهم . ومن الأنصار بشر بن البراء ابن معرور من أكلة الشاة المسمومة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وفُضَيْل ابن النعمان السلميّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خالد بن عامر بن زُرَيْق الزُرَيْق ، ومحمود بن مسleme الأشملى ، وأبو ضِيَّاح حارثة بن ثابت بن النعمان العُمري ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مُرَّة بن سُرَاقَة ، وأوس [بن] الفائد^(١) وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة وطلحة ، وعمارة بن عقبة رمى بسهم فقتله ، وعامر بن الأكوع ثم سلمة ابن عمرو بن الأكوع أصابه طرف سيفه في ركبتة فقتله رحمه الله كما تقدم ، والأسود الراعى . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته وقد أسلفناها في أوائل الغزوة والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : ومن استشهد بخير فيما ذكره ابن شهاب من بنى زهرة مسعود ابن ربيعة حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف أوس بن قتادة رضى الله عنهم أجمعين .

(١) الأصل : وأوس الفارض . وما أثبتته عن الإصابة .

خبر الحجاج بن علاط البهزي رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خير كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزي فقال : يا رسول الله إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبه بنت أبى طلحة - وكانت عنده له منها مُعرض بن الحجاج - ومالاً متفرقا فى تجار أهل مكة ، فأذن لى يا رسول الله . فأذن له ، فقال : إنه لا بد لى يا رسول الله من أن أقول . قال : قل .

قال الحجاج : نخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه قد سار إلى خير وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعة ورجالا ، وهم يتجسسون الأخبار من الركبان ^(١) .

فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خير وهى بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم . فالتبطوا ^(٢) بجنبى ناقتى يقولون : إيه يا حجاج ؟ قال : قلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقد قُتل أصحابه قتلا لم تسوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقله لى نبعث به إلى مكة [فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة] ^(٣) وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم .

(١) ابن هشام : يتجسسون الأخبار ويسألون الركبان .

(٢) التبطوا : مشوا بجانبها ولازموها .

(٣) من ابن هشام .

قال : قلت : أعينوني على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر فأصيب من قَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هناك . قال : فقاموا فجمعوا إلى ما كان لى كأحثَّ جمع سمعتُ به ، قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وكان [لى] ^(١) عندها مال موضوع ، فلعلى ألحق بخيبر فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبقنى التجار .

قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبرَ وما جاءه عنى أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيم التجار ، فقال : يا حجاج ما هذا الذى جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حِفْظٌ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر حتى ألقاك على خلأ ، فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثاً ثم قل ماشئت . قال : أفعل . قلت : فإنى والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعنى صفية بنت حى - وقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالى فرقاً عليه من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرَكَ فهو والله على ماتحب ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخاق ^(٢) وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلُّد لحرِّ المصيبة ! قال : كلا والله الذى حلقتُ به ، لقد افتتح محمدٌ خيبرَ ونزل عروساً على بنت ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ أمواله فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه

فيكون معه ، فقالوا : يا لعباد الله ! أنفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن .
قال : ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وهكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج ابن علاط : يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلاً ، وإنى أريد أن آتيهم ، أفأنا في حلٍّ إن أنا نلت منك أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندك ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصببت أموالهم .

قال : وفشا ذلك بمكة ، فانتقم المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً .

قال : وبلغ الخبر العباسَ فقير وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني عثمان الخزرجي عن مِقْسَم قال : فأخذ ابنا يقال له قُتَم واستلقى ووضع على صدره وهو يقول .

حِجِّي قُتَم . شِبْه ذِي الْأَنْفِ الْأَشَمِّ

بَنِي ذِي النَّعْمِ بَرَّغَمٍ مِنْ زَعَمٍ

قال ثابت عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى حجاج بن علاط فقال : ويليكَ ما جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خيرٌ مما جئت به . فقال : حجاج بن علاط : اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليُخَلِّ لي في بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على ما يسره . فجاء غلامه فلما بلغ الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحاً حتى قبل بين عينيه ، فأخبره ما قال حجاج فأعتقه .

قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم

أموالهم ، وجرت سهامُ الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ بنت حبي واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتمقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها ، فاخترت أن يعتمقها وتكون زوجته . قال : ولكني جئت لمال كان هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخفِ على ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك .

قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى أو متاع فجمعتها ودفعته إليه ثم انشمرَ به ، فلما كان بعدَ ثلاثٍ أتى العباسُ امرأةَ الحجاج فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شقَّ علينا الذي بلغك ، قال : أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله وجرت فيها سهامُ الله ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقى به . قالت : أظنك والله صادقا ؟ قال : فإنني صادق والأمرُ على ما أخبرتك ، ثم ذهب حتى أتى مجالسَ قریش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبنى إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عنه ثلاثا ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب . قال : فرد الله السكَّابة التي كانت بالمسامين على المشركين ، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئباً حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر ، فمَرَّ المسلمون ورداً ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجهُ أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمَّد بن غيلان عن عبد الرزاق . ورواه أيضاً من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور عن معمر به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن قريشا كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خيبر . وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر ، وكان تحته أم شيبه أخت عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مُسَكَّنًا من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر استأذن الحجاج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهاب إلى مكة يجمع أمواله ، فأذن له نحو ما تقدم . والله أعلم .

[قال السهيلي رحمه الله : وروينا في سبب إسلام الحجاج هذا أمرًا عجيبًا مع الجن . قال : وهو والد نصر بن حجاج الذي نفاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من المدينة بسبب اقتتان بعض جوارى المدينة . وفيه تقول الفريضة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفي :

ألا سبيلَ إلى خمرٍ فأشربها ولا سبيلَ إلى نصر بن حجاج
قال : فلما ذهب إلى الشام فهوى امرأة أبي الأسود السلمي وأضنى من حبها ، وكان يقال له الضنى . ومات بذلك ^(١) .

قال ابن إسحاق : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حسان :

بئس ما قاتلت خيبرُ عتًا جمعوا من مزارعٍ ونخيلٍ
كرهوا الموت فاستبيح حاهم وأقرؤوا فعل الذميمة الدليل
أمن الموت يهربون فإن المو ت موت الهزال غير جميل
وقال كعب بن مالك فيما ذكره ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري :

ونحن وردنا خيبراً وفروضه بكل فتى عارى الأشاجع مذود ^(٢)

(١) سقط من المطبوعة . (٢) الفروض : مواضع الشرب من الأنهار . والأشاجع : عروق ظاهر الكف . والمذود : الحامي المدافع .

جوادٍ لدى الغاياتِ لا واهنِ القوى جرىء على الأعداءِ في كل مَشهدٍ
عظيم رَمادِ القِدرِ في كل شَتوةٍ ضروبٍ بِنَصلِ المَشرفِ المَهندِ
يرى القتلَ مَدْحًا إنْ أصابَ شهادةً من الله يَرجوها وفوزاً بأَحمدِ
يَذُودُ ويحمي عن ذِمَارِ مُحَمَّدٍ ويدفع عنه باللسانِ وباليَدِ
وينصره من كل أمرٍ يَريبه يَجودُ بنفسِه دونَ نفسِ مُحَمَّدِ
يصدِّقُ بالأَنباءِ بالغيبِ مُخلصًا يريدُ بذلك العزَّ والفوزَ في غَدِ

فصل

في مروره عليه السلام بوادي القرى ومحاصرته قوما من اليهود ومصالحته

يهود على ما ذكره الواقدي

قال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ،
عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادي
القرى ، وكان رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي قد وهب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عبدا أسود يقال له مِذْعَم ، فكان يرْحَلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نزلنا
بوادي القرى انتهينا إلى يهود وقدم إليها ناس من العرب ، فبينما مِذْعَم يحطُّ رحل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد استقبلتنا يهود بالرمي حين نزلنا ولم نكن على تعبئة ، وهم
يصيحون في آطامهم ، فيُقبِلُ سهمٌ عائر فأصاب مدعما فقتله ، فقال الناس : هنيئا له الجنة .
فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كلا والدي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من
المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا » فلما سمع بذلك الناس جاء رجل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشراك أو شركين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « شراك من نار

أو شرا كان من نار». وهذا الحديث في الصحيحين من حديث مالك عن ثور بن يزيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

قال الواقدي : فعَبَّى رسول الله أصحابه للقتال وصفهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى مهمل بن حنيف ، وراية إلى عباد ابن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم وحسابهم على الله .

قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز إليه على فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل منهم رجلا دعى من بقي منهم إلى الإسلام .

ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم فيصلي بأصحابه ثم يعود فيدعومهم إلى الإسلام وإلى الله عز وجل ورسوله ، وقتلهم حتى أَمَسَ^(١) ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة وغنمهم الله أموالهم وأصابوا أانا ومتاعا كثيرا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام ، قسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم .

فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز ، ومن وراء ذلك من الشام .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى وغنمه الله عز وجل .

قال الواقدي : حدثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم عمارة ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرف وهو يقول : « لا تَطْرُقُوا النساء بعد صلاة العشاء » قالت : فذهب رجل من الحى فطرق أهله فوجد ما يكره ، نفلى سبيلها ولم يهجر ، وضنَّ بزوجه أن يفارقها وكان له منها أولاد وكان يحبها ، فعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما يكره .

فصل

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر عامل يهودها عليها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث على أن يعملوها من أموالهم ، وفي بعضها : وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « تَقْرَأُكُمْ فِيهَا مَا شِئْنَا » .

وفي السنن أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة يخرصها عليهم عند استواء ثمارها ثم يضمهم إليهم ، فلما قُتِلَ عبد الله بن رواحة بمؤتة بعث جبار بن صخر كما تقدم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طريقه كتاب للزراعة من كتاب الأحكام إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق : سألت ابن شهاب كيف أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلمهم ؟ فأخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن شئتم

دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، فأقرّكم ما أقرّكم الله .

فقبلوا وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله ابن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص .

فلما توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله أذن لي في إجلائكم . وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان » فن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء . فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمائة أن بأيديهم كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أنه وضع الجزية عنهم .

وقد اغترّ بهذا الكتاب بعض العلماء حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ، من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون ، وهو كتاب مزوّر [مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد] (١)

وقد تعرض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم كابن الصباغ في مسائله ، والشيخ أبي حامد في تعليقاته ، وصنف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للرد عليه ، وقد تحرّكوا به بعد السبعائة وأظهروا كتابا فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه فإذا هو مكذوب ، فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن

خير ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه على ابن أبي طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع . والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر فتعاهدنا ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فعُدِي علىَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي فقُذعت يداي من مرفقي ، فلما استصرخ على صاحباي فأتياي فسألاني من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري ، فأصلحا من يدي ، ثم قدما بي على عمر ، فقال : هذا عمل يهود خيبر .

ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدّوا على عبد الله بن عمر فقدّعوا يديه كما بلغكم مع عدّوتهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم كانوا أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليالحق به فإني نخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر ، وقد كان وقفه في سبيل الله وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو ثابت في الصحيحين ، وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

قال الحافظ البيهقي في الدلائل : جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا إياس بن سلمة ، حدثني أبي ، قال : خرجنا مع أبي بكر ابن أبي قحافة وأمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ففزوننا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا أبو بكر فعرّسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشئنا الغارة ، فقتلنا على الماء من مرّ قبّلنا .

قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه الذرية والنساء نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم فوقهم بينهم وبين الجبل ، قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيت على الماء وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع^(١) من آدم ومعهما ابنة لها من أحسن العرب ، قال : فنفلني أبو بكر بنتها ، قال : فما كشفت لها ثوبا حتى قدمت المدينة ، ثم بث فلم أكشف لها ثوبا ، قال : فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال لي : « يا سلمة هب لي المرأة » قال : فقلت : والله يارسول الله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « يا سلمة هب لي المرأة » . قال : فقلت : يارسول الله والله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوبا . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال : « يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك » قال : قلت : يارسول الله والله ما كشفت لها ثوبا وهي لك يارسول الله . قال : بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة وفي أيديهم أسارى من المسلمين ففداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقي من حديث عكرمة بن عمار به .

(١) القشع : الفرو الخلق .

سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة من أرض هوازن
وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ثلاثين راكبا ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا
يسIRON الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم وكرّ عمر راجعا إلى
المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرني
إلا بقتال هوازن في أرضهم .

سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي

ثم أورد من طريق إبراهيم بن كهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق
موسى بن عقبة عن الزهري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في
ثلاثين راكبا فيهم عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليفزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليستعملك على خير . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلا مع كل رجل منهم رديف^(١)
من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة نيار وهى من خير على ستة أميال ندم يسير بن رزام فأهوى بيده
إلى سيف عهد الله بن رواحة ، ففطن له عبد الله بن رواحة فزجر بعيره ثم اقتحم يسوق بالقوم ،
حتى استمكن من يسير ضرب رجله قطمها ، واقتحم يسير وفى يده نخراش من شوخط^(٢)
فضرب به وجه عبد الله بن رواحة فشجه شجة مأمومة^(٣) . وانكفا كل رجل من المسلمين
على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدا ولم يُصَب من المسلمين أحد ،

(١) النخراش المجن ، وهو عصا معقوفة . والشوخط : شجر من النبع .

(٢) مأمومة : فى أم رأسه .

وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجرة عبد الله بن رواحة فلم تُقَيِّح ولم تؤذ حتى مات .

سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى من طريق الواقدي بإسناده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرة من أرض فدك فاستاق نهمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتالا شديداً ، ثم لجأ إلى فدك فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقدي : ثم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله ، ومعه جماعة من كبار الصحابة ، فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدرى ، وكعب بن عجرة .

ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة لاموه على ذلك حتى سقط في يده وندم على ما فعل . وقد ذكر هذه القصة يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيخ من بني سلامة ، عن رجال من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة فأصاب مرداس بن نهيك [حليفاً لهم من الحرقة فقتله أسامة . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة عن أبيه عن جده أسامة بن زيد : قال : أدر كته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرداس بن نهيك ^(١)] فلما شهرنا عليه السيف قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم ننزع عنه حتى قتلناه .

فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه فقال : « يا أسامة من لك بلا إله إلا الله » فقلت : يا رسول الله إنما قالها تعوذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله » .

فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علىّ حتى تمنيت أن ماضى من إسلامي لم يكن ، وأنى أسلت يومئذ ولم أقتله . فقلت : إني أعطى الله عهداً ألا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً . فقال : « بعدى يا أسامة » فقلت بعدك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هُشيم بن بشير ، أنبأنا حصين ، عن أبي ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يحدث قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرة من جُهينة ، قال : فصبحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا ، وإذا أذبروا كان حاميتهم ، قال : ففشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشينا قال : لا إله إلا الله . فكف عنه الأنصاري وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟! » قال : فقلت : يا رسول الله إنما كان متعوذاً من القتل . قال : فكررها علىّ ، حتى تمنيت أنى لم أكن أسلت إلا يومئذ . وأخرجه البخاري ومسلم من حديث هُشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجهني ، عن جندب بن مكيث الجهني قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي كلب ليث إلى بني الملوّح بالسكديد وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سريره ، فمضينا حتى إذا كنا بالقديد^(١) لقينا الحارث بن مالك بن البرصاء اللبيّ فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ، فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لتسلم فلا يضريك

رباطُ يومٍ وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك .

قال : فأوثقه رباطاً وخلف عليه رويحلاً أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى تمرَّ عليك ، فإن نازعك فاحترز رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشيّة بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه فعمدتُ إلى تل يُطلّعي على الحاضر ، فانبطحت عليه . وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التل مارأيتَه في أول النهار ، فانظري لاتكون الكلابُ اجتريَّت بعضَ أوعيتك . فنظرت فقالت : والله ما أ فقد منها شيئاً ، قال : فناوليني قوسى وسهمين من نبلى ، فناولته فرماني بسهم في جنبي أو قال في جيبني ، فنزعتَه فوضعتَه ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فنزعتَه فوضعتَه ولم أتحرك ، فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سَهْمَايَ ولو كان رَيْبَةً^(١) رَيْبَةً لتتحرك ، فإذا أصبحتِ فابتغى سهمي نخذيهما لاتمضيهما على الكلاب .

قال : فأملئنا حتى إذا راحت روائحهم وحتى احتلبوا وعطنوا وسكنوا وذهبت عَمّة من الليل ؛ شغفنا عليهم الفارة ، فقتلنا واستقنا النعم ووجّهنا قافلين به ، وخرج صريحُ القوم إلى قومهم بقرُبنا ، قال : وخرجنا سراعاً حتى نمر بالخارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا وأنا صريحُ الناس فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطنُ الوادى من قديد بعث الله من حيث شاء ماءً مارأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجذبها أو نحدوها - شك الثفيلي - فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدّرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق في روايته عبد الله بن غالب ، والصواب غالب بن عبد الله كما تقدم .

(١) الرَيْبَةُ : طليعة القوم . وفي المطبوعة : رَيْبَة . وهو تحريف .

وذكر الواقدي هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه : وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلا .

ثم ذكر البيهقي من طريق الواقدي سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب وغنموا نهما كثيراً ، وكان بعثه في هذه السرية بإشارة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكان معه من المسلمين ثلاثمائة رجل ودليله حُسَيْل بن نويرة وهو الذى كان دليل النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، قاله الواقدي .

سرية أبي حذرَد إلى الغابة

قال يونس عن محمد بن إسحاق : كان من حديث قصة أبي حذرَد وغزوته إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حذرَد قال : تزوجت امرأة من قومي فأصدقتهَا مائتي درهم ، قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي . فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت : مائتي درهم ، فقال : « سبحان الله والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتُم ، والله ما عندي ما أعينك به » فلبثت أياماً ثم أقبل رجل من جيشم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - في بطن عظيم من جيشم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم وشرف في جيشم ، قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدم لنا شارفاً عجفاء فحمل عليه أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلَّغوا على هذه » .

فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكفنا في ناحية وأمرت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ،

وقلت لها : إذا سمعاني قد كبرت وشدت في العسكر فكبراً وشدّاً معي .
فوالله إنا كذلك ننظر أن نرى غرة أو نرى شيئاً وقد غشنا الليل حتى ذهب
فحة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم وتخوفوا عليه ، فقام
صاحبهم رفاعة بن قيس فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقن أمر راعينا ولقد
أصابه شر ، فقال نفر من معه : والله لا تذهب نحن نكفيك . فقال : لا إلا أنا . قالوا :
نحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى مر بي ، فلما أمكنني نفحته
بسهم فوضعت في فواده ، فوالله ما تكلم فوثبت إليه فاحتزرت رأسه ، ثم شدت ناحية
العسكر وكبرت وشد أصحابي وكبراً ، فوالله ما كان إلا النجا من كان فيه عندك
بكل ما قدروا عليه من نسايتهم وأبنائهم وماخف معهم من أموالهم ، واستقنا إبلا عظيمة
وغنا كثيرة فجنبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني
من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صدقي فجمعت إلى أهلي .

السرية التي قتل فيها محم بن جثامة عامر بن الأضبط

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن عبد الله ^(١) بن أبي حذرد ،
عن أبيه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين منهم ؛
أبو قتادة الحارث بن ربیع ومحم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا بطن إضم
مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له معه متّيع له ووطب ^(٢) من لبن ، فلم
علينا بتحيه الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه
وأخذ بعيره ومُتّيعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فنزل فينا
القرآن « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم

(١) ابن هشام : عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد .

(٢) المتب : المتاع القليل . والوطب وعاء اللبن .

السلام لست مؤمناً تبتغون عرضَ الحياة الدنيا ، فعندَ الله مغانمٌ كثيرة ، كذلك كنتم من قبلُ فمنَّ الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً^(١) .

هكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القمقاع بن عبد الله بن أبي حذرَد عن أبيه . فذكره .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضُميرة بن سعد الضُمري^(٢)

يحدث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه وعن جده قالا - وكانا شهدا حينئذ - قالا : فصلی

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فقام إلى ظل شجرة فقمع فيه فقام إليه عيينة بن

بدر فطلب بدم عاصم بن الأضبط الأشجعي وهو سيد عامر : هل لكم أن تأخذوا منا

الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه

حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي . فقام رجل من بني ليث يقال له ابن

مُكَيْل وهو قصير من الرجال ، فقال : يا رسول الله ما أجدر لهذا القليل شَبَهاً في غُرة

الإسلام إلا كنتم وردت فرُميت^(٣) أو لاها ففقرت أخرها ، استن^(٤) اليومَ وغيرَ غدًا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن

وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدية ، فقال قوم محمَّد بن

جَنَامة : إبتوا به حتى يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فجاء رجل طَوَّال

صَرَب^(٥) اللحم في حُلَّة قد تهيأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا تنفر لحمَّ » قالها ثلاثاً . فقام وإنه ليتلقى

دموعه بطرف ثوبه .

قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

(٢) ابن هشام : السلمي .

(١) سورة النساء ٩٤ .

(٤) استن : ضغ الأحكام والسنن .

(٣) غير ١ : فصربت .

(٥) ضرب اللحم : خفيفه .

وهكذا رواه أبو داود من طريق حماد بن سلمة عن ابن إسحاق ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة عن أبيه وعمه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة ^(١) عن أبيه وعن جده . وهكذا رواه أبو داود من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وعن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر عن زياد بن سعد بن ضميرة عن أبيه وجده بنحوه كما تقدم .

وقال ابن إسحاق : حدثني سالم أبو النضر أنه قال ^(٢) : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال : يا معشر قيس ، سألكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أفأنتم أن يفضب عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفضب الله لفضبه ، ويلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته لكم ، لتأسلنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لآتين بخمسين من بني تميم كلهم يشهدون أن القتل كافر ما صلى قط فلا يُطلب ^(٣) دمه . فلما قال ذلك لهم أخذوا الدية .

وهذا منقطع معضل .

وقد روى ابن إسحاق عن لا يُتهم عن الحسن البصري ، أن محملاً لما جلس بين يديه عليه الصلاة والسلام قال له : « أمنتهم ثم قتلته ؟ » ثم دعا عليه .

قال الحسن : فوالله ما مكث محملاً إلا سبعا حتى مات فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ثم دفنوه فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ

(١) ابن هشام : زياد بن ضميرة بن سعد .

(٢) ابن هشام : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث أن عيينة بن حصن... (٣) ابن هشام : فلا يُطلب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن الأرض لتطابق على من هو شرُّ منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم لما أراكم منه » .

وقال ابن جرير : حدثنا وكيع ، حدثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمَّ بن جَثَّامة مَبْعُوثًا فلقىهم عامر بن الأَضْبَط فَيَاْم بِتَحْيَةِ الْإِسْلَام - وكانت بينهم هِنَّةٌ فِي الْجَاهِلِيَّة - فرماه محمَّ بِسَهْم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله سُنَّ اليوم وغير غدا ، فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الشُّكْل ما أذاق نساءي محمَّ في بُرْدَيْن فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا غفر الله لك » فذكروا ذلك له فقال : « إن الأرض لتقبَّل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » ثم طرحوه في جبل فألقوا عليه من الحجارة ونزلت : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا » الآية .

وقد ذكره موسى بن عقبة عن الزهري ، ورواه شعيب عن الزهري عن عبد الله بن وهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمَّ محمَّ بن جَثَّامة ولا عامر بن الأَضْبَط ، وكذلك رواه البيهقي عن الحسن البصري بنحو هذه القصة وقال : وفيه نزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا » الآية . قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في التفسير بما فيه الكفاية . والله الحمد والمنة .

سرية عبد الله بن حُذافة السهمي

ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن

الحُبلى ، عن على بن أبى طالب قال : استعمل النبىُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار على سرّية بهمهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال : فأغضبوه فى شيء فقال : اجعوا الى حطباً . فجمعوا . فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا . ثم قال : ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لى وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار .

فلما قدّموا على النبى صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلك له فقال : « لو دخلوها ماخرجوا منها ، إنما الطاعة فى المعروف » .

وهذه القصة ثابتة أيضاً فى الصحيحين من طريق يعلى بن مسلم ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس ، وقد تكلمنا على هذه بما فيه كفاية فى التفسير والله الحمد والمنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عمرة القضاء

ويقال القِصَاص . ورجحه الشَّهْلِي . ويقال عمرة القَضِيَّة ، فالأولى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية والثاني من قوله تعالى : « وألحرمات قِصَاصٌ » والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ثم يأتي في العام القابل ولا يدخل مكة إلا في جُلْبَان^(١) السلاح وألا يقيم أكثر من ثلاثة أيام .

وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة الفتح المباركة : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلَنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون » الآية . وقد تكلمنا عليها مستقصى في كتابنا التفسير بما فيه كفاية .

وهي الموعود بها في قوله عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطَوِّف به » .

وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رَوَاحَة حين دخل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة يوم عمرة القضاء وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
كَأَضْرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

(١) الجلبان : شبه الجراب من الجلد يوضع فيه السيف .

أى هذا تأويل الرؤيا التى كان رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت مثل
فلق الصبح .

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة
أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً ، يبعث فيما بين
ذلك سراياه .

ثم خرج من ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء
مكّان عمرته التى صدّوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيْف بن الأضبط الدؤلى .

ويقال لما عمرة القِصَاص ، لأنهم صدّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة
فى الشهر الحرام من سنة ست ، فانتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فدخل مكة
فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه من سنة سبع .

بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى فى ذلك « والحرماتُ قِصَاص » .

وقال معتمر بن سليمان عن أبيه فى منازيه : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خيبر أقام بالمدينة وبعث سراياه حتى استهل ذو القعدة ، فنادى فى الناس : أن تجهزوا
للعمرة . فتجهزوا وخرجوا إلى مكة .

وقال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه فى عمرته تلك وهى
سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمداً فى عُسرة
وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صَفّوا له عند
دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسجد

اضطجع بردائه وأخرج عَصْدَه اليمنى ثم قال : « رحم الله امرأاً أراها اليوم من نفسه قوة » .

ثم استلم الركن ، ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واره البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هزول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم حتى حج حجة الوداع فازمها فضت الشفة بها .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد - هو ابن زيد - عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد هزمهم حتى يثرب . فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعهم أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال أبو عبد الله : وزاد بن سلمة - يعنى حماد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم لعامهم الذى استأمن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوتهم ، والمشركون من قبل قعيقعان .
ورواه مسلم عن أبي الربيع الزهراني ، عن حماد بن زيد . وأسنده البيهقي طريق حماد بن سلمة .

وقال البخارى : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان للمشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسياتى بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيَمِهِ أَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكَ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكَ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام : نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يعنى يوم صفين - قاله السهيلي .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقرء بالتنزيل .

وفيا قاله ابن هشام نظر ، فإن الحافظ البيهقي روى من غير وجه عن عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال : لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ، وفي رواية وهو أخذ بفرزه وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ قَدْ نَزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ
بِأَنْ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكَ عَلَى تَأْوِيلِهِ

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيَمِهِ

وقال يونس بن بكير عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام القَصِيَّةِ مكة فطاف بالبيت على ناقته واستلم الركن بِمِحْجَنِهِ . قال ابن هشام : من غير علة ، والمسلمون يشتدون حوله ، وعبد الله بن رواحة يقول :

باسمِ الذي لا دينَ إلا دينُهُ باسمِ الذي محمدٌ رسولُهُ

خلوا بني الكفار عن سبيله

قال موسى بن عقبة عن الزهري : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذى القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذي صدّه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يَأْجِجَ وضع الأداة كلها الحُجُفَ والمجانَ والرماح والنبل ، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامرية فخطبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحارث ، فزوجها العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه قال : « اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف » . ليرى المشركون جُلْدَهم وقوتهم ، وكان يكادهم بكل ما استطاع ، فاستكف^(١) أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً بالسيف وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله أنا الشهيدُ أنه رسولُهُ

(١) استكف : أحاطوا به .

قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيله في صحف تُتلى على رسوله
فاليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مَقِيلِه ويذهل الخليلَ عن خليلِه

قال : وتغيَّب رجالٌ من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غيظاً وحقناً ، ونفاسة وحسداً . وخرجوا إلى الخَندمة^(١) ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية .

فلما أتى الصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحوَيطب بن عبد العزى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادَة ، فصاح حويطب بن عبد العزى : نناشدك الله والعقدَ لما خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاثُ . فقال سعد بن عبادَة : كذبتَ لا أم لك ليس بأرضك ولا بأرض آبائك والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلاً وحويطباً فقال : « إني قد نسكت فيكم امرأةً فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام فناكل وتأكلون معنا » فقالوا : نناشدك الله والعقدَ إلا خرجت عنا .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل ببطن سرف وأقام المسلمون وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، وقد لقيت ميمونة ومن معها عناءً وأذى من سفهاء المشركين ومن صبيانهم ، فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف فبنى بها ثم أدج فسار حتى أتى المدينة .

وقدّر الله أن يكون موتُ ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر قصة ابنة حمزة إلى أن قال : وأنزل الله عز وجل في تلك العمرة « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » فاعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام الذي صد فيه .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحوه من هذا السياق ، ولهذا السياق شواهد كثيرة من أحاديث متعددة .

ففي صحيح البخارى من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا إلا سيوفا ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا .

فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم ، فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج .

وقال الواقدي : حدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء وإنما كانت شرطا على المسلمين أن يعتمروا من قابل في الشهر الذي صد فيه المشركون .

وقال أبو داود : حدثنا الثقفلي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حضر الحنظلي يحدث أن ميمون بن مهران قال : خرجت معتمرا عام حاصر أهل الشام ابن الزبير بمكة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي .

قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام منعونا أن ندخل الحرم ، قال : فبحرت الهدى مكانى ثم أحللت ثم رجعت ، فلما كان من العام المقبل خرجت لأقضى عمرتي ، فأنيت بن عباس فسألته فقال : أبذل الهدى ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه

أن يُبدلوا الهدى الذى نحروا عام الحديبية فى عمرة القضاء .

تفرد به أبو داود من حديث أبي حنيفة بن حبان الحميري، عن ابن عباس فذكره.
وقال الحافظ البيهقي: أنبأنا الحاكم، أنبأنا الأصم، حدثنا أحمد بن عبد الجبار،
حدثنا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني عمرو بن ميمون قال: كان أبي يسأل
كثيراً: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً هديه الذي نحر حين صده المشركون
عن البيت؟ ولا يجد في ذلك شيئاً، حتى سمعته يسأل أبا حنيفة الحميري عن ذلك فقال له:
على الخبير سقطت! حججت عام ابن الزبير في الحضر الأول، فأهديت هدياً فخالوا
بيننا وبين البيت، فنحرت في الحرم ورجعت إلى اليمن وقلت: لي برسول الله صلى الله
عليه وسلم أسوة، فلما كان العام المقبل حججت فلقيت ابن عباس فسألته عما نحرت على
بدله أم لا؟ قال: نعم فأبدل، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد أبدلوا
الهدى الذي نَحَرُوا عام صدِّهم للمشركين فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء، فعزَّت الإبلُ
عليهم فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في البقر.

وقال الواقدي : حدثني غانم بن أبي غانم ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجيةً بنَ جُنْدَب الأسلمي على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى في الشجر معه أربعة فتيانٍ من أسلم ، وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية ستين بدنة .

فحدثني محمد بن نعيم الجعفي، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: كنت مع صاحب
البدن أسوقها.

قال الواقدي: وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي والمسلمون معه يلبنون، ومضى محمد بن مسلمة بالخليل إلى مرّ الظهران، فيجد بها نفراً من قریش، فسألوا محمد بن مسلمة فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله. ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قریشاً فأخبروهم بالذي رأوا

من السلاح والخيل ، ففزع قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنا وهُدُنَّا ، فقيم يغزوننا محمد في أصحابه ؟

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران ، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعث قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ورسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه والمهدي والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شَرِطَ لهم ألا تدخل إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لأدخل عليهم السلاح » فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تُعَرِّفُ به ، البر والوفاء ، ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة .

فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي صلى الله عليه وسلم خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال وخلّوا مكة وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى أمامه حتى حُبِسَ بذى طوى ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو على ناقته القصواء وهم مُحَدِّقُونَ به يلبون وهم متوشحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على ناقته القصواء وابن رواحة أخذ يزممها وهو يرتجز بشعره ويقول :

* خلوا بني الكفار عن سبيله * إلى آخره

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة - يعنى من ذى القعدة سنة سبع - فقام المشركون : إنه يقدم عليكم وقد هَتَمْتُمْ حُمًى يثرب . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرملوا

الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنتين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا إسماعيل بن زكريا ، عن عبد الله ابن عثمان ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مرة الظهران من عمرته بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشا تقول : ما يتبعنا من العجف (١) . فقال أصحابه : لو انتحرننا من ظهرنا فأكلنا من لحومنا وحسونا من مرقه أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنائهم (٢) ، فقال : « لا تفعلوا ولكن اجمعوا إلى من أزوادكم » فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا ، وحشا كل واحد منهم في جرابه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطجع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غمزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشى أما إنهم ليتنفرون نفر الطّباء ! ففعل ذلك ثلاثة أطواف فكانت سنة .

قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك في حجة الوداع .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أبو داود ، حدثنا أبو سلمة موسى ، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أنبأنا أبو عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل بالبيت وأن ذلك سنة ؟ فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ، رمل رسول الله عليه وسلم ، وكذبوا ليس بسنة ، إن قريشاً زمن الحديبية قالت : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت

الْفَنَفَ (١) ، فلما صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون من قَبْلِ قُعَيْقَعَانَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ارمِلوا بالبيت ثلاثاً » قال : وليس بسنة .

وقد رواه مسلم من حديث سعيد الجريري ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس به نحوه .

وكون الرَّمَل في الطواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل في عمرة القضاء وفي عمرة الجعرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطفيل عن ابن عباس فذكره .

وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره أنه عليه السلام رمل في حجة الوداع في الطواف ، ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرملان وقد أطال الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وموضع تقرير هذا كتاب الأحكام . وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة ، كما ثبت في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : إنما سعى النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركين قوته .

لفظ البخاري .

وقال الواقدي : لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسكه في القضاء دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظَّهْرَ فوق ظَهر الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول ! وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال

(١) النَفَف : دود في أنوف الإبل والغنم ، ويقال للمحتقر : نففة .

خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أمات أبى ولم يشهد هذا اليوم حتى يقوم بلال ينهق فوق البيت . وأما سهيل بن عمر ورجال معه لما سمعوا بذلك غطّوا وجوههم .
قال الحافظ البيهقي : قد أكرم الله أكرهم بالإسلام .
قلت : كذا ذكره البيهقي من طريق الواقدي أن هذا كان فى عمرة القضاء ،
والمشهور أن ذلك كان فى عام الفتح . والله أعلم .

وأما قصة تزويجه عليه السلام بميمونة

فقال ابن إسحاق : حدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء
ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت
الحارث فى سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .
قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل
أمرها إلى زوجها العباس ، فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عنه
أربعمائة درهم .

وذكر السهيلي أنه لما انتهت إليها خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهى راكبة
بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : وفيها نزلت الآية : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي
أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » (٢) .

وقد روى البخارى من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرَم ، وبني بها وهو حلال ، وماتت بسرف .
قال السهيلي (١) وروى الدارقطنى من طريق أبي الأسود قتيب عروة ، ومن طريق مطر

(١) سورة الأحزاب . ٥ . (٢) كذا فى اوفى ت : البيهقي .

الوراق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال .

قال : وتأولوا رواية ابن عباس الأولى أنه كان مُحْرَمًا ، أى فى شهر حرام ، كما قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحْرَمًا فدا فلما أر مثله غـذولاً

أى فى شهر حرام .

قلت : وفى هذا التأويل نظر ، لأن الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ، ولا سيما [من] ^(١) قوله : « تزوجها وهو محرم وبني بها وهو حلال » وقد كان فى شهر ذى القعدة أيضا وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذهلى ، حدثنا عبد الرزاق ، قال : قال لى الثورى : لا يلتفت ^(٢) إلى قول أهل المدينة . أخبرنى عمرو عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وهو مُحْرَم .

قال أبو عبد الله : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعاً ، عن عمرو ، عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس وابن خثيم ^(٣) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نعم ، أما حديث ابن خثيم فحدثنا هاهنا - يعنى باليمن - وأما حديث عمرو فحدثنا ثم - يعنى بمكة - .

وأخرجاه ^(٤) فى الصحيحين من حديث عمرو بن دينار به .

وفى صحيح البخارى من طريق الأوزاعى ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو مُحْرَم . فقال سعيد بن المسيب : وهم

(٢) ١ : لا يلتفت .

(٤) ١ : أخرجاه .

(١) من ١

(٣) ١ خيم وهو تحريف .

ابن عباس وإن كانت خالته ، ما تزوجها إلا بعد ما حلَّ .

وقال يونس عن ابن إسحاق : حدثني بَقِيَّةٌ ، عن سعيد بن المسيَّب ، أنه قال : هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو مُحْرَمٌ فذكر كلمته ، إنما قدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة فكان الحِلُّ والنكاح جميعاً ، فُسِّبَ ذلك على ابن عباس ^(١) .

وروى مسلم وأهل السنن من طرق عن يزيد بن الأصم العامري ، عن خالته ميمونة بنت الحارث ، قالت : تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان ^(٢) بِسَرَفٍ . لكن قال الترمذی : روى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلًا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني الزاهد ، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا مطر الوراق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي رافع قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبني ^(٣) بها وهو حلال وكنت الرسولَ بينهما .

وهكذا رواه الترمذی والنسائي جميعاً ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد به ، ثم قال الترمذی : حسن ولا نعلم أحداً أسنده عن حماد عن مطر . ورواه مالك عن ربيعة عن سليمان مرسلًا .

[ورواه سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلًا .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، ويقال : سنة ستين ، رضي الله عنها] ^(٤)

(١) غير أ : حلال .

(٢) سقطت من أ .

(١) على الناس .

(٣) أ : وبني .

ذكر خروجه عليه السلام من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدم ما ذكره موسى بن عقبة أن قريشاً بعثوا إليه حُوَيْطِب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام ليرحل عنهم كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم ، وإنما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرج عنا . فخرج . وكذلك ذكره ابن إسحاق ^(١) .

وقال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ؛ فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقرُّ بهذا ، لو نعلم أنك رسول الله مامنناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال لعلي بن أبي طالب : « أُمح رسول الله » قال : لا والله لا أحوك أبداً ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يُحسن يكتب ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله لا يدخل مكة [السلح^(٢)] إلا السيف في القرب ، وألا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وألا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها .

فلما دخل ^(٣) ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عم يا عم . فتناولها علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك . فحملتها ، فاختم فيها علي وزيد وجعفر ^(٤) ، فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي . وقال جعفر : ابنة عمي وخالتي تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي . فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الأم » وقال

(١) في ابن هشام : ثلاثة أيام وأتاه حُوَيْطِب في اليوم الثالث . (٢) من صحيح البخاري .

(٣) دخلها . (٤) ١ : وحفص . وهو تحريف !

لعلى : « أنت منى وأنا منك » وقال لجعفر : « أشبهتَ خلقي وخلُقتى » وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » قال^(١) على : ألا تزوج ابنة حمزة ، قال : « إنها ابنة أخى من الرضاة » .

تفرّد به البخارى من هذا الوجه .

وقد روى الواقدى قصة ابنة حمزة فقال : حدثنى ابن أبى حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب وأمها سلمى بنت عميس كانت بمكة .

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمّ على بن أبى طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علام نترك ابنة عمما يتيمة بين ظهرائى المشركين ؟ فلم يَنْه النبي صلى الله عليه وسلم عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلم زيد بن حارثة وكان وصيّ حمزة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ، ابنةُ أخى ، فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندى أسماء بنت عميس . وقال على : ألا أراكم تحتصمون ! هى ابنة عمى وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إلها سبب دونى ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أحكم بينكم ، أما أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلُقتى ، وأنت يا جعفر أولى بها ، تحتك خالتها ولا تُنكح المرأة على خالتها ولا على عمتها » ففضى بها لجعفر .

قال الواقدى : فلما قضى بها لجعفر [قام جعفر^(٢)] فحجّل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله كان النجاشى إذا أرضى أحداً قام فحجّل حوله . فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : تزوجها فقال : « ابنة أخى من

(١) : ١ : فقال ورواية البخارى : وقال . (٢) سقطت من ١ .

الرضا « . فزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هل جَزَيْتُ أبا سلمة » .

قلت : لأنه ذكر الواقدي وغيره أنه هو الذي زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمه أم سلمة ، لأنه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة . والله أعلم .
قال ابن إسحاق : ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة ، وتولى ^(١) المشركون تلك الحجة .

قال ابن هشام : وأنزل الله في هذه العمرة فيما حدثني أبو عبيدة قوله تعالى : « لقد صدّق الله رسوله الرُّؤُيا بالحقِّ لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحَلِّقِينَ رءوسكم ومَقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فُجِعِلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا » [يعني خبير ^(٢)] .

فصل

ذكر البيهقي هاهنا سرية ابن أبي العوّاء السلمي إلى بني سليم .

ثم ساق بسنده عن الواقدي : حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهري قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرة القضية رجع في ذى الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوّاء السلمي في خمسين فارسا ، فخرج العين إلى قومه فحذّروهم وأخبرهم فجمعوا جمعا كثيرا وجاءهم ابن أبي العوّاء والقوم مُعِدُّون ، فلما أن رأهم ^(٣) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم إليه . فرموا ساعة وجعلت الأمدادُ

(٢) من ابن هشام .

(١) : وولى .

(٣) غير : رأوهم .

تأتى حتى أٌحدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالا شديداً حتى قُتل عامتهم ، وأصيب ابن أبى العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه فى أول يوم من شهر صفر سنة ثمان .

فصل : قال الواقدى : فى الحجة^(١) من هذه السنة - يعنى سنة سبع - ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على زوجها أبى العاص بن الربيع ، وقد قدّمنا الكلام على ذلك^(٢) ، وفيها قدّم حاطبُ بن أبى بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا فى الطريق ، وغلّام خصى .

قال الواقدى : وفيها اتّخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منبره درجتين ومقعده ، قال : والثابت عندنا أنه عمل فى سنة ثمان :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن بحولك وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

فصل

في إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة^(١) رضى الله عنهم
وكان قدومهم في أوائل سنة ثمان على ما سيأتى

قد تقدم طَرف من ذلك^(٢) فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودى ،
وذلك في سنة خمس من الهجرة .

وإنما ذكره الحافظ البيهقي ها هنا بعد عمرة القضاء ، فروى من طريق الواقدي :
أنبأنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ،
حضرتُ بدرًا مع المشركين فنجوت ، ثم حضرتُ أحدًا فنجوتُ ، ثم حضرتُ
الخنديق فنجوت .

قال : فقلت في نفسى : كم أوضع^(٣) ! والله ليظهرنَّ محمدًا على قريش . فلحققت بمالى
بالرَهط^(٤) ، وأقلتُ من الناس - أى من لقائهم - .

فلما حضر الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح ، ورجعت

(١) ١ : وطلحة بن أبي طلحة وهو تحريف . (٢) تقدم ذلك في هذا الجزء .

(٣) أوضع : أدبر وأحارب . (٤) الرهط : موضع في شعر هذيل . المراد : ٦٤٥/٢

قريش إلى مكة . جعلت أقول : يدخل محمد قابلاً مكة بأصحابه ، ما مكة بمنزل ولا الطائف ، ولا شيء خير من الخروج ، وأنا بعد ناء عن الإسلام ، وأرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم .

فقدمت مكة وجمعت رجالاً من قومي ، وكانوا يرون رأيي ويسمعون مني ويقدمونني فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومِذْرَهْنَا^(١) في يَمَنٍ نَقِيَّةٍ^(٢) وبركة أمرٍ . قال : قلت : تعلمون إني والله لأرى أمرَ محمدٍ أمراً يعلو الأمور علواً مُنْكَرًا ، وإني قد رأيت رأياً . قالوا : وما هو ؟ قلت : نَلْحَقُ بالنجاشي فنكون معه ، فإن يظهر محمد كنا عند النجاشي [فإننا أن] نكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا .

قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا ما نهديه له - وكان أحب ما يُهْدَى إليه من أرضنا الأدم - فجمعنا له^(٣) أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه بكتاب كتبه يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سُرَّت قريش^(٤) وكنت قد أجزأتُ عنها حين^(٥) قتلت رسول محمد .

فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : حبا بصديق ، أهديت لي من بلادك شيئاً إقال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . ثم قدمته فأعجبه وفرق منه شيئاً؟ بين بطارقتي ، وأمر بسائرهم فأدخل في موضع وأمر أن يُكتب ويحتفظ به .

(١) الطبوعة : نفسه . وهو تحريف .

(٢) : سرور قريشا .

(١) : ذا رأي . والدره : المدافع .

(٣) غير أ : خُملنا أدماً .

(٥) الطبوعة : حتى . وهو تحريف .

فلما رأيت ريبَ نفسه قلت : أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول عدوّ لنا قد وتَرنا وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من ذلك ورفع يده فضرب بها أنفي^(١) ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر مِنْخَرَاي فجعلت أتلقى الدم بثيابي ، فأصابني من الذل ما لو انشقت بي الأرض دخلتُ فيها فرقامنه .

ثم قلت : أيها الملك لو ظننت أنك تكبره ما قلتُ ما سألتك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرو تسألني أن أعطيك رسولَ مَنْ يأتيه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ؛ والذي كان يأتي عيسى لئقتله .

قال عمرو : فقَيَّرَ الله قلبي عما كنت عليه ، وقلتُ في نفسي : عرف هذا الحقَّ العربُ والعجم ، وتحالف أنت ! ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال : نعم أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعني واتبعه ، فوالله إنه لَعلى الحق وليُظهَرَن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قلت : أتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعني على الإسلام ، ثم دعا بطست ففسل عني الدم وكساني ثياباً . وكانت ثيابي قد امتلأت بالدم فألقيتها . ثم خرجت على أصحابي فلما رأوا كسوة النجاشي سُرُوا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلمه في أول مرة وقلت أعود إليه . فقالوا : الرأي ما رأيت .

قال : ففارقهم وكأني أتمد إلى حاجة ، فعمدت إلى موضع السفن فأجد سفينة قد سُحِنَتْ تُدْفَع ، قال : فركبت معهم ودفعوها حتى انتهوا إلى الشُّعْبَةِ وخرجت من السفينة ومعى نفقة ، فابتعت بغيراً وخرجت أريد المدينة حتى مررت على مَرِّ الظهران ، ثم

(١) في الروايات الأخرى : أنفه .

ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة فإذا رجلاان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين ، قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد ، قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ، دخل الناس في الإسلام فلم يبقَ أحد به طُعم^(٥) ، والله لو أمتُ لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع في مفارقتها .

قلت : وأنا والله قد أردت محمداً وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي ، فزولنا جميعاً في المنزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قولَ رجل لقيناه بئر أبي عتبة يصيح : يارباح يارباح يارباح . فتفاءلنا بقوله وسرنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكةُ المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعينني ويعني خالد بن الوليد ، وولّي مدبراً إلى المسجد سريعاً ، فظننت أنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمونا ، فكان كما ظننت .

وأتحنا بالحرة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى أطلعنا عليه ، وإن لوجه تهللاً والمسلمون حوله قد سرُّوا بإسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه . قال : فبايعته على أن يُغفر لي ماتقدم من ذنبي ولم يحضرني ماتأخر ، فقال : « إن الإسلام يحبُّ ما كان قبله ، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها » .

قال : فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمرٍ حربه منذ أسلمنا ، ولقد كنا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالدٍ كالعائب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن حبيب

(١) الطعم : القدرة .

فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن مولاة حبيب ، عن عمرو ابن العاص نحو ذلك :

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن مولاة حبيب [قال :] حدثني عمرو بن العاص من فيه ، فذكر ماتقدم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياق الواقدي أبسط وأحسن .

قال الواقدي عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب : وقت لك متى قدم عمرو وخالده ؟ قال : لا ، إلا أنه قال قبل الفتح . قلت : فإن أبي أخبرني أن عمرا وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان .

وفي صحيح مسلم ما يشهد لسياق إسلامه وكيفية حسن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته رضى الله عنه .

طريق إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي : حدثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، قال سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضرتي رُشدِي ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس في مواطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني موضع في غير شيء ، وأن محمداً سيظهر .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بعسفان ، فقامت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أماناً فهمموا أن نغير عليهم ثم لم يُعزم لنا - وكانت فيه خيرة - فاطلع على

ما في أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا وقلت : الرجل ممنوع ، فاعتزلنا ، وعدل عن سنن^(١) خيلنا وأخذ ذات اليمين .

فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعتهم قريش بالرّواح قلت في نفسي : أى شيء بقى ؟ أين أذهب ؟ إلى النجاشي ؟ فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية ؟ فأقيم في عجم^(٢) ، فأقيم في داري بمن بقى ؟ فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضيّة [فتغيّبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضيّة^(٣)] فطلبني فلم يجدني فكتب إلى كتاباً فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ؛ فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟ وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتي الله به ، فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نسكايته وحده مع المسلمين كان خيرا له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة .

قال : فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام ، وسرّني سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عني ، وأرى في النوم كأنني في بلاد ضيقة مجذبة فخرجت في بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إن هذه لرؤيا . فلما أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنها لأبي بكر ، فقال : تخرجك الذي هداك الله للإسلام ، والضيق الذي كنت فيه من الشرك .

قال : فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : من أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فليقت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى

(١) السنن : الجهة . (٢) ١ : مع عجم . (٣) سقط من ١ .

ما نحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قد منا على محمد
واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف ؟ فأبى أشد الإباء فقال : لو لم يبق غيري
ما اتبعته أبدا .

فافترقنا وقلت : هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببذر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل
فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية . قلت :
فاكتم علي . قال : لا أذكره .

فخرجت لي منزلي فأمرت براحتي فخرجت بها ، إلى أن لقيت عثمان بن طلحة
فقلت : إن هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قُتل من آبائه ،
فكرهت أن أذكره ، ثم قلت : وما علي وأنا راحل من ساعتي . فذكرت له ما صار
الأمر إليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صُبَّ فيه ذُئوب من ماء نخرج ،
وقلت له نحو ما قلت لصاحبي ، فأسرع الإجابة ، وقلت له : إني غدوت اليوم وأنا أريد
أن أغدو ، وهذه راحتي بفتح مُناخة . قال : فأنعدت أنا وهو يأجيج ، إن سبقني أقام
وإن سبقته أقمت عليه .

قال : فأدخلنا سَحَرًا فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجيج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدية
فنجد عمر بن العاص بها ، قال : مرحبًا بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين
مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتباع محمد
صلى الله عليه وسلم . قال : وذاك الذي أقدمني .

فاصطحبنا جميعًا حتى دخلنا المدينة ، فأخذنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسر بنا ، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلقيني أخى : فقال أسرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك فسر
بقدمك وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال يتبسم إلىّ حتى وقفت عليه ، فسأمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق ، فقلت : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال : « تعال » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي هدانا لهذا قد كفت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » قلت : يا رسول الله إني قد رأيت ما كفت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادع الله أن يغفرها لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يجب ما كان قبله » قلت : يا رسول الله على ذلك . قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أَوْضَعَ فيه من صدرٍ عن سبيل الله » .

قال خالد : وتقدّم عثمان وعمر و فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان ، قال : والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعُدُّ لى أحدًا من أصحابه فيما حَزَبَه .

سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى نفر من هوازن

قال الواقدي : حدثني ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن الحكم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكن النهار حتى جاءهم وهم غارثون ، وقد أوعز إلى أصحابه ألا تمتنعوا في الطلب ، فأصابوا نعماً كثيراً وشاء فاستاقوا ذلك حتى إذا قدموا المدينة فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً كل رجل وزعم غيره أنهم أصابوا سبئياً أيضاً ، وأن الأمير اصطفى عنهم جارية وضيئة ثم قدم أهلهم مسلمين ، فشاور النبي صلى الله عليه وسلم أميرهم في ردهم إليهم ، فقال : نعم فردوهم ، وخيّر الجارية التي عنده فاخترت المقام عنده .

وقد تكون هذه السرية هي المذكورة فيما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن

ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سريةً قبل نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال : فأصبنا إبلا كثيرا فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً وَنَفَّلْنَا رسول الله ^(١) صلى الله عليه وسلم بعيراً بعيراً .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضا من حديث الليث ومن حديث عبد الله كلهم عن نافع عن ابن عمر بنحوه .

وقال أبو داود : حدثنا هناد ، حدثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً إلى نجد فخرجتُ فيها فأصبنا نَعَمًا كثيرا ، فنَفَّلْنَا أميرنا بعيراً بعيراً لكل إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم بيننا غنيمتنا ، فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس ، وما حاسبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أعطانا صا حُبنا ولا عاب عليه ما صنع ، فكان لكل منا ثلاثة عشر بعيراً بنَفَله .

سرية كعب بن عُمر إلى بني قضاة من أرض الشام

قال الواقدي : حدثنا محمد بن عبد الله ^(٢) [عن] الزهري ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام ، فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا ، فدعَوْهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتِلوا ، فارتث ^(٣) منهم رجلٌ جريح في القتلى ، فلما أن بردَ عليه الليلُ تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

(١) البخاري : وَنَفَّلْنَا بعيرا بعيرا . بالبناء للمجهول .

(٢) ارتث : جرح وبه رمق .

(٣) من ١ .

غزوة مؤتة

وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أطراف^(١) الشام

قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضيّة : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية ذى الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والحرم وصفرأ وشهرى ربيع وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » .

فتجهز الناس ثم تهبأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن عمرو بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النعمان بن فنحص اليهودي فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قُتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن قُتل عبد الله بن رواحة فليترضى المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم » .

فقال النعمان : أبا القاسم إن كنت نبياً فلو سميت من سميت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ؛ إن الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا إذا سموا الرجل على القوم فقالوا : إن أصيب فلان

ففلان ، فلو سَمَّوْا مائةً أَصِيبُوا جميعاً . ثم جعل يقول لزيد : اعْهَدْ فَإِنَّكَ لَا تَرْجِعُ أَبَداً ،
إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا .

فقال زيد : أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ صَادِقٌ بَارٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : فلما حَضَرَ خُرُوجُهُمْ وَدَّعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم وسلموا عليهم ، فلما وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ [مع ^(١)] مَنْ وَدَّعَ بَكِي ، فَقَالُوا :
مَا يَبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ . فقال : أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، وَلَكِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ
« وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » ^(٢) فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي
بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ !

فقال المسلمون : صَحِّبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ .

فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرْغٍ تَقْدِفُ الزُّبْدَا ^(٣)
أَوْ طَعْنَةً يَبِيدُنِي حَرَّانُ مُجْهِزَةٍ بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبْدَا ^(٤)
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي أُرْشِدُهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيأوا للخروج ، فأثنى عبد الله بن رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فودَّعَهُ ثُمَّ قَالَ :

فثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصْرِ

(٢) سورة مريم الآية ٧١ .

(٤) الحران : الشديد .

(١) ليست في أ .

(٣) الفرغ : السعة .

أنت الرسولُ فمن يُحَرِّمَ نوافلهَ والوجهَ منه فقد أَرَزَى به القَدَرُ
قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ،
حتى إذا ودعهم وانصرف ، قال عبد الله بن رواحة :
خلف السلام على امرئٍ ودَّعته في النخل خيرُ مُشيعٍ وخليلٍ

[وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن
الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث إلى مؤتة فاستعمل زيدا ، فإن قُتل زيد فجعفر ، فإن قتل جعفر فابن رواحة ،
فتخلف ابن رواحة فجمع مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فرآه فقال : « ما خلفك ؟ »
فقال : أجمع معك . قال : « لَعَدُوَّةُ أَوْ رَوْحَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ^(١) »] .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن
ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق
ذلك يوم الجمعة ^(٢) ، قال : فقدّم أصحابه وقال : أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجمعة ثم ألحقهم . قال : فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه فقال :
« ما منعك أن تصدو مع أصحابك ؟ » فقال : أردت أن أصلي معك الجمعة
ثم ألحقهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما أدركت غدوتهم » .

وهكذا رواه الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، ثم قال : لا نعرفه
إلا من هذا الوجه .

وقال شعبة : لم يسمع الحكم عن مِقسم إلا خمسة أحاديث - وعدّها شعبة - وليس هذا الحديث منها ^(١) .

[قلت : والحجاج بن أرطاة في روايته نظر والله أعلم ^(٢)] .
والمقصود من إيراد هذا الحديث أنه يقتضى أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان في يوم
جمعة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ثم مضوا حتى نزلوا معانَ من أرض الشام ، فبلغ الناسَ أن
هرقل قد نزل مآبَ من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضم إليه من لحم
وجذام والقيين وبهراء وبلى مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى ، ثم أحد إراشة يقال له
مالك بن زافلة .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآب في مائة ألف من
الروم ومائة ألف من المستعربة .

[وقيل : كان الروم مائتي ألف ومن أعدّاهم خمسون ألفا . وأقل ما قيل : إن الروم
كانوا مائة ألف ومن العرب خمسون ألفا . حكاه السهيلي ^(٣)]

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا ، فيما أن يُمددنا بالرجال ، وإما أن
يأمرنا بأمره فنمضي له . قال : فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن
التي تكرهون لَكُنَّي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناسَ بعدد ولا قوة ولا كثرة ،

(١) غير : « وهذا الحديث قد رواه الترمذى من حديث أبي معاوية عن الحجاج - وهو ابن أرطاة .
ثم علله الترمذى بما حكاه عن شعبة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مِقسم إلا خمسة أحاديث وليس هذا منها » .
(٢) ليس في أ .
(٣) من أ .

مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ،
إما ظهور وإما شهادة .

قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس .

فقال عبد الله بن رواحة فى تحبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع ^(١)	تعر من الحشيش إلى العكوم ^(١)
حذوناها من الصوان سيناً ^(٢)	أزل كأن صفحته أديم ^(٢)
أقامت ليلتين على معان ^(٣)	فأعقب بعد فترتها جوم ^(٣)
فرحنا والجناد مسومات ^(٤)	تنفس فى مناخرها سموم ^(٤)
فلا وأبى مآب لتأينها ^(٥)	وإن كانت بها عرب وروم ^(٥)
فعبأنا أعنتها فجاءت ^(٥)	عوايس والغبار لها بریم ^(٥)
بذى لب كأن البيض فيه ^(٦)	إذا برزت قوائسها النجوم ^(٦)
فراضية المعيشة طلقها ^(٧)	أسفئنا فتنكح أوتئيم ^(٧)

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال :
كنت^(٨) يتما لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردي فى

(١) أجأ : أحد جبل طيء والآخر سلمى . وفرع : أطول جبل بأجأ وأوسطه . وتعر : تطعم وتشبع .
والرواية عند السهيلي : تفر . بالقاف ، وقال : تفر أى يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم
وهو الجانب .

(٢) حذوناها : جعلنا لها نعلا من حديد . والصوان : حجارة ملس ، والسبت : النعال التى تصنع
من الجلود المدبوغة . والأزل : الأملس . والأديم : الجلد .

(٣) معان : موضع بالشام . والفترة : السكون والضعف . والجوم : اجتماع القوة .

(٤) سموم ، بضم السين ، جمع سم وها عرقان فى خيشوم الفرس . والسموم بفتح السين : ربيع حارة .
وفى ابن هشام : فى مناخرها السموم .

(٥) البريم : كل ما فيه لونان مختلطان ؛ والدمع المختلط بالإمعد .

(٦) اللجب : اختلاط الأصوات من كثرة الجيش . والقوايس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد .

(٧) راضية المعيشة : المعيشة اللينة المطمئنة . تئيم : تبقى دون زوج - يريد أنهم قد تجاوزوا عن الدعة والراحة .

(٨) ١ : كان .

على حقيقة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلتئذٍ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

إذا أذيتني وحملت رجلي مسيرة أربع بعد الحساء^(١)
فشانك أنعم وخلاك دم ولا أرجع إلى أهلي ورأى^(٢)
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتبهى الثواء^(٣)
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بلي ولا نخل أسافلها رواء^(٤)
قال : فلما سمعته منه بكيت ، فحفظني بالدرّة وقال : ما عليك بالكعب أن يرزقني

الله الشهادة وترجع بين شعبي الرّحل ؟

ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يازيد زيد اليعملات الذّبّل تطاول الليل هديت فانزل^(٥)

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جوع
هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو وانحاز
المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها ، فتعجب لهم المسلمون ، فجهلوا على
مؤمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار
يقال له عباية بن مالك .

- (١) الحساء : سهل من الأرض يستنقم فيه الماء ، أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر .
(٢) شأنك أنعم : يريد أنه يريحها ولا يكلفها عناء السفر بعد ذلك . ولا أرجع : مجزوم على الداء .
(٣) مشتبهى الثواء : لا يريد رجوعا . وقد روى : مستهوى الثواء . قال السهيلي : مستهوى الثواء :
مستفعل من النهاية والانتها ، أى حيث انتهى مشواه .
(٤) البعل : ما يشرب بعروقه من الأرض . وأسافلها رواء : كذا في ابن هشام ، وغيره . وفى :
أساقها ورأى .
(٥) العملات : النوق السريعة . والذّبّل : النى أو هنها السير .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : شهدت مؤتة فلما دنا منا للمشركون رأينا مالا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكرّاع والديباج والحريّر والذهب ، فبرق بصرى ، فقال لى ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جوعاً كثيرة ؟ قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد بدرأ معنا ، إنا لم نُفَصِّرْ بالكثرة .
رواه البيهقي .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر فقاتل القومَ حتى قُتل ، وكان جعفر أولَ [رجل من]^(١) المسلمين عقر في الإسلام .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، حدثني أبي الذي أَرْضَعْنِي وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لَكُنْني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شَقراء ثم عَقَرها ثم قاتل القومَ حتى قُتل وهو يقول :

يا حَبْذا الجَنَّةَ واقتَرابها طيِّبَةً وباردٌ شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عَذابُها [كافرٌ بعِدة أنسابها]^(٢)
* على إن لا قِيَّتْها ضرابُها *

وهذا الحديث قد رواه أبو داود من حديث أبي إسحاق ولم يذكر الشعر .

وقد استدل به مَنْ جَوَّزَ قتل الحيوان خشية أن يَنْتَفِعَ به العدوُّ ، كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تَتَّبِعْ في السَّيْرِ ويُنَحَّشَى من لحوق العدوِّ وانتفاعهم بها أنها تُذْبَح وتُحْرَقُ لِيُحَالَ^(٣) بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيلي : ولم يَنْكُرْ على جعفر أحد فدلَّ على جوازِهِ إلا إذا أَمِنَ أَخَذَ العدوُّ لَهُ ،

ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً . قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بمضديه حتى قُتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبدُ الله بن رَوَاحَةَ الرَّايَةِ ثم تقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يَسْتَنْزِلُ نفسه ويتردد ببعض التردد ويقول :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكْرِهَنَّ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّهَ مَالِي أَرَاكَ تَكْرِهِينَ الْجَنَّةَ !
قَدْ طَالَ مَا قَد كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ

يريد صاحبيه زيدا وجعفرأ ، ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له يعرق من لحم ، فقال : شَدَّ بِهَذَا صُلْبِكَ فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ . فأخذه من يده فأنهش منه نَهْشَةً . ثم سمع الحطمة^(١) في ناحية الناس فقال : وَأَنْتِ فِي الدُّنْيَا ! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قال : ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العجلان . فقال : يا معشر المسلمين

(١) الحطمة : الزلزال والمضاربة .

اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشي^(١) بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - : « أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً » قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون . ثم قال : أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً .

ثم قال : لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لي : مضياً وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى .
هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخاري : حدثنا أحمد بن واقد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أبيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبر ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ، وعيناه تذرفان . حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم .

تفرد به البخاري . ورواه في موضع آخر وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرهم أنهم عندنا » .

(١) خاشي : حجز بينهم وبين الروم .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن أبى بكر ، حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن الخزومى ^(١) ،
وليس بالحزامى ، عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة . قال عبد الله :
كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا فى
جسده بضعا وتسعين من ضربة ورمية .

تفرد به البخارى أيضاً .

وقال البخارى أيضاً : حدثنا أحمد ، حدثنا ابن وهب ، عن عمرو [عن] ابن أبى
هلال [هو سعيد بن أبى هلال الليثى ^(٢)] قال : وأخبرنى نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف
على جعفر بن أبى طالب يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها
شئ فى دُبره .

وهذا أيضاً من أفراد البخارى .

ووجه الجمع بين هذه الرواية والى قبلها أن ابن عمر اطَّلَعَ على هذا العدد ، وغيره
اطَّلَعَ على أكثر من ذلك ، أو أن هذه فى قُبَلِهِ أُصِيبَهَا قَبْلَ أَنْ يَقْتَلَ ، فلما صُرِعَ إلى
الأرض ضربوه أيضاً ضرباتٍ فى ظهره ، فعدَّ ابنُ عمر ما كان فى قُبَلِهِ وهو فى وجوه
الأعداء قبل أن يقتل رضى الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهى مُمَسَّكَةٌ اللواء ثم شماله ، مارواه
البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا عمر بن على ، عن إسماعيل بن أبى خالد ،
عن عامر ، قال : كان ابن عمر إذا حيَّ ابن جعفر قال : السلام عليك يا ابن
ذى الجناحين .

(١) وليس للخزومى فى البخارى سوى هذا الحديث ، وهو بطريق المتابعة عنده . وكان فقيه أهل

(٢) ليست فى ١ .

المدينة بعد مالك . إرشاد السارى ٣٨٣/٦ .

ورواه أيضا في المناقب ، والنسائي من حديث يزيد بن هرون ، عن إسماعيل بن أبي خالد .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتة تسعةُ أسياف ، فابقى في يدي إلا صفيحةٌ يمانية .

ثم رواه عن محمد بن المثنى ، عن يحيى عن إسماعيل ، حدثني قيس ، سمعت خالد ابن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتة تسعةُ أسياف وصبرت في يدي صفيحةٌ يمانية .

انفرد به البخاري .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : حدثنا أبو نصر بن قتادة ، حدثنا أبو عمرو مطر ، حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجعي ، حدثنا^(١) سليمان بن حرب ، حدثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكانت الأنصار تفقهه ، فغشيه الناس فغشيته فيمن غشيه ، فقال : حدثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشَ الأمراء وقال : عليكم زيدُ بن جارثة . فإن^(٢) أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة ، قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ما كنت أرغب أن تستعمل زيدا^(٣) علي . قال : امض فإنك لا تدري أى ذلك خير .

فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله ، فصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المنبر فأمر فنودي :

(١) : أنا .

(٢) غير أ : وقال إن .

(٣) : أن يستعمل زيد .

الصلوة جامعة . فاجتمع الناسُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيداً . فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشدَّ على القوم حتى قُتل شهيداً ، شهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قُتل شهيداً فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ^(١) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه سيفٌ من سيوفك أنت ^(٢) تنصره » فن يومئذ سُمي خالد سيفَ الله .

ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك ، عن الأسود بن شيبان به نحوه ، وفيه زيادة حسنة وهو أنه عليه السلام لما اجتمع إليه الناس قال : بابُ خيرٍ باب خير . وذكر الحديث .

وقال الواقدي : حدثني عبد الجبار بن عمار بن غزيرة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرو بن حزم ، قال : لما التقى الناسُ بمؤتة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى مُعَتَرِّكهم ، فقال : أخذ الراية زيدُ ابن حارثة فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياة وكرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدنيا ، فقال : الآن حين استحکم الإيمانُ في قلوب المؤمنين تحبَّب إلى الدنيا ! فمضى قُدماً حتى استشهد فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو شهيد .

قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما قُتل زيدُ أخذ الراية جعفرُ بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان فحبَّب إليه الحياة وكرَّه إليه الموتَ ومَنَّاه الدنيا ، فقال : الآن حين استحکم الإيمانُ في قلوب المؤمنين يَمْنِيَنِي الدنيا ! ثم مضى قُدماً حتى استشهد ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسلم . وقال : استغفروا الأخيكم فإنه شهيدٌ دخل الجنة ، وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

قال : ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد ، ثم دخل الجنة مُقْتَرَضًا فَشَقَّ ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ما اعتراضه ؟ قال : لما أصابته الجراحُ نكل ، فعاتب نفسه فتشجّع واستشهد ودخل الجنة .
فسرّى عن قومه .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الآن سَمِيَ الوطيسُ .

قال الواقدي : فحدثني العطف بن خالد ، قال : لما قتل ابن رواحة مساءً بات خالد ابن الوليد فلما أصبح غداً وقد جعل مُقَدِّمَتَهُ ساقاً وساقته مقدمةً وميمينته ميسرةً وميسرته ميمينَةً . قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا : قد جاءهم مددٌ ، فرعبوا وانكشفوا منهزمين ، قال : فقتلوا مقتلةً لم يقتلها قومٌ .

وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة رحمه الله في مغازيه ، فإنه قال ، بعد عمرة الحديبية : ثم صدر^(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم ، فانطلقوا حتى إذا لقوا ابن أبي سبرة الغساني بمؤتة وبها جموع^(٢) من نصارى العرب والروم ، بها تنوخ وبهراء ، فأغلق ابنُ أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم التقوا^(٣) على

(٢) ١ : جمع .

(١) ١ : ثم صد .

(٣) ١ : ثم خرجوا فالتقوا .

زرع^(١) أحرر فاقْتتلوا قتالا شديدا ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطَلح المسلمون بعدَ أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد بن الوليد الخزومي فهزم الله العدوَّ وأظهر المسلمين . قال : وبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى - يعني من سنة ثمان - .

قال موسى بن عقبة : وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مرَّ على جعفر في الملائكة يطير كما يطرون وله جناحان .

قال : وزعموا - والله أعلم - أن يعلى بن أمية قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرك . قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه لهم ، فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت مُعْتَرِكهم » .

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق من أن خالدا إنما حاشى بالقوم حتى تخلصوا من الروم وعرب النصارى فقط . وموسى بن عقبة والواقدي مصرَّحان بأنهم هزموا جموع^(٢) الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعا : « ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله ففتح الله على يديه » .

رواه البخاري ، وهذا هو الذي رجحه ومال إليه الحافظ البيهقي بعد حكاية القولين ، لما ذكرناه من الحديث .

[قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقرين ، وهو أن خالدًا لما أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين حتى خلّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة . فلما أصبح وحول الجيش ميمنةً وميسرةً ومقدمةً وساقةً ، كما ذكره الواقدي توهّم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد هزمهم بإذن الله والله أعلم^(١) .

وقد قال^(٢) ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لما أقبل أصحاب مؤتة تلقّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه [قال : ولقيهم الصبيان يشتدّون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر . فأتني بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه^(٣)] فجعلوا يَحْثُون عليهم التراب ويقولون : يافُرّار فررتم في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفُرّار ولكنهم الكُرّار إن شاء الله عز وجل » .

وهذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

[وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش ، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان ، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نُصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وهو على المنبر في قوله : ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله ففتح الله على يديه ، فما كان المسلمون ليسمونهم فراراً بعد ذلك ، وإنما تلقّوهم إكراماً وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحسب التراب الذين فروا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما^(٤) .

[وقد^(٥) قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ،

(١) سقطت من ١ . (٢) ١ : لكن قال . (٣) من ابن هشام .
(٤) سقطت من ١ . (٥) من ١ .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناسُ حيصَةً وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد قررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لودخلنا المدينة قُتلنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبةٌ وإلا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : مَنْ القومُ ؟ قال : قلنا : نحن الفرّارون^(١) . فقال : « لا بل أنتم العكّارون^(٢) » أنا ففتكم وأنا فئة المسلمين . قال : فأتيناه حتى قبلنا يده .

ثم رواه عن غُندَر عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى عن ابن عمر ، قال : كنا في سرية فقررنا فأردنا أن نركب البحر . فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله نحن الفرّارون . فقال : لا بل أنتم العكّارون .

ورواه [أبوداود^(٣)] و [الترمذى وابن ماجه من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذى : حسن لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد^(٤) : حدثنا إسحاق بن عيسى وأسود بن عامر ، قالا : حدثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ، فلما لقينا العدوَّ انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفرٍ ليلًا ، فاخفينا ثم قلنا : لوخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذرنا إليه . فخرجنا إليه فلما لقيناه^(٥) قلنا : نحن الفرّارون يا رسول الله . قال : « بل أنتم العكّارون وأنا ففتكم » قال الأسود : « وأنا فئة كلِّ مسلم^(٦) » .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن

(١) غير ١ : فرارون . (٢) غير ١ : الكرارون . (٣) من .

(٤) ثم قال أحمد .

(٥) المطبوعة : ثم التقيناه . وهو تحريف . (٦) ١ : لكل مسلم .

عبد الله بن الزبير ، أن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لاسرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالى لأرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟

قالت : ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس : يافراً فرتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته ما يخرج وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع [الروم ، وكانوا على أكثر من أضعاف الأضعاف فإنهم كانوا ثلاثة آلاف وكان ^(١) العدو على ما ذكره مائتي ألف ، ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر ، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم وتخلصوا من أيدى أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله .

و [مما ^(٢)] يؤيد ذلك أيضاً ويزيده قوة ويشهد له ^(٣) بالصحة ما رواه الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ووافقني مددي ^(٤) من اليمن ليس معه غير سيفه ، فنحز رجل من المسلمين جزوراً فسأله المددي طابقة من جلده فأعطاه إياه فاتخذها كهيئة الدرة ، ومضينا فلقينا جموع الروم وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يُغري بالمسلمين ، وقعد له المددي خلف صخرة ، فر به الرومي ففرق فرسه ^(٥) فخره وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث

(١) سقطت من المطبوعة .

(٢) من ١

(٣) غير ١ : ويؤيد ذلك ويشاكله بالصحة .

(٤) الأصل : مدوي وهو تحريف . والمددي : يعني رجلاً من المدد الذين جاءوا يمدون المسلمين .

(٥) غير ١ : فرق به .

إليه خالد بن الوليد فأخذ من السِّلَب ، قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسِّلَب للقاتل ؟ قال : بلى ولكنني استكثرته . فقلت : لتردنه إليه أو لأعرفنكمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يردَّ عليه .

قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقصصت عليه قصة المددِ وما فعل خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا خالد رُدَّ عليه ما أخذت منه » قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ألم أف لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ فأخبرته ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا خالد لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركوا أمرائي ؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره » .

قال الوليد : سألت ثورًا عن هذا الحديث ، فحدثني عن خالد بن معدان ، عن جبير ابن نفير ، عن عوف بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود من حديث جبير بن نفير عن عوف بن مالك به نحوه . وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم .

وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالدًا رضى الله عنه قال : اندقت في يدي يوم مؤنة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية .

وهذا يقتضي أنهم أئمنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم . وهذا وحده دليل مستقل والله أعلم . وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي ، وحكاه ابن هشام عن الزهري .

قال البيهقي رحمه الله : اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين وأن المشركين انهزموا . قال : وحديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثم أخذها خالد ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم . والله أعلم .

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق أن قطبة بن قتادة العذري - وكان رأس مئمنة المسلمين - حمل على مالك بن زافلة قال ابن هشام^(١) : ويقال رافلة . وهو أمير أعراب النصارى فقتله ، وقال يفتخر بذلك :

طعنتُ ابنَ زافلةَ بن الأراش برمحٍ مضى فيه ثم انحطمتُ
ضربتُ على جِـيـده ضربةً قالَ كما مالَ غُصْنُ السَّلمِ
وسُقنا نساءَ بني عمِّه غداةَ رقوقين سَوَقَ النِّعمِ^(٢)

وهذا يؤيد ما نحن فيه ، لأن من عادة أمير الجيش إذا قُتل أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرَّح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم .

وأما ابن إسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا الخاشاة والتخلص من أيدي الروم ، وسمى هذا نصراً وفتحاً ، أى باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، وكان مقتضى العادة^(٣) أن يُصطَلِّمُوا^(٤) بالكلية ، فلما تخلصوا منهم وانحازوا عنهم كان هذا غاية المرام في هذا المقام . وهذا محتمل ، لكنه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح الله عليهم » .

والمقصود أن ابن إسحاق يستدل على ما ذهب إليه فقال : وقد قال فيما كان أمر الناس وأمر خالد بن الوليد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم قيسُ بن الحسر اليعمرى يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس يقول :

فوالله لا تنفكُ نفسى تلومنى على مَوْقِفِى والخيْلُ قابعةٌ قُبُلُ^(٥)

(١) من .

(٢) رقوقين : موضع .

(٣) غير أ : فكان مقتضى العادات . (٤) المطبوعة : يصطلحوا . وهو تحريف .

(٥) قابعة : منقبضة . وقبل جمع أقبل وقبلاء وهو الذى يميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى .

وقفتُ بها لا مُستَجِيزاً فنافذاً ولا مانعاً من كان حُماً له القتل^(١)
 على أننى آسيتُ نفسى بخالدٍ ألا خالدٌ فى القوم ليس له مثلُ
 وجاشتُ إلى النفس من نحو جعفرٍ بمؤتةٍ إذ لا يَفْعُ النابِلُ النَّبْلُ
 وضمَّ إلينا حَجَزَ تَيْهَمٍ كُلَيْهِمَا مُهاجرةٌ لا مشركون ولا عُزْلُ

قال ابن إسحاق : فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم
 حازروا وكرهوا الموت ، وحقَّق انحيازَ خالد بمن معه .

قال ابن هشام : وأما الزُّهْرَى فقال - فيما بلغنا عنه - : أمر المسلمون عليهم خالد
 ابن الوليد ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة^(٢) .

فصل

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ؛ عن
 أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عُمَيْس قالت : لما
 أصيبَ جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبغتُ أربعين مناً^(٣)
 وعجنت عجيني وغسلت بَنِيَّ ودهنتهم ونظفّتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « ائتني ببني جعفر » فأتيته بهم فشمّهم وذرفت عيناه فقلت : يا رسول الله بأبى أنت
 وأُمى ! ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم أصيبوا هذا اليوم »
 قالت : فقامت أصرح ، واجتمع إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 أهله فقال : « لا تَغْفُلُوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلُوا
 بأمر صاحبهم » .

(١) مستجيزاً : متجيزاً إلى طائفة . (٢) ابن هشام : حتى قفل إلى النبي .

(٣) المنا : الرطل الذى يوزن به ، تعني أربعين رطلاً من دباغ .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ورواه ابن إسحاق من طريق عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى ، عن أم عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنها أم جعفر وأم عون .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : لما جاء نعي جعفر حين قُتل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم أمرٌ يشغلهم ، أو أتاهم ما يشغلهم » .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، عن جعفر ابن خالد بن سارة الخزومي المكي ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر . وقال الترمذي : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن .

قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله [إن النساء] عنيّننا وفتنّا ، قال : « ارجع إليهن فأسكنهن » .

قالت : فذهب ثم رجع فقال له مثل ذلك ، قالت : وربما ضرّ التكلف - يعني أهله - قالت : قال : « فاذهب فأسكنهن فإن أئبن فاحش في أفواههن التراب » قالت : [وقلت] في نفسي : أبعدك الله ! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر يحش في أفواههن التراب . انفراد به ابن إسحاق من هذا الوجه ؛ وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد الوهاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرني عمرة قالت : سمعت عائشة تقول : لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله

ابن رَوَاحَة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف في وجهه الحزن ، قالت عائشة : وأنا أَطَّلَع من صائر الباب - شق^(١) - فأناه رجل فقال : أى رسول الله ، إن نساء جعفر ، وذكر بكاءهن ، فأمره أن ينهأهن قالت : فذهب الرجل ثم أتى فقال : والله لقد غلبننا ، فرغمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاحثُ في أفواههن من التراب » .

قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : أرغم الله أنفك ! فوالله ما أنت تفعل ذلك وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغناء .
وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن عمرة عنها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن قُتل زيد أو استشهد فأمركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأمركم عبد الله بن رَوَاحَة » فلقوا العدو فآخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رَوَاحَة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه . وأتى خبرهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رَوَاحَة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه » قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخى بعد اليوم ، ادعوا إلى بنى أخى » قال : فجئ بنا كأننا أفرخ ، فقال « ادعوا

لى الحلاق « فحىء بالحلاق فخلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيهه عمنا أبى طالب ، وأما عبد الله فشبيهه خلقى وخلقى » ثم أخذ بيدي فأشالها^(١) وقال : « اللهم اخلف جعفرًا فى أهله ، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أمنا فذكرت له يُتمنا وجعلت تُفرح^(٢) له فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة؟ » . ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائى فى السير بتمامه من حديث وهب بن جرير به .

وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام أرخصَ لهم فى البكاء ثلاثة أيام ثم نهام عنه بعدها . ولعله معنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد من حديث الحكم بن عبد الله ابن شداد ، عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لما أصيب جعفر : « تسلى ثلاثاً ثم اصنعى ما شئت » .
تفرد به أحمد .

فيحتمل أنه أذن لها فى التسلب ، وهو المبالغة فى البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا لشدة حزنها على جعفر أبى أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب وهو المبالغة فى الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت مما يفعله المعتدات على أزواجهن من الإحداد المعتاد . والله أعلم . ويروى : تسلى ثلاثاً - أى أصبرى - وهذا بخلاف الرواية الأخرى والله أعلم .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد بن طلحة ، حدثنا الحكم بن عيينة ، عن عبد الله بن شداد عن أسماء بنت عميس ، قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : لا تحُدِّى بعدَ يومك هذا . فإنه من أفراد أحمد أيضاً وإسناده لا بأس به ، ولكنه مشكل إن يُحمل على ظاهره ، لأنه قد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله

(٢) تفرح له : تحزنه .

(١) شالها : أرفعها .

واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميتها أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا .

فإن كان مارواه الإمام أحد محفوظًا فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة في الإحدا هذه الثلاثة أيام كما تقدم . والله أعلم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا
فَلَهُ عَيْنًا مِنْ رَأْيِ مَثَلِهِ فَتَى أَكْرَ وَأَحَى فِي الْهِيَاجِ وَأَضْبَرًا

ثم لم تنشب أن انقضت عدتها ، فخطبها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فتزوجها فأولم وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم على بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن على أبا بكر رضى الله عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها فقال لها على : — على وجه البسط — مَنْ الْقَائِلَةُ فِي شَعْرَهَا :

فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا ؟

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن فإنك امرؤ فيك دعاة !

فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ذاهب إلى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتُهل وسيقأتى في موضعه ، ثم لما توفي الصديق تزوجها بعده على بن أبي طالب ، وولدت له أولاداً رضى الله عنه وعنهما وعنهم أجمعين .

فصل

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسعودون .

قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصبيان فاحلوم وأعطوني ابن جعفر » فَأَتَى بعبد الله بن جعفر فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يَحْثُونَ على الجيش التراب ويقولون : يافُرَّار فررتم في سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليسوا بالفُرَّار ولكنهم الكُرَّار إن شاء الله » .
وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عاصم ، عن مَورِق العِجْلِي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ من سَفَرٍ تلقى الصبيان من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسُبقَ بي إليه ، قال : فحملني بين يديه ثم قال : « جئى بأحد بنى فاطمة » إما حسن وإما حسين ، فأردفه خلفه فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عاصم الأحول عن مَورِق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا ابن جُريج ، حدثنا خالد بن سارة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقُتِمَاً وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب إذ مر النبي صلى الله عليه وسلم على دابة فقال : « ارفعوا هذا إني » فحملني أمامه وقال لقمي : « ارفعوا هذا إني » فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحب إلي عباس من قثم ، فما استحي من عمه أن حمل قثما وتركه . قال : ثم مسح على رأسه ثلاثاً وقال كلما مسح : « اللهم اخلف جعفرًا في ولده » .

قال : قلت لعبيد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير . قال : أجل .

ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج به .

[وهذا كان بعد الفتح ، فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح ، فأما الحديث الذي

رواه الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا حبيب بن الشهيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم فحملنا وتركك .

وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ومسلم من حديث حبيب بن الشهيد وهذا يعد من

الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضا ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح كما قدمنا بيانه . والله أعلم ^(١)] .

فصل

في فضل هؤلاء الأسماء الثلاثة : زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم

—

أما زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزّي بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاة الكلبي القضاعي ، [فهو] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها فأغار عليهم خيل فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة بنت خويلد ، وقيل اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، فوهبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، فوجده أبوه فاختار المقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه ، فكان يقال له زيد بن محمد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً .

وكان أول من أسلم من الموالى ، ونزل فيه آيات من القرآن منها قوله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » وقوله تعالى : « ادعواهم لأبائهم هو أقصط عند الله » وقوله تعالى : « ما كان محمدُ أباً أحدي من رجالكم » وقوله : « وإذ تقولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُهَا » الآية . أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى : « أنعم الله عليه » أى بالإسلام « وأنعمت عليه » أى بالعتق ، وقد تكلمنا عليها فى التفسير .

والمقصود أن الله تعالى لم يسمَّ أحداً من الصحابة فى القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام ، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه مولاته أم أيمن واسمها بركة فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له الحُبُّ بن الحُبِّ ، ثم زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش ، وأخى بينه وبين عمه حمزة بن عبد المطلب وقدمه فى الإمرة على ابن عمه جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد والإمام الحافظ أبو بكر بن أبى شعبة - وهذا لفظه - : حدثنا محمد بن عبيد ، عن وائل بن داود : سمعت البهئ يحدث أن عائشة كانت تقول : مابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى سرية إلا أمره عليهم ، ولو بقى بعدُ لاستخلفه .

ورواه النسائى عن أحمد بن سلمان ، عن محمد بن عبيد الطَّنَافِسىّ به .

وهذا إسناد جيد قوى على شرط الصحيح ، وهو غريب جدا . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، حدثنا إسماعيل ، أخبرنى ابن دينار ، عن ابن عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد ،

فقطع بعضُ الناس في إمرته ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرأة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان خَلِيقًا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلى ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده » .

وأخرجاه في الصحيحين ، عن قتيبة عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر فذكره . ورواه البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه . ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : لما أصيب زيد بن حارثة وجيء بأسامة بن زيد وأوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخر ، ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « ألقى منك اليوم ما لقيت منك أمس » .

وهذا الحديث فيه غرابة والله أعلم .

وقد تقدم في الصحيحين أنه لما ذكر مصابهم وهو عليه السلام فوق المنبر جعل يقول « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه » .

قال : وإن عينيه لتذر فأن ، وقال : « وما يسرهم أنهم عندنا » . وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنة .

وقد قال حسان بن ثابت يرثي زيد بن حارثة وابن رواحة :

عينُ جُودِي بدمعك المَزُورِ واذكري في الرِّخاءِ أهلَ القُبُورِ

واذكري مُؤتةً وما كان فيها يوم راحوا في وقعة التَّغْوِيرِ

حين راحوا وغادروا ثم زيدا نعم مأوى الضريك والمأسور^(١)
حب خير الأنام طراً جميعاً سيد الناس حبه في الصدور
ذاكم أحمد الذي لا سواه ذاك حزني له معاً وسروري
إن زيدا قد كان متاً بأمر ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودي للخزرجي بدمع سيداً كان ثم غير نزور
قد أتانا من قتلهم ما كفانا فبحزن نبيت غير سرور

وأما جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أكبر من أخيه على بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين .

أسلم جعفر قديماً وهاجر إلى الحبشة وكانت له هناك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة^(٢) والله الحمد .

وقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدري أنا بأيهما أسر ، أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر » وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضيّة : « أشبهت خلقي وخلقى » فيقال : إنه حجل عند ذلك فرحاً . كما تقدم في موضعه والله الحمد والمنة .

ولما بعثه إلى مؤتة جعل في الإمرة مُصلّياً - أى نائباً - لزيد بن حارثة ، ولما قُتل وجدوا فيه بضعا وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في

(١) الضريك : والفقر السبي* الحال .

(٢) تقدم ذلك في الجزء الثاني ١٤-٢٦ .

ذلك كله مُقبل غير مدبر ، وكانت قد طُعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك لِلاواء ، فلما قدما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إن رجلاً من الروم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضى الله عن جعفر ولعن قاتله .

وقد أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شهيد فهو ممن يُقطع له بالجنة . وجاء بالأحاديث تسميته بذى الجناحين . وروى البخارى عن ابن عمر ، أنه كان إذا سلم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذى الجناحين .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما فى الصحيح عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة وقد تقدم بعض ما روى فى ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذى : حدثنا على بن حجر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « رأيت جعفرًا يطير فى الجنة مع الملائكة » .

وتقدم فى حديث أنه رضى الله عنه قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة . وقال ابن الأثير فى الغابة : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين . قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل إنه كان أسنَّ من علىّ بعشر سنين ، يقتضى أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة ، لأن علياً أسلم وهو ابن ثمانى سنين على المشهور فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان فى سنة ثمان من الهجرة والله أعلم .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله الطَّيَّار ، لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان الكرمه يقال له : أبا المساكين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد : وحدثنا عفان بن وهيب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، قال : ما احتذى النعالَ ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ولا لبس الثياب من رجلٍ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب .

وهذا إسناد جيد إلى أبي هريرة ، وكأنه إنما يفضِّله في الكرم ، فأما في الفضيلة الدينية فمعلوم أن الصَّدِّيقَ والفاروقَ بل وعثمان بن عفان أفضل منه ، وأما أخوه على رضي الله عنهما فالظاهر أنهما متكافئان أو على أفضل منه .

وإنما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم ، بدليل ما رواه البخاري : حدثنا أحمد بن أبي بكر ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجهني ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، أن الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة وإني كنت أزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيع بطنى خبزاً لا آكل الخبز ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطنى بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلحق ما فيها .

تفرد به البخاري .

وقال حسان بن ثابت يرثي جعفرأ :

وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلَكُ جَعْفَرٍ	حَبُّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
وَلَقَدْ جَزَعْتُ وَقُلْتُ حِينَ نُعِيتَ لِي	مَنْ لِلْجِلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلَمَهَا
بِالْبَيْضِ حِينَ تُسَلُّ مِنْ أَغْمَادِهَا	ضَرْبًا وَإِنْ هَالِ الرِّمَاحِ وَعَلَمَهَا

بِعَدِّ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرٍ خَيْرِ الْبَرِيَةِ كُلِّهَا وَأَجْلَهَا
رُزْءاً وَأَكْرَمَهَا جَمِيعاً يُحْتَدَأُ وَأَعَزَّهَا مُتَظَلِّمًا وَأَذْلَهَا
لِلْحَقِّ حِينَ يَنْوِبُ غَيْرَ تَنْحُلٍ كَذْبًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَقْلَهَا
فُحْشًا وَأَكْثَرَهَا إِذَا مَا يُجْتَدَى فَضْلًا وَأَنْدَاهَا يَدًا وَأَبْلَهَا
بِالْمَرْفِ غَيْرِ مُحَمَّدٍ لَامِثَةً حَتَّى مِنْ أَحْيَاءِ الْبَرِيَةِ كُلِّهَا

وَأَمَّا ابْنُ رَوَاحَةَ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَغْرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
الْخَزْرَجِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ وَيُقَالُ : أَبُو رَوَاحَةَ ، وَيُقَالُ : أَبُو عَمْرِو ، الْأَنْصَارِيُّ الْخَزْرَجِيُّ ، وَهُوَ خَالَ
النَّمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، أخته عَمْرَةُ بنت رَوَاحَةَ .

أَسْلَمَ قَدِيمًا وَشَهِدَ الْعُقْبَةَ ، وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ لِيَلْتَنِذَ لِبَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَشَهِدَ
بَدْرًا وَأَحَدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْحُدَيْبِيَّةَ وَخَيْبَرَ وَكَانَ يَبْعَثُهُ عَلَى خَرْصِهَا ، كَمَا قَدَمْنَا ، وَشَهِدَ عُمَرَةَ
الْقَضَاءِ وَدَخَلَ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مَمْسُكٌ بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيلَ بِغَرْزِهَا
- يَعْنِي الرَّكَّابَ - وَهُوَ يَقُولُ :

* خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ *

الْأَيَّاتِ كَمَا تَقْدُمُ .

وَكَانَ أَحَدَ الْأَمْراءِ الشَّهْدَاءِ يَوْمَ مَوْتِهِ كَمَا تَقْدُمُ ، وَقَدْ شَجَّعَ الْمُسْلِمِينَ لِلِقَاءِ الرُّومِ حِينَ
اشْتَبَرُوا فِي ذَلِكَ ، وَشَجَّعَ نَفْسَهُ أَيْضًا حَتَّى نَزَلَ بَعْدَ مَا قُتِلَ صَاحِبَاهُ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالشَّهَادَةِ فَهُوَ مَنْ يُقَطَّعُ لَهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ لَمَّا أُنْشِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَعْرَهُ حِينَ وَدَّعَهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

فَنَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنت فُتِّبْتَكَ اللهُ » قال . هشام بن غروة : فُتِّبَتْهُ اللهُ حتى قُتِلَ شهيداً ودخل الجنة .

وروى حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أن عبد الله بن رواحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانه خارجاً من المسجد حتى فرغ الناس من خطبته ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « زادك الله حرصاً على طوعية الله وطوعية رسوله » . وقال البخارى فى صحيحه : وقال معاذ : اجلس بنا تؤمن ساعة^(١) .

وقد ورد الحديث المرفوع فى ذلك عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النخوى ، عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال تؤمن برَبِّنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ألا ترى ابنَ رواحة ؟ يَرْغَبُ عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله ابنَ رواحة ، إنه يحب المجالس التى تتباهى بها الملائكة » . وهذا حديث غريب جدا .

وقال البيهقى : حدثنا الحاكم ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا محمد بن أيوب ، حدثنا أحمد ابن يونس ، حدثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : تعال حتى تؤمن ساعة ، قال : أو نسنا بمؤمنين ؟ قال : بلى ولكننا نذكرك الله فنزداد إيماناً .

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللكّى^(٢) من حديث أبي اليمان ، عن صفوان بن سليم ، عن شريح بن عبيد ، أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه

(١) صحيح البخارى ٥/١ (٢) نسبة إلى اللك وهى بليدة من أعمال برقة الغرب . وفى الأصل : اللالكى . وما أثبتته عن الباب ٧٠/٣

فيقول : قم بنا نُؤمِّن ساعةً فنجلس في مجلسٍ ذِكر .

وهذا مرسل من هذين الوجهين وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول شرح البخارى والله الحمد والمنة .

وفي صحيح البخارى عن أبى الدرداء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في حر شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه .

وقد كان من شعراء الصحابة المشهورين ، وما نقله البخارى من شعره في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفينا رسولُ الله نتلو كتابه إذا انشَقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
بيت يحافى جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجعُ
أنى بالهدى بمد العمى فقلوبنا به موقفاتٌ أن ما قال واقعُ

وقال البخارى : حدثنا عمران بن ميسرة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكى ؛ واجبله واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لى : أنت كذلك ؟ حدثنا قتيبة ، حدثنا خيثمة ، عن حصين ، عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : أغمى على عبد الله بن رواحة ، بهذا . فلما مات لم تبك عليه .
وقد قدمنا مارثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع رضى الله عنهم :
كفى حزناً أنى رجعتُ وجعفرٌ وزيدٌ وعبد الله فى رَمْسٍ أَقْبُرِ
قَضَوْا نَجْبَهُمْ لَمَّا مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَخُلِّفْتُ لِلْبَلَوَى مَعَ الْمُتَغَيِّرِ
وسياتى إن شاء الله تعالى بقية مارثى به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك رضى الله عنهما وأرضاهما .

فصل في ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين

فمن المهاجرين جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة الكلبي ، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة العدوي ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار عبد الله بن رواحة ، وعبيد بن قيس الخزرجي ، والحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة النجاري ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر .

فجموع من قُتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق ، لكن قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة فيما ذكره ابن شهاب الزهري : أبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مذبول المازنيان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً ، فالجموع على القولين اثنا عشر رجلاً .

وهذا عظيم جداً ، أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل ، من الروم مائة ألف ، ومن نصارى العرب مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين الا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير !

هذا خالد وحده يقول : لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية ، فإذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها دغ غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن ، وقد تحكوا في عبدة الصُّلَبان عليهم لعائنُ الرحمن ، في ذلك الزمان وفي كل أوان .

وهذا مما يدخل في قوله تعالى : « قد كان لكم آية في فئتين التقتا فتقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لَعبرة لأولى الأبصار » .

حديث فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السرية ^(١)

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرعة عبد الله بن عبد الكريم الرازى ، نصر الله وجهه ، في كتابه دلائل النبوة - وهو كتاب جليل - : حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن جابر . وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، حدثنا الوليد وعمرو - يعنى ابن عبد الواحد - قالوا : حدثنا ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول : أخبرني أبو أَمَامَةَ الباهلي ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي ، فأتيا بى جبلا وعرأ فقالا : اصعد ، فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنا سنسمله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت في سَوَاء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عَوَاء أهل النار . ثم انطلقا بى فإذا بقوم معلقين بعراقيهم مُشَقَّقة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دما ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفتطرون قبل تحلة صومهم . فقال : خابت اليهود والنصارى » قال سليم : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من رأيه ؟

« ثم انطلقا بى ، فإذا قوم أشد شىء انتفاخاً وأنتن شىء ريحاً كأن ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالوا : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بى فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن

شيء ريحا كان ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون . والزواني . ثم انطلقا بي فإذا بنساء ينهش ثديهن الحيات ، قلت : ما بال هؤلاء ؟ قال : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بي فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذراري المؤمنين .

ثم أشرقا بي شرفا فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم قلت : من هؤلاء ؟ قال : هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة . ثم أشرقا بي شرفا آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكى به أصحاب مؤتة قولُ حُصَيْن :

تَأْوَبْنِي لَيْلٌ بِيْثَرٍ أَعْسَرُ	وَهُمْ إِذَا مَا نَوَّمِ النَّاسُ مُسَهَّرُ
لَذَكَرِي حَبِيبٌ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً	سَفَوْحًا وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ الْفَذَكُرُ
بَلَى إِنَّ فَقْدَانِ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ	وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ تَوَارَدُوا	شُعُوبًا وَخَلْفًا بَعْدَهُمْ يَتَأَخَّرُ
فَلَا يُبْعَدُنَ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا ^(١)	بِمَوْتِهِ مِنْهُمْ ذُو الْجَفَانِ جَعْفَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا ^(١)	جَمِيعًا وَأَسْبَابُ الْمَنِيَةِ تَخْطُرُ
غَدَاةً مَضَوْا بِالْمُؤْمِنِينَ يَقُودُهُمْ	إِلَى الْمَوْتِ مَيِّمُونَ النَّقِيبَةُ أَرْهَرُ
أَغَرَ كَضْوَاءَ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	أَبِي إِذَا سِيمَ الظَّلَامَةُ مُجَسَّرُ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالٍ غَيْرِ مُؤَسَّدٍ	بِمَعْتَرِكٍ فِيهِ الْقَنَا مُتَكَسِّرُ

(١) الأصل : تَبَاعُوا . وما أثبتته من ابن هشام .

فصار مع المستشهدين ثوابه
وكفا نرى في جعفر من محمد
وما زال في الإسلام من آل هاشم
هم جيل الإسلام والناس حولهم
بهايل منهم جعفر وابن أمه
وحزوة والعباس منهم ومنهم
بهم تفرج اللاواء في كل مأزق
هم أولياء الله أنزل حكمه
وقال كعب بن مالك رضى الله عنه :

نام العيون ودمع عينك يهمل
في ليلة وردت على همومها
واعتادني حزن فبت كأنتي
وكأنتما بين الجوانح والحشا
وجداً على نفر الذين تتابعوا
صلّى الإله عليهم من فتية
صبروا بنوثة للإله نفوسهم
فمضوا أمام المسلمين كأنهم
إذ يهتدون بجعفر ولوائه

سحاً كما وكف الطّبابُ الخُضْلُ^(١)
طوراً أحين وتارةً أتملّم
بينات نعش والسّماك^(٥) موكل
مما تأوَّبنى شهاب مُدخَل
يوماً بمؤتة أسندوا لم يُنقلوا
وسقى عظامهم الغمام المسبّل
حذر الرّدى وخفاةً أن يَنكَلُوا
فُنقُ عليهم الحديدُ المرّة^(٦) قل
قُدّام أولهم فنعم الأول

(١) الرضام : صخور عظام يوضع بعضها فوق بعض . (٢) في ١ : ويقهر . (٣) العباس : الظلم .
(٤) الطباب : جمع طبابة وهى سير فى أسفل القرية بين الخريزتين فى المزايدة . وفى ١ : الضباب .
وفى غيرها : الأطباء . وهو تحريف . (٥) ١ : الشمال .
(٦) الفنق : جمع فنيق ، وهو الفحل المكرم الذى لا يركب . والمرفل : السابغ .

حتى تفرّجت الصفوفُ وجعفر	حيث التقى وعُث الصفوفُ مُجدّل ^(١)
فتغيّر القمر المنير لفقده	والشمسُ قد كُست وكادت تأفلُ
قرّمُ علا بنيانه من هاشم	فرعاً أشمَّ وسودداً ما يُنقلُ
قوم بهم عصم الإله عباده	وعليهم نزل الكتاب المنزلُ
فضلوا المعاشرة عزة وتكرماً	ونعمت أحلامهم من يجهلُ
لا يُطلقون إلى السفاه حِباهمُ	وبرى خطيبهمُ بحقٍ يفصل ^(٢)
بيضُ الوجوه ترى بطوناً كفهم	تنذى إذا اعتذر الزمانُ الممجلُ
وبهذهيم رضى الإله لخلقهم	وبجدّهم نصر النبي المرسلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم
يدعوم إلى الله عز وجل وإلى الدخول في دين الإسلام

ذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذى الحجة بعد عُمره الحديبية ،
وذكر البيهقي هذا الفصل في هذا الموضع بعد غزوة مؤتة . والله أعلم .

ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية ، لقول أبي سفيان
لهرقل حين سأله : هل يغدر ؟ فقال : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ماهو
صانع فيها .

وفي لفظ البخاري : وذلك في المدة التي ماد فيها أبو سفيان رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وقال محمد بن إسحاق : كان ذلك ما بين الحديبية ووفاته عليه السلام . ونحن نذكر
ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدي محتملا . والله أعلم .

وقد روى مسلم عن يوسف بن حماد المَعْنِي ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي
عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب قبل
مؤتة إلى كسرى وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوم إلى الله عز وجل ، وليس
بالنجاشي الذي صَلَّى عليه .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، حدثني أبو سفيان من فيه إلى في قال :

كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب قد حَصَرَتْنا حتى نَهَكْتَ أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ^(١) نأمن إن وجدنا أمناً ، فخرجت تاجراً إلى الشام مع رهط من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأةً ولا رجلاً إلا وقد حَمَلَنِي بضاعة ، وكان وَجْهٌ مُتَجَرِّنا من الشام غزاة من أرض فلسطين . فخرجنا حتى قَدِمْنَاها وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس فأخرجهم منها ، ورُدَّ عليه صليبه الأعظم وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك وقد كان منزله بمحصر من الشام فخرج منها يمشي متشكراً إلى بيت المقدس ليصلي فيه تَبَسُّط له البسط ويطرح عليها الرياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلى بها .

فأصبح ذات غداة وهو مَهْمُومٌ يَلْبَسُ طَرَفَهُ إلى السماء ، فقالت [له] ^(٢) بطارقتك : أيها الملك لقد أصبحت مَهْمُوماً ؟ فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أريت في هذه الليلة أن ملكاً اِلْتَقَانِ ظاهراً ، فقالوا : والله ما نعلم أمةً من الأمم تَحْتَتِنُ إلا اليهود وهم تحت يدك وفي سلطانك فإن كان قد وقع [ذلك] ^(٣) في نفسك منهم فابعث في مَمْلَكَتِكَ كلها فلا يَبْقَ يهودى إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم .

فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرَى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل يحدثك عن حَدَثٍ كان ببِلادِهِ فاسأله عنه . فلما انتهى إليه قال لترجمانه : سَلْهَ ما هذا الخبر الذى كان في بلاده ؟ فسأله فقال : هو رجل من العرب من قريش خرج يزعم أنه نبي وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم مَلَاَحِمٌ في مواطن ، فخرجتُ من بلادى وهم على ذلك .

(١) غير ١ : لا .

(٢) ليست في ١ .

(٣) ١ : هذا .

فلما أخبره الخبر قال : جرّدوه . فإذا هو مختن فقال : هذا والله الذى قد أريت لا ماتقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .
ثم إنه دعا صاحب شُرطته فقال له : قلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتى برجل من قوم هذا أسأله ^(١) عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا فسالنا : ممن أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعاً .

فلما انتهينا إليه قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف - يريد هرقل -

قال : فلما انتهينا إليه قال : أيكم أمسُّ به رجلاً ؟ فقلت : أنا . قال : أدنوه مني . قال : فأجلسني بين يديه ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي وقال : إن كذب فردّوا عليه ، قال أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردّوا على ، ولكني كنت امرئاً سيّداً أتكرّم وأستحي من الكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يزوّوه عني ثم يتحدثوا به عني بمكة ، فلم أكذبه .

فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذى خرج فيكم . فزهدت له شأنه وصغرت له أمره [فوالله ما القفت إلى ذلك مني وقال لى : أخبرني عما أسألك عنه من أمره ^(٢)] فقلت : سلني عما بدّالك .

فقال : كيف نسبته فيكم ؟ فقلت : محضاً من أوسطنا نسباً .
قال : فأخبرني ، هل كان من أهل بيته أحدٌ يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟
فقلت : لا .

قال : فأخبرني هل له مُلكٌ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه !
فقلت : لا .

قال : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟ فقلت : الأحداثُ والضعفاء والمساكين ، فأما أشرفهم وذوو الأنساب [منهم ^(١)] فلا . قال : فأخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : ما صحبه رجلٌ ففارقه .

قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سَجَالٌ يُدَالُ علينا ونُدَالُ عليه .
قال : فأخبرني هل يَغْدِرُ ؟ فلم أجِدْ شيئاً أغرّه به إلا هي ، قلت : لا ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره فيها . فوالله ما التفت إليها مني .

قال : فأعاد على الحديث ، قال : زعمت أنه من أمْحَضَكم نَسَبًا ، وكذلك يأخذ الله النبيَّ ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو ينسبه به ؟ فقلت : لا . وسألتك : هل كان له من مُلكٍ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا .

وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداثُ والضعفاء والمساكين . وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان .

وسألتك عن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قلٌّ من يصحبه فيفارقه . وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه .

وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ؟ فزعمت أنها سَجَالٌ يُدَالُ عليكم وتداولون عليه ، وكذلك يكون حرب الأنبياء ولهم تكون العاقبة . وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر .

(١) ليست في ١ .

فلئن كنت صدقتني كيفلبنَّ على ما تحت قدمي هاتين ، ولوددتُ أني عنده فأغسل

عن قدميه !

ثم قال : الحق بشأنك . قال : فقممت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول :

يا عباد الله لقد أمرُ ابنِ أبي كبشة ، وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري قال : حدثني أسقف من النصارى قد أدرك ذلك

الزمان قال : قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من

اتبع الهدى أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيت فإن إثم

الأكارين^(١) عليك .

قال : فلما انتهى إليه كتابه وقراه أخذه فجعله بين نخذه وخاصرته ، ثم كتب إلى

رجل من أهل رومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فكتب إليه : إنه النبي الذي يُنتظر لا شك فيه فاتبعه . فأمر بعضاء الروم

فجمعوا له في دسكرة ملكه ثم أمر بها فأُشْرِجَتْ^(٢) عليهم ، واطاع عليهم من عليّة له

وهو منهم خائف ، فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءني كتاب أحد ، وإنه والله النبي الذي

كنّا ننتظر^(٣) ونُجمل ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه^(٤) ، فأسلموا واتبعوه تسلم

لكم دنياكم وآخركم . فنخروا نخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها

مغلقة دونهم .

نفاهم وقال : ردوهم على . فردوهم عليه فقال لهم : يا معشر الروم ، إني إنما قلت

لكم هذه المقالة أختبركم بها لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ؟ فلقد رأيت منكم ما سرّني .

فوقعوا له سجدا . ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا .

(٣) ١ : الذي ينتظر .

(٢) أُشْرِجَتْ : أغلقت .

(١) الأكار : الحراث .

(٤) ١ : بعلامات زمانة .

وقد روى البخارى قصة أبى سفيان مع هرقل بزيادات آخر، أحببنا أن نوردناها بسندها وحروفها من الصحيح ليعلم ما بين السياقين من التباين وما فيهما من الفوائد .

قال البخارى قبل الإيمان من صحيحه : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، أنبأنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره أن أبا سفيان أخبره ، أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام ، فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماداً فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم فى مجلسه وحوله عطاء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه منى وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذب بنى فكذبوه . [قال^(٢)] فوالله لولا [الحياة من]^(٣) أن يأتروا عنى كذباً لكذبت عنه .

ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبته فيكم ؟ قلت^(١) : هو فينا ذونسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها . قال : ولم يمكثى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف^(٣) كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال يئال منا ونئال منه . قال : ماذا يأمركم ؟

قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبهِ فزعمتَ أنه فيكم ^(١) ذو نسب ، وكذلك الرسل تُبعث في نسب قومها .

وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرتَ أن لا ، فقلتُ : لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلت : رجلٌ يتأسى بقولٍ قيل قبله .

وسألتك : هل كان من آباءه من مَلَك ؟ فذكرتَ أن لا ، فلو كان من آباءه من ملك قلت : رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك : هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرتَ أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله !

وسألتك : أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاءهم ؟ فذكرتَ أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباعُ الرسل .

وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرتَ أنهم يزيدون ، وكذلك أمرُ الإيمان حتى يتم .

وسألتك : أيرتدُّ أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرتَ أن لا . وكذلك الإيمانُ حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك : هل يفدر ؟ فذكرتَ أن لا ، وكذلك الرسل لا تفدر .

وسألتك : بِمِ يأمركم ؟ فذكرتَ أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ،

لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به مع دحية إلى عظيم بضرى فدفعه إلى هرقل فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد ؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن أبى كبشة إنه يخافه ملك بنى الأصفر !
فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام .

قال : وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقه : قد استنكرنا هيتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء يظفر فى النجوم ، فقال لهم حين سأله : إني رأيت حين نظرت فى النجوم ملكاً الخلتان قد ظهر ، فمن يختن من هذه الأمة ^(١) ؟ قالوا : ليس يختن إلا اليهود ولا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود .

فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبرهم عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أُمُتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مُخْتَنِنٌ ، وسأله عن العرب فقال : هم يَخْتَنِنُونَ . فقال هرقل : هذا مُلْكُ هذه الأُمّة قد ظهر . ثم كتب إلى صاحب له بروميّة ، وكان نظيره في العلم .

وسار هرقل إلى حمص فلم يَرَمْ^(١) حِصْنَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي ، فأذن هرقل لعطاء الروم في دَسَكْرَةٍ^(٢) لَهُ يَحْمِصُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا ففُتِلَتْ . ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الرُّومِ ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ^(٣) وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ ؟ فَتُبَّاعُوا لِهَذَا^(٤) النَّبِيِّ .

فخاصوا حَيَصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فوجدوها قد غُلِّقَتْ ، فلما رأى هرقل نُفَرَتَهُمْ وَأَيَّسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ . وَقَالَ : إِنَّمَا قُلْتَ مَقَالَتِي آتِنَا أَوْ نَخْتَرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتَ .

فسجدوا له ورضوا عنه . فكان ذلك آخر شأن هرقل .

قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان ويونس ومَعْمَرُ عَنْ الزُّهْرِيِّ .

وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة في صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها . وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري .

وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولا في أول شرحنا لصحيح البخاري بما فيه كفاية ، وذكرنا ما فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية والله تعالى الحمد والمِنَّة .

وقال ابن كهيمة عن الأسود ، عن عروة قال : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام

(١) لم يرم : لم يبرح . وفي الأصل بحمص . وما أثبتته عن البخاري .

(٢) الدسكرة : بناء كالمقصّر حوله بيوت . (٣) ١ : الصلاح .

(٤) الأصل : فتتابعوا . وما أثبتته عن صحيح البخاري ٥/١

تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يعلم ما يعلم من شأن ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه يأمره ^(٢) أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب وليس بنبي .

قال : فأخبروني من أعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عمه وقد قاتله .

فلما أخبروه ذلك أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبا سفيان ؟ فقال : هو ساحر كذاب .

فقال هرقل : إني لا أريد شتمه ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش .

قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له رأياً ^(٣) قط .

قال هرقل : هل كان حلاًفاً كذاباً مخادعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك .

قال : لعله يطلب منك أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان :

لا . ثم قال : من يتبعه منكم . هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا .

قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا إلا أن يغدر مدته هذه .

فقال هرقل : وما تخاف من مدته هذه ؟ قال : إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتهم فأنتم أغدر .

ففضب أبو سفيان وقال : لم يفلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب ، وهو يوم بدر ، ثم غزوتنه مرتين في بيوتهم تنبقر البطونَ وتجدع الآذان والفروج .
فقال هرقل : كاذبا تراه أم صادقا ؟ فقال : بل هو كاذب .
فقال : إن كان فيكم نبيٌ فلا تقتلوه . فإن أفعَلَ الناسَ لذلك اليهودُ .
ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غرابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ولا البخاري .
وقد أورد موسى بن عقبة في مغازيه قريبا مما ذكره عروة بن الزبير . والله أعلم .

وقال ابن جرير في تاريخه : حدثنا ابن حميد ، حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ،
عن بعض أهل العلم قال : إن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله إنني لأعلم أن صاحبك نبيٌ مُرْسَلٌ ، وأنه الذي كنا
نتنظر ونجده في كتابنا ، ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى
صفاطر الأسقف فاذكر له أمرَ صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم مني وأجوزُ قولاً
عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟

قال : فجاء دحية فأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل
وبما يدعو إليه ، فقال صفاطر : صاحبك والله نبيٌ مُرْسَلٌ نعرفه بصفته ونجده
في كتابنا باسمه .

ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً وليس بيباضاً ثم أخذ عصاه ، فخرج على الروم في
الكنيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله وإلى أشهد أن لا
إله إلا الله وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه .
قال : فلما رجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك ، إنا نخافهم على
أنفسنا ، فصفاطر والله كان أعظم عندهم وأجوزُ قولاً مني .

[وقد روى الطبراني من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه عن عبد الله بن شداد عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر صاحب الروم بكتاب فقلت : استأذنوا الرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى قيصر فقيل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول رسول الله . ففرع لذلك وقال : أدخله ، فأدخله عليه وعنده بطارقه فأعطيته الكتاب فإذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم . ففخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط^(١) فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم فإنه بدأ بنفسه وكتب : صاحب الروم ولم يكتب ملك الروم .

قال : فقرأ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ثم بعث إلى فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه . وكان صاحب أمرهم يصدرون عن رأيه وعن قوله . فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقف : أما أنا فإني مصدقه ومُتَّبِعُهُ ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهبَ ملكي وقتلني الروم^(٢)] .

وبه قال محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية لما بلغه من أمر النبي صلى الله عليه وسلم جمع الروم فقال : يا معشر الروم إني عارضٌ عليكم أموراً فانظروا فيها أردت بها . قالوا : ما هي ؟

قال : تعلمون والله أن هذا الرجل كُنِيَ مُرْسَلٌ ، نجده نعرفه بصفته التي وصف^(٣) لنا ، فهم فلنُتَّبِعُهُ فَنَسْلُمَ لنا دنيانا وآخرتنا^(٤) .

(٢) سقط من أ .

(١) السبط : الطويل .

(٣) ١ : وصفت . (٤) ١ : وأخرانا .

فقالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ونحن أعظم الناس مُلْكًا ، وأكثره رجالا وأقصاه بلدًا !

قال : فهم أعطيه الجزية كل سنة ، أ كسر عني شوكته وأستريح من حربه بما أعطيه إياه . قالوا : نحن نعطى العرب الذل والصغار يخرج يأخذونه منا ، ونحن أكثر الناس عددًا ، وأعظمه ملكًا ، وأمنّعه بلدًا ! لا والله لا نفعل هذا أبدًا .

قال : فهم فلاصلحه على أن أعطيه أرضَ سورية ويدعني وأرضَ الشام . قال : وكانت أرض سورية فلسطين والأردن ودمشق وحمص ، وما دون الدّرب [من أرض ^(١)] سورية ، وما كان وراء الدّرب عندهم فهو الشام .

فقالوا : نحن نعطيه أرضَ سورية ، وقد عرفت أنها سرّة ^(٢) الشام ، لا نفعل هذا أبدًا .

فلما أبوا عليه قال : أما والله لآترون ^(٣) أنكم قد ظفرتهم إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرضَ الشام ثم قال : السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع . ثم ركض حتى دخل إلى القسطنطينية والله أعلم .

ذكر إرساله عليه السلام إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق ^(٤) .

قال الواقدي : وكتب معه : « سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن به ، وأدعوك ^(٥) إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك » .

(١) سقطت من المطبوعة . (٢) الأصل : أنها أرض سورية الشام . وما أثبتته عن الطبري ٦٥١/٣ .

(٣) الأصل : لتودن . والتصويب من الطبري . (٤) ابن هشام : بعث شجاع بن وهب الأسدي

إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام . (٥) إلى أدعوك .

فقدِم شجاع بن وهب فقراء عليه فقال : ومن ينزع مُلْكِي ! إني سأسير إليه .

ذكر بعثه إلى كسرى ملك الفرس

روى البخارى من حديث الليث ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه ^(١) مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مرَّقه .

قال : خسبت أن ابن المسيَّب قال : فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزَّقوا كلَّ ممزَّق .

وقال عبد الله بن وهب : عن يونس عن الزهرى ، حدثني عبد الرحمن بن القارى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أما بعد فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم ، فلا تختلفوا علىَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى بن مريم » .

فقال المهاجرون : يا رسول الله إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا .

فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى ، فأمر كسرى بإيوانه أن يزين ثم أذن لعطاء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناول الكتاب .

ثم دعا كاتباً له من أهل الخبرة فقراءه فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصاح وغضب ومزَّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج ،

فلما رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالي على أى الطريقين أكون إذا أدبْتُ كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم !

قال : ولما ذهب عن كسرى سورة^(١) غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتمس فلم يوجد ، فطلب إلى الخيرة فسبق .

فلما قدم شجاع على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مزَّق كسرى مُلكه » .

وروى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافة [بكتابه^(٢)] إلى كسرى . فلما قرأه مزقه ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مزَّق مُلكه » .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد^(٣) ، حدثنا سلمة ، حدثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فإن تُسلم تُسلم وإن أبيت فإن إثم الجوس عليك » .

قال : فلما قرأه شقّه^(٤) وقال : يكتب إلى بهذا وهو عبدى ؟ !

(٢) ليست فى ١ .

(٤) الطبرى : مزقه .

(١) ١ : ثورة .

(٣) غير ١ : حدثنا أحمد ابن حميد .

قال : ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جَلَدِين فليأتيا نى به .

فبعث باذام ^(١) قهرمانه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخرة ^(٢) ، وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال : لأبأذويه ^(٣) : إيت بلادَ هذا الرجل وكلَّه واثنتى بحبره .

فخرجوا حتى قدما الطائفَ ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه ، فقال : هو بالمدينة - واستبشَرَ أهلُ الطائف - يعنى وقريشٌ - بهما وفرحوا . وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نصب له كسرى ملكُ الملوك ، كَفَيْتُم الرجل !

فخرجوا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه أبأذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملكِ باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثنى إليك لتنطلق معى ، فإن فعلتَ كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفُّ عنك ، وإن أبيتَ فهو من قد علمتَ ، فهو مُهلِكك ومهلك قومك ومخرَّب بلادك .

ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلَّقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فذكره النظرَ إليهما وقال : « وبلسكما من أمرٍ كما بهذا ؟ ! » قالا : أمرنا ربُّنا - يعنينا كسرى - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولكن ربى أمرنى بإعفاء لحيتى وقصّ شاربى » ثم قال : « ارجعا حتى تأتيا نى غداً » .

قال : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بأن الله قد سلَّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله .

(١) باذانه . وفى الطبرى ٦٥٠/٢ : باذان . (٢) فى الطبرى : خرخرة .

(٣) الطبرى : بابويه .

[في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله ^(١)] .
 قال : فدعاها فأخبرها فقالا : هل تدري ماتقول ؟ إنا قد قمنا عليك ماهو أيسرُ
 من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذاك عني ، وقولا
 له : إن ديني وسلطاني سيبلغ مابلغ كسرى وينتهي إلى الخلف والخافر ، وقولا له : إن
 أسلمت أعطيتك ماتحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء » .

ثم أعطى خرخرة منطة فيها ذهب وفضة كان أهداها إليه بعض الملوك .
 فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر فقال : والله ماهذا بكلام ملك ،
 وإنني لأرى الرجل نبيا كما يقول ، وليكونن ماقد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي
 مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا .

فلم ينشب باذام أن قديم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ؛ فإني قد قتلت كسرى ،
 ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتحرم ^(٢) في ثغورهم ، فإذا
 جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد
 كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه .

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت
 الأبناء من فارس من كان منهم باليمن .

قال : وقد قال باذويه لبازام : ما كلمت أحداً أهيب عندي منه . فقال له باذام :
 هل معه شرط ؟ قال : لا .

قال الواقدي رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء
 لعشر ليال مضين من جمادى الآخرة ، من سنة سبع من الهجرة لست ساعات مضت منها .

(٢) ١ : وغيرهم . وفي الطبري ٦٥٦/٢ وتجميعهم . أي حبسهم .

(١) ليست في ١ .

قلت : وفي شعر بعضهم ما يرشد أن قتله كان في شهر حرام وهو قول بعض الشعراء :

قتلوا كسرى بليلاً مُحَرَّمَا فتولَّى لم يمتَّع بكفنٍ
وقال بعض شعراء العرب ^(١) :

وكسرى إذ تقاسمه بنوه بأسيا ف كما اقتسم اللحم
تمخَّضت المَنُونُ له بيومٍ أتى ^(٢) ولكلِّ حاملةٍ تمام

وروى الحافظ البيهقي من حديث حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن أبي بكر ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي قد قتل الليلة ربك » .

قال : وقيل له : - - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - : إنه قد استخلف ابنه . فقال : « لا يفلح قوم تملكهم امرأة » .

قال البيهقي : وروى في حديث دحية بن خليفة أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رسل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعو إلى دينه ؟ ! لتكفينه أو لأفعلن بك .

فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربه الليلة » فوجدوه كما قال .

قال : وروى داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي نحو هذا .

ثم روى البيهقي من طريق أبي بكر بن عيَّاش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إن في وجهه

(١) ورد هذان البيتان في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٤٩ منسويين إلى خالد بن حق الشيباني .

(٢) سبقت الرواية : ألا . انظر الجزء الأول ص ٤٩ .

سعد خبراً فقال: « يا رسول الله هلك كسرى » فقال: « لعن الله كسرى ، أولُ الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهلاك كسرى لذئبك الرجلين ، يعنى الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذان ، فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به عليه السلام وشاع في البلاد وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بوفق إخباره عليه السلام . وهكذا بنحو هذا التقرير ذكره البيهقي رحمه الله .

ثم روى البيهقي من غير وجه عن الزهري ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بعث له - أو قيض له - عارضٌ يعرض عليه الحق فلم يُفجأ كسرى إلا برجل^(١) يمشي وفي يده عصاً فقال : يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم لا تكسرها . فوَلَّى الرجل . فلما ذهب أرسل كسرى إلى حبابه فقال : من أذن لهذا الرجل على ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحدٌ . فقال : كذبتُم ، قال : ففضب عليهم وتهددتهم ثم تركهم . قال : فلما كان رأسُ الحَوْلِ أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، فقال : يا كسرى هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم لا تكسرها .

فلما انصرف عنه دعا حُجَّابَه فقال لهم كلمة الأولى .

فلما كان العامُ المستقبل أتاه ذلك الرجل معه العصا فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها لا تكسرها . فكسرها^(٢) .

(١) بالرجل . (٢) لا تكسرها . فكسرها .

فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعي : أنبأنا ابن عُيينة ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي ^(١) نفسي بيده كَتُنْفَقَنَّ كنوزها في سبيل الله » . أخرجہ مسلم من حديث ابن عُيينة وأخرجه من حديث الزهري به .

قال الشافعي : ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزقّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يمزق مُلكه » . وحَفَظْنَا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه في مِسْك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَبَتَ مُلكه » .

قال الشافعي وغيره من العلماء : ولما كانت العربُ تأتي الشامَ والعراقَ للتجارة فأسلمَ مَنْ أسلمَ منهم ، شكوا خوفهم من مَلِكِي العراق والشام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » . قال : فبادَ مُلْكُ الأَكاسرة بالسكّية ، وزال ملك قيصر عن الشام بالسكّية ، وإن ثَبَتَ لهم مُلْكٌ في الجَمَلَةِ ، ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم حين عَظَّمُوا كتابه . والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلْكَ الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام . وكانت العرب تسمى قيصر لمن مَلَكَ الشامَ مع الجزيرة من الروم ، وكسرى لمن مَلَكَ الفُرس ، والنجاشي لمن مَلَكَ الحبشة ، والمقوقس لمن مَلَكَ الإسكندرية ، وفرعون

(١) غير أ : فوالذي .

لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند . ولهم أعلام أجناس غير ذلك ، وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ^(١) والله أعلم .

وروى مسلم عن قتيبة وغيره عن أبي عوانة ، عن سَمَك ، عن جابر بن سَمْرَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَفْتَحْن عَصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَفُوزَ كَسْرَى فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ » .

وروى أسباط ، عن سَمَك ، عن جابر بن سَمْرَةَ مثل ذلك وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم .

بَعَثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَقَوْسِ

صاحب مدينة الإسكندرية ، واسمه جريج بن مينا القبطي

قال يونس بن بُكَيْرٍ عن ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرّحه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة بسرجهما وجاريتين إحداهما أم إبراهيم ، وأما الأخرى فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن قيس العبدى .

رواه البيهقي .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن أبيه ، عن جده حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، قال : فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزاني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إلى وقد جمع بطارقه وقال : إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني . قال : قلت : هَلُمْ . قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت : بلى

هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببذرة^(١) يبذر قونك إلى مأمئك .

قال : فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار منهن أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ابن ثابت الأنصارى ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوار إحداهن مارية أم إبراهيم ، والأخرى سيرين التى وهبها لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان قلت : وكان فى جملة الهدية غلام أسود خصى اسمه مأبور ، وخفان ساذجان أسودان وبغلة بيضاء اسمها الدلدل .

وكان مأبور هذا خصياً ولم يعلموا بأمره^(٢) بادئ الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عادتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ولا يعلمون بحقيقة الحال وأنه خصى ، حتى قال بعضهم : إنه الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب بقتله فوجده خصياً فتركه . والحديث فى صحيح مسلم من طريق [حماد بن سلمة] قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو بن عبدود أخا بنى عامر بن لؤى إلى هوزة بن على صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمى إلى جيفر ابن الجندى وعمار بن الجندى الأزديين صاحبي عمان^(٣) .

(١) البذرة : الحفارة .

(٢) انظر الإصابة ٦ / ١٣ .

(٣) ابن هشام : بعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين . وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعبد ابنى الجندى . وبعث سليط بن عمرو . . إلى ثمامة بن أنال وهوزة بن على .

غزوة ذات السلاسل

ذكرها الحافظ البيهقي هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بلى وعبد الله ومن يليهم من قضاة .

قال عروة بن الزبير : وبنو بلى أخوال العاص بن وائل ، فلما صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه ، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سرّة المهاجرين رضى الله عنهم أجمعين ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ابن الجراح .

قال موسى بن عقبة : فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنتم مدد أمددته .

فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجلاً حسن الخلق لئب الشيمة - قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قادت على صاحبك فتطاولا » وإنك إن عصيتني لأطعنك . فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو ابن العاص .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام^(١)

وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بنى بليّ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل - قال : فلما كان عليه وخاف بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمدّه ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجّهه : « لا تختلفا » .

فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مدداً لى ، فقال له أبو عبيدة : لا ولكنى على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه .

وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، هيئاً عليه أمرُ الدنيا . فقال له عمرو : [بل]^(١) أنت مددى . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لى : « لا تختلفا » وإنك إن عصيتنى أطعتك فقال له عمرو : فإنى أميرٌ عليك وإنما أنت مدد لى . قال : فدونك . فصلّى عمرو بن العاص بالناس .

وقال الواقدي : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أن أبا عبيدة لما آبَ إلى عمرو بن العاص فصاروا خمسمائة فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بليّ ودوخها ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع فلما سمعوا بك^(٢) تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليّ وغذرة وبلقين ، ولقى فى آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالنبيل ساعة ، ورُمى يومئذ عامرُ بن ربيعة وأصيبت ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هرباً فى البلاد وتفرقوا ، ودوخ عمرو ما هناك وأقام أياماً لا يسمع لهم يجتمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ولم يكن فى ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

وقال أبو داود، حدثنا ابن المنني، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت يحيى ابن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن ابن جُبَيْر، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمتُ في ليلة باردة في غزوة ذات السَّلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أَهْلِكَ، قال: فتيَّمتُ ثم صليتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ياعمرو صليتَ بأصحابك وأنت جُنُب؟» قال: فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: «ولا تقبلوا أنفسكم إن الله كان بكم رَحِيمًا» فضحك نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً.

حدثنا محمد بن سلمة [أخبرنا ابن وهب] ^(١) حدثنا ابن لهيعة ^(٢) وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أنس، عن عبد الرحمن بن جُبَيْر ^(٣)، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص - وكان على سبيل ^(٤) فذكر الحديث بنحوه - قال: فغسل مَغَابَنَهُ وتوضأ ^(٥) وضوءه للصلاة ثم صلى بهم. فذكر نحوه ولم يذكر التيمم.

قال أبو داود: وروى هذه القصة عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، وقال فيه: فتيمم.

وقال الواقدي: حدثني أفلح بن سعيد، عن أبي عبد الرحمن بن رقيش، عن أبي بكر بن حزم قال: كان عمرو بن العاص حين قَفَلُوا احتلمَ في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد، فقال لأصحابه: ماترون والله، احتلمتُ فإن اغتسلت مت. فدعا بماء فتوضأ وغسل فرجه وتيمم، ثم قام فصلى بهم، فكان أول من بُعث عوف بن مالك يريداً.

(٢) سنن أبي داود: عن ابن لهيعة.

(١) من سنن أبي داود ٥٦/١.

(٣) قال أبو داود: عبد الرحمن بن جبير مصري مولى خاتمة بن حذافة، وليس هو ابن جبير بن نفير.

(٤) أبو داود: أن عمرو بن العاص كان على سرية. (٥) الغائب: بواطن الأفضاء.

قال عوف : فقدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السَّحَر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عوفُ بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يارسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً . ثم قال : « أخبرني » فأخبرته بما كان من مَسِيرنا وما كان بين أبي عبيدة وعمرو ومطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » .

قال : ثم أخبرته أن عمرًا صلى بالناس وهو جُنُب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدِم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق إنى لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » .

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَبْلُغنا أنه قال شيئاً .

وقال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبتُ أبا بكر وعمر ، فررت بقوم وهم على جَزور قد نحروها وهم لا يقدرُونَ على أن يبعِضوها ، وكنت امرأةً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عُشراً^(١) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشَّفْرة فجزَّأتها مِكانى ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي فاطَّبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أتى لك

(١) العشر : النصيب من لحم الجزور . وفي ١ : عشيرا .

هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيّان ما في بطونهما منه .

فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كفت أولَ قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجنّته وهو يصلى في بيته ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم بأبي أنت وأمي . فقال : « صاحب الجزور ؟ » ولم يزد على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع بل مُعْضَل .

قال الحافظ البيهقي : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لَقِيط ، عن مالك بن زهْدَم ، أظنه عن عوف بن مالك فذكر نحوه إلا أنه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه فأخبرته فقال : قد تعجّلت أجزاك ولم يأكله .

ثم حكى عن أبي عبيدة مثله ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتاممه كنحو ماتقدم .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا خالد الحذاء ، عن أبي عثمان التَّهْدِي ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش ذات السلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنه لم يبعثنى على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يا رسول الله من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : « عائشة » ؟ قلت : إني لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » قلت : ثم من ؟ حتى عدّدهم رهطاً . قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين من طريق خالد بن مهران الحذاء ، عن أبي عثمان النهدي ، واسمه عبد الرحمن بن مُل ، حدثني عمرو بن العاص ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أيّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر بن الخطاب » فعُدّ رجالا . وهذا لفظ البخاري . وفي رواية قال عمرو : فسكتُ مخافة أن يجعلني في آخرهم .

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة . قال جابر : وأنا فيهم .

فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر^(١) أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش فجمع كله ، فكان مِرْودى تمرّاً ، فكان يقوتنسا كلّ يوم قليلا قليلا حتى فني ولم يكن بصيينا إلا تمرّة تمرّة ، قال : فقلت : وما تغني تمرّة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدها حين فَنيت !

قال : ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوتٌ مثل الظَّرب^(٢) . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلّاعه فنصبا ، ثم أمر براحلته فرحلت ثم مرّ تحتها فلم يصبهما .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك بنحوه .

وهو في الصحيحين أيضاً من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر

(١) غير ا : فأتوا أبا عبيدة .

(٢) الظرب : الجبل المنبسط أو الصغير .

قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح نَزْصِدَ عِيراً لقریش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخَبَطَ ^(١) ، فسمى ذلك الجيش جيشَ الخَبَطِ . قال : ونحر رجل ثلاثَ جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاثاً . فنهاه أبو عبيدة . قال : وألقى البحرُ دابةً يقال لها العنبر ، فأكلنا منها نصف شهر وأدھنا حتى ثابت إلینا أجسامنا وصَلَحَتْ . ثم ذكر قصة الضلع .

فقوله في الحديث : « نَزْصِدَ عِيراً لقریش » دليل على أن هذه السَّرية كانت قبل صلح الحديبية . والله أعلم . والرجل الذي نحرَ لهم الجزائر هو قيسُ بن سعد بن عبادَةَ رضى الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو خَيْثَمَةَ ، وهو زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة تَتَلَقَّى عِيراً لقریش ، وزوَدنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرَ تمر . قال فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نغصها كما يغمض الصبي ثم نشرب عليها الماء فتكفيها يومنا إلى الليل . وكنا نضرب بعصينا الخَبَطَ ثم نبأله بالماء فنأكله .

قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر فرفِع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : مَيتة . ثم قال : لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله ، وقد اضطررنا فاكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمائة حتى سمنا ، ولقد كنا نفر من وَقْب ^(٢) عينه بالقلال الدَّهْن ،

(٢) الوقب : كل قرة في الجسد كنقرة العين والكشف .

(١) الخَبَطُ : ورق الشجر .

ونقطع منه القدر كالثور أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقدم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها ثم رحّل أعظم بعير منها فمر تحتها ، وتزوّدنا من لحمها وشائق^(١) ، فلما قدّمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال: « هو رزقٌ أخرجهُ الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منه .

ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى ، وأحمد بن يونس وأبو داود عن النفيلي ، ثلاثهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي السكوفي ، عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي عن جابر بن عبد الله الأنصاري به .

قلت : ومقتضى أكثر هذه السيّاقات أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ، ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي رحمه الله ، فإنه أوردّها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح . والله أعلم .

وقد ذكر البخاري بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات من جبهة فقال : حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جندب ، حدثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرة فصبّحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشينا قال : لا إله إلا الله . فكفّ الأنصاري وطعنته برمحى حتى قتلتها ، فلما قدّمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أسامة أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوّذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

وقد تقدم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

(٥) الشائق : جمع وشيقة ، وهي لحم يقدد حتى يبس .

ثم روى البخارى من حديث يزيد بن أبى عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، علينا مرة أبو بكر ومرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما .

ثم ذكر الحافظ البيهقي هاهنا موت النجاشي صاحب الحبشة على الإسلام ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم له إلى المسلمين وصلاته عليه .

فروى من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفا بهم وكبر أربع تكبيرات .

أخرجاه من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً من حديث الليث عن عقيل ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة ، عن أبى هريرة بنحوه .

وأخرجاه من حديث ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أضحمة » .

وقد تقدمت ^(١) هذه الأحاديث أيضاً والكلال عليها والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير ، فإن في صحيح مسلم أنه لما كتب إلى ملوك الآفاق كتب إلى النجاشي ، وليس هو بالمسلم . وزعم آخرون كالواقدي أنه هو والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزنجي ، عن موسى بن عقبة ،

عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال :
« قد أهديت إلى النجاشي أواقٍ من مسك وحلة وإنى لأراه قد مات ، ولا أرى الهدية
إلا ستردَّ عليّ ، فإن ردَّت عليّ - أظنه قال - قسَمْتُها بينكُن ، أو فهي لك » .
قال : فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات النجاشي وردَّت الهدية ، فلما
ردت عليه أعطى امرأةً من نسائه أوقيةً ، من ذلك المسك ، وأعطى سائرَه أمَّ سلمة ،
وأعطاهما الحُلَّة . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

غزوة الفتح الأعظم

وكانت في رمضان سنة ثمان .

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع فقال تعالى : « لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَطْعَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ ^(١) » الآية . وقال تعالى : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » .

وكان سببُ الفتح بعد هذنة الحديبية ما ذكره محمد بن إسحاق : حدثني الزُّهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، أنهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عَقْد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم [دخل ^(٢)] . فتوالت خِزاعة وقالوا : نحن ندخل في عَقْد محمد وعهده وتوالت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم .

فمكثوا في تلك المدة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم إن بني بكر وثبوا على خِزاعة ليلاً بماء يقال له الوثير ، وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقتلهم معهم للضُّغن على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن عمرو بن سالم ركب عند ما كان من أمر خِزاعة وبني بكر بالوثير حتى قدم على

(٢) ابن هشام : ومن أحب أن يدخل . . فليدخل .

(١) سورة الحديد ١٠ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدتها إياه :

يَارِبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ أَبِيهِ وَأَيْنَا الْأَنْلَدَا^(١)
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
 فَانْصِرْ رَسُولُ اللَّهِ نَصْرًا أَبَدًا وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنَّ سَيْمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرَى مُزْبَدَا إِنَّ قَرِيشًا أَخْلَقُواكَ الْمَوْعَدَا
 وَتَقْضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا وَجْعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا^(٢)
 وَزَعَمُوا أَن لَسْتُ أَدْعُوا أَحَدًا فَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
 هُمْ يَدْتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نصرت يا عمرو بن سالم » فما برح حتى مررت بنا عانة^(٣) في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهار وكتمهم خجرجه ، وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبيغتهم في بلادهم .

قال ابن إسحاق : وكان السبب الذي هاجهم أن رجلا من بني الحضرمي اسمه مالك ابن عباد ، من حلفاء الأسود بن رزن ، خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة

(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .

(١) الأنلد : القديم .

(٣) العنان : السحاب .

قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رِزْن الدَّيْلَى ، وهم مَفْخَر بنى كنانة وأشرفهم ؛ سلى
وكلثوم وذؤيب ، فقتلهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من الدليل قال : كان بنو الأسود بن رِزْن يودون
في الجاهلية دِيَتَيْن ديتين [ونودي دية دية لفضلهم فينا]^(١) .

قال ابن إسحاق : فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك إذ حجَّز بينهم الإسلام ، فلما
كان يوم الحديبية ودخل بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانت الهدنة ، اغتتمها بنو الدَّيْل من بنى بكر وأرادوا أن يصيبوا من
خزاعة ثأراً من أولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدَّيْلَى في قومه وهو يومئذ سيدهم
وقائدهم وليس كلُّ بنى بكر تابعه ، فبيَّت خزاعة وهم على الوتر - ماء لهم - فأصابوا
رجلاً منهم وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من
قريش من قاتل بالليل مُستخفياً حتى حاوزوا^(٢) خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت
بنو بكر : إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ! فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم يا بنى بكر
أصيبوا ثأركم فلمعمرى إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم !

ولجأت خزاعة إلى دار بُدَيْل بن ورقاء بمكة وإلى دار مولى لهم يقال له رافع ، وقد
قال الأخزر بن لعط الدَّيْلَى في ذلك :

أهل أتى قُصُوى الأحايِش أننا ردَدنا بنى كعب بأفوق ناصِل^(٣)
حبسناهم في دارِ العبدِ رافعٍ وعندَ بُدَيْلٍ مَحْبَساً غير طرِ
بدار الدليل الآخذِ الضِّيمَ بعد ما شَفِينا النفوسَ منهمُ بالمتأصلِ

(٢) حاوزوا : ساقوا .

(١) من ابن هشام .

(٣) الأفوق : السهم الذى وضع فوقه فى الوتر . والناصل : ماله فصل وهو حد السهم .

حبسناهم حتى إذا طال يومهم نفخنا لهم من كل شعب بوابل^(١)
 نذبهم ذبح الثيوس كأننا أسود نباري فيهم بالقواصل^(٢)
 هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهم وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل
 كأنهم بالجزع إذ يطردونهم قفأ ثور حقان النعام الجوافل^(٣)

قال : فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له بديل
 ابن أم أضرم فقال :

نعاقده قوم يفخرون ولم ندع لهم سيداً يندوهم غير نافل
 أمن خيفة القوم الأولى تزدريهم تجيز الوتير خائفاً غير آيل
 وفي كل يوم نحن نحبو حباءنا لعقل ولا يُحبي لنا في المعائل
 ونحن صبحنا بالتلاعة داركم بأسيفنا يسبقن لوم العواذل^(٤)
 ونحن منعنا بين بيض وعتود إلى خيف رضوى من بحر القبائل^(٥)
 ويوم القميم قد تكفت ساعياً عبيس فجعناه بجلد حلال^(٦)
 إن أجمرت في بيتها أم بعضكم بجمعوسها تنزون إن لم نقاتل^(٧)
 كذبتهم وبيت الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم في بلابل

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة » .

- (١) الشعب : المطمش بين جبلين . والوابل : المطر الشديد . (٢) القواصل : السيوف القواطع .
 (٣) ثور : جبل بمكة ومنعه من الصرف لأنه أراد به البقعة . وقناه : وراءه . وتروى : بفائور .
 قال أبو ذر : ظاهره أنه اسم موضع . والحقان : صفار النعام . والجوافل : الهاربة بسرعة .
 (٤) التلاعة : ماء لبني كنانة بالحجاز .
 (٥) بيض : من منازل بني كنانة بالحجاز . وعتود : ماء لـكنانة .
 (٦) تكفت : حاد عن طريقه . والجلد : القوي . والحلال : السيد الشجاع .
 (٧) الجمعوس : الرجيع . وأجمرت : رمت به بسرعة . يريد : الفزع والحذر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين حتى لقوا أبا سفيان بعُسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدُّ العقدَ ويَزِيد في المدة وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بدِيلاً قال : من أين أقبلتَ يا بديل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سرت في خزاعة في هذا الساحل في بطن هذا الوادي . قال : فعمد أبو سفيان إلى مَبْرَك ناقته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيه النوى . فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل بمحمدًا .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته ، فقال : يا بنية ما أدرى أرغبتِ بي عن هذا الفراش أو رَغبتِ به عني ؟ فقالت : هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراشه . فقال : يا بنية والله لقد أصابك بعدى شرًّا !

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذرَّ^(١) لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على عليّ ابن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها حسن غلام يدبُّ بين يديهما ، فقال : يا علي إنك أمسُّ القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرٍ ما نستطيع أن نكلّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس

(١) الذر : النمل . وهو كالنمل ، لأن الذر لا يقا تل به .

فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: والله ما بلغ بنى ذلك أن يحير بين الناس وما يحير أحد على النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى. قال: والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك، ولكنك سيد بنى كنانة، فمقم فأجِر بين الناس ثم الحق بأرضك. فقال: أو ترى ذلك مُغْنِيًّا عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق، فلما أن قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما رد على شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فوالله ما وجدت فيه خيراً، ثم جئت عمر فوجدته أعدى عدو، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار على بأمر صنعته فوالله ما أدري هل يغنى عنا شيئاً أم لا؟ قالوا: بماذا أمرك؟ قال: أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت. قالوا: هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويحك ما زادك الرجل على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت. فقال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

[فائدة ذكرها السهيلي. فتكلم على قول فاطمة في هذا الحديث: «وما يحير أحد» على رسول الله صلى الله عليه وسلم «على ما جاء في الحديث: «ويحير على المسلمين أديانهم» قال: وجه الجمع بينهما بأن المراد بالحديث من يحير واحداً أو نفراً يسيراً، وقول فاطمة: فمن يحير عدداً من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك. قال: كان سحنون وابن الماسجشون يقولان: إن أمان المرأة موقوف على إجازة الإمام لقوله لأُم هانىء: «قد أجزنا من أجرت يا أم هانىء» قال: ويروى هذا عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد. وقال أبو حنيفة: لا يجوز أمان العبد وفي قوله عليه السلام: «ويحير عليهم أديانهم» ما يقتضى دخول العبد والمرأة. والله أعلم] (١).

وقد روى البيهقي من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قالت بنو كعب :

اللهم إني ناشدُ محمدًا حلفَ أئبنا وأئبه الأئبنا
فانصر هداك الله نصرًا أعتدنا وادعُ عباد الله يأتوا ممدداً^(١)

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة : ثم إن بني نَفَثة من بني الدَّيْل أغاروا على بني كعب ، وهم في المدة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت بنو نَفَثة في صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بني نَفَثة ، وأعانتهم قريش بالأسلح والريق ، واعتزلتهم بنو مُدَلج ووقفوا بالهدم الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي بني الدَّيْل رجالان هما سيداهم ؛ سلى بن الأسود وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممن أعانهم صفوان بن أمية وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو .

فأغار بنو الديل على بني عمرو وعائتهم ، زعموا ، نساء وصبيان وضعفاء الرجال فأجأوهم وقتلهم حتى أدخلوهم إلى دار بُدَيْل بن ورقاء بمكة .
فخرج ركبٌ من بني كعب حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له الذي أصابهم وما كان من أمر قريش عليهم في ذلك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ارجعوا فتنفروا في البلدان » .

وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخوَّف الذي كان ، فقال : يا محمد اشدد العقد وزدنا في المدة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولذلك قدِمْتَ ؟ هل كان من حدث قبلكم ؟ » فقال معاذ الله ! نحن على عهدنا وصُلحنا يوم الحديبية لا نغيِّر ولا نبَدِّل .

نُخْرِجُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ : جَدُّ الْعَقْدِ وَزَدْنَا فِي الْمَدَةِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : جَوَارِي فِي جَوَارِ سَوْءٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ الذَّرَّ تَقَاتَلَكُمْ لِأَعْنَتِهَا عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ خَرَجَ فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَا كَانَ مِنْ حَلْفِنَا جَدِيدًا فَأَخْلَقَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَثْبُتًا فَقَطَعَهُ اللَّهُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مَقْطُوعًا فَلَا وَصَلَ اللَّهُ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفْيَانَ : جُزَيْتَ مِنْ ذِي رَحِمٍ شَرًّا .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عُمَانَ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ عُمَانُ : جَوَارِي فِي جَوَارِ سَوْءٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اتَّبَعَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ يَكْلِمُهُمْ فَكَلَّمَهُمْ يَقُولُ : عَقَدْنَا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا يَبُتُّ مَا عِنْدَهُمْ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهَا فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهَا : فَأَمْرِي أَحَدًا ابْنَيْكَ . فَقَالَتْ : إِنَهُمَا صَبِيَّانِ لَيْسَ مِثْلُهُمَا يَحِيرُ . قَالَ : فَكَلَّمْنِي عَلَيْهَا . فَقَالَتْ : أَنْتَ فَكَلَّمْ .

فَكَلَّمَهَا عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَفْيَانَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتَاتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَارٍ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ وَأَكْبَرُهَا وَأَمْنَمُهَا فَأَجِرْ بَيْنَ عَشِيرَتِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ وَأَنَا كَذَلِكَ . نَخْرِجُ فَصَاحَ : أَلَا إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يَخْفَرَنِي أَحَدٌ .

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَنْ يَخْفَرَنِي أَحَدٌ وَلَا يَرُدُّ جَوَارِي . فَقَالَ : « أَنْتَ تَقُولُ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ » نَخْرِجُ أَبُو سَفْيَانَ عَلَى ذَلِكَ .

فَرَضُوا - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ أَدَبَ

أبو سفيان : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بفئة ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » .

وقدِم أبو سفيان مكة فقالت له قريش : ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد؟ قال : لا والله لقد أبى عليّ ، وقد تنبعت أصحابه فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أن عليّ بن أبي طالب قد قال لي : التمس جوار الناس عليك ولا تجر أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقها ألا تحفر جواره . فقامت بالجوار ثم دخلت على محمد فذكرت له أني قد أجرت بين الناس وقلت : ما أظن أن تحفرني . فقال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة . فقالوا مجيبين له : رضيت بغير رضى ، وجئنا بما لا يقنى عنا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك على لعمرك الله ! ما جوارك يجاوز وإن إخفارك عليهم لهين .

ثم دخل على امرأته فحدثها الحديث فقالت : قبّحك الله من وافد قوم ! فما جئت بخير .

قال : ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سحاباً فقال : « إن هذه السحاب لتبض بنصر بنى كعب » .

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجهاز وأمر عائشة أن تجهزه وتخفى ذلك .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تُذسف وتنقى ، فقال لها : يا بنية لم تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت . فقال : أيريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بنى الأصفر - وهم الروم - ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت . قال : فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت .

قال : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله أتريد أن تخرج
تخرجاً ؟ قال : نعم . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : لا . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال :
لا . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : نعم . قال أبو بكر : يا رسول الله أليس بينك
وبينهم مدة ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ » .

قال : وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بالفرز ، وكتب حاطب بن
أبي بلتعنة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الكتاب . وذكر
القصة كما سيأتي .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة أن أبا بكر
دخل على عائشة وهي تُغزل خنطة فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد
أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة
وأمر بالجِد والتهيؤ وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغتها في بلادها »
فتجهز الناس .

فقال حسان يحرّض الناس ويذكر مصاب خزاعة :

عَنانِي ولم أَشْهَد بِبَطْحاءِ مَكَّةِ رجالُ بني كعب تُحزُّ رِقابُها
بأيدي رجالٍ لم يَسْأَلُوا سِوَهُمْ وقَتلى كَثيرٌ لم تَجِنَّ ثِيابُها^(١)
أَلاليتُ شِعْرى هل تَنالَنَّ نُصْرَتِي سَهيلُ بن عمرو حُرَّها وَعُقَابُها^(٢)

(١) لم تجن : لم تستر . يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا .

(٢) ابن هشام : وخزها . وكذلك رواية الديوان .

وصَفَوْنَ عوداً حُزَّ من شفر استه فهذا أوانُ الحربِ شُدَّ عِصَابُهَا^(١)
 فلا تَأْمَنَّا يَا بنِ أُمِ مُجَالِدٍ إذا احتَلَبْتَ صِرْفاً وَأَعْصَلَ نَابُهَا^(٢)
 ولا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنْ سِوَفْنَا لها وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِأُهَا
 قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا
 قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة
 كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير
 إليهم ، ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مَزِينَةٍ ، وزعم لي غيره أنها سارة مولاة
 لبعض بني عبد المطلب وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم فلتت
 عليه قرونها ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث
 على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي
 بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » .

فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها فالتصاه في رَحْلِهَا فلم
 يجدا فيه شيئاً ، فقال لها على : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولا كَذَبْنَا ، ولتخرجين لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك . فلما رأت الجِدَ منه قالت :
 أعرض . فأعرض ، فلتت قرونها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً فقال : « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ »

(١) ابن هشام : وصفون عوداً حزن .
 (٢) الصرف : الخالص . وأعصل : اعوج . يريد اشتداد الحرب . وابن أم مجالد : عكرمة بن أبي جهل .

فقال : يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ماغيّرت ولا بدّلت ، ولكننى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دَعْنى فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومايدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وأنزل الله فى حاطب : « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم أولياء تُنقون إليهم بالمودة » إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلّة . وقد ذكر السهيلي أنه كان فى كتاب حاطب : أن رسول الله قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ماوعده .

قال : وفى تفسير ابن سلام أن حاطبا كتب : إن محمداً قد نفرَ فإما إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحذر .

وقد قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرنى الحسن بن محمد ، أنه سمع عبيد الله بن أبى رافع ، سمعت علياً يقول : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضةً خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظمينة ، فقلنا : أخرجى الكتاب . فقالت : مامعى . فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب .

قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من

حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا حاطب ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله لا تمجل علىّ ، إني كنت امرأاً مُلصقاً في قريش ، يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لم قرابات يجمعون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يجمعون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنه قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دغى أضرب عنق هذا المنافق ! فقال : « إنه قد شهد بداراً ، وما يدريك لعل الله قد أطلع على من شهد بداراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

فأنزل الله سورة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوئى وعدوكم أولياء » إلى قوله : « فقد ضلّ سواء السبيل » .

وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجّين ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أن حاطب بن أبى بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد غزوه ، فذلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرأة التى معها الكتاب ، فأرسل إليها فأخذ كتابها من رأسها وقال : « يا حاطب أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إني لم أفعله غشاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مُظهر رسوله ومتمّ له أمره ، غير أنى كنت غريباً بين ظهرانيهم وكانت والدتي معهم ، فأردت أن أتخذ يداً عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال :

« أتقتل رجلاً من أهل بدر ؟ وما يدريك لعل الله قد أطلع إلى أهل بدر فقال :
اعملوا ما شئتم » .

تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد وإسناده على شرط مسلم . والله الحمد .

فصل

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره
واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج
لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد بين
عُسفان وأمعج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مرة الظهران في عشرة آلاف من المسلمين .

وقال عروة بن الزبير : كان معه اثنا عشر ألفاً . وكذا قال الزهري وموسى بن
عقبة . فسبغت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مزينه وفي كل القبائل عدد
وإسلام ، وأوعب^(١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف
عنه منهم أحد .

وروى البخاري ، عن محمود ، عن^(٢) عبد الرزاق ، عن معمر عن الزهري نحوه .

وقد روى البيهقي من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل عن
الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزا غزوة الفتح في رمضان .

قال : وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك ، لا أدري أخرج في ليال من شعبان
فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعد ما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني

(٢) ١ : ابن عبد الرزاق وهو تحريف .

(١) ١ : وأرغب .

أن ابن عباس قال : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الكَدِيدَ - الماء الذي بين قُدَيْدٍ وعُسْفَانَ - أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر .

ورواه البخاري ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنه لم يذكر التريديد بين شعبان ورمضان .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس عن ابن عباس قال : سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ، فصام حتى بلغ عُسْفَانَ ثم دعا ياناء فشرب بها ^(١) ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر . وقال يونس : عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفرة الفتح واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكَدِيدَ بين عُسْفَانَ وأَجَجَ فأفطر ، ودخل مكة مفطراً فكان الناس يرون أن آخر الأمر ^(٢) من رسول الله صلى الله عليه وسلم الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقي : فقلوه : « خرج لعشر من رمضان » مُذَرَّجٌ في الحديث ، وكذلك ذكره عبيد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق .

ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن جابر ، عن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان . سنة ثمان .

(٢) غير أ : يرون آخر الأمرين .

(١) غير أ : نهارا .

ثم روى البيهقي من حديث أبي إسحاق الفزاري ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقي : وهذا الإدراج وهم ، إنما هو من كلام الزهري .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح - فتح مكة - فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانين سنة ونصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقي من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر .

قال^(١) الزهري : وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث^(٢) . قال الزهري : فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى^(٣) الصحيحين من طريق عبد الرزاق . والله أعلم .

وروى البيهقي من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، عن عطية بن قيس ، عن أبي سعيد الخدري قال : آذنتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفطر فأصبح الناس مرضى^(٤) منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلتقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعين .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثني عطية بن

(١) المطبوعة : فقال . خطأ .

(٢) البخاري : وإنما يؤخذ من أمر رسول الله الآخر فالآخر .

(٣) المطبوعة : في . خطأ .

(٤) المطبوعة : مرضى . خطأ .

قيس ، عن حدثه ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : أذننا رسول الله بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صواماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزلٍ يلقى العدو أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري ، من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان ، يقتضى أن مسيرهم كان بين^(١) مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقي ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمر بن شعيب ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم . قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر عن عبد الله قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم والناس معه مشاة وركبانا ، وذلك في شهر رمضان^(٢) . فقيل : يا رسول الله إن الناس قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون كيف فعلت ؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر فيه ماء فرفعه فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بعضهم صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولئك العصاة » .

وقد رواه مسلم من حديث الثقفى والدراوردي ، عن جعفر بن محمد .
وروى الإمام أحمد من حديث محمد بن إسحاق ، حدثني بشير بن يسار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في رمضان فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكديد دعا بماء في قعب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون ؛ يُعلمهم أنه قد أفطر ، فأفطر المسلمون .
تفرّد به أحمد .

فصل

في إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخى أم سلمة أم المؤمنين . وهجرتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة .
قال ابن إسحاق : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالحنيفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقياً بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهري .

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية قد لقياً رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بذيق العقاب^(١) فيما بين مكة والمدينة والتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت : يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك . قال : « لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتلك عرضي ، وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال »^(٢) .

(١) : بذيق العقاب .

(٢) قال له : « والله لا آمنت بك حتى تتخذ سائلاً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ؛ ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك » الروض الأنف ٢ / ٢٦٧ .

قال : فلما خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنِيَ له فقال : والله ليأذن لي أو
لأخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى ^(١) نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشده أبو سفيان
قوله في إسلامه واعتذر إليه بما كان مضى منه :

لِعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ أَتَمَلُّ رَايَةً	لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لِكَامُلِ الدَّلَجِ ^(٢) الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ	فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأُهْتَدَى
هَدَانِي هَادٍ غَيْرِ نَفْسِي وَنَالَنِي	مَعَ ^(٣) اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِدٍ
أَصْدُ وَأَنَايَ جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ	وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ
هُمْ مَاهِمٌ مَنْ لَمْ يَقُلْ بِهِـوَاهِم	وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُيْلَمُ وَيُقْنَدُ
أُرِيدُ لِأَرْضِهِمْ وَلَسْتُ بِلَانِطٍ	مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدَ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ
فَقُلْ لِّلثَقِيفِ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا	وَقُلْ لِّلثَقِيفِ تِلْكَ : غَيْرِي أَوْ عَدِي
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا	وَلَا ^(٤) كَانَ عَنْ جَرِّ السَّانِي وَلَا يَدِي
قِبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ	نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سَهَامٍ وَسُرْدَدٍ ^(٥)

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ونالني
مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في صدره
وقال : « أنت طردتني كل مطرد » .

(٢) ١ : إن الدلج .

(١) غير ١ : ثم نموت .

(٣) ١ : من .

(٥) سهام وسردد : موضعان من أرض عك .

(٤) غير ١ : وما كان .

فصل

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَرَّ الظَّهْرَانِ نزل فيه فأقام ، كما روى البخاري عن يحيى بن بُكَيْر ، عن الليث ومسلم ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، كلاهما عن يونس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظَّهْرَانِ نَجْتَنِي الكِبَاثَ ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالأسود منه فإنه أطيب » قالوا : يا رسول الله أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبيٍّ إلا وقد رعاها » .

وقال البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن سِنَان بن إسماعيل ، عن أبي الوليد سعيد بن مينا ، قال : لما فرغ أهل مكة ورجعوا أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير إلى مكة ، فلما انتهى إلى مَرَّ الظَّهْرَانِ نزل بالعقبة فأرسل الجُنَاقَةَ يَحْتَنُونَ الكِبَاثَ ، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمرُ الأراك .

قال : فانطلق ابنُ مسعود فيمن يحتنى ، قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حبة طيبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقة ساقِ ابن مسعود وهو يَرْتَقِي في الشجرة فيضحكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعجبون من دقة ساقه ؟ فوالذي نفسي بيده لهما أنقلُ في الميزان من أحد ! » .

وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيء جاء به وخياره فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في ذلك :

هذا جنائى وخيارى فيه إذ كلُّ جانٍ يده إلى فيه

وفي الصحيحين عن أنس قال : أُنْفَجْنَا^(١) أَرْبَابًا وَنَحْنُ بَمَرِّ الظَّهْرَانِ ، فَسَعَى الْقَوْمُ فَلَنَبِوْا وَأَدْرَكْتَهَا فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُ بِهَا أَبَا طَلْحَةَ فَذَبَحَهَا . وَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَرَكِهَا وَغَذِيهَا فَقَبِلَهُ .

وقال ابن إسحاق : وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظَّهْرَانِ وَقَدْ عُيِّتِ الْأَخْبَارُ عَلَى^(٢) قَرِيْشٍ ، فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يَدْرُونَ مَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعِلٌ ، وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَجَسَّسُونَ الْأَخْبَارَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ .

وَذَكَرَ ابْنُ لَهْيَعَةَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ [عِيُونًا]^(٣) خِيَلًا يَفْتَقِشُونَ الْعِيُونَ ، وَخِزَاعَةً لَا تَدَعُ أَحَدًا يَمْضِي وَرَاءَهَا فَلَمَّا جَاءَ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ أَخَذْتَهُمْ خِيَلُ الْمُسْلِمِينَ وَقَامَ إِلَيْهِ عُمَيْرُ بْنُ لُحَيْجٍ فِي عُنُقِهِ ، حَتَّى أَجَارَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَكَانَ صَاحِبًا لِأَبِي سَفْيَانَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ الْعَبَّاسُ حِينَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظَّهْرَانِ قُلْتُ : وَاصْبَاحَ قَرِيْشٍ ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَنُودَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلَاكُ قَرِيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ .

قَالَ : فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْضَاءِ فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَكَ فَقُلْتُ : لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الْخَطَّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي

(٢) غير ١ : عن .

(١) أُنْفَجْنَا : أَثَرْنَا .

(٣) لَيْسَتْ فِي ١ .

مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها^(١) عليهم عَنوة .

قال : فوالله إني لأسير عليها وألتبس ما خرجت له إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيان وبُدِيل بن وَرْقَاء وهما يتراجعا ، وأبو سفيان يقول : ما رأيتُ كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكرياً . قال : يقول بديل : هذه والله خزاعة حَمَشَتْها الحربُ . قال : يقول أبو سفيان : خزاعةٌ أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكريها .

قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة ؟ فعرف صوتي . فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك فدى لك أبي وأُمي !

قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس . فقال : واصباح قریش والله ! فما الحيلةُ فذاك أبي وأُمي ؟ قال : قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عَجْزٍ هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك .

قال : فركب خلفي ورجع صاحبه . وقال عروة : بل ذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا وجعل يستخبرهما عن أهل مكة .

وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[قال : فجئت به ، كلما سررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : غمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى سررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟

(١) غير أ : يدخل .

وقام إلى . فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .

وزعم عروة بن الزبير أن عمر وجأ في رقبة أبي سفيان وأراد قتله فمنعه منه العباس . وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزهري ، أن عيون رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذهم بأزمةٍ جالهم فقالوا : من أتم ؟ قالوا : وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلقبهم العباس فدخل بهم على رسول الله فحادثهم عامة الليل ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فشهدوا ، وأن محمداً رسول الله . فشهد حَكِيمُ وبَدِيلُ وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك ثم أسلم بعد الصبح . ثم سأله أن يؤمّن قريشاً فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلى مكة - ومن دخل دار حَكِيم بن حِزام فهو آمن . وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابه فهو آمن » قال العباس : ^(١) ثم خرج عمر يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

قال : فاقترحتُ عن البغلة فدخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه ؟ قال : قلت : يا رسول إني قد أجرته . ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه فقلت : والله لا ينجيه الليلة دوني رجل .

فلما أكثر عمرُ في شأنه قال قلت : مهلاً يا عمر ! فوالله أن لو كان من رجال ^(٢) بني عدى بن كعب ما قلتَ هذا ، ولكنك قد عرفتَ أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ! وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إليّ رسول الله صلى الله عليه

وسلم من إسلام الخطاب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به يعباس إلى رَحْلِكَ فإذا أصبحت فأتني به » .

قال : فذهبت به إلى رَحْلِي فبات عندي ، فلما أصبح غَدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » فقال : بَأبَى أَنْتَ وَأُمَى ! مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ !

قال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ » قال : بَأبَى أَنْتَ وَأُمَى مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ! أَمَّا هَذِهِ وَاللَّهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ شَيْئًا ! فقال له العباس : ويحك أَسْلَمْ وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرِبَ عُنُقَكَ ؟

قال : فشهد شهادة الحق فأسلم .

قال العباس : فقلت يا رسول الله ، إِنَّ أَبَا سَفِيَانَ رَجُلٌ يَحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا .

قال : « نعم ، من دخل دارَ أَبِي سَفِيَانَ فَهُوَ آمِنٌ » زاد عروة : « ومن دخل دار حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَهُوَ آمِنٌ » وهكذا قال موسى بن عَقْبَةَ عن الزهري . « ومن أغلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، ومن دخل المسجدَ فَهُوَ آمِنٌ » .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس احبسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطَمِ^(١) الْجَبَلِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ فَيَرَاهَا » :

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ عَنِ الزَّهْرِيِّ أَنَّ أَبَا سَفِيَانَ وَبُدَيْلًا وَحَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ

(١) خَطَمُ الْجَبَلِ : أَقْصَاهُ

كانوا وقوفا مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعدا لما قال لأبي سفيان .
اليومُ يومُ المَلحمة : اليومُ تُسَقَّلُ الحرمة

فشكا أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزله عن راية الأنصار وأعطاها
الزبير بن العوام فدخل بها من أعلى مكة وعرّزها بالحجّون ، ودخل خالد من أسفل مكة
فلقى بنو بكر وهذيل ، فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا
بالحرزورة^(١) حتى بلغ قتلهم باب المسجد .

قال العباس : فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيّق الوادى حيث أمرنى رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هؤلاء ؟
فأقول : سليم . فيقول : مالى ولسليم . ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟
فأقول : مزيّنة . فيقول : مالى ولمزيّنة . حتى نفدت القبائل ما تمرّ به قبيلة إلا سألتى عنها ،
فإذا أخبرته قال : مالى ولبنى فلان . حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبتة
الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال :
سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
المهاجرين والأنصار ، قال : المأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد
أصبح مُلْك ابن أخيك الغداة عظيما !

قال : قلت : يا أبا سفيان إنها الثبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت النجاء إلى قومك .

حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل

(١) الحرزورة : كانت سوق مكة .

لكم به ، فن دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن .

فقامت إليه هند بنت عتبة [فأخذت بشاربه ^(١)] فقالت : اقتلوا الحميتَ الدِّسمَ
الأخمس ^(٢) قُبَّح من طليعة قوم .

فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرَّكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم مالا قِبَل
لكم به ، من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلك الله ! وما أغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن
دخل المسجد فهو آمن .

فتفرَّق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد .

[وذكر عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرَّ بأبي سفيان قال
له : إني لأرى وجوها كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه عليّ ؟ فقال له
رسول الله : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدَّقوني إذ كذَّبتموني ، ونصروني
إذ أخرجتموني » .

ثم شكَا إليه قولَ سعد بن عبادَةَ حين مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيان :

اليوم يوم المَلَحَمَةِ اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ

فقال رسول الله : « كَذَبَ سعد ، بل هذا يومٌ يَعِظُمُ الله فيه الكعبة ويوم تُكْسَى
فيه الكعبة » .

وذَكَرَ عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ، ورأى
الناسَ يَخْنَحُونَ للصلاة وينتَشِرُونَ في استعمال الطهارة خاف وقال للعبس : ما بَأْهُم ؟
قال : إنهم قد سمعوا النداء فهم ينتَشِرُونَ للصلاة . فلما حضرت الصلاة ورأهم يركعون

(١) ليست في ١ .

(٢) الحميت : الزق . أو وعاء السمن . والدسم : السمين . والأخمس : الكثير اللحم .

ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ؟ قال : نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة عن الزهري أنه لما توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوا يتكفّفون ، فقال : يا عباس ما رأيت كلاليلة ولا مُلك كسرى وقيصر ! ^(١) .

وقد روى الحافظ البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائي عن ابن إسحاق منقطعة . فإله أعلم .

على أنه قد روى البيهقي من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فذكر القصة . إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » قال أبو سفيان : وما تسع داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هب ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأقبلوا يسIRON حتى أتوا مَرَّ الظَّهْرَانِ فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ؟ فقال بُذَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان .

فلما سار قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » فحبسه العباس ، فجعلت القبايل تمرُّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمر كتيبةً كتيبةً على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : هذه غِفَارٌ . قال : مالى ولغفار . ثم مرت جُهَيْنَةُ فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هُذَيْمٍ فقال مثل ذلك ، ومرت سُلَيْمٌ فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان اليومَ يومُ الملحمة . اليوم تُسْتَحْلَى الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس حبِّذا يومُ الذمار .

ثم جاءت كتيبة وهى أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : ما قال ؟ قال : كذا وكذا . فقال : « كَذَبَ سعد ، ولكن هذا يوم يعظمُ الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرَكَّزَ رايته بالحجَّون .

قال عروة : وأخبرنى نافع بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : ها هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُرَكَّزَ الراية ؟ قال : نعم .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كدَاءٍ ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كدَّى ، فقتلَ من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري . وقال أبو داود : حدثنا

عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب فأسلم بمر الظهران ، فقال له العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صفة دخوله عليه الصلاة والسلام مكة

ثبت في الصحيحين من حديث مالك [عن الزهري ^(١)] عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما نزع جاءه رجل فقال : إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة فقال : « اقلوه » .

قال مالك : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم مُحَرِّماً .
وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء .
ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة . وقال الترمذي : حسن صحيح .
ورواه مسلم عن قتيبة ، ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمار الدُّهْنِي ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء من غير إحرام .

وروى مسلم من حديث أبي أسامة ، عن مُسَاوِر الوراق ، عن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث ، عن أبيه قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ حَرَقَانِيَّةٌ ^(٢) سوداء قد أَرَخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ .

(٢) سَقَطَتْ مِنْ أ .

(١) الحَرَقَانِيَّةُ : عَلَى لَوْنٍ مَا أَحْرَقَتْهُ النَّارُ .

وروى مسلم في صحيحه ، والترمذى والنسائى من حديث عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء .
وروى أهل السنن الأربعة من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضي ، عن عمار الدهنى ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة : كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تسمى العقاب ، وكانت قطعة من ميرط مُرَجَّل^(١) .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن قرة ، قال : سمعت عبد الله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّع . وقال : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت .
وقال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته مُعْتَجِراً بِشَقَّةِ بُرْدِ حَبَرَةٍ حمراء^(٢) ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثْنُونَهُ^(٣) ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحْلِ .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا دعلج بن أحمد ، حدثنا أحمد ابن على الأتبار ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدسى ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على رحله^(٤) متخشفاً .

(١) المرط : كساء من صوف . والمرجل : الذى فيه صور الرجال . وتروى مرجل بالخاء أى فيه صور الرجال .

(٢) ١ : بشقة برد حمراء .

(٣) العثنون : اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٤) غير ١ : راحلته .

وقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن بالويه ، حدثنا أحمد بن صاعد ، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن ابن مسعود ، أن رجلاً كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فأخذه الرعدة ، فقال : « هَوِّنْ عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » .

قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل بن أبي الحارث موصولاً .

ثم رواه عن أبي زكريا المزكى ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل بن قيس مرسلاً . وهو المحفوظ .

وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله صلى الله عليه وسلم مكة في مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم ، بخلاف ما اعتمدته سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجدوا - أى رُكع - يقولون حِطَّة فدخلوا يزحفون على أستاهم وهم يقولون : حِطَّة في شعرة !

وقال البخارى : حدثنا القاسم بن خازجة ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح من كداء التى بأعلى مكة . تابعه أبو أسامة وذهب فى كداء .

حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من أعلى مكة من كداء .

وهو أصح إن أراد أن المرسل أصبح من انسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكذاء بالمد هى المذكورة فى الروايتين وهى فى أعلى مكة ، وكذى مقصور فى أسفل مكة . وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدم أنه عليه السلام بعث خالد بن الوليد من أعلى مكة ، ودخل هو عليه

السلام من أسفلها من كَدَى وهو في صحيح البخارى . والله أعلم .
وقد قال البيهقي : أنبأنا أبو الحسين بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفار [حدثنا
عبد الله بن إبراهيم بن المنذر الخزامي ، حدثنا مَعْن ، حدثنا عبد الله بن عمر بن حفص ، عن
نافع ، عن ابن عمر ^(١)] قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح رأى ^(٢) النساء
يلطمن وجوه الخليل ، فتبسم إلى أبي بكر وقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ كَيْفَ قَالَ حَسَّان ؟ » فأنشده
أبو بكر رضى الله عنه :

عَدِمْتُ بُنْيَتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تثير النَّقْعَ مِنْ كَتَفِي كَدَاءَ
يُنَازِعُنِ الْأَعْنَةَ ^(٣) مُسْرَجَاتٍ يُلَطِّمُنَ بِالْخُرِّ النِّسَاءَ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ادخلوها من حيثُ قال حَسَّان ! » .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن
جدته أسماء بنت أبي بكر قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال
أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أَى بُنْيَةِ أَظْهَرَى بِي عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ . قالت : وقد
كُفَّ بصره . قالت : فأشرفتُ به عليه فقال : أَى بنية ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً
مجتماً . قال : تلك الخليل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مُقبلاً
ومدبراً . قال : أَى بنية ذلك الوازع - يعنى الذى يأمر الخليل ويتقدم إليها - ثم قالت :
قد والله انتشر السواد . فقال : قد والله إذا دَفَعْتَ الخليل فأسرعى إلى بيتى .
فأنحطَّت به وتلقاه الخليل قبل أن يصلَ إلى بيته . قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ مِنْ
وَرَقٍ فِيلَقَاهَا رَجُلٌ فَيَقْطَعُهُ مِنْ عُنُقِهَا .

(٢) غير أ : وأتى النساء .

(١) سقطت من أ .

(٣) أ : الأسنه . ولعلها تحريف .

قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هلاً تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟! » قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه .

قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال : أسلم . فأسلم . قالت : ودخل به أبو بكر وكان رأسه كالثغامة ^(١) بياضاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غيروا هذا من شعره » .

ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ؟ فلم يجبه أحد قال : فقال : أي أختي احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل !
يعنى به الصديق ذلك اليوم على التعمين ^(٢) ، لأن الجيش فيه كثرة ، ولا يكاد أحد يلوى على أحد ، مع انتشار الناس ، ولعل الذي أخذه تأول أنه من حربى والله أعلم .
وقال الحافظ البيهقي : أنبأنا عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا بحر بن نصر ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غيروه ولا تقرّ به سواداً » .

قال ابن وهب : وأخبرني عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هباً أبا بكر بإسلام أبيه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طوى أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كداء ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كدّى .

(١) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو نبت أبيض . (٢) : يعنى الصديق ذلك اليوم على العين .

قال ابن إسحاق : فرغم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجّه داخلًا قال : اليومَ يوم الملاحمة . اليوم تُستحلُّ الحرمه .

فسمعها رجل . قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب . فقال : يا رسول الله أنسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟ ما نأمن أن يكون له في قريش صولة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ : « أذكره فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكّا إليه أبو سفيان قولَ سعد بن عبادة حين مر به ، وقال : يا أبا سفيان : اليوم يوم الملاحمة اليوم تُستحل الحرمه - يعنى الكعبة - .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل هذا يومٌ تعظّم فيه الكعبة » وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهري : دفعها إلى الزبير بن العوام . فأنه أعلم .

وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، حدثنا عبد الله بن السريّ الأنطاكي ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وحدثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة فجعل يهزّها ويقول : اليوم يوم الملاحمة : يوم تُستحلُّ الحرمه . قال : فشق ذلك على قريش وكبر في نفوسهم ، قال : فعارضت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره وأنشأت تقول (١) :

يا نبيّ الهدى إليك لجأحتُ قريشٍ ولات حينَ لجاء

(١) نسب السهيلي هذه الأبيات إلى ضرار بن الخطاب . الروض ٢/ ٢٧١ .

حين ضاقت عليهم سعة الأرض وعاداهم إله السماء
 [والتقت خلقتا البطان على القو م ونودوا بالصَّيْلَم الصَّلعاء] ^(١)
 إن سعداً يريد قاصمة الظهر ر بأهل الحجون والبطحاء
 خزر جي لو يستطيع من الغي ظ رمانا بالنسر والعواء ^(٢)
 فلم يمه فانه الأسد الأسد ود والليث والغ في الدماء
 فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
 لتكونن بالبطاح قریش بقعة القاع في أكف الإمام ^(٣)
 إنه مضلت يريد لها الرأي صموت كالحية الصماء ^(٤)

قال : فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ،
 وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ودُفعت إلى ابنه قيس بن سعد .
 قال : فيروى أنه عليه الصلاة والسلام أحب ألا يخجىها إذ رَغِبَتْ إليه واستغاثت
 به ، وأحب ألا يغضب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه ^(٥) .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن أبي نجيح في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أمر خالد بن الوليد فدخل من اللَّيْط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على الجَنَبَةِ
 المني وفيها أسلم وسليم وغفار ومُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة
 ابن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لأهل مكة ^(٦) بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة فضربت له
 هنالك قبة .

(١) من الروض الأنف . والبطان : حزام القتب . والصيلم : الداهية . والصلعاء : المشهورة .
 (٢) العواء : الكلب . (٣) القاع : الأرض السهلة المنبسطة . (٤) المصلى : الرجل الماضي
 (٥) سقط من : أ . (٦) غير : أ : مكة .

وروى البخارى من حديث الزهرى ، عن على بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيلٌ من رِباع ^(١) » ثم قال : « لا يَرِثُ الكافرُ المؤمنَ ولا المؤمنُ الكافرَ » .
ثم قال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزبير ، عن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْزِلُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا فَتَحَ اللَّهُ الْخَيْفَ ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا إبراهيم - يعنى ابن سعد - عن الزهرى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كَفَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ » .

ورواه البخارى من حديث إبراهيم بن سعد به نحوه .

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان ابن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخذمة ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر بعد سلاحاً قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعدُّ ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لحمد وأصحابه شيء ! قال : والله إنى لأرجو أن أخدِمَكم بعضهم . ثم قال :

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيْهِ هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ ^(٢)
وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ ^(٣)

قال : ثم شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب

(١) الرباع : جمع ربع ، وهى الدار .

(٢) الألة : جميع أداة الحرب .

(٣) الفرار : حذ الرمح والسيف والمهم . يريد : سيفاً .

خالد ناوشوهم شيئاً من قتال ، قُتِلَ كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وحُبِيش^(١) بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني مقعد ، وكانا في جيش خالد ، فشذّا عنه فسلكا غير طريقه فقُتِلَا جميعاً ، وكان قُتِلَ كرز قبل حبِيش .

قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا فخرج حِمْيَاس منهزماً حتى دخل بيته ثم قال لامرأته : أغلّقي على بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يومَ الخندمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمّة واستقبلتهم بالسيوف المسليمة^(٢)
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُجْمِهِ ضَرْباً فلا يَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَهُ
لَمْ نَهَيْتْ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمْ لَمْ تَنْطِقْ فِي اللّومِ أَذْنِي كَلِمَةً^(٣)

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات للرّعاش الهذلي .

قال : وكان شعار المهاجرين يومَ الفتح وحنين والطائف : « يا بني عبد الرحمن »
وشعار الخزرج : « يا بني عبدالله » وشعار الأوس : « يا بني عبيدالله » .

وقال الطبراني : حدثنا علي بن سعيد الرازي ، حدثنا أبو حسان الزياتي ، حدثنا
شُعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرّم هذا البلدَ يومَ خلق السموات والأرض ،
وصاغه يومَ صاغ الشمس والقمر ، وما حيّاله من السماء حرام ، وإنه لا يحلُّ لأحد قبلي ،
وإنما حلَّ لي ساعةً من نهار ثم عاد كما كان » .

(١) الأصل : حنِيش . وهو تحريف وما أثبتته عن الروض الأتق .

(٢) أبو يزيد : يريد سهيل بن عمرو ، وكان خطيب قريش . والمؤتمّة : الأسطوانة ، من قولهم وتم
وأتم إذا ثبت . وتروى المؤتمّة . بالواو بدل الهمز ، ومعناها : الأيم التي مات عنها زوجها . الروض ٢٧٢/٢

(٣) التهيّيت : الزنبر .

فَقِيلَ لَهُ : هَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَقْتُلُ ؟ فَقَالَ : « قُمْ يَا فُلَانُ فَأَتِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ » .

فَأَتَاهُ الرَّجُلُ فَقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اقْتُلْ مَنْ قَدَرْتَ عَلَيْهِ ! فَقَتَلَ سَبْعِينَ إِنْسَانًا ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذُكِرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى خَالِدٍ فَقَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْقَتْلِ ؟ » فَقَالَ : جَاءَنِي فُلَانٌ فَأَمَرَنِي أَنْ أَقْتُلَ مَنْ قَدَرْتُ عَلَيْهِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : « أَلَمْ آمُرْكَ ؟ » قَالَ : أَرَدْتُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ فَوْقَ أَمْرِكَ ، وَمَا اسْتَطَعْتُ إِلَّا الَّذِي كَانَ . فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرَادَ عَلَيْهِ شَيْئًا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدَ إِلَى أَمْرَائِهِ أَلَّا يَقَاتِلُوا^(١) إِلَّا مِنْ قَاتِلِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَهْدَرَ دَمَ نَفَرٍ سَاقِمٍ وَإِنْ وَجِدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَكَتَبَ الْوَحْيَ ثُمَّ ارْتَدَّ ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَقَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ فَرَّ إِلَى عُمَانَ وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَلَمَّا جَاءَ بِهِ لِيَسْتَأْمِنَ لَهُ صَمَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ : « نَعَمْ » . فَلَمَّا انْصَرَفَ مَعَ عُمَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ حَوْلَهُ : « أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ رَأَى قَدْ صَمَتُ فَيَقْتُلُهُ » فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَّا أَوْ مَاتَ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : « إِنْ النَّبِيُّ لَا يَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ » .

وَفِي رَوَايَةٍ^(٢) : « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ » .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَوَلَاهُ عُمَرُ بَعْضَ أَعْمَالِهِ ثُمَّ وَلَاهُ عُمَانَ .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها في بيته .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خَطْل رجل من بني تيم بن غالب .

قلت : ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ، ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم سُمِّي عبد الله .

ولما أسلم بعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً^(١) وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له ففضب عليه غضبةً فقتله^(٢) ، ثم ارتدَّ مشركاً ، وكان له قينتان فرَّتْني وصاحبتهما ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قينتيه ، فُقتل وهو متعلّق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو بَرَزَة الأسلمى وسعيد بن حُرَيْث الخزومي ، وقتلت إحدى قينتيه واستؤمن للآخرى .

قال : والخويرث بن نُقَيْد بن وهب بن عبد قصي ، وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولما تحمّل العباس بفاطمة وأم كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يُدَحِّقهما برسول الله صلى الله عليه وسلم أول الهجرة نخس بهما الخويرثُ هذا الجمل الذي هما عليه فسقطتا إلى الأرض ، فلما أهدر دمه قتله على بن أبي طالب .

قال : ومقيس بن صُبَّابة^(٣) لأنه قَتَلَ قاتل أخيه خطأً بعد ما أخذ الدية ، ثم ارتدَّ مشركاً ، قتله رجل من قومه يقال له نُمَيْلة بن عبد الله .

قال : وسارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل ، لأنها كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي^(٤) بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحمّلت الكتابَ من حاطب بن أبي بلتعة ، وكانها عُنِيَ عنها أو هربت ثم أهدر دمها . والله أعلم .

فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها فعاشت إلى زمن

(٢) ١ : ثم قتله .

(٤) كذا ولعلها : وهو .

(١) مصدقاً : جابياً للصدقات

(٣) في القاموس : ابن حباب .

عمر ، فأوطأها رجلٌ [فرساً ^(١)] فماتت . وذكر السهيلي أن فرّتنى أسلمت أيضاً .
قال ابن إسحاق : وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ
حكيم بنت الحارث بن هشام واستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ،
فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمّس الفقيه ، أنبأنا أبو بكر محمد بن
الحسين القطّان ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ، حدثنا أحمد بن الفضل ، حدثنا أسباط بن
نصر الهمداني . قال : زعم الشدي عن مُصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان يوم فتح مكة
أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوه وإن
وجدتموه متعلقين بأستار الكعبة » وهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطّال ،
ومقيس بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح .

فأما عبد الله بن خطّال فأدرِك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن
حريث وعمار بن ياسر ، فسبق سعيدٌ عماراً وكان أشبَّ الرجلين فقتله . وأما مقيس
فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف ، فقال أهل
السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا . فقال عكرمة :
والله لئن لم يُنَج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجى في البرّ غيره ! اللهم إن لك على
عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا أجده عفوّاً
كريماً [فجاء ^(٢)] فأسلم .

وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم

فقال : يا رسول الله بايع عبد الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ، كل ذلك يَأْبَى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا حين رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا : ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ، هلا أو مات إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغي أن يكون لنبي خائفة أعين ^(١) » .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث أحمد بن الفضل به نحوه .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا أبو زرعة الدمشقي ، حدثنا الحسن بن بشر الكوفي ، حدثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة إلا أربعة : عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صُبَّابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأم سارة .

فأما عبد العزى بن خطل فإنه قُتل وهو متملق بأستار السكبة . قال : ونذر رجل أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاة ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له ، فلما أبصر به الأنصاري اشتعل على السيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتردد ويكره أن يُقدم عليه ، فبسط النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه ، ثم قال للأنصاري : « قد انتظرتك أن توفي بنذرك ؟ » قال : يا رسول الله هبتك ، أفلا أومضت إلي ؟ قال : « إنه ليس للنبي أن يومض » .

وأما مقيس بن صُبَّابة ، فذكر قصته ، في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ثم ارتداده بعد ذلك .

قال : وأما أم سارة فكانت مولاة لقريش ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت

(١) غير أ : لا ينبغي لنبي أن تكون له خائفة الأعين .

إليه الحاجة فأعطاهها شيئاً ، ثم بعث معها رجلاً بكتاب إلى أهل مكة . فذكر قصة حاطب ابن أبي بلتعة .

وروى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن مقيس ابن صُبابَةَ قُتل أخوه هشام يومَ بني المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنه مشركاً ، فقدم مقيس مُظهِراً للإسلام ليطلب ديةَ أخيه ، فلما أخذها عدّاه على قاتل أخيه فقتله ورجع إلى مكة مشركاً ، فلما أهدر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دمه قُتل وهو بين الصفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقي شعره حين قتل قاتل أخيه وهو قوله :

شَفَى النَّفْسَ مِنْ قَدَبَاتٍ ^(١) بِالْقَاعِ مُسْنَدًا يَضْرِّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخَادِعِ
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تُلَمُّ وَتُنْسِنِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ
قَتَلْتُ بِهِ فَهْرًا ^(٢) وَغَرَّمْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ
حَلَلْتُ بِهِ نَذْرِي ^(٣) وَأَدْرَكْتُ نُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ

قلت : وقيل : إن القَيْنَتَيْنِ اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صُبابَةَ هذا ، وأن ابنَ عمه قتله بين الصفا والمروة . وقال بعضهم : قتل ابنَ خَطَل الزبيرُ بن العوام رضى الله عنه .

وقال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة مولى عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فر إلى رجلان من أحماني [من بني مخزوم ^(٤)] .

(١) سبقت الرواية : تأرت به .

(٢) سقطت من أ .

(٣) سبقت الرواية ص ٢٩٨ أن قد بات .

(٤) سبقت الرواية : حللت به وترى .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق : وكانت عند هُبَيْرَة بن أبي وهب الخزومي ، قالت : فدخل عليّ أخى عليّ بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنهما . فأغلقتُ عليهما بابَ بيتي ، ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جَفَنَة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ فقال : « مرحباً وأهلاً بأم هانئ ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ ، فقال : « قد أجزّنا من أجزّتِ وأمّنا من أمّنت فلا نقتلهما ^(١) » .

وقال البخارى : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرّة ، عن ابن أبي ليلى ، قال : ما أخبرنا أحدٌ أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم يصليّ الضحى غيرَ أم هانئ ، فإنها ذكرت أنه يومَ فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى ثمانى ركعات ، قالت : ولم أره صلى صلاةً أخفّ منها غير أنه يتم الركوع والسجود .

وفى صحيح ^(٢) مسلم من حديث الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سعد بن أبي هند ، أن أبا مُرّة مولى عَقِيل حدثه أن أم هانئ بنت أبي طالب حدثته أنه لما كان عام الفتح فرّ إليها رجلان من بنى مخزوم فأجارتهما ، قالت : فدخل عليّ عليّ فقال : أقتلهما ، فلما سمعته أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فلما رآنى رحّب وقال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا نبي الله كنتُ أمّنتُ رجلين من أحمائى فأراد عليّ قتلهما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجزّنا من أجزّتِ يأم هانئ » ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غسله فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ، ثم صلى ثمانى ركعات سُبْحَة ^(٣) الضحى .

(٣) السبحة : النافلة .

(٢) ١ : وفى حديث مسلم .

(١) غير ١ : يقتلهما .

وفي رواية أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت : أم هانيء . قال : « مرحباً بأم هانيء » قالت : يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجزئهما !؟ فقال : « قد أجزئنا من أجزئ يأم هانيء » قالت : ثم صلى ثمانى ركعات .

وذلك ضحى فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح ، وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين . وهو يرد على الشهيلى وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانيا بتسليمة واحدة ، وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين : والله الحمد .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده ، [فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيـدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف^(١) له الناس في المسجد]^(٢) .

وقال موسى بن عـقبة : ثم سجد سجدتين ثم انصرف إلى زمزم فاطمأن فيها ، ودعا بماء فشرب منها وتوضأ ، والناس يبتدرون وضوءه ، والمشركون يعجبون من ذلك ويقولون : مارأينا مـلكاً قط ولا سمعنا به - يعنى مثل هذا - وآخر المقام إلى مكانه اليوم وكان ملصقاً بالبيت .

(١) استكف : اجتمع . (٢) هذه الجملة مؤخرة في ١ بعد قوله : وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سِدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقيلُ الخطأ شبه العمد بالسوط والعصافيه الدية مغلظة مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس^(١) من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية كلها . ثم قال : « يامعشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحِجَابَةَ مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعى له فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن جُدعان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن فتيلَ العمد الخطأ بالسوط أو العصافيه مائة من الإبل » .

وقال مرة [أخرى^(٢)] : « مغلظة فيها أربعون خلفة في بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى » وقال مرة : « ومال تحت قدمي هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاج وسِدانة البيت فإنهما أمضيتهما لأهلها على ما كانت » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي بن [زيد بن^(١)] جدعان عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني ، عن ابن عمر به .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم مصوراً في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام [ماشان إبراهيم والأزلام^(١)] : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان ، أنبأنا عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان في الكعبة صور ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم [عمر بن الخطاب^(١)] أن يحوها قبل عمر ثوبا ومحاهها به . فدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافيها منها شيء .

وقال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل . جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

وقد رواه مسلم من حديث ابن عيينة .

وروى البيهقي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن علي بن عبد الله ابن عباس ، عن أبيه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة وعلى

الكعبة ثلثمائة صنم ، فأخذ قضيبه ، فجعل يهوى به إلى الصنم وهو يهوى حتى مرَّ عليها كلها .

ثم روى من طريق سويد بن [سعيد] عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة وجد بها ثلثمائة وستين صنماً ، فأشار إلى كل صنم بعضاً وقال : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسسه بعصاه .
ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً فالذى قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق : أنبأنا أبو الربيع ، عن يعقوب القمي ، حدثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبي زبى قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءت عجوزٌ شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك نائلة أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل الرواية في إسفادله عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [عن ابن عباس (٢)] أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته فطاف عليها وحول الكعبة أصناماً مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى مابق منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي :

وفي الأصنام معتبرٌ وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاباً

وفي صحيح مسلم عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن

عبد الله بن رباح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الحِجْر فاستلمه وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قَوْس وهو آخذ بِسَيْتِهَا (١) فلما أتى على الصنم فجعل يَطْعَن في عَيْنِهِ ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطلُ إن الباطل كان زَهُوقاً » فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاً عليه حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمّد الله ويدعو بما شاء أن يدعو .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي أيديهما الأزلام (٢) ، فقال : « قاتلهم الله ! لقد علموا ما استقسموا بها قط » .

ثم دخل البيت فكبّر في نواحي البيت وخرج ولم يصل .
تفرد به البخارى دون مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وفيها ستُّ سَوَارٍ ، فقام إلى كل سارية فدعا ولم يصل فيه .

ورواه مسلم عن شَيْبَان بن فروخ ، عن همام بن يحيى العوذى ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو ابن الحارث ، أن بُكَيْراً حدثه عن كُرَيْب ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمّا

(١) السية : ما عطف من طرفي القوس .

(٢) ١ : من الأزلام .

هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوراً ، فإياه يستقسم ؟ » .

وقد رواه البخارى والنسائى من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، أخبرني عثمان الخزرجى ، أنه سمع مِقْسَمًا يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فدعا في نواحيه ، ثم خرج فصلى ركعتين .
تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أنبأنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في البيت ركعتين .

قال البخارى : وقال الليث ، حدثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مُرَدِّقاً أسامة بن زيد ، ومعه عثمان بن طلحة من الحِجَبَةِ ، حتى أناخ في المسجد ، فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأشار له إلى المكان الذى صلى فيه . قال عبد الله : ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة .

ورواه الإمام أحمد عن هُشَيْم ، حدثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الفضل بن عباس وأسماء بن زيد وعثمان بن طلحة وبلال فأمر بلالاً فأجاف^(١) عليهم الباب فمكث فيه ما شاء الله ثم خرج .

(١) أجاف : أغلق .

قال ابن عمر : فكان أول من لقيت منهم بلالاً فقلت : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هاهنا بين الأسطواتين .

قلت : وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره أنه عليه السلام صلى في الكعبة تلقاء وجهه بابها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربى مقدار ثلاثة أذرع .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعقّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بقناء الكعبة ، فقال عقّاب : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فسمع منه ما يغيظه ! فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محقٌّ لا تبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمتُ لأخبرتُ عنى هذه الحصى .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قد علمتُ الذى قلم » ثم ذكر ذلك لهم . فقال الحارث وعقّاب : نشهد أنك رسول الله ! ما أطاع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثني والدى ، حدثني بعض آل جُبَيْر ابن مُطْعَم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة أمر بلالاً فعملاً على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بنى سعيّد بن العاص : لقد أكرم الله سعيّداً إذ قبضه قبل أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة !

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، قال ابن أبى مُليكة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث

ابن هشام: ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد؟ فقال: دعه فإن يكن الله يكرهه فسيغيره .
وقال يونس بن بكير وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلالا عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به^(١) المشركين .

وقال محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن محمد بن حرب ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن أبي إسحاق ، أن أباسفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً فقال في نفسه : لو جمعتُ
لحمد جمعاً ؟ فإنه كيحدث نفسه بذلك إذ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتفيه
وقال : « إذا يخزيك الله ! » قال : فرفع رأسه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على
رأسه فقال : ما أيقنتُ أنك نبيٌّ حتى الساعة .

قال البيهقي : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ - إجازة - أنبأنا أبو حامد أحمد بن
الحسن المقرئ ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا يونس
ابن أبي إسحاق عن أبي السفر ، عن ابن عباس ، قال : رأى أبوسفيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمشي والناس يطأون عَقْبِيه ، فقال يدينه وبين نفسه : لو عاودتُ هذا الرجل القتال ؟
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده في صدره فقال : « إذا
يخزيك الله » .

فقال : أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوّت به .

ثم روى البيهقي من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشرقي ، عن أبي محمد
ابن يحيى الذهلي ، حدثنا موسى بن أعين الجزري ، حدثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ،
عن سعيد بن المسيب قال : لما كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير
وتَهْلِيل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهناد : أترى هذا من الله ؟

قالت : نعم هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان ففدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلتَ لهند : أترى هذا من الله ؟ قالت : نعم هذا من الله » فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يُخلف به ما سمع قولي هذا أحدٌ من الناس غير هند .

وقال البخارى : حدثنا إسحاق ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، أخبرني حسن ابن مسلم ، عن مجاهد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة لا تحلُّ لأحد قبلى ولا تحلُّ لأحد بعدى ، ولم تحل لي إلا ساعة من الدهر ، لا يُفَرَّ صيدها ولا يُعَصَّد شوْكُها ولا يُخْتَلَى خلاؤها ولا تحلُّ لقطتها إلا لمنشد » فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ، فإنه لا بد منه للدفن والبيوت ؟ فسكت ثم قال : « إلا الإذخر فإنه حلال » .

وعن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزرى - عن عكرمة ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا ورواه أبو هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .
تفرد به البخارى من هذا الوجه الأول ، وهو مُرْسَل ، ومن هذا الوجه الثانى أيضاً .

وبهذا وأمثاله استدللَّ من ذهب إلى أن مكة فُتِحَتْ عَنوةً ، وللوقعة التى كانت فى الخَنْدَمَةِ كما تقدم . وقد قُتِلَ فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمُشْرِكِينَ ، وهى ظاهرة فى ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء .

والمشهور عن الشافعى أنها فُتِحَتْ صُلْحاً ؛ لأنها لم تُقَسَم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم

ليلة الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

وقال البخارى : حدثنا سعيد بن شريح ، حدثنا الليث ، عن المقبري ، عن أبي شريح الخزاعي ، أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح ، سمعته أذنأى ووعاه قلبي وأبصرته عينأى حين تكلم به ؛ أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرمة الله ولم يحرّمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمأ ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمة اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » .

فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارأ بدم ، ولا فارأ بجزية .

وروى البخارى أيضاً ، ومسلم عن قتيبة ، عن الليث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق أن رجلاً يقال له ابن الأثوع قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له احمر بأساً^(١) ، فلما كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع^(٢) وهو بمكة ، قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلاً لأدينه » .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرمة الأسلمي ، عن سعيد بن المسيب قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية قال : « إن خراشاً

(١) احمر بأساً : امم مركب ، كتأبط شراً .

لَقَتَالُ». وقال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي^(١) قال: لما قدم عمرو بن الزبير^(٢) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جثته فقلت له: يا هذا إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال: «يا أيها الناس إن الله قد حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة، فلا يحلّ لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعضد فيها شجراً، لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحل لي إلا هذه الساعة غضباً على أهلها، ألا ثم قد رجعت كجرمتها بالأمر، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا: إن الله قد أحلّها لرسوله ولم يحلها لكم، يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع، لقد قتلتم قتيلًا لأدينّه، فمن قُتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظيرين، إن شاءوا قدم قاتله وإن شاءوا فمقله.» ثم ودّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتله خزاعة.

فقال عمرو لأبي شريح: انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بجرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولا مانع جزية.

فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا وقد أبلغتُك فانت وشأنك.

قال ابن هشام: وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

(١) ١: الدوى.

(٢) قال السهيلي: هذا وهم وصوابه عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية وهو الأشدق. الروض ٢/٢٧٧

الفتح جُنَيْد بن الأَكْوَع ، قتلته بنو كعب فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمائة^(١) ناقة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده قال : لما فُتحت مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كُفُّوا السِّلَاحَ إِلَّا خِرَازِعَةً مِنْ بَنِي بَكْرٍ » فَأَذِنَ لَهُمْ حَتَّى صَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ قَالَ : « كَفُّوا السِّلَاحَ » فَلَقِيَ رَجُلٌ مِنْ خِرَازِعَةِ رَجُلَا مِنْ بَنِي بَكْرٍ مِنْ غَدٍ بِالْمَزْدَلِفَةِ فَقَتَلَهُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ خَطِيبًا . فَقَالَ ، فَرَأَيْتَهُ وَهُوَ مُسْنَدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ : « إِنْ أَعْدَى الْفَاسِ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلٍ فِي الْحَرَمِ ، أَوْ قَتْلٍ غَيْرِ قَاتِلِهِ أَوْ قَتْلٍ بِذُحُولِ^(٢) الْجَاهِلِيَّةِ » وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ .

وهذا غريب جدا .

وقد روى أهلُ السنن بعضَ هذا الحديث .

فأما ما فيه من أنه رَخَّصَ لَخِرَازِعَةِ أَنْ تَأْخُذَ بِثَأْرِهَا مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِلَى الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَكَأَنَّهُ ، إِنْ صَحَّ ، مِنْ بَابِ الْإِخْتِصَاصِ لَهُمْ مِمَّا كَانُوا أَصَابُوا مِنْهُمْ لَيْلَةَ الْوَتِيرِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وروى الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عُيَيْنَةَ وَيَزِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، كُلُّهُمْ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ الْبَرَاءِ الْخِرَازِعِيِّ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ : « لَا تُفْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

ورواه الترمذى عن بُنْدَارٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ بِهِ . وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(١) : فوداه مائة ناقة . (٢) : الذحول : جمع ذحل ، وهو التآمر .

قلت : فإن كان نهياً فلا إشكال ، وإن كان نفيّاً فقال البيهقي : معناه على كفر أهلها .

وفي صحيح مسلم من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله ابن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا يُقتل قرشيٌّ صَبْرًا بعدَ اليوم إلى يوم القيامة » والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أخذت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « معاذ الله ! الحياءُ تحيّاكم والماتُ مماتكم » .

وهذا الذي علّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في مسنده فقال : حدثنا بهز وهاشم قالوا : حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، وقال هاشم : حدثني ثابت البناني ، حدثنا عبد الله بن رباح قال : وفدت وفوداً إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام ، قال : وكان أبو هريرة يُكثر ما يدعوننا ، قال هاشم : يكثر أن يدعوننا إلى رحله . قال : فقلت : ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال : فأمرتُ بطعام يُصنع ، فلقيت أبا هريرة من العشاء قال : قلت : يا أبا هريرة الدعوة (٢) عندي الليلة . قال : استبقتني (١) ؟ قال هاشم : قلت : نعم فدعوتهم فهم عندي .

(١) الأصل : استبقتني . (٢) الأصل : الدعوى .

فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يامعشر الأنصار؟ فذكر فتح مكة، قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة، قال: فبعث الزبير على أحد المجنبتين وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى وبعث أبا عبيدة على الجسر، وأخذوا بطن الوادي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته وقد وبشت^(١) قريش أوباشها، قال: قالوا: نقدّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطيناهم الذي سألنا. قال أبو هريرة: فنظر فرآني فقال: «يا أبا هريرة» فقلت: لبيك رسول الله، فقال: «اهتف لي بالأنصار ولا يأتيني إلا أنصاري» فهتفت بهم فجاءوا فأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى: «احصوهم حصداً حتى توافوني بالصفا».

قال: فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء واحد منا أن يقتل منهم ماشاء، وما أحد منهم يوجه إلينا منهم شيئاً.

قال: فقال أبو سفيان: يا رسول الله أبيع خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم!

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» قال: ففلق الناس أبوابهم.

قال: وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت قال: وفي يده قوس آخذ بسية القوس، قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يصدونه. قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً».

قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه .

قال : والأنصار تحت . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته .

قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يامعشر الأنصار ، ألقتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : « فما أسمى إذا ؟ ! كلا إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإلىكم ، فالحق محياكم والمات مماتكم » .

قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ورسوله يصدقانكم وبِعذرانكم » وقد رواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة . زاد النسائي : وسلام ابن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً من حديث حماد بن سلمة ثلاثهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصاري نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام : وحدثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عُمير بن الملوّح - يعني الليثي - أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضالة ؟ » قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . قال : فضحك

النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال « استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه

فكان فضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى مامن خلق الله شيء أحب إلى منه .

قال فضالة : فرجعتُ إلى أهلى فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها قالت : هلم إلى الحديث ؟ فقال : لا وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يَا بَنَى عَلَيْكَ اللهُ وَالْإِسْلَامُ
لو مارأيتِ محمدًا وَقَبِيلَهُ بالفتح يوم تُكسَّرُ الأصنامُ
لأريتِ دينَ الله أضْحَى يَدْنًا والشرك يَفْشَى وجهه الإِظْلَامُ

قال ابن إسحق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة [عن عائشة ^(١)] قالت : خرج صفوان بن أمية يريد جذّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا بني الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمنته يارسول الله صلى الله عليه . فقال : « هو آمن » .

فقال : يارسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عامته التي دخل فيها مكة .

فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان فذاك أبى وأُمى الله الله فى نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئتكَ به . قال : ويلك اعزُبْ عني فلا تكلمنى . قال : أى صفوان فذاك أبى وأُمى أفضلُ الناس وأبرّ الناس وأحلمُ الناس وخيرُ الناس ، ابن عمك عزّه عزك وشرفه

شرفك ومُلْكك مُلْكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكْرَم .

فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني ؟ قال : « صدق » قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق عن الزهري أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان وأم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل وقد ذهبت وراءه إلى اليمن فاسترجعته فأسلم ، فلما أسلما أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسانُ ابنَ الزُّبَيْرِ وهو بنجران بيت واحد مازاد عليه :

لَا تَعْدَ مَنْ رَجَلًا أَحَلَّكَ بَقْضُهُ نَجْرَانٌ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَنِيْمٍ^(١)

فلما بلغ ذلك ابن الزُّبَيْرِ خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِن لِّسَانِي رَاتِقٌ مَا فَعَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أَبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ النَّعْيِ وَمِنْ مَالٍ مَّيْلَةٍ مَغْرُورٍ^(٢)
أَمِنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ لُؤْيٍ وَكُلِّهِمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ أيضًا حين أسلم :

مَنْعَ الرِّقَادَ بِلَابِلٍ وَهُمُومُ وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بِهِمِ
مِمَّا أَتَانِي أَنْ أَحْمَدَ لَأَمْنِي فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي مَحْمُومُ

(١) الأخذ : القليل المنقطع . (٢) غير ١ : مشهور .

ياخير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم^(١)
إني لمعتذرٌ إليك من الذى أسديتُ إذ أنا فى الضلال أهيمُ
أيامَ تأمرنى بأغوى خطة سَنَمُ وتأمرنى بها نخزومُ
وأمدُّ أسبابَ الردى ويَقُودنى أمرُ الفؤاة وأمرهم مشنومُ
فاليوم آمنَ بالنبيِّ محمدٍ قلبى ومُخْطئى هذه محرومُ
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعتُ أواصرُ بيننا وحلومُ
فاغفر فدى لك والدى كلاها زللى فإنك راحمٌ مرحومُ
وعليك من علم المليك علامة نورُ أغرَّ وخاتمٌ مختومُ
أعطاك بعدَ محبة برهانه شرقاً وبرهانُ الإله عظيمُ
ولقد شهدتُ بأن دينك صادق حقٌ وأنت فى المعادِ جسيمُ
والله يشهد أن أحمدَ مصطفى مستقبِل فى الصالحين كريمُ
قرمٌ علا بنيانه من هاشم فرعٌ تمسكن فى الذرى وأرومُ
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزبيرى السهمى من أكبر أعداء الإسلام ومن الشعراء الذين استعملوا قوَاهم فى هِجاء المسلمين ، ثم منَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذِّب عنه .

فصل

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ، من بنى سُلَيم سبعمائة . ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربعمائة [ومن أسلم أربعمائة]

(١) العيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط .

ومن مُزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

وقال عروة والزهرى وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألفاً . فإله أعلم .

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت :

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءِ	إِلَى عَذْرَاءٍ مِنْزِلَهَا خَلَاءُ ^(١)
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ	تَغْفِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ ^(٢)
وَكُنْتُ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ	خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ
فَدَغَ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ	يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ
لَشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّمَتْهُ	فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ	يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ ^(٣)
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا	فَهِنْ لَطِيبُ الرِّاحِ الْفِدَاءُ
نَوَلَّيْهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلْمَنَّا	إِذَا مَا كَانَ مَغْتٌ أَوْ لِحَاءُ ^(٤)
وَنَشْرَبُهَا فَفَتَرَكْنَا مَلُوكًا	وَأَسْدًا مَا يُنْهِنُهَا الْقَهْلَاءُ
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُثِيرُ النِّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يَنَازِعُنِ الْأَعْنَةَ مُضْغِيَاتٍ	عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ ^(٥)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ	يَلْطَمُنَّ بِالْخَرِّ النِّسَاءُ

(١) الجواء والعذراء : مواضع بالشام .

(٢) الروامس : الرياح . والسماء : المطر .

(٣) الخبيثة : الحمر المصونة . وبيت رأس : موضع بالأردن .

(٤) أَلْمَنَّا : فعلنا ما نستحق عليه اللوم . والمغت : الضرب باليد . والملاحاة : الملاحة باللسان .

(٥) مضغيات : مواثيل منحرفات . والأسل : الرماح .

فإِذَا تَعَرَّضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ
وإِلَّا فَاصْبِرُوا لَجَلَادٍ يَوْمٍ يَعْزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقُوه فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتَهَا الْإِقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍ سِيَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكَمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَتَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفْيَانَ عَنِّي مُغْلَغَلَةً قَدْ بَرَّحَ الْخَفَاءُ
بَأَنْ سَيُوفُنَا تَرَكْتِكَ عَبْدًا وَعُبْدُ الدَّارِ سَادَتَهَا الْإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرُّكَ خَيْرُكَ الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مَبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ شِمِيَّتُهُ الْوَفَاءُ
أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تَكْدُرُهُ الدَّلَاءُ

قال ابن هشام : قالها حسان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجه لما في أثناء هذه القصيدة ، مما يدل على ذلك ، وأبو سفيان

المذكور في البيت هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وبلغني عن الزهري أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبي بكر رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زعيم الدبلي يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم - كما تقدم :

أنت الذي هَدَيْ مَعَدَّةَ بَأْمَرِهِ بل الله يَهْدِيهِمْ وقال لك أشهد
وما حملت من ناقة فوق رَحْلِهَا أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمد
أحسَّ على خير وأسبغَ نائلاً إذا راح كالسيف الصقيل المَهْفَدِ
وأكسى ليزد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرَّدِ (١)
تعلم رسول الله أنك مُدْرِكِي وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادرٌ على كل صِرْمٍ مُتَمِّينٍ ومُنْجِدِ (٢)
تعلم بأن الركب ركبُ عُوَيْرٍ هم الكاذبون الخلفو كلِّ موعِدِ
ونبؤوا رسول الله أني هَجَوْتَهُ فلا حملت سَوْطِي إلى إذن يدي
سوى أننى قد قلت ويل ام فتيةٍ أصيبوا بنحسٍ لا بطلق وأسْعِدِ (٣)
أصابهم من لم يكن لدمائهم كِفَالاً فَعَزَّتْ عِبْرَتِي وتَبْلُدِي
وإنك قد أخبرت أنك ساعياً بعبد بن عبد الله وابنة مَهْودِ (٤)
ذؤيب وكلثوم وسلْمَى تتابعوا جميعاً فإن لا تَدْمَعُ العين أُمْدِ
وسَلْمَى وسلْمَى ليس حَى كئله وإخوته وهل ملوكُ كأَعْبِدِ
فإني لا ذنبا (٥) فتقتُ ولا دماً هَرَقْتُ تَبَيَّنَ عَالِمُ الحقِّ واقْصِدِ

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح :

نقى أهلَ الحَبْلَقِ (١) كلُّ فَجٍّ مزينةٌ غدوةً وبنو خُفَافِ
ضربناهم بمكة يوم فتح النـبـي الخـير بالببيض الخِفَافِ
صَبَحْنَا بِسَبْعٍ مِنْ سُلَيْمٍ وألف من بني عثمان وافِ
نَطَأُ أَكْتَافَهُمْ ضَرْباً وَطَعْنًا ورَشَقًا بالمرِيْشَةِ اللَّاطِفِ

(١) الحال : برد من برود الين ، وهو من رفيع الثياب . (٢) الصرم : الطائفة من البيوت .

(٣) الطلق : الأيام الطيبة . (٤) ابن هشام : فإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً . (٥) ابن هشام : فإني لادينا .

(٦) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس . والحباق : الغنم الصغار ولعله أراد أصحاب الغنم .

ترى بين الصفوف لها حَفِيفًا كما انصاع الفُواق من الرصافِ
فرُحْنَا والجِيَادُ تَجُولُ فيهِمْ بأرماحٍ مقوِّمَةِ الثَّقَافِ
فأَبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اسْتَهْنَيْنَا وآبُوا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ
وأَعْطَيْنَا رَسولَ اللَّهِ مِنَّا مواثِقَنَا عَلَى حَسَنِ التَّصَافِ
وقد سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ

وقال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمي في فتح مكة :

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ مُحَمَّدٌ أَلْفَ تَسِيلٍ بِهِ الْبَطَاحُ مَسُومٌ
نَصَرُوا الرَّسولَ وَشَاهَدُوا آيَاتِهِ ^(١) وشعارهم يَوْمَ اللَّقَاءِ مُقَدَّمٌ
فِي مَنْزِلٍ ثَبَتَتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْخَنْتَمُ ^(٢)
جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِنَجْدِ قَبْلِهَا حَتَّى اسْتَقَامَ لَهَا الْحِجَارُ الْأَدَمُ
اللَّهُ مَكْنُؤُهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ حَكَمَ السِّيفُ لَنَا وَجَدُّ مِرْزَحَمُ
عَوْدَ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ عِرْنَيْنُهُ مُتَطَلِّعٌ تُغَرُّ الْمَكَارِمُ خِضْرَمُ ^(٣)

وذكر ابن هشام في سبب إسلام عباس بن مرداس أن أباه كان يعبد صنما من حجارة يقال له ضمار ، فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوما يخدمه إذ سمع صوتا من جوفه وهو يقول :

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سَلِيمٍ كُلِّهَا أَوْدَى ضَمَارٌ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
إِنَّ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يُعْبَدُ مَدَّةً قبل الكتاب إلى النبي محمد

قال : فخرق عباس ضمار ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقد تقدمت هذه القصة بكاملها في باب هواتف الجان ^(٤) ، مع أمثالها وأشكالها والله الحمد والمنة .

(١) ابن هشام : وشاهدوا أيامه . (٢) الخنتم : الخنظل .

(٣) العود : يريد الرجل السن والعنبرين : الأنف . والخضرم : الجواد المعطاء .

(٤) تقدم ذلك في الجزء الأول ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بعثه عليه السلام خالد بن الوليد

بعد الفتح إلى بني جذيمة من كفانة

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً . ومعه قبائل من العرب وسليم بن منصور ومذلج ابن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كفانة فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلسكم يا بني جذيمة إنه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحاً أبداً .

قال : فأخذه رجال من قومه فقالوا : يا جَحْدَم أتريد أن تسفك دماءنا ؟ ! إن الناس قد أسلموا ووضعت الحربُ وأمن الناس .

فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فقال حكيم بن حكيم عن أبي جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكثفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال .
« اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل أنكر عليه أحد ؟ » فقال : نعم قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمة^(١) خالد فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فاشتدت مراجعتهما . فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال : « يا على اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » .

فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه كيدى ميلة^(٢) الكلب ! حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على حين فرغ منهم : هلبقى لكم دم أو مال لم يؤد لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون .

ففعل ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : « أصبت وأحسن » . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً أنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السهمى وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقتلهم لا متيناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدبني : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صَبَأْنَا صَبَأَنَا .

(١) نهمة : زجره .

(٢) الميلة : ما يغفر من الحشب ليلف فيه الكلب ، ويكون عند أصحاب الغنم .

وهذه مرسلات ومنقطعات .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال - جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا . فجعلوا يقولون : صَبَأْنَا صَبَأَنَا ، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً .

قال : ودفع إلى كل رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجلٍ منا أسيرَه . قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل أحد من أصحابي أسيرَه . قال : فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا صنيع خالد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين . ورواه البخاري والنسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق : وقد قال لهم جَحْدَم لما رأى ما يصنع خالد : يا بني جذيمة ضاع الضرب ، عند كنت حذرتكم مما وقعتم فيه .

قال ابن إسحاق : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام؟ فقال : إنما تأرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلتُ قاتل أبي ، ولكنك تأرتَ لعمك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شر .

فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مهلاً يا خالد دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركتَ غَدْوَةَ رجلٍ من أصحابي ولا رَوْحَتَهُ » .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عم خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ومعه ابنه عثمان ، في تجارة إلى اليمن ورجوعهم ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم [قبل أن يصلوا إلى أهل الميت] فأبوا عليه فقاتلهم فقاتلوه حتى قُتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما . وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام وفرَّ منهم عفان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهتَمَ قريش بغزو بني جذيمة ، فبعث بنو جذيمة يمتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملائمتهم وودَّوا لهم القتيلين وأموالهما ووضعوا الحرب بينهم .

يعنى فلهذا قال خالد لعبد الرحمن : إنما ثارتُ بأبيك ، يعنى حين قتلته بنو جذيمة . فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما ثار بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله .

والظنون بكلِّ منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يقال هذا في وقت الحجامة ، فأما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أسر واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صبياناً ناصباًنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسرى بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يغزله رسول الله صلى الله عليه وسلم بل استمر به أميراً ، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعة ذلك وودى ما كان جفاه خطأ في دم أو مال .

ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله . والله أعلم .

ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة ، وتأول عليه ماتأول

حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أمّ تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فإن في سيفه رهقاً . فقال الصديق : لا أعمد سيفاً سلّه الله على المشركين .

وقال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حذرّد الأسلمي قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد فقال فتى من بني جذيمة ، وهو في سني وقد مُجعت يده إلى عنقه برُمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يافتي . قلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذٌ بهذه الرُمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أفضى إليهن حاجة ثم تردّتي بعد فتصنعوا ما بدا لكم .

قال : قلت : والله ليسير ما طلبت . فأخذت برُمة فقدته بها حتى وقفته عليهن فقال اسلمي حبيش على نقد^(١) العيش :

أَرَيْتُكَ إِذْ طَلَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحِلْيَةٍ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ^(٢)
أَلَمْ يَكُ أَهْلًا أَنْ يَنْوُلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السَّرَى وَالْوَدَائِقِ^(٣)
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا أَثْبَي بَوْدٍ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ^(٤)
أَثْبَي بَوْدٍ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ الدَّوَى وَيَنْأَى الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ^(٥)
فإِنِّي لَا ضِيْعَتُ سِرٍّ أَمَانَةٍ وَلَا رَاقٍ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَاقٍ^(٦)
سِوَى أَنْ مَانَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ عَنْ الْوَدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ^(٧)
قَالَتْ : وَأَنْتَ لِحَيِّتِ عَشْرًا وَتِسْعًا وَتَرَا وَثْمَانِيَةَ تَتَرَى .

قال : ثم انصرفت^(٨) به فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : لحدثني أبو فراس بن أبي سنبلّة الأسلمي ، عن أشياخ منهم ،

(١) النقد : الاقتضاء .
(٢) حلية والخوانق : موضعان بتهامة .
(٣) السرى : سير عامة الليل . والودائق : جمع وديقة وهي شدة الحر في نصف النهار .
(٤) الصفائق : الدوامي .
(٥) تشحط : تبعد .
(٦) وتروى : فإني لاسر لدى أضعته . ذم الهوى لابن الجوزي : ٤٩٦ .
(٧) التوامق : التحاب .
(٨) ت : ثم قالت : انصرفت به . فضربت عنقه .

عن كان حضرها منهم قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه فأكبّت عليه فما زالت تقبّله حتى ماتت عنده !

وروى الحافظ البيهقي من طريق الحميدى ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق ، أنه سمع رجلا من مزينة يقال له ابن عصام عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » . قال : فبعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قبل تهامة ، فأدركنا رجلا يسوق بظعائن فقلنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرايتم إن لم أفعل ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا تقتلك . فقال : فهل أنتم مُنظرون حتى أدرك الظعائن ؟ قال : قلنا نعم ونحن مُدركوك . قال : فأدرك الظعائن فقال : اسلمى حبيش قبل نفاذ العيش . فقالت الأخرى : اسلمت عشراً وتسعاً وتراً وثمانياً تترى . ثم ذكر الشعر المتقدم إلى قوله : ويئأى الأمير بالحبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدّمناه فضرَبنا عنقه . قال : فأنحدرت الأخرى من هودجها فحُثَّت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقي من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، حدثنا محمد بن علي بن حرب المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغنموا وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لست منهم ، إني عشقتُ امرأةً فلحققتها فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم . فإذا امرأة أذماء طويلة فقال لها : اسلمى حبيش قبل نفاذ العيش . ثم ذكر البيتين بمعناها .

قال : فقالت : نعم فدَيْتُك ! قال : فقدّموه فضرَبوا عنقه ، فجاءت المرأة فوَقعت عليه فشهِقت شهقةً أو شهقتين ثم ماتت .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال : « أما كان فيكم رجلٌ رحيم ! » .

بعث خالد بن الوليد لهدم العُزَّى

قال ابن جرير : وكان هدمها لخمسِ بقين من رمضان عامئذ .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بيتنا بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومُضَر ، وكان سدّتها وحُجَّابها من بني شيبان من بني سُليم حلفاء بني هاشم ، فلما سمع حاجبها ^(١) السلمي بمسير خالد بن الوليد إليها علّق سيفه عليها ثم اشتدَّ ^(٢) في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عَزَّ شُدَّى شدة لا شوى لها على خالد ألقى القِنَاعَ وشمَّى ^(٣)

أيا عَزَّ إن لم تقتلى المرءَ خالدًا فبؤنى يائمه عاجلٍ أو تنصّري

قال : فلما انتهى خالد إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى الواقدي وغيره أنه لما قدّمها خالد لخمسِ بقين من رمضان فهدمها ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما رأيت ؟ » قال : لم أَر شيئاً . فأمره بالرجوع ، فلما رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سواده ناشرة شعرها تُؤنلّول فعلاها بالسيف وجعل يقول :

يا عَزَّى كُفْرانك لا سبجانك إني رأيتُ الله قد أهانك

ثم خرب ذلك البيت الذي كانت فيه ، وأخذ ما كان فيه من الأموال رضى الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعبَد أبدًا » .

(٢) ابن هشام : أسند .

(١) ابن هشام : صاحبها .

(٣) الشوى : أن يصيب غير المقاتل يريد أنها لا تبقى على شيء .

وقال البيهقي : أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر ، أنبأنا أحمد ابن علي ، حدثنا أبو كريب ، عن ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن أبي الطُّفيل قال : لما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ بعث خالدَ بن الوليدَ إلى نخلة وكانت بها العُزَيّ ، فأتاها ، وكانت على ثلاث تَمَرَات ، فقطع السمراتِ وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئاً » .

فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها أمتنوا هرباً في الجبل وهم يقولون : يا عَزْزَى خَبْلِيه ، يا عَزْزَى عَوْرِيه ، وإلا فَوْتِي بِرَغْم !
قال : فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تَحْمُو التراب على رأسها ، ووجهها ، فمسمها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : « تلك العُزَيّ » .

فصل في مدة إقامته عليه السلام بمكة

لا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام أقام بقية شهر رمضان يَقْصُر الصلاة وَيُفْطِر . وهذا دليلٌ من قال من العلماء إن المسافر إذا لم يَجْمَعْ الإقامةَ فله أن يَقْصُر وَيُفْطِر إلى ثمانى عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر كما هو مقرر في موضعه .
قال البخارى : حدثنا أبو نُعَيْم ، حدثنا سفيان ج . وحدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشْرًا يَقْصُر الصلاة .

وقد رواه بقية الجماعة من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري ، عن أنس به نحوه .

ثم قال البخارى : حدثنا عبدان ، حدثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يوماً يصلى ركعتين .
ورواه البخارى أيضاً من وجه آخر ، زاد البخارى وأبو حصين كلاهما . وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .

فى لفظ لأبى داود : سبعة عشر يوماً .

وحدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أحمد بن شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر تسع عشرة نقصر الصلاة .

قال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين^(١) تسع عشرة ، فإذا زدنا^(٢) أقمنا .

وقال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن علية ، أنبأنا على بن زيد ، عن أبى نضرة ، عن عمران بن حصين ما قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح ، فأقام ثمانى عشرة ليلة لا يصلى إلا ركعتين يقول : « يا أهل البلد صلوا أربعاً فإننا سفر » .

وهكذا رواه الترمذى من حديث على بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن .

ثم روى أبو داود من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق لم يذكره ابن عباس .

(١) غير : نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة . (٢) ت : فإذا أردنا .

وقال ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر وعمرو بن شعيب وغيرهم قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة .

فصل ومما حكم عليه السلام بمكة من الأحكام

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن مسleme^(١) ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الليث : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة ، وقال عتبة : إنه ابني : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فأقبل به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي عهد إلى أنه ابني . قال عبد بن زمعة : يا رسول الله : هذا أخي ، هذا ابن زمعة ، ولد علي فراشه ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن وليدة زمعة فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هولاك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة من أجل أنه ولد علي فراشه » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احتجبي منه يا سودة » لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقاص .

قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرح^(٢) بذلك .

وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث به . وابن ماجه من حديثه . وانفرد البخاري بروايته له من حديث مالك عن الزهري .

(١) الأصل : ابن مسلم . وما أثبتته عن صحيح البخاري . (٢) البخاري : يصيح .

ثم قال البخارى : حدثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا يونس ، عن ابن هباب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن امرأة سُرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه .

قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أتسلمني في حد من حدود الله ؟ » فقال أسامة : استغفر لى يا رسول الله .

فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فأنشأ على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! » .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت .

قالت عائشة : كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد رواه البخارى في موضع آخر ، ومسلم من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفي صحيح مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نهي عنها .

وفي رواية فقال : « ألا إنها حرام حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفي رواية في مسند أحمد والسنن ، أن ذلك كان في حجة الوداع . فالحق أعلم .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد ابن زياد ، عن أبي العميس عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رخص

لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ثم نهانا عنه .

قال البيهقي : وعامَ أوطاس هو عام الفتح . فهو وحديث سبرة سواء .

قلت : من أثبتَ النهيَ عنها في غزوة خيبر قال : إنها أبيضت مرتين ، وحرمت مرتين . وقد نص على ذلك الشافعي وغيره .

وقد قيل : إنها أبيضت وحرمت أكثر من مرتين . فالله أعلم . وقيل : إنها إنما حرمت مرة واحدة ، وهي هذه المرة في غزوة الفتح .

وقيل : إنها إنما أبيضت للضرورة ، فعلى هذا إذا وجدت ضرورةً أبيضت . وهذا رواية عن الإمام أحمد .

وقيل : بل لم تحرم مطلقاً ، وهي على الإباحة . هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة . وموضع تحرير ذلك في الأحكام .

فصل

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا ابن جريج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يبايع الناسَ يوم الفتح ، قال : جلس عند قرنٍ مستقبلاً ، فبايع الناسَ على الإسلام والشهادة . قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه يبايعهم على الإيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

تفرد به أحمد .

وعند البيهقي : فجاء الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير : ثم اجتمع الناسُ بمكة لببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على

الإسلام ، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة مُتَنَقِّبَةً مُتَفَكِّرَةً بِمَجْدِهَا^(١) لما كان من صنيعها بحمزة .

[فهي تخاف أن يأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَجْدِهَا ذَلِكَ ، فلما دَنَيْنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَبَايَعَنَ قَالَ : « بَايَعَنِي عَلَى أَلَّا تَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا » فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا مالا تأخذه من الرجال .

« ولا تسرقن » فقالت : والله إني كنت أصبتُ من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة ، وما كنت أدري أكان ذلك علينا حلالاً أم لا ؟ فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول - : أمّا ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حلٍّ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإنك لهندُ بنت عتبة ؟ » قالت : نعم فاعفُ عما سلف ، عفا الله عنك .

ثم قال : « ولا يزْنين » فقالت : يا رسول الله وهل تزني الحرة !

ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قد ربّيناهم صفاراً أفقتلهم كباراً ؟ فأنت وم أَعْلَم ! فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرق .

ثم قال : « ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن » فقالت : والله إن إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التجاوز أمثل .

ثم قال : « ولا يعصينني » فقالت : في معروف . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « بَايَعْنِ واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » .

فبايعهن عمر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوافق النساء ولا يمس إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه .

وثبت في الصحيحين ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط . وفي رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاما ويقول : « إنما قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة » .

وفي الصحيحين عن عائشة ، أن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بى ، فهل على من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال : خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك ^(١) .

[وروى البيهقي من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو خبءاء - الشك من أبي بكر - أحب إلى من أن يذّوا من أهل أخبائك - أو خبائك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء أو خبءاء أحب إلى من أن يعزوا من أهل أخبائك أو خبائك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأيضاً والذي نفس محمد بيده » قالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، فهل على حرج أن أطعم من الذى له ؟ قال : « لا ، بالمعروف » .

ورواه البخارى ، عن يحيى بن بكير بنحوه . وتقدم ما يتعلق بإسلام أبى سفيان ^(٢) .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن

مجاهد ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهادٌ ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » .

ورواه البخارى ، عن عثمان بن أبى شيبة ، ومسلم ، عن يحيى بن يحيى عن جرير .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا وهب ، حدثنا ابن طاووس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية ، أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلى حتى أسأل رسول الله ماسأله . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهادٌ ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » .
تفرد به أحمد .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن أبى بكر ، حدثنا الفضيل بن سليمان ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان التَّمْدَى ، عن مُجَاشِع بن مسعود ، قال : انطلقتُ بأبى مَعْبُدٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليبياعه على الهجرة فقال : « مضت الهجرة لأهلها ، أبياعه على الإسلام والجهاد » .

فلقيت أبا مَعْبُدٍ فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال خالد ، عن أبى عثمان ، عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مُجَالِدٍ .

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا عاصم ، عن أبى عثمان ، قال : حدثنى مُجَاشِع قال : أتيت رسول الله بأخى بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله جئتُك بأخى لتبياعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهلُ الهجرة بما فيها » فقلت : على أى شيء تبياعه ؟ قال : « أبياعه على الإسلام والإيمان والجهاد » .

فلقيت أبا مَعْبُدٍ بعدُ وكان أكبرهما سنًا فسألته فقال : صدق مجاشع .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عُفْدَر ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ،

عن مجاهد ، قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام ؟ فقال : لا هجرة ولكن انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت .

وقال أبو النضر : أنبأنا شعبة ، أنبأنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر فقال : لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - مثله .

حدثنا إسحاق بن يزيد ، حدثنا يحيى بن حمزة ، حدثني أبو عمرو الأوزاعي ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبير ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخاري : حدثنا إسحاق بن يزيد ، أنبأنا يحيى بن حمزة ، أنبأنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم . وكان المؤمنون يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله عز وجل وإلى رسوله مخافة أن يُقتل عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربه حيث يشاء ، ولكن جهادٌ ونية .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة ، إما الكاملة أو مطلقاً ، قد انقطعت بعد فتح مكة ، لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبق هجرة .

اللهم إلا أن يعرض حال يقتضى الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام . وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء .

ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاً من الجهاد والإنفاق في

سبيل الله مشروع ودغَّب فيه إلى يوم القيامة ، وليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح فتح مكة .

قال الله تعالى : « لا يَسْتَوِ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِل ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ^(١) » الآية .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي البَخْتَرِيِّ الطائِي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما نزلت هذه السورة « إذا جاء نصرُ الله والفتح » قرأها رسول الله حتى ختمها وقال : « الناس خيرٌ وأنا وأصحابي خير » وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » .

فقال له مروان : كذبت . وغنده رافع بن خَدِيج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدَّثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة ! فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأى ذلك قال : صدق .

تفرد به أحمد .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يُدْخِلُنِي مع أشياخ بدر ، فكانت بعضهم وجدَّ في نفسه ، فقال : لم تُدْخِلْ هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريههم ، فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : « إذا جاء نصرُ الله والفتح » ؟ فقال بعضهم : أمرنا

أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً . فقال لى :
أ كذاك تقول يا بن عباس ؟ قلت : لا . فقال : ما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : « إذا جاء نصر الله والفتح » فذلك علامة أجلك
« فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها
إلا ما يقول .

تفرد به البخارى .

وهكذا روى من غير وجه عن ابن عباس ، أنه فسّر ذلك بنعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى أجله ، وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد ، كما قال ابن
عباس وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

فأما الحديث الذى قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء ، عن
سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : « إذا جاء نصر الله والفتح » قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُعِيت إلى نفسى » بأنه مقبوض فى تلك السنة .

تفرد به الإمام أحمد وفى إسناده عطاء بن أبى مسلم الخراسانى ، وفيه ضعف تسكلم
فيه غير واحد من الأئمة ، وفى لفظه نكارة شديدة وهو قوله : بأنه مقبوض فى تلك
السنة . وهذا باطل ، فإن الفتح كان فى سنة ثمان فى رمضان منها كما تقدم بيانه ، وهذا
مالا خلاف فيه .

وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من سنة إحدى عشرة بلا
خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذى رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانى رحمه الله ، حدثنا إبراهيم
ابن أحمد بن عمر الوكيلى ، حدثنا أبى ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أبى العُميس ، عن

أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : « إذا جاء نصر الله والفتح » .

فيه نكارة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال والله أعلم .

وقد تسكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية والله الحمد والمنة .

وقال البخارى : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب عن أبي قلابة ، عن عمرو بن سلمة - قال لى أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله ؟ فلقيته فسألته - قال : كنا بماء تمر الناس ، وكان يمر بنا الركب فانسألهم : ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا ، فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يُغرى^(١) فى صدرى ، وكانت العرب تلوم^(٢) بإسلامهم الفتح فيقولون : اتركوه وقومهم ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق .

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبى قومى بإسلامهم فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبى حقا . قال : صلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلاة كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا فنظروا فلم يكن أحدا أكثر قرآنا متى لما كنت أتلقى من الركبان .

فقدمونى بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت على بردة إذا سجدت تقلعت عنى ، فقالت امرأة من الحى : ألا تفلتون عنا است قارئكم ؟ فاشتروا قطعوا الى قميصاً ، فما فرحت بشى فرحى بذلك القميص .

تفرد به البخارى دون مسلم .

(٢) تلوم : تنتظر .

(١) يغرى : يلصق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة هَوازَن يوم حُنَيْن

قال الله تعالى : « لقد نصرَكم الله في مواطنَ كثيرة ، ويومَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه : أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوازَن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشرَ بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة .

وهكذا روى عن ابن مسعود . وبه قال عروة بن الزبير واختاره أحمد وابن جرير في تاريخه .

وقال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوازَن لستَ خلونَ من شوال ، فانتهى إلى حنين في عاشره . وقال أبو بكر الصديق : لن نُغَلَّبَ اليومَ من قلة ! فانهزموا فكان أول من انهزم بنو سليم ، ثم أهلُ مكة ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هَوازَنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النَّصْرِي ، فاجتمع إليه مع هَوازَن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجُشَم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم

يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء . وغاب عنها ولم يحضرها من هوازن كعب وكراب ،
ولم يشهدا منهم أحد له اسم ، وفي بني جشم دُرَيْد بن الصِّمَّة شيخ كبير ليس فيه شيء
إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثَقِيف سَيِّدان لهم ؛ وفي
الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مسعود بن مُعَتَّب ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن
الحارث وأخوه أحر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّضْرِي .

فلما أجمع المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر^(١) مع الناس أموالهم
ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْد بن الصِّمَّة في شِجَار^(٢)
له يُقَاد به ، فلما نزل قال : بأىِّ واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم بحال الخيل لاحتزن
ضِرْس ولا سهل دَهْس^(٣) ، مالى أسمع رُغَاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ،
ويُعَار الشاء ؟ قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال :
أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك . ودُعي له .

قال : يا مالك إنك قد أصبحتَ رئيس قومك وإنَّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من
الأيام ، مالى أسمع رُغَاء البعير ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعَار الشاء ؟ قال : سُقت
مع الناس أبناءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجل أهله
وماله ليقاتل عنهم .

قال : فانقضَّ^(٤) به ، ثم قال : راعى ضأن والله ! هل يردُّ المنهزم شيء ؟ ! إنها
إن كانت لك لم ينفعك^(٥) إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِّحت في
أهلك ومالك .

(١) ت : حط مع الناس . (٢) الشجار : مركب شبه الهودج .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض ، والضرس : الحشن . والدَهْس : اللين . (٤) انقض به : زجره .

(٥) ت : لا ينفعك .

ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يشهدا منهم أحد . قال : غاب الحدُّ والجذء لو كان يومَ علاء ورفعة لم تَنَبَّ عنه كعبٌ وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر . قال : ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البَيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً .

ثم قال دُرَيْد لمالك بن عوف : ارفهمهم إلى مُتَمَنِّع^(١) بلادهم وعلِيَاء قومهم ثم القِ الصُّبَاء على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك .

قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ! ثم قال مالك : والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لآتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكرٌ أو رأى . فقالوا : أطعناك .

فقال دريد : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني :

يا ليتني فيها جَذَعٌ أخبٌ فيها وأَضَعُ^(٢)

أقود وطفاء الزمَعِ كأنها شاةٌ صدَعُ^(٣)

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جُفُونَ سيوفكم ثم شدوا شدة رجلٍ واحدٍ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أمية بن عبد الله بن عثمان ، أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيمونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا :

(٢) الجذع : الشاب . وأخب : أسرع .

(١) ١ : مُتَمَنِّع .

(٣) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : جمع زمعة وهي هنة زائدة وراء الظلف . والشاة : حمار الوحش . والصدع : الفتي القوي .

رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلُق ، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى . فو الله ما رددّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله ابن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم عليهم ثم يأتيه بخبرهم .

فانطلق ابنُ أبي حذرد فدخل فيهم حتى سمع وعلم ماقد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالكٍ وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحاً فأرسل إليه وهو يومئذ مُشرك فقال : « يا أبا أمية أعزنا سلاحك هذا نلتقي فيه عدونا غدا » .

فقال صفوان : أغضباً يا محمد ؟ قال : « بل عاريةٌ مضمونة حتى نؤديها إليك » قال : ليس بهذا بأس .

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أن يكفيهم تخلفاً ففعل .

هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد .

وقد روى يونس بن بُكير عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيب والزهرى وعبد الله^(١) ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم قصة حنين فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدراع كما تقدم ، وفيه أن ابن أبي حذرد لما رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) : عن ابن أبي بكر .

خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حذرر : لئن ^(١) كذبتني
يا عمر فربما كذبت بالحق. فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال : « قد كنت
ضالاً فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن عبد العزيز بن
رفيع ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار
من أمية يوم حنين أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عارية مضمونة » قال :
فضاع بعضها فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمها له فقال : أنا اليوم
يا رسول الله في الإسلام أرغب .

ورواه أبو داود والنسائي من حديث يزيد بن هارون به .
وأخرجه النسائي من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن ربيع ، عن ابن أبي مليكة
عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان
دروعاً . فذكره .

ورواه من حديث هُشَيْم ، عن حجاج ، عن عطاء ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . وساق الحديث .

وقال أبو داود : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن
رفيع ، عن أناس من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يا صفوان هل عندك من سلاح ؟ » قال : عارية أم غصباً ؟ قال : « بل عارية » فأعاره
ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً فلما هُزم
المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لصفوان : « قد فقدنا من أذراعك أذراعاً فهل نغرم لك ؟ » قال : لا يارسول الله إن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ .
وهذا مرسل أيضاً .

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عروة والزهرى وموسى بن عقبة يكون مجموع الجيشين^(١) الذين سار بهم إلى هوازن أربعة عشر ألفاً ، لأنه قدّم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوال . قال : واستخلف على أهل مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموى .
قلت : وكان عمره إذ ذاك قريباً من عشرين سنة .

قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هوازن .

ثم ذكر قصيدة العباس بن مردّاس السلمى [في ذلك منها قوله : ^(٢)]

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها	منى رسالة نصح فيه تبيان
إني أظن رسول الله صابحكم	جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم سليم أخوكم غير تارككم	والمسلمون عباد الله غسان
وفي عَضادته النيني بنو أسد	والأجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترّجف منه الأرض رهفته	وفي مقدّمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان قَبِيلَا مُزَيْنَةَ .

قال : وحدثني الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الدَّيْلِي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية .

قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ويعسكون عليها يوماً .

قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرَةً خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ! قلتم والذي نفسي ^(١) بيده كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إنها الشَّيْن ! لتركبن سنن من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذي ، عن شعيب بن عبد الرحمن الخزومي عن سفيان ، والنسائي عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر كلاهما عن الزهري ، كما رواه ابن إسحاق عنه ، وقال الترمذي : حسن صحيح . ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه عن جده ، مرفوعاً .

وقال أبو داود : حدثنا أبو توبة ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام عن السُّلُوي ، أنه حدثه سهل بن الحنظلية ، أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فأطنبوا السيرَ حتى كان العشيّة ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله

(١) ا : والذي نفس محمد

صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فارس فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظُفْنهم وبنَمَمهم وشأنهم اجتمعوا إلى حنين .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « تلك غنيمَةُ المسلمين غداً إن شاء الله » ثم قال : « من يَحْرُسُنَا الليلة ؟ » قال أنس بن أبي مَرثَد : أنا يا رسول الله . قال : فاركب . فركب فرساً له وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استقبل هذا الشَّعب حتى تكون في أعلاه ولا تُفَرِّقَنَّ مِنْ قَبْلِكَ الليلة » .

فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصلاه فركع ركعتين ثم قال : « هل أَحَسَّكُمْ فَارِسُكُمْ ؟ » قالوا : يا رسول الله ما أحسنناه . فتَوَبَّ (١) بالصلاة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ويلتفت إلى الشَّعب حتى إذا قَضَى صَلَاتَهُ قال : « أبشروا فقد جاءكم فَارِسُكُمْ » فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبحت طلعتُ الشَّعْبَيْنِ كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلياً أو قاضياً حاجة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أوجبت ، فلا عليك ألا تعمل بعدها ! » .

وهكذا رواه النسائي ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن كثير الحراني ، عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

فصل في كيفية الوقعة ، وما كان في أول الأمر من الفرار

ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره عن محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : نخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي وأحفائه . وأقبل رسول الله وأصحابه حتى انحط بهم الوادي في عمأة الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوه الخيل فشدت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يُقبل أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلموا إلى أنا رسول الله ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله » .

قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ومعه رهط من أهل بيته : علي بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس . وقيل الفضل بن أبي سفيان ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قُوم بن العباس ، ورهط من المهاجرين منهم أبو بكر وعمر ، والعباس أخذ بحكمة^(١) بقلته البيضاء وهو عليها قد شجرها^(٢) ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن^(٣) برمحه وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

(١) الحكمة : ما أحاط بمنكى الفرس .

(٣) ١ : طفر برمحه .

(٢) شجر الدابة : ضرب لجامها فيكفها حتى فتحت فاما .

قال : فبينما هو كذلك إذ هوَّى له على بن أبي طالب ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتى علىَّ من خلفه فضرب عُرْقوبِي الجبل فوقع على عَجْزِهِ ، ووثب الأنصارى على الرجل فضربه ضربة أطنَّ قدمه بنصف ساقه فانجحفَ عن رحله .

قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكْتَفَيْن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورواه الإمام أحمد عن يعقوب بن إبراهيم الزهرى ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

* * *

قال ابن إسحاق : وانتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بِثَقَرٍ^(١) بغلة^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من هذا ؟ » قال ابنُ أمك يارسول الله .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم الناسُ تسكلم رجالٌ من جُفَاةِ الأعراب بما فى أنفسهم من الضُّعْفِ فقال أبو سفيان صخر بن حرب - يعنى وكان إسلامه بعدُ مدخولاً وكانت الأزلام بعدُ معه يومئذ - قال : لا تنتهى هزيمتهم دونَ البحر ! وصرخ^(٣) كلدة جَبَلَة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعنى لأمه - وهو مُشْرِك ، فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطلَ السحرُ اليومَ ؛ فقال له صفوان : اسكت فضَّ الله فاك ، فوالله لأن يربَّنِي^(٤) رجلٌ من قريش أحب إلى من أن يربَّنِي رجل من هوازن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن

(١) الثقرة : السير فى مؤخر السرج .

(٢) ت : وخرج جبلة بن الحنبل كما فى ابن هشام

(٣) (٤) يربئى : يملكئى .

(٢) ١ : بغلته فقال .

عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، أن هوازن جاءت يومَ حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم ، فجعلوها صفوفًا ، يكثرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما التقوا ولَّى المسلمون مُدْبِرِينَ ، كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبادَ الله أنا عبد الله ورسوله » ثم قال : « يامعشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » .

قال : فهزم الله المشركين ولم يُضرب بسيف ولم يُطعن برمح .

قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : « من قتل كافرًا فله سَكْبُهُ » .

قال : فَقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم .

وقال أبو قتادة : يارسول الله إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درع له فاجهضت

عنه فانظر من أخذا . قال : فقام رجل فقال : أنا أخذتها فأرضيه منها وأعطينها ، قال :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُسأل شيئاً ألا أعطاه أو سكت . فسكت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : والله لا يُقيمها الله على أسيرٍ من أسيرِ الله ^(١) ويعطيكمها ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدقَ عمر » .

قال ولقي أبو طلحة أمَّ سُلَيْمٍ ومعهما خنجر ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا

منى بعضُ المشركين أن أبْعَجَ في بطنه ، فقال أبو طلحة : أمّا تسمع ما تقول أم سليم ؟

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله أقتل من بعدنا ^(٢) من

الطلاق انهزموا بك ، فقال : « إن الله قد كفَى وأحسنَ يأم سليم » .

وقد روى مسلم منه قصةَ خنجرِ أم سليم ، وأبو داود قوله : « من قتل قتيلاً فله سَكْبُهُ »

كلاهما من حديث حماد بن سلمة به .

وقول عمر في هذا مستغرب ، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا أبي حدثنا نافع

أبو غالب ، شهد أنس بن مالك فقال العلاء بن زياد العدوي : يا أبا حمزة بسنّ أيّ الرجال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنة قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتمت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنّ أيّ الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشبّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه . قال : يا أبا حمزة وهل غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم غزوت معه يوم حنين ففرج المشركون بكرة فحسبوا علينا ، حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فهزمهم الله فولوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى الفتح فجعل يُجاء بهم أسارى رجلا رجلا فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن عليّ نذراً لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنّ عنقه ، قال : فسكت نبي الله صلى الله عليه وسلم وحىء بالرجل ، فلما رأى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : يا نبي الله تبتُ إلى الله . قال : وأمست نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يبايعه ليوفي الآخر نذره ، قال : وجعل ينظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليأمره بقتله ويهابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يصنع شيئاً بآيحه ، فقال : يا نبي الله نذرى ؟ قال : « لم أمستُ عنه منذ اليوم إلا لتوفى نذرك » فقال : يا رسول الله ألا أومأت إلى ؟ قال : « إنه ليس لنبيّ أن يؤمى » .

تفرد به أحمد .

وقال أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين : اللهم إنك إن تشألا تعبد في الأرض بعد اليوم .

إسناده ثلاثي على شرط الشيخين ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخارى: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غُندَر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس: أفرزتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ - فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكتبنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام. ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بزمامها وهو يقول: أنا النبي لا كذب.

ورواه البخارى عن أبي الوليد عن شعبة به وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال البخارى: وقال إسرائيل وزهير يعنى عن أبي إسحاق، عن البراء، ثم نزل عن بغلته.

ورواه مسلم والنسائى عن بُندَار. زاد مسلم: وأبى موسى. كلاهما عن غُندَر به. وروى مسلم من حديث زكريا بن أبى زائدة، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: ثم نزل فاستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

« اللهم نزل نصرتك »

قال البراء: ولقد كنا إذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الشجاع الذى يُحاذى به.

وروى البيهقى من طرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: « أنا ابن العواتك ».

[وقال الطبرانى: حدثنا عباس بن الفضل الأسفاطى، حدثنا عمرو بن عوف الواسطى، حدثنا هُشيم، أنبأنا يحيى بن سعيد، عن عمرو بن سعيد بن العاص، عن شُبابة، عن

ابن عاصم السلمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين : « أنا ابنُ العواتك » ^(١)

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير بن أفلاج ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعتُ الدرعَ وأقبل على فُضْمْنِي ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلنى ، فلحقت عمر ، فقلت : ما بالُ الناس ؟ فقال : أمرُ الله .

ورجعوا وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلْبُهُ » فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت : من يشهد لى ثم جلست : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله . فقلت فقال : « مالك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته فقال رجل : صدق ، سَلْبُهُ عِنْدِي فَأَرْضِهِ مِنِّي . فقال أبو بكر : لاها الله إذا نَعَمَدَ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يِقَاتِلُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَيُعْطِيكَ سَلْبَهُ ؟ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صدق فأعطه » . فأعطانيه فابتعتُ به خِرْقَةً ^(٢) فى بنى سلمة فإنه لَأَوَّلُ مَالٍ تَأْتَلُمْتُهُ فى الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلا النسائى ، من حديث يحيى بن سعيد به .

قال البخارى : وقال الليث بن سعد : حدثنى يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن كثير ابن أفلاج ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرتُ

(١) من ت .

(٢) المخرف : السكة بين صفين من النخل .

إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يَحْتَلِه من ورائه ليقته ، فأسرعتُ إلى الذى يَحْتَلِه فرفع يده ليضربنى فأضربُ يده فقطعتها ، ثم أخذنى فضمّنى ضمّاً شديداً حتى تخوفتُ ، ثم نزل^(١) فتحلّل فدفعتُه ، ثم قتلتُه ، وانهزم المسلمون فانهزمتُ معهم ، فإذا بعمر بن الخطّاب فى الناس فقلت له : ما شأنُ الناس ؟ قال : أمرُ الله !

ثم تراجع الناس إلى رسول الله فقال رسول الله : «من أقام بينة على قتيل فله سَلَبه» فقامت لأتّمس بينة على قتيل فلم أر أحداً يشهد لى فجلست ، ثم بدا لى فذكرتُ أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلسائه : سلاحُ هذا القتيل الذى يذكرك عندى فأرضه منى . فقال أبو بكر : كلاً لا يعطه أُضَيِّع^(٢) من قريش ويدع أسداً من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله . قال : فقام رسول الله فأداه إلى فاشترت به نحرفاً ، فكان أول مالٍ تأثّلته .

وقد رواه البخارى فى مواضع آخر ومسلم ، كلاهما عن قتبية ، عن الليث ابن سعد به .

وقد تقدم من رواية نافع أبى غالب ، عن أنس ، أن القائل لذلك عمر بن الخطاب فلعله قاله متابعةً لأنى بكر الصديق ومساعدةً وموافقةً له ، أو قد اشتبهه على الراوى . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقى : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمّ ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثنى عاصم بن عمر عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومَ حنين حين رأى

(١) ت : ترك . (٢) الأضيغ : تصغير أضيغ ، وهو القصير الضبع ، ويكنى به عن الضيف . وتروى : أضيغ . وهو نوع من الطيور . القسطلانى ٦/٤٠٧ .

من الناس مارأى : « يا عباس ناد : يامعشر الأنصار يا أصحاب الشجرة » فأجابوه : لبيك لبيك . فجعل الرجل يذهب ليمطف بغيره فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه عن عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يؤمُّ الصوت ، حتى اجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقبلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار ، ثم جعلت آخراً للخزرج ، وكانو صُبراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلَد القوم فقال : « الآن حى الوطيس » .

قال : فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أموالهم وأبناؤهم .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة . وذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن الزهري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وأقر بها عيته ، خرج إلى هوازن وخرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ركبانا ومشاة ، حتى خرج النساء يشين على غير دين يُنظَّراً ينظرون ويرجون الفنائم ، ولا يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

قالوا : وكان ^(١) معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما .

قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النصري ومعه دُرَيْد بن الصِّمَّة يُرْعِش من السَّكْبَر ، ومعه النساء والذراري والنعم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حذرد عينا ، فبسات فيهم فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه : إذا

(١) ت : وقالوا : كان .

أصبحتم فاحملو عليهم حملة رجل واحد ، واكسروا أغماد سيوفكم ، واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً .

فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وصف الناس بعضهم لبعض ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم بفسلة له شهباء ، فاستقبل الصفوف فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح - إن صبروا - .

فبينما هم كذلك إذ حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد ، فجال المسلمون جولة ثم ولّوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرتُ من بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدبر الناس فقلت : مائة رجل .

قالوا : ومرّ رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً . فقال له صفوان : تبشّرني بظهور الأعراب ؟ فوالله لربّ من قريش أحب إليّ من ربّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك .

قال عروة : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال : سمعتم يقولون : يا بنى عبد الرحمن يا بنى عبد الله ، يا بنى عبيد الله . فقال : ظهر محمد . وكان ذلك شعارهم في الحرب .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غشيه القتال قام في الرّكابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعو ويقول : « اللهم إني أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينغي لهم أن يظهروا علينا » ونادى أصحابه وزمّهم^(١) : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله السكّرة على نبيكم » ويقال حرّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بنى الخزرج يا أصحاب سورة البقرة » وأمر من أصحابه من ينادي بذلك .

وقالوا : وقبض قبضةً من الحصباء فحصب بها وجوه المشركين ونواصيهم كلها وقال : « شأّت الوجوه » .

وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الآن حى الوطيس » فهزم الله أعداءه من كل ناحية حصبهم منها ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنمهم الله نساءً هم وذرائعهم ، وفرّ مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه .

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم وإعزازه دينه .
رواه البيهقي .

وقال ابن وهب : أخبرني يونس ، عن الزهري ، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب ، قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه . ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء أهداها له فزوة بن نفثة الجذامى ، فلما التقى الناس ولّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار ، قال العباس : وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أئى عباس ، ناد أصحاب السمرة » قال : فوالله لكانما عطفهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها ! فقالوا : يا لبيكاه . يا لبيكاه !

قال : فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة فى الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار . ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج .

فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ :
« هَذَا حِينَ حَجَّى الْوُطَيْسُ » ثُمَّ أَخَذَ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَ فِي وَجْهِهِ الْكَفَّارِ ، ثُمَّ قَالَ :
« انْهَزِمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ » قَالَ : فَذَهَبَتْ أَنْظَرَ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى ، قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا هُوَ إِلَّا أَنَّ رِمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّاهُمْ كَلِيلًا ،
وَأَمْرَهُمْ مُذْبِرًا .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الطَّاهِرِ ، عَنْ ابْنِ وَهَبٍ بِهِ نَحْوُهُ . وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ ،
عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ نَحْوُهُ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عِكْرَمَةَ بْنِ عَمَارٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ، عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنَيْنًا ، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ تَقَدَّمْتُ فَأَعْلَوْتُ نَيْفَةً
فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرَمِيهِ بِسَهْمٍ ، وَتَوَارَى عَنِّي فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ ، ثُمَّ نَظَرْتُ
إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ نِزْدِيَةِ أُخْرَى ، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَوَلَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرْجَعَ مِنْهُمْ مَعًا وَعَلَى بَرْدَتَانِ مُتَزَرِّ
بِأَحَدَاهُمَا مُرْتَدِّ بِالْأُخْرَى ، قَالَ : فَاسْتَطَلَقَ إِزَارِي لَجْمَعَتَهُمَا جَمِيعًا ، وَصَرَّحْتُ عَلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا مِنْهُمْ زَهْمٌ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءُ ، فَقَالَ : « لَقَدْ رَأَى ابْنُ
الْأَكْوَعِ فَرَعًا » .

فَلَمَّا غَشَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَنْ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبِضَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ مِنَ
الْأَرْضِ وَاسْتَقْبَلَ بِهِ وَجُوهَهُمْ وَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهَ » فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلَأَ
عَيْنِيهِ تَرَابًا مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ ، فَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ ، عَنْ يَمَلَى بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ بَسَّارٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْرِيِّ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

حين فسرنا في يوم قَائِظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشَّمر ، فلما زالت الشمس لبست
لأُمّتي وركبت فرسي ، فأُتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في فُسْطَاطِه فقلت : السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرَّواح يا رسول الله ؟ قال : « أَجَل » ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال » فنارَ من تحت سَمرة كأن ظله ظل طائر ،
فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك ! فقال : « أَسْرِج لي فرسي » فأتاه بدفتين من ليف
ليس فيهما أثر ولا بطر .

قال : فركب فرسه فسيرنا يومنا فلقينا العدو وتسامت الخيلان فقاتلناهم فولّى المسلمون
مُذْبِرِينَ كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا عباد الله أنا عبد
الله ورسوله » واقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه ، وحدثني من كان أقرب
إليه مني أنه أخذ حفنة من التراب فحنا بها وجوه العدو وقال : « شأهت الوجوه » .

قال يعلى بن عطاء : حدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقى أحدٌ إلا امتلأت عيناه
وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمرّ الحديد على الطّست الحديد ، فهزّمهم الله
عز وجل .

ورواه أبو داود السجستاني في سننه عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة
به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن
حصين ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : قال عبد الله
ابن مسعود : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولّى عنه الناس وثبت معه
ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولّهم
الدُّبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بقلته
يمضى قدماً ، فحدث به بقلته فمال عن السرج فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولني

كفاً من تراب « فضرب به وجوههم فامتلات أعينهم تراباً . قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » فهتفت بهم فجاءوا سيوفهم بأيامهم كأنها الشهب ، وولّى المشركون أديبارهم .
تفرد به أحمد .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري ، حدثنا أبو قلابة ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري ، عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر ، قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من حصي فرمى بها في وجوهنا فانهزمنّا .

ورواه البخاري في تاريخه ولم ينسب عياضاً .

وقال مسدد : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عوف بن عبد الرحمن مولى أم بُرثن ، عن من شهد حنيناً كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه فقالوا : شأهت الوجوه فارجعوا . فهزمنّا . ذلك الكلام .

رواه البيهقي .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو سفيان ، حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني محمد بن عبد الله الشعبي ، عن الحارث بن بدل النصري ، عن رجل من قومه شهد ذلك يوم حنين وعمر بن سفيان الثقفي قال : انهزم المسلمون يوم حنين فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عباس وأبو سفيان بن الحارث .

قال : فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من الحصباء فرمى بها في وجوههم . قال :
فانهزمنا فما خيّل إلينا إلا أن كلَّ حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يطلبنا ، قال الثقفى : فأعجرت^(١)
على فرسى حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بكير في مغازيه ، عن يوسف بن صهيب بن عبد الله ، أنه لم يبق
مع رسول الله يوم حنين إلا رجل واحد اسمه زيد .

وروى البيهقي من طريق الكدّيني ، حدثنا موسى بن مسعود ، حدثنا سعيد بن
السائب بن يسار الطائفي ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر الشوّائي أنه قال
عند انكشافه انكشفها المسلمون يوم حنين : فتبعهم الكفار وأخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبضة من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا
شاهت الوجوه » فما أحدٌ يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذًى في عينيه .

ثم روى من طريقين آخرين عن أبي حذيفة ، حدثنا سعيد بن السائب بن يسار
الطائفي ، حدثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامر الشوّائي - وكان شهيد
حينئذٍ مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب
المشركين يوم حنين : كيف كان ؟ قال : فكان يأخذنا بحصاة فيرمي بها في الطست
فيطن ، قال : كننا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : حدثنا
أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد بن بكير الحضرمي ، حدثنا أبو أيوب
ابن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجت مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أُبَيْتُ أن تظهر هَوازُنُ على قريش ! فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله إني أرى خيلاً بُلِقًا ، فقال : « ياشيبة إنه لا يراها إلا كافر » فضرب يده في صدرى ثم قال : « اللهم اهد شيبة » ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبة » ثم ضربها الثالثة ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . قال : فوالله مارفع يده عن صدرى في الثالثة حتى ما كان أحد من خلق الله أحب إلى منه .

ثم ذكر الحديث في التقاء الناس وانهزام المسلمين ونداء العباس واستنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقي : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قد عَرِيَ ، ذكرت أبي وعي وقتل على وحمزة إياها ، فقلت : اليوم أدرك ثأرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله . قال : ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورةً بالسيف إذ رُفِعَ شَواظ من نار بيني وبينه كأنه برق ، نَخَفْتُ أن يَمَحْشَنِي ^(١) ، فوضعت يدي على بصرى ومشيت القهقري ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ياشيب ادن مني ، اللهم اذهب عنه

(١) يمحشني : يحرقني .

الشيطان» قال : فرفعت إليه بصرى ولهم أحب إلى من سمى وبصرى . فقال :
« يا شيب قاتل الكفار » .

وقال ابن إسحاق : وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار قلت :
اليوم أدرك ثأرى - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمد . قال : فأدبرت
برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادى فلم أطلق ذاك وعلمتُ
أنه ممنوع منى .

وقال محمد بن إسحاق : وحدثني والدى إسحاق بن يسار ، عن حدثه ، عن جبير
ابن مطعم قال : إننا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والناس يقتتلون
إذ نظرتُ إلى مثل البجاد^(١) الأسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ،
فإذا نملٌ منور قد ملأ الوادى ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فأكنا نشتكُ
أنها الملائكة .

ورواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن
بكير ، عن ابن إسحاق به .

وزاد فقال : خديج بن العرجاء^(٢) النصرى - يعنى فى ذلك - :

ولما دَبُونَا من حنينٍ ومأته رأينا سواداً منكراً اللون أخضفاً^(٣)
بملومةٍ شهباء لو قد فُوا بها شامخٍ من عروى إذا عادَ صفصفاً^(٤)
ولو أن قوى طاعننى سراتهم إذا ما لقينا المارض المتكشفاً
إذا ما لقينا جندَ آلِ محمد ثمانين ألفاً واستمدوا بخندفاً

(١) البجاد : كساء من صوف . (٢) ت : العوجاء .

(٣) الأخصف : الذى فيه بياض (٤) الملومة : الكتبية . والبيضاء : الكتيرة السلاح . والشامخ :
الأعلى . وفى ابن هشام : شامخ من عزوى .

وقد ذكر ابن إسحاق من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغا يرتجز ويقول :

أقدم محاجُ إنه يومٌ نُكِّرُ	مثلُ على مثلكَ يَحْمِي وَيَكْرُ
إذا أُضِيعَ الصَّفُّ يوماً والدُّبُرُ	ثم احزألت زمر بعد زمر ^(١)
كتائبٌ يكلُّ فيهنَّ البصرُ	قد أظعن الطعنة تقذى بالسُّبُر ^(٢)
حين يذم المستكن المنجحرُ	وأظعن النجلاء تعوى وتهر ^(٣)
لها من الجوف رشاشٌ منهمر	تفحق تاراتٍ وحيناً تنفجرُ
وتعلبُ العامل فيها منكسر	يازيده يابن هههم أين تفر ^(٤)
قد نفذ الضُّرسُ وقد طال العُمر	قد علم البيض الطويلات الخمرُ
أنى في أمثالها غيرُ غمرُ	إذ تُخرج الحاصن من تحت الستر

وذكر البيهقي من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولَّى أصحابه منهزمين وذلك قوله بعد ما أسلم وقيل هي لغيره :

اذكر مسيرهم والناس كلهم	ومالكٌ فوقه الراياتُ تَحْتَفِقُ
ومالك مالكٌ مافوقه أحدٌ	يوم حنين عليه التاج بَأْتَقُ
حتى لقوا الناس حين البأس يُقْدُمهم	عليهم البيض والأبدان والدَّرَقُ
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً	حول النبيّ وحتى جنّه الفسقُ
حتى تنزل جبريلٌ بنصرهم	فالقومُ منهزمٌ منا ومُعتَلَقُ

(١) احزألت : ارتفعت . والزمر : الجماعات . (٢) تقذى : تقذف : والسُّبُر : جمع سباروم

القتيل يسير به الجرح .

(٣) المنجحر : المستتر . والنجلاء : الطعنة المنسعة . تعوى وتهر : ينفذ منها الدم بصوت .

(٤) التعلب : ما دخل من عصا الرمح في جبة السنان . والعامل : أعلى الرمح .

مَقًا وَلَوْ غَيْرَ جَبْرِيلَ يِقَاتِلُنَا لَمَفَعْتُنَا إِذَا أَسْيَافُنَا الْفَلَقُ
 وَقَدْ وَفَى عَمْرُ الْفَارُوقِ إِذْ هُزِمُوا بَطْعَةً كَانَ مِنْهَا سِرْجُهُ الْعَلَقُ
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ وَأَمَكَّنَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْهُمْ قَالَتِ امْرَأَةُ
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَقَدْ أَشَدَّنِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الرِّوَايَةِ لِلشَّعْرِ :

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا انْهَزِمَتْ هَوَازِنُ اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ مِنْ ثَقِيفٍ فِي بَنِي مَالِكٍ ،
 فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا تَحْتَ رَايَتِهِمْ ، وَكَانَتْ مَعَ ذِي الْحِجَارِ ، فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَهَا عُمَانُ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَبِيبٍ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ ، فَأَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ
 وَهَبٍ أَنَّ الْأَسْوَدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُهُ قَالَ : « أَبْعَدَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ
 يُبَغِضُ قَرِيضًا » .

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ عَتَبَةَ ، أَنَّهُ قَتَلَ مَعَ عُمَانَ هَذَا غُلَامًا لَهُ نَصْرَانِي ،
 فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَسْلُبَهُ فَإِذَا هُوَ أَغْرُلٌ ، فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ إِنْ
 ثَقِيفًا غُرُلًا !

قَالَ النُّعَيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ الثَّقَفِيِّ : فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَخَشِيتُ أَنْ تَذْهَبَ عَنَّا فِي الْعَرَبِ ، فَقُلْتُ :
 لَا تَقُلْ كَذَلِكَ فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، إِنَّمَا هُوَ غُلَامٌ لَنَا نَصْرَانِي . ثُمَّ جَعَلْتُ أَكْشِفُ لَهُ الْقَتْلَ فَأَقُولُ
 لَهُ : أَلَا تَرَاهُم مُخْتَنَدِينَ كَمَا تَرَى ؟

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَتْ رَايَةُ الْأَحْلَافِ مَعَ قَارِبِ بْنِ الْأَسْوَدِ ، فَلَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ أَسْفَدَ
 رَايَتَهُ إِلَى شَجَرَةٍ وَهَرَبَ هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ وَقَوْمُهُ ، فَلَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْأَحْلَافِ غَيْرَ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ
 مِنْ بَنِي غَبَرَةَ يُقَالُ لَهُ وَهَبٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ كُبَّةَ يُقَالُ لَهُ الْجَلَّاحُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم حين بلغه قتل الجَلَّاح : « قُتل اليوم سيدُ شبابِ ثَقِيف إلا ما كان من ابنِ هُنَيْدَة »
يعنى الحارث بن أَوْيس .

قال ابن إسحاق : فقال العباس بن مِرْدَاس يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى
أبيه وذا الخَمَار وحَبَسَه نفسه وقومَه للموت :

ألا مَنْ مبلغ غَيْلانَ عَنِّي	وسوف إخالُ يأتيه الخبيرُ
وعُرْوَة إِنما أَهْدَى جواباً	وقولاً غيرَ قولكما يسيرُ
بأنَّ محمداً عبدُ رسول	لِرَبِّ لا يضلُّ ولا يَجورُ
وجدناه نبياً مثْلَ موسى	فكلُّ فتى يُخَايِرُه نَخِيرُ ^(١)
وبئس الأمرُ أمرُ بنى قَسِيٍّ	بوجَّحٍ إِذا تُقسِّمَتِ الأمورُ
أضاعوا أمرهم ولسكلِّ قوم	أُميرُ والدوائر قد تدورُ
فجئنا أسدَ غاباتٍ إليهم	جنودُ الله ضاحيةٌ تسيرُ
نؤمُّ الجمعَ جمعَ بنى قَسِيٍّ	على حَنَقٍ نكادله نَطِيرُ
وأقسم لو هم مكثوا لَسَرْنَا	إليهم بالجنود ولم يَفرِّوا
فكفنا أسدَ لِيَّةٍ نَمَّ حتى	أبجناها وأسلمتِ النُّصورُ ^(٢)
ويومٌ كان قَبْلُ لَدَى حنينٍ	فأقلعَ والدماه به تَمورُ
من الأيام لم تَسمعَ كيومٍ	ولم يَسمعَ به قوم ذُكُورُ
قتلنا في الغُبَّارِ بنى حُطَيْطٍ	على راياتها والخيلُ زُورُ ^(٣)
ولم يكْ ذُو الخمارِ رئيسَ قوم	لهم عقلٌ يعاقبُ أو نَكِيرُ
أقام بهم على سَنَنِ المَنَايا	وقد بانَتْ لمُبصرها الأمورُ

(١) يُخَايِرُه : يزعم أنه خير منه . ونَخِيرُ : مغلوب في تخايرته .

(٢) لِيَّةٍ : موضع قريب من الطائف . والنُّصور : رهط مالك بن عوف النضري .

(٣) زور : جمع أזור وهو المائل .

فأفلت من نجامهم حريضاً وقتل منهم بشرٌ كثير^(١)
ولا يفي الأمور أخواتوانى ولا الفلق الصريرة الحصور^(٢)
أحانهم وحان وملكوه أمورهم وأفلتت الصقور
بنو عوف تميح بهم جيادُ أهين لها الفصافصُ والشعير^(٣)
فلولا قاربٌ وبنو أبيه تقسّمت المزارعُ والقصورُ
ولسكن الرياسة عموها على يمين أشار به المشيرُ
أطاعوا قارباً ولهم جدودُ وأحلام إلى عزّ نصيرُ
فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ماسمّر السّмирُ
فإن لم يسلموا فهم أذانُ بحرب الله ليس لهم نصيرُ
كما حكّت بنى سعد وجرّت برهط بنى غزيرة عنقفير^(٤)
كأن بنى معاوية بن بكر إلى الإسلام ضائنة تحورُ
فقلنا أسلموا إنا أخوكم وقد برئت من الإحن الصدورُ
كأن القوم إذ جاءوا إليفا من البغضاء بعد السّلم عورُ

فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النصرى على ثنية مع طائفة من أصحابه فقال : قفوا حتى تجوزَ ضعفاؤكم وتلحق أخراكم .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعى رماحهم بين آذان خيلهم طويلة بوادهم^(٥) . فقال :

(١) الحريض : المشرف على الهلاك .

(٢) الفلق : القليل الحيلة .

(٣) الفصافص : جمع نصفصة وهي البقلة التي تأكلها الدواب .

(٤) العنقفير : الداهية .

(٥) البواد : جمع باد وهو بطن الفخذ .

هؤلاء بنو سليم ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تنبئهم ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضين رماحهم أغفالاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم ، ثم طلع فارس فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل الباد واضعاً رمحاً على عاتقه عاصباً رأسه بملاء حمراء . قال : هذا الزبير ابن العوام ، وأقسم باللات ليخالطنكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم فصمد لهم فلم يزل يُطاعنهم حتى أراحهم عنها .

فصل

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفنائم فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجمرانة فتُحس هناك .
قال ابن إسحاق : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفنائم مسعود بن عمرو الغفاري .

فصل

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ يومئذ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصِّفون^(١) عليها ، فقال لبعض أصحابه « أدرك خالدًا فقل له : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيًفاً » .
هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

(١) متقصِّفون : مجتمعون .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، حدثني المرقع بن صيفي ، عن جده رباح بن ربيع أخى بنى حنظلة الكاتب ، أنه أخبره أنه رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فمرّ رباح وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتمجبون من خلقها ، حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما كانت هذه لتقاتل ! » فقال لأحدهم : « الحق خالداً قتل له : » « لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المرقع بن صيفي به نحوه .

غزوة أوطاس

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقةٌ منهم فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى فلجأوا إلى الطائف فتحصَّنوا بها ، وسارت فرقة فمسكرُوا بِمَكَانٍ يُقالُ له أوطاس ، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً من أصحابه عليهم أبو عامر الأشعري فقاتلهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة لخاصرة أهل الطائف . كما سيأتى .

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون يوم حنين أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجسه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك الثنايا .

قال : فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهان السلمي ويعرف بابن الدغنة - وهى أمه - دريد بن الصمة فأخذ بخطام جماله وهو يظن أنه امرأة وذلك أنه فى شجر لهم ، فإذا برجل ، فأناخ به فإذا شيخ كبير وإذا دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمي . ثم ضربه بسيفه فلم يُغن شيئاً ، قال : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر رَحْلى فى الشجر ، ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإنى كذلك كمت أضرب الرجال ! ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فربَّ والله يومٍ منعتُ فيه نساءك ! فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوق وقع تسكَّشَفَ فإذا عجَّانه ^(١) وبطون فخذه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل إعرَاء .

(١) العجان : ما بين الحصى والدبر .

فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

ثم ذكر ابن إسحاق مارثت به عمرة بنت دُرَيْد أباهما فمن ذلك قولها :

قالواقتلنا دُرَيْداً قلت قد صدقوا فظلّ دمي على السربال ينحدر^(١)
لولا الذي قهر الأقوام كلهم رأت سليم وكعب كيف ياتمر
إذن اصبحهم غيباً وظاهرة حيث استقرت نواهم جحفل ذفر^(٢)

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ففشاوشوه القتال فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري وهو ابن عمه فقاتلهم ففتح الله عليه وهزمهم الله عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دُرَيْدهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وقال :

إن تسألوا عني فإني سلمه ابن ممدير لمن تواسمه^(٣)

أضرب بالسيف رموس المسلمه

قال ابن إسحاق : وحدثني من أثنى به من أهل العلم بالشعر وحديثه أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر .

ثم حمل عليه آخر فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة وبقي العاشر ،

(١) السربال : القميص .

(٢) غيباً : يوماً بعد يوم . والظاهرة : أن يصحبهم كل يوم . والجحفل : الجيش الكثيف . والذفر : المنقير الرائحة من صدأ الحديد .

(٣) السمدير : ضعف البصر أو شيء يقرأى للإنسان من ضعف بصره .

فحمل على أبي عامر وحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد على . فكف عنه أبو عامر فأقلت فأسلم بعد فحسن إسلامه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامر » .

قال : ورمى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث من بني جُشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولى الناس أبو موسى حمل عليهما فقتلها ، فقال رجل من بني جُشم [بن معاوية] ^(١) يرثيها :

إِنَّ الرِّزْيَةَ قَتَلَ الْعَلَاءُ ، وَأَوْفَى جَمِيعًا وَلَمْ يُسْنَدَا
هَما الْقَاتِلَانِ أَبَا عَامِرٍ وَقَدْ كَانَ دَاهِيَةً أَرْبَدَا ^(٢)
هَما تَرَكَاهُ لَدَى مَعْرِكٍ كَأَنَّ عَلَى عِطْفِهِ مُجَسَّدَا ^(٣)
فَلَمْ يَرَ فِي النَّاسِ مِثْلِهِمَا أَقْلَ عِشَارًا وَأَرْمَى يَدَا

وقال البخارى : حدثنا محمد بن العلاء ، وحدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ فقتل دريد وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثنى مع أبي عامر ، فرمى أبو عامر في ركبته ، رماه جُشمى بسهم فأنبته في ركبته . قال : فأنتهيت إليه فقلت : يا عم من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلى الذى رمانى . فقصدت له فلحقته ، فلما رآنى ولى فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحى ألا تدبى ؟ فكف فاخلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبي عامر : قتل الله صاحبك ، قال : فانتزع هذا السهم . فزعمته فنزأ منه الماء . قال : يا بن أخى أقرئ

(١) من ابن هشام .

(٣) المجسد : التوب المصبوغ بالزعفران .

(٢) الأربد : الأسد أو الحية الخبيثة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم السلامَ وقل له : استغفر لى .

واستخلفنى أبو عامر على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات . فرجعتُ فدخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته على سرير مُزَمَّلٍ وعليه فراش قد أثرَ رمال السرير بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبى عامر وقوله : قل له : استغفر لى . قال : فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعبيد أبى عامر » ورأيت بياضَ إبطيه ثم قال : « اللهم اجمعنه يوم القيامة فوقَ كثيرٍ من خلقك - أو من الناس » فقلت : ولى فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » .

قال أبو بردة : إحداهما لأبى عامر والأخرى لأبى موسى رضى الله عنهما .
ورواه مسلم عن أبى كريب محمد بن العلاء ، وعبد الله بن أبى براد ، عن أبى أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان - هو الثورى - عن عثمان البتي ، عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : أصبنا نساءً من سبى أو طاس ولهن أزواج ، فكرهنا أن تقع عليهن ولهن أزواج ، فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : « والحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » قال : فاستحللنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان البتي به . وأخرجه مسلم فى صحيحه من حديث شعبة ، عن قتادة عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى . وقد رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث سعيد بن أبى عروبة ، زاد مسلم وشعبة والترمذى من حديث همام عن يحيى ، ثلاثهم عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن أبى علقمة الهاشمى عن أبى سعيد ، أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سبايا يوم أو طاس لهن

أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا وتأنموا من غشيانهن ، فزلت هذه الآية في ذلك : « والحَصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » .

وهذا لفظ أحمد بن حنبل . فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمي ، وهو ثقة وكان هذا هو المحفوظ والله أعلم .

وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بَيْعِ الأُمّة طلاقُها . روى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس وسعيد بن المسيّب والحسن البصري .

وخالفهم الجمهور مستدلّين بحديث بُريرة حيث بيعت ثم خيّرَت في فسّخ نكاحها أو إبقائه ، فلو كان بيعها طلاقا لها لما خيّرَت .

وقد تقصينا الكلام على ذلك في التفسير بما فيه كفاية . وسنذكره إن شاء الله في الأحكام الكبير .

وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأُمّة المشتركة بهذا الحديث في سبأيا أو طاس . وخالفهم الجمهور وقالوا : هذه قضية عَنِينَة ، فلعلهم أسلمن أو كن كتابيات . وموضع تقرير ذلك في الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى .

فصل فيمن استشهد يوم حنين وبسرية أو طاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أيمن بن عبيد ، وزيد بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمّح به فرسه الذي يقال له الجفاح فُات ، وسراقة ابن مالك بن الحارث بن عدى الأنصاري من بني المعجلان ، وأبو عامر الأشعري أمير سرية أو طاس ، فمؤلاء أربعة رضى الله عنهم .

فصل فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بُحَيْر بن زهير بن أبي سلمى :

لولا الإله وعنده وليتم حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبانٍ
بالجزع يومَ حيالنا أقراننا وسوايحُ يَكْبُونُ للأذقانِ
من بين سحابة ثوبه في كفه ومقطرُ بسنابكِ ولَبَانٍ^(١)
والله أكرمنا وأظهر ديننا وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرَّق جمعهم وأذلهم بعبادة الشيطانِ

قال ابن هشام : وبروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عمُّ نبيكم ووليُّه يَدْعُونَ يَا لَكُتَيْبَةَ الْإِيمَانِ
أين الذين هم أجابوا رهم يومَ العريضِ وبيعةِ الرضوانِ
وقال عباس بن مرداس السلمي :

فإني والسوايحُ يومَ جمعٍ وما تلو الرسولُ من الكتابِ
لقد أحبيتُ ما لقيتُ ثقيفَ يحجبُ الشعبُ أمس من العذابِ
همُ رأسُ العدو من أهل نجد فقَتَلهمُ الذُّ من الشرابِ
هزَمنا الجمعَ جمعَ بني قسيٍّ وحَكَّتْ بَرَكها يَبْنِي ثَابِ^(٢)
وصيرمنا من هلالِ غادرهم بأوطاس تُعَفِّرُ بالترابِ
ولم لاقين جمعَ بني كلابِ لقام نساؤهم والنَّعْعُ كَابِ^(٣)
رَكضنا الخيلَ فيهم بين بسٍ إلى الأورالِ تَفْحَطُ بالنَّهَابِ^(٤)

(١) المقطر : الملقى على أحد قطريه ، أى أحد جانبيه . والسنايك : أطراف الحوافر . واللبان : الصدر .

(٢) البرك : الصدر . وحكت بركها : كناية عن شدة الحرب .

(٣) النقع : الفبار . والسكابي : المرتفع .

(٤) بس : جبل قرب ذات عرق . والأورال : أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل وتنحط : تخرج صوتا من الثقل والإعياء والنهَاب : الغنائم

بذى لجب رسول الله فيهم

كتيبتُهُ تَعَرَّضُ لِلضَّرَابِ

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتم النبأ إنك مُرْسَلٌ
 إن الإله بنى عليك محبة
 ثم الذين وقوا بما عاهدتهم
 رجلاً به ذربُ السلاح كأنه
 يَفْشَى ذوى النسب القريب وإِذَا
 أنبئك أنى قد رأيت مَكْرَهُ
 طَوْرًا يعانق باليدين وتارة
 [يَفْشَى به هامَ الكُماة ولو ترى
 وبنو سليم مُعْتَقُونَ أمامه
 يمشون تحت لوائه وكأنهم
 ما يَرْتَجِمُونَ من القريب قرابة
 هذى مَشاهدنا التى كانت لنا
 وقال عباس بن مرداس أيضاً ^(٤) :

عفاً مَجْدُلٌ من أهله فَمَتَالَعُ
 ديار لنا يا جُلْ إذ جُلْ عِشْنَا
 حُبِيْبَةُ أُلُوتْ بها غُرْبَةُ النَّوَى
 فطلى أريك قد خلا فالمصانع ^(٥)
 رَخِيْ وَصَرَفُ الدَّهْرِ لِحَى جَامِعُ
 لَبِيْنُ فُهْلٍ ماضٍ من المِيشِ راجِعُ

(١) الذرب : الحدة والضاء . وتكفنه : أحاط به .

(٢) من ابن هشام . (٣) معنقون : مسرعون . والدراك : الطعن المتتابع .

(٤) من هنا إلى آخر هذا الفصل سقط من ت .

(٥) مجدل ومتالع : موضعان . والمطل : يقصر ويمد : مسيل ضيق من الأرض . أو الأرض السهلة

وأريك : واد .

فَإِنْ تَبَتُّغَى الْكَفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَفَدِيرُ عَلَمَتِهِمْ خُزَيْمَةُ وَالْمُرَّارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
فَجَنَّتْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ كَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ رَائِعُ
نُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَبِينَ وَإِنَّمَا يَدَ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نُبَايَعُ
مُحْسِنُنَا مَعَ الْمَهْدَى مَكَّةَ عَنُودَ بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ
عِلَانِيَّةٍ وَالْخَلِيلُ يَنْفُشِي مَتُونَهَا حَمِيمٌ وَأَنَّ مِنْ دَمِ الْجُوفِ نَاقِعُ
وَيَوْمَ حَنِينٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازُنُ إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالْأَنْفُوسِ الْأَضَالِعُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكَ لَا يَسْتَفْزِئُنَا قِرَاعُ الْأَعَادَى مِنْهُمْ وَالْوَقَائِعُ
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَخَفَّقُ فَوْقَنَا لَوَاءُ كَخْذُرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعُ^(١)
عَشِيَّةَ ضَحَّاكَ بْنِ سَفْيَانَ مُعْتَصٍ بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ^(٢)
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى مِصَالًا لَكُنَّا الْأَقْرَبِينَ مُتَابِعُ^(٣)
وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْمَهْدَى وَالْشِرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ دَافِعُ
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضًا :

تَقَطَّعَ بَاقِي وَصَلُ أُمَّ مُؤْمِلٍ بَعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلَتْ رِيَّةً خَلْفًا^(٤)
وَقَدْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ لَا تَقَطَّعَ الْقَوَى فَمَا صَدَقْتَ فِيهِ وَلَا بَرَّتْ أَلْفًا
خُفَافِيَّةٌ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِيَةِ وَجَرَّةٌ فَالْعُرْفَا^(٥)
فَإِنْ تَتَّبِعِ الْكَفَّارَ أُمَّ مُؤْمِلٍ فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَاقِيهَا شَفَمَا

(١) الخذروف : برق لامع في السحاب .
(٢) معتص : ضارب . والسكانج : القريب .
(٣) يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس كما أن هوازن من قيس . والمصال : مفعول من الصولة .
(٤) نية : من النوى وهو البعد .
(٥) الخفافية : نسبة إلى خفاف : حى من سليم والبادون : المقيمون في البادية .

وسوف يُنبئها الخبيرُ بأننا
وأنا مع الهادي النبي محمد
بفتيان صدق من سليم أعزة
خفاف وذكوان وعوف تخالمهم
كان نسيج الشهب والبيض مُلبس
بنا عزٌ دينُ الله غير تنحل
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا
على شخص الأبحار تحسب بينها
غداة وطئنا المشركين ولم نجد
بمعترك لا يسمع القوم وسطه
ببيضٍ نظير الهام عن مُستقرها
فكائن تركنا من قتيل ملحَّب
رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي
وقال عباس أيضاً رضى الله عنه :

ما بال عينك فيها عائرٌ سهرٌ
عينٌ تآوبها من شجوها أرقٌ
كأنه نظمٌ دُرٌّ عند ناظمه
يأبعد منزلٍ من ترجو مودته
مثل الحماطة أغصى فوقها الشفرُ^(١)
فالماء يغمرها طوراً وينحدرُ
تقطع السلكُ منه فهو مُنقثرُ
ومن أتى دونه الصَّمان فالحفرُ^(٥)

(١) القصف : المسترخية أجفانها على أعينها غضبا وكبرا .

(٢) الزجة : النيسة بكامة . والنقف : كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد الضرب .

(٣) الملحَّب : المقطع

(٤) العائر : كل ما أعل العين : والحماطة : عشب خشن المس أو تبن الذرة . والشفر : أصل منبت

(٥) الصمان والحفر موضعان .

الشعر في الجفن

دَعُ ما نَقَدَّه من عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ وَلَى الشَّبَابُ وَزارَ الشَّيْبُ وَالزَّعْرُ^(١)
واذْ كَرِ بلاءَ سُلَيْمٍ في مَواطِنِها وفي سُلَيْمٍ لأهلِ الفَخْرِ مُفْتَخِرُ
قَوْمٌ هُمُ نَصَرُوا الرِّحْمَنَ وَاتَّبَعُوا دِينَ الرِّسُولِ وأَمَرَ النَّاسَ مُشْتَجِرُ
لَا يَفْرُسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسَطَهُم وَلَا تَخَاوَرُ في مَشْتاهِمِ البَقْرِ^(٢)
إِلَّا سَوابِحَ كَالْمُعْبانِ مُقَرَّبَةً في دَارَةِ حَولِها الْأَخْطارُ وَالْمَكْرُ^(٣)
تُدْعَى خُفَّافَ عَوفٍ في جَوانِبِها وحى ذَكَوانِ لا مِيلُ ولا ضَجْرُ
الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشَّرْكِ ضاحِيَةً بِيْطَنِ مَكَّةَ والأرواحُ تُبْتَدِرُ
حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلانَهُمُ كَأَنَّهُمْ نَخْلٌ بِظاهِرَةِ البَطْحاءِ مُنْفَعِرُ
وَنَحْنُ يَوْمَ حَنِينٍ كانَ مَشْهَدُنَا لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مَذْخَرُ
إِذْ نَرَكِبُ المَوْتَ مُخْضَرًّا بِطائِفِهِ وَالخَيْلُ يَنْجَبُ عَنْها ساطِعُ كَدِرُ
تَحْتَ اللَّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقدُمُنا كَأَمْشَى اللَّيْثِ في غابائِهِ الْخَلْدِرُ
في مَأْزِقٍ مَن تَجَرَّ الحَرْبُ كَلَمَها تَكَادُ تَأْفِلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطاسِ أُسْنَتِنَا اللَّهُ نَنْصَرُ مِنْ شَتْنِنا وَنَنْتَصِرُ
حَتَّى تَأْوُبَ أَقْوامُ مَنازِلِهِمْ لَوْلَا المَلِيكُ وَلَوْلانا ما صَدَرُوا
فَما تَرى مَعشراً قَلَّوا ولا كَثَرُوا إِلَّا قَدْ أَصْبَحَ مَنا فِيهِمْ أَثَرُ
وَقَالَ عَبَّاسٌ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يا أَيُّها الرِّجُلُ الَّذِي سَهِىَ بِهِ وَجَنائِهِ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِزِّ مَسْ^(٤)

(١) الزعر : قلة الشعر .

(٢) الفسيل : صغار النخل . والتعاور : ارتفاع أصوات البقر من الحوار .

(٣) المقربة : التي تدنى وتقرب وتسكرم ولا تترك . والدارة : العرصة ، وكل أرض واسعة بين جبال والعكر والأخطار : الإبل الكثيرة .

(٤) الوجناء : البارزة الوجنات ، والمناسم : أطراف خف البعير والحجرة : المستوية . والعريس : الناقة الشابة .

إِمَّا أُتِيتَ عَلَى النَّبِيِّ فَقُلْ لَهُ
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَىَّ وَمَنْ مَشَى
إِنَّا وَفِينَا بِالذِّى عَاهَدْتَنَّا
إِذْ سَالَ مِنْ أَفْنَاءِ بُهْمَةٍ كُلِّهَا
حَتَّى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَيَلْقَا
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فَوْقَهُ
يُرْوَى الْقَنَاءَ إِذَا تَجَاسَرَفَى الْوَعَى
يَغْشَى الْكِتَابَةَ مُعَلِّمًا وَبِكْفِهِ
وَعَلَى حُنَيْنٍ قَدْ وَفَى مِنْ جَمْعِنَا
كَانُوا أُمَامَ الْمُؤْمِنِينَ دَرِيَّةَ
نَمْضَى وَيَحْرُسُنَا الْإِلَهِ بِحِفْظِهِ
وَلَقَدْ حُبِسْنَا بِالْمُنَاقِبِ مُحْبَسًا
وَعِدَاةَ أَوْطَاسٍ شَدَدْنَا شَدَّةَ
تَدْعُو هَوَازِنَ بِالْأَخَوَةِ بَيْنِنَا
حَتَّى تَرْكُنَا جَمْعَهُمْ وَكَانَهُ
وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَنْ مُبْلَغُ الْأَفْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَامَا

(١) تقدع : تسكيح . وتضرس : تبحر .

(٢) بهمة : حى من سليم . والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز .

(٣) الأشوس : المتكبر .

(٤) الدخال : نسج الدرع .

(٥) المدعس : السريع الطعن .

(٦) الدريئة : الكتبية المدافعة .

دعا ربّه واستنصر الله وحده
سَرِينَا وواعِدنا قُديداً محمداً
تَمَارَوْا بنا في الفجر حتى تَبَيَّنُوا
على الخيل مُشْدوداً علينا دروعنا
فإن سَراةَ الحَيِّ إن كنت سائلاً
وجنْدُ من الأنصار لا يَخذُلونه
فإن تك قد أَمَرْتَ في القوم خالداً
بجندٍ هداه الله أنت أَمِيرُهُ
حَلَفْتُ يَمِيناً بِرَّةٍ لِحَمْدِ
وقال نبيُّ المؤمنين تقدّموا
وبِتَنَّا بِنَهْيِ المُستدِيرِ ولم يكن
أَطعناك حتى أسلم الناسُ كلهم
يُضِلُّ الحِصَانُ الأَبْلَقُ الوَرْدُ وَسَطُهُ
سَمُونًا لهم وَرَدَ القَطَا زَفَّهُ ضَحَى
لَدُنْ غُدُوِّهِ حتى تركنا عَشِيَّةً
إِذَا شِئْتَ من كُلِّ رَأْيٍ طِمْرَةً
وقد أحرزتُ منا هَوازِنُ سِرْبِهَا
فأصبح قد وَفَى إِلَيْهِ وَأَنعَمَ
يَوْمٌ بنا أَمراً من الله مُنْجِماً
مع الفجر فتياناً وَغاباً مُقَوِّماً
وَرَجَلاً كدُفَاعِ الأَتِيِّ عَرْمَماً^(١)
سُليم وفيهم منهم من تسَلَّمَ
أَطاعوا فما يَعْصونه ما تَكَلَّمَ
وقدَّمته فإنه قد تَقَدَّمَ
تُصِيبُ به في الحق مَنْ كان أَظْلَمًا
فأَ كَلَمَها أَلْفًا من الخيل مُلْجِماً
وَحُبٌّ إِلَيْنَا أن نَكُونَ المُقَدِّماً
بنا الخوفُ إلا رَغْبَةً وَتَحْزُماً^(٢)
وحتى صَبَحْنَا الجَمْعَ أَهْلَ يَأْمَلَا
ولا يطمئن الشيخ حتى يُسَوِّمًا
وكلُّ تَراهِ عن أخيه قد أَحْجَمَا
حُنيئاً وقد سالت دَوامَهِ دَمًا
وفارسها يَهْوَى وَرَحْمًا مُحْطَمًا^(٣)
وَحُبٌّ إِلَيْهَا أن نَحْبِيبَ وَنُحْرَمًا

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضا ، وقد حصل ما فيه كفاية من ذلك . والله أعلم .

(١) الرجل : المشاة . والآتي : السيل الغريب . والدفاع : ما يدفعه السيل .

(٢) التهي : الغدير . (٣) الطمرة : الفرس السريعة الجري .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة الطائف

قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وحاصر الطائف في شوال سنة ثمان .

وقال محمد بن إسحاق : ولما قدم قلث ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيَيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتبعان صنعة الدبابات والجانيق والضُّبُور^(١) .

قال : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك في ذلك :

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ	وخيبر ثم أجمعت السيفاً
نَحْيِرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ	قواطعهم : دوساً أو ثقيفاً
فَلَسْتُ لَخَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	بساحة داركم منها ألوفاً
وَنَفْتَزِعُ الْعُرُوشَ بِيْطَانٍ وَجٍّ	وتصبح دوركم منكم خلوفاً
وَيَأْتِيَكُمُ لَنَا مَرَعَانُ خَيْلٍ	يفادر خلفه جمعاً كشيفاً
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمْعَمٍ	لها مما أناخ بهما رجيفاً
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضٍ مُرْهَفَاتٍ	يزرن المصطالين بها الختوفاً

(١) الضبور : الدبابات التي تقرب للحصون لتتقب من تحتها

كَأَمْثَالِ الْعَقَاتِقِ أَخْلَصْتُمْهَا قَبِيونُ الْهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيفًا ^(١)
 تَحَالِ جَدِيَّةُ الْأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الزَّحَفِ جَادِيًّا مَدُوفًا ^(٢)
 أَجِدْهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بَنِي عَرِيفَا
 يُخْبِرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَمَعْنَاهَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنَّجَبِ الطُّرُوفَا ^(٣)
 وَأَنَا قَدْ أَتَيْتُكُمْ بِزَحْفٍ يَحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صَفُوفًا
 رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صَلْبًا نَقَى الْقَلْبَ مُضْطَبِّرًا عَزُوفًا
 رَشِيدُ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ نَزَقًا خَفِيفًا
 نَطِيعٌ نَبِيئُهَا وَنَطِيعُ رَبِّهَا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بَنِي رِءُوفَا
 فَإِنْ تَلَقَّوْا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبَلْ وَنَجْعَلْكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفَا
 وَإِنْ تَابَوْا تَجَاهَدْكُمْ وَنَضْرِبْ وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا
 نَجَالِدُ مَا بَقَيْنَا أَوْ تُنَبِّئُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفَا
 نَجَاهِدُ لَا نَبَالِي مَا لَقَيْنَا أَهْلَكْنَا التَّلَادَ أُمَ الطَّرِيفَا ^(٤)
 وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلْبَاوَا عَلَيْنَا صَمِيمَ الْجِذْمِ مِنْهُمْ وَالْخَلِيفَا ^(٥)
 أَنْوَنَا لَا يَرُونَ لَهُمْ كَفَاءً فَجَدَعْنَا الْمَسَامِعَ وَالْأَنْوَفَا
 بِكُلِّ مَهْمَدٍ لَيْنٍ صَقِيلٍ نَسُوقُهُمْ بِهَا سَوْقًا عَفِيفَا
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينُ مَعْتَدِلًا حَنِيفَا
 وَتُنْشَى اللَّاتُ وَالْعَزَى وَوَدَّ وَنَسْلُبَهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا
 فَأَمْسَوْا قَدْ أَقْرَبُوا وَاطْمَأَنَّنَا وَمَنْ لَا يَمْتَنِعُ يَقْبَلُ خُسُوفَا

(١) الكتيف : الضبة . قال السهيلي : وهي صفحة صغيرة .

(٢) الجدبة : الدم السائل . والجادى : الزعفران . والمدوف : المبلول .

(٣) الطرُوف : الكرام من الخيل . (٤) التلاد : القديم . والطرُيف : الجديد .

(٥) الجذم : الأصل .

وقال ابن إسحاق : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عبد الثقفى :
قلت : قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى وفد ثقيف فأسلم معهم .
قاله موسى بن عقبة وأبو إسحاق وأبو عمر بن عبد البر وابن الأثير وغير واحد ، وزعم
المدائنى أنه لم يسلم بل صار إلى بلاد الروم فتتصرمات بها :

من كان يَبْغِينَا يريد قتالنا فَإِنَّا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَرِيْمُهَا ^(١)
وجَدْنَا بها الآباء من قبل ماترى وكانت لنا أطواؤُها وكرومُها ^(٢)
وقد جَرَّبْنَا قبلُ عمرو بن عامر فأخبرها ذو رأيها وحليمُها
وقد علمت - إن قالت الحق - أننا إذا ما أتت صُعُر الخلدود نُقِيمُهَا
نقومُها حتى يلين شَرِبُها ويُعرف للحق المبين ظَلومُها
علينا دِلَاصٌ من تُراث محرقٍ كَلَوْنَ السماء زَيْدَتُها نجومُها ^(٣)
نُرقِعُها عَنَّا ببيضٍ صوارم إذا جُرِدَّتْ فى غَمرة لا نَشِيْمُهَا ^(٤)

قال ابن إسحاق : وقال شدّاد بن عارض الجُشمى فى مسير رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى الطائف :

لا تنصروا اللاتِ إن الله مُهلكها وكيف يُنصر من هو ليس ينتصرُ
إن التى حُرِّقَتْ بالسُّد فاشتعلت ولم تقايل لدى أحجارها هَدَرُ
إن الرسول متى يَنزل بلادَكم يَظُن من أهلكها بَشَرُ

قال ابن إسحاق : فسلّك رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من حنين إلى
الطائف - على نخلة اليمانية ، ثم على قرْن ثم على المَليح ثم على بَحْرة الرُغاء من رِيّة ، فابتنى
بها مسجداً فصلّى فيه .

(١) العلم : المشهورة .
(٢) أطواؤها : آبارها ، جم طوى .
(٣) الدلاص : الدروع اللساء اللينة . ومحرق : يريد عمرو بن عامر وهو أول من حرق العرب بالنار .
(٤) لا نَشِيْمُهَا : لا نغمدُها

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، أنه عليه السلام أقاد يومئذ بيُحْزَرَة الرغاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُفِيدَ به في الإسلام ، رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بِلَيَّةٍ بحصن مالك بن عوف فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريق يقال لها الضيِّقة ، فلما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل : الضيِّقة . فقال : بل هي اليُسْرى . ثم خرج منها على نَحْبٍ حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة قريبا من مال رجل ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج إلينا وإما أن نخرب عليك حائطك . فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه .

وقال ابن إسحاق : عن إسماعيل بن أمية ، عن بُجَيْرِ بْنِ أَبِي بَجْرٍ ، سمعت عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف ، فررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا قبر أبي رِغَالٍ وهو أبو ثَقِيفٍ ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يَدْفَعُ عنه ، فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، وآيةُ ذلك أنه دفن معه غصنٌ من ذهب ، إن أنتم تَبَشْتُمُ عنه أصبتموه » .

قال : فابتدَرَهُ الناسُ فاستخرجوا معه الغصنَ .

ورواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب ابن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقي من حديث يزيد بن زُرَيْعٍ ، عن رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عن إسماعيل بن أمية به .

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ففرض به عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فتأخروا إلى موضع مسجده عليه السلام اليوم بالطائف الذي بنته ثقيف بعد إسلامها ، بناء عمرو بن أمية بن وهب ، وكانت فيه سارية لا تطلع عليها الشمس صبيحة كل يوم إلا سمع لها نقيض فيما يذكرون .

قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة . قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة . وقال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وترك السبي بالجرمارة ومثلت عُرُش^(١) مكة منهم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلة يقاتلهم ويقاتلونهم من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحد منهم غير أبي بكر بن مسروح أخى زياد لأمه ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرت الجراح وقطعوا طائفة من أعنابهم ليغضوهم بها ، فقالت لهم ثقيف : لا تفسدوا الأموال فإنها لنا أو لکم .

وقال عروة : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات وخمس حُبَلات^(٢) ، وبعث منادياً ينادى : من خرج إلينا فهو حر . فاقتحم إليه نفر منهم فيهم أبو بكر بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأمه ، فأعتقهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يعوله ويحمه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد : حدثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم ،

(١) العرش : الخيام والبيوت التي يستظل بها . (٢) الحبل : السكرة .

عن مِقْسَم عن ابن عباس، قال : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ، فخرج إليه عَبْدَان فَأَعْتَقَهُمَا ، أحدهما أَبُو بَكْرَةَ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتق العبيد إذا خرجوا إليه .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا نصر بن رِثَاب ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حر » .

فخرج عبيدٌ من العبيد فيهم أَبُو بَكْرَةَ ، فَأَعْتَقَهُم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا الحديث تفرد به أحمد ، ومداره على الحجاج بن أَرْطَاطة ، وهو ضعيف .

لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كلَّ عبد جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً .

وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لأحكاماً عاماً .

ولو صحَّ الحديث لكان التشريع العام أظهر ، كما في قوله عليه السلام : « من قتل قتيلاً فله سلبه » .

وقد قال يونس [بن بُكَيْر] ^(١) ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن المكرم

الثقفى ، قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف خرج إليه رقيق من رقيقهم ، أَبُو بَكْرَةَ عَبْدٌ لِلْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَالنَّبَيْعِثِ ، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيعث ، ويَحْنَسُ ، ووردان ، في رهط من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وفدُ أهل الطائف فأسلموا قالوا : يا رسول الله رُدَّ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عتقاء الله » وردَّ على ذلك الرجل ولأء عبده فجعله إليه .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن بَشَّار ، حدثنا غُفْدَر ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا عثمان قال : سمعت سعدا - وهو أول من رمى بسبيل الله وأبا بَكْرَةَ ، وكان

(١) سقطت من أ .

تسَوَّر حصن الطائف في أناس فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام » .

ورواه مسلم من حديث عاصم به .

قال البخارى : وقال هشام : أنبأنا مَعْمَر ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النهدي ، قال : سمعت سمدا وأبا بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال عاصم : قلت : لقد شهد عندك رجلان حَسْبُك بهما . قال : أَجَلٌ : أما أحدهما فأولُ من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثالثَ ثلاثةٍ وعشرين من الطائف .

قال محمد بن إسحاق : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة فضرب لهما قبتين ، فسكان يصلى بينهما ، فحاصرهم وقتلهم قتالا شديداً وتراموا بالنبل . قال ابن هشام : ورامهم بالمنجنيق .
فحدثني من أثنى به أن النبي صلى الله عليه وسلم أولُ من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفرا من الصحابة دخلوا تحت دبابه ثم زحفوا ليحرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم سِكَك الحديد مُحَمَّاة ، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا ، فحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف فوق الناس فيها يقطعون .

قال : وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلموهم فأمَّنوهم فدعوا نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليهم ، وهما يخافان عليهن السَّباء إذا

فُتِحَ الحصن ، فأبين ، فقال لهما أبو الأسود بن مسعود : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ؟ إن مال أبي الأسود حيث قد علمتما . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلاً بواد يقال له العقيق ، وهو بين مال بنى الأسود وبين الطائف ، وليس بالطائف مال أبعد رِشَاء^(١) ولا أشد مؤنة ولا أبعد عمارة منه ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً ، فسكّماه فليأخذه لنفسه أو ليدّعه لله والمرحّم .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

وقد روى الواقدي عن شيوخه نحو هذا وعنده أن سلمان الفارسي هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده . وقيل قدّم به وبدبابتين فالله أعلم .

وقد أورد البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال : لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل .

فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قلت لهم » ؟ قال : دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكّرتهم بالجنة . فقال : « كذبت بل قلت لهم كذا وكذا » فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن بونس ابن بُكَيْر ، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان ابن أبي طاححة ، عن ابن أبي نجيح السلمي ، وهو عمرو بن عبّسة رضى الله عنه قال : حاصرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الطائف فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من بلغ بسهم فله درجة في الجنة » فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً .

وسمعه يقول : « من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدلٌ مُحَرَّرٌ ، ومن شاب شبيبةً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله جاعلٌ كلَّ عظم من عظامه وقاءً كلَّ عظمٍ بعظم ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعلٌ كلَّ عظم من عظامها وقاءً كلَّ عظم من عظامها من النار » .
ورواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث قتادة به .

وقال البخاري : حدثنا الحميدي ، سمع سفيان ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي خنث فسمعه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرايتَ إن فتح الله عليكم الطائفَ غداً فعليك بابنة غيلان فإنها تُقبِلُ بأربع وتُذبرُ بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلن هؤلاء عليكن » .

قال ابن عيينة : وقال ابن جريج : الخنث هَيْتٌ .
وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه به . وفي لفظ : « وكانوا يرونه من غير أولى الإربة من الرجال » وفي لفظ : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أرى هذا يعلم ما هنا ؟ لا يدخلن عليكن هؤلاء » .
يعنى إذا كان ممن يفهم ذلك ، فهو داخل في قوله تعالى : « أو الطِّفْلُ الذين لم يَظْهَرُوا على عورات النساء^(١) » .

والمراد بالخنث في عُرف السلف الذى لا هِمة له إلى النساء ، وليس المراد به الذى يؤتى ، إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً ، كإدله عليه الحديث ، وكما قتله أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

ومعنى قوله : « تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبَرُ بِنِجَانٍ » يعنى بذلك عَكَنَ بطنها ، فإنها تكون أَرْبَعًا إذا أقبلت ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أَدْبَرَتْ ، وهذه المرأة هى بَادِيَةُ بنت غَيْلان ابن سلمة من سادات ثقيف .

وهذا الخَفْثُ قد ذكر البخارى عن ابن جريج أن اسمه هَيْت ، وهذا هو المشهور لسكن قال يونس عن ابن إسحاق قال : وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته بنت عمرو بن عابد مخفث يقال له مانع ، يدخل على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ولا يرى أنه يفطن لشيء من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يرى أن له فى ذلك أَرْبَا ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد إن افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلا تَنفُلتنِ منكم بَادِيَةُ بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتُدْبَرُ بِنِجَانٍ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا » الحديث . ثم قال لنسائه : « لا يَدْخُلُنِ عليهن » فحُجِبَ عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال البخارى : حدثنا على بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفَ فلم ينل منهم شيئاً قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فتقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتتح ؟ فقال : « اغدوا على القتال » فعدّوا فأصابهم جراحٌ فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم . وقال سفيان مرة : فتبسّم .

ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب واختلف فى نسخ البخارى ، فى نسخة كذلك وفى نسخة عن عبد الله بن عمرو بن العاص فأنه أعلم .

وقال الواقدي : حدثني كثير بن زيد بن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة قال :

لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي فقال : « يانوفل ماترى فى المقام عليهم ؟ » قال : يارسول ثعلبٌ فى حجر إن أقت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك .

قال ابن إسحاق : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر وهو محاصرٌ ثقيفاً : « ياأبا بكر ، إني رأيت أنى أهديت لى قعبةٌ مملوءة زبداً فنقرها ديك فهِراق مافيهما » فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما أظن أن تُذكر منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأنا لا أرى ذلك » .

قال : ثم إن خولة بنت حكيم السَّامِية ، وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله أعطنى إن فتح الله عليك حُلًى بادية بنت غيلان بن سامة أو حلى الفارعة بنت عقيل - وكانت من أحلى نساء ثقيف - فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « وإن كان لم يؤذَن فى ثقيف ياخويلة ؟ » .

فخرجت خولة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ما حديثٌ حَدَّثْتَنِيهِ خولة ، زعمت أنك قلتها ؟ قال : « قد قلتها » قال : أو ما أُذِنَ فيهم ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذَن بالرحيل ؟ قال : بلى .

فأذن عمر بالرحيل ، فلما استقبل الناس نادى سعيد بن مسيد بن أسيد بن أبى عمرو ابن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله بحجة كراماً . فقال له رجل من المسامين : قاتلك الله يا عيينة ! أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصره ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطوها لعلها تلد لى رجلاً ، فإن ثقيفاً مَنَّا كبير ^(١) .

وقد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود ، عن عروة قصة خولة بنت حكيم ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال : وتأذين عمر بالرحيل . قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يُسرحوا ظهراً ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدموا كنفنا مؤنتهم » .

وروى الترمذى من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قالوا : يا رسول الله أحرقتنا نبالُ تكيف فادعُ الله عليهم . فقال : « اللهم اهدِ ثقيفاً » .

ثم قال : هذا حديث حسن غريب .

وروى يونس عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المسكرم ، عن أدركوا من أهل العلم : قالوا : حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ولم يؤذن فيهم ، ففقد المدينة فجاءه فدم في رمضان فأسلموا .

وسألت ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله .

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق :

فمن قريش : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعُرفطة بن جناب حليف لبني أمية بن الأسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رمى بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة الخزومي من رمية رُميها يومئذ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة حليف لبني عدى ، والسائب بن الحارث بن قيس ابن عدى السهمي ، وأخوه عبد الله ، وجُليخة بن عبد الله من بني سعد بن ليث . ومن الأنصار ثم من الخزرج ثابت بن الجذع الأسلمي ، والحارث بن سهل بن أبي صَعَصعة المازني ،

والنذر بن عبد الله من بنى ساعدة . ومن الأوس رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلا ، سبعة من قریش وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث رضى الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا عن الطائف قال

بُحَيْر بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت عُلالة يوم بطن حنينٍ وغداة أوطاسٍ ويوم الأبرقِ
جَمَعْتُ بِإِغْواءِ هَوازُنْ جَمْعَها فتبدَّ دوا كالطائر المتمزَّقِ
لم يَمْنَعُوا منا مقاما واحداً إلا جدارهم وبطن الخندقِ
ولقد تعرَّضنا لِسَكِّنا يَخرجوا فاستحَفَّونا منا بيبابٍ مُغلِقِ
ترتدُّ حَسْرانا إلى رَجْراجَةٍ شهباء تَلْمَعُ بالْمِنايا قَمِيلِقِ^(١)
مَلْمومةٍ خضراء لو قَذَفُوا بها حصناً لظل كانه لم يُخلَقِ
مَشَى الضَّراء على المِراس كأننا قدَرَّ تفرَّق في القِيادِ وبلتَقِ^(٢)
في كل سابعة إذا ما استحصنت كالنَّهى هَبَّت رِيحُه المتفرَّقِ
جُدُلٍ تَمَسُّ فُضُولُهن نعالنا من نَسَج داودِ وآلِ محرَّقِ

وقال أبو داود : حدثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ، حدثنا الفريابي ، حدثنا أبان ، حدثنا عمرو - هو ابن عبد الله بن أبي حازم - حدثنا عثمان بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن جده صخر - هو أبو العيلة الأحمسي - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا ثقيفاً ،

(١) الرجراجة : الكثيرة .

(٢) الضراء : الكلاب . والمراس : شجر شائك كالنبق .

فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يُمَدُّ النبي صلى الله عليه وسلم فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمةً لأفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب إليه صخر : أما بعد فإن ثقيفا قد نزلت على حكمك يا رسول الله وأنا أقبل بهم وهم في خيلي .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة جامعة فدعا لأحس عشر دعوات : « اللهم بارك لأحس في خيلها ورجالها » .

وأتى القوم فتكلم المغيرة بن شعبه فقال : يا رسول الله إن صخرأ أخذ عمتي ودخلت فيدخل فيه المسلمون فدعاه فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم ، فادفع إلى المغيرة عمتي » فدفعها إليه .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءً لبني ساييم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله أنزلني أنا وقومي . قال : « نعم » فأنزله وأسلم - يعني الأسلميين ، فأتوا صخرأ فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله أسلمنا وأتيننا صخرأ ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا . فقال : « يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم » قال : نعم يا نبي الله .

فرايت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير عند ذلك حمرة ، حياءً من أخذه الجارية وأخذه الماء !

تفرد به أبو داود وفي إسناده اختلاف .

قلت : وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخر الفتح عامئذ لئلا يستأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدم أنه عليه السلام لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى وإلى أن يؤووه حتى

يبلغ رسالة ربه عز وجل، وذلك بعد موت عمه أبي طالب فردّوا عليه قوله وكذبوه فرجع مهموماً فلم يستفق إلا عند قرن الثعالب، فإذا هو بغمامة وإذا فيها جبريل، فناده ملاك الجبال فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام، وقد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل أستاذني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً».

فناسب قوله: «بل أستاذني بهم» ألا يفتح حصنهم لنسلا يقتلوا عن آخرهم وأن يؤخر الفتح ليدّموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل. كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فصل في مرجعه عليه السلام من الطائف ، وقسمة غنائم هوازن التي أصابها
يوم حنين قبل دخوله مكة معتمرا من الجعرانة

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف
على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ومعه من هوازن سبئ كثير ، وقد
قال له رجل من أصحابه يوم طعن عن ثقيف : يا رسول الله ادع عليهم . فقال : « اللهم
اهد ثقيفاً وائت بهم » .

قال : ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سبئ هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء مالا يُدرى عدته .
قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، وفي رواية يونس بن بكير عنه قال
عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحنين ،
فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد
أساءوا ، فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك
فامنن علينا من الله عليك .

وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر من السبأيا
خالأتك وحواضتك التي كن يكفألك ، ولو أنا ملحننا لابن أبي شير أو النعمان بن المنذر
ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت رسول الله خير
المسكولين . ثم أنشأ يقول :

امنن علينا رسول الله في كريم فإنك المرء نرجوه وننتظر

امْنٌ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُمَزَّقٌ شَتْلُهُمَا فِي دَهْرَهَا غَيْرُ
أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرَ هَتَّافًا عَلَى حَزَنِ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْغَمَاءُ وَالْغَمْرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهَا نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا يَا أَرْجِحِ الْفَاسَ حِمَامًا حِينَ يُخْتَبِرُ
امْنٌ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا إِذْ فُوكَ تَمْلُؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدُّرُرُ
امْنٌ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
لَا تَجْمَعُ لَنَا كُنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ وَاسْتَقْبَقِي مَفَا فَإِنَّا مَعْشَرُ زُهْرُ
إِنَّا لَنَشْكُرُ آلَاءَهُ وَإِنْ كُفِرَتْ وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدَّخَرُ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نساؤكم وأبناؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » فقالوا : يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحبُّ إلينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمَّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالفاس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ؛ وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا . فإنِّي سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاس الظهر قاموا فقالوا ما أمَّركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أمَّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال الأقرع بن حابس : أمَّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة : أمَّا أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس السلمي : أمَّا أنا وبنو سُليم فلا . فقالت بنو سليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وهنتموني ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه. فردّوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم .

ثم كب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله أقسم علينا قَيْدُنَا . حتى اضطروه إلى شجرة فانزعرت رداءه فقال : « أيها الناس ردّوا على ردائي ، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندى عدد شجرتها ما نعمّا لقسمته عليكم ، ثم ما ألقيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرّة فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها فقال : « أيها الناس والله ما لي من قَيْدِكُمْ ولا هذه البرّة إلا الخمس والخمس مردودٌ عليكم ، فأدّوا الخيَاطَ والخَيْطَ ، فإن الغُلُولَ عار ونارَ وسَنَارَ على أهله يوم القيامة » .

فجاء رجل من الأنصار بكَبَّة^(١) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذتُ هذه لأخيظ بها برذعة بعير لي دَيْر^(٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما حقٌّ منها فلك » فقال الرجل : أما إذ بلغ الأمر فيها فلا حاجة لي بها . فرمى بها من يده .

وهذا السياق يقتضى أنه عليه السلام ردّ إليهم سَبْيَهُمْ قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد ابن إسحاق بن يسار ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفى صحيح البخارى من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفدٌ هوازن مسلمين فسألوا أن تردّ إليهم أموالهم ونسائهم ، فقال لهم رسول الله صلى الله

(١) الكَبَّة : الخيوط المجمعة .

(٢) الدَيْر : المقروح

عليه وسلم : « معى من ترون ، وأحبُّ الحديث إلىَّ أصدقه فاختروا إحدى الطائفتين إما السَّبِيَّ وإما المال ، وقد كنت استأْنَيْتُ بكم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبَيَّن لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير رادِّ إليهم أموالهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : إنا نختار سَبِيْنَا .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءوا تائبين ، وإنى قد رأيت أن أَرُدَّ إليهم سَبِيْهِمْ ، فمن أحبَّ أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحبَّ منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول مال بفيء الله علينا فليفعل » .

فقال الناس : قد طَيَّبْنَا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بأنهم قد طَيَّبُوا وأذِنُوا .

فهذا ما بلغنا عن سبى هوازن . ولم يتعرض البخارى لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمُنْبِت مقدَّم على النافى فكيف الساكت .

وروى البخارى من حديث الزهرى : أخبرنى عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مَقْفَلَةٌ من حنين عَلِقَت الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ، حتى اضطره إلى شجرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « أعطونى ردائى فلو كان عدد هذه العضاء نِعْمًا لقسمة بينكم ، ثم لا تجدونى بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » .

تفرد به البخارى .

وقال ابن إسحاق : وحدثني أبو وَجْرة يزيد بن عبيد السعدي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى علي بن أبي طالب جارية يقال لها رَيْطَة بنت هلال بن حيان بن عميرة ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر جارية فوهبها من ابنه عبد الله .

وقال ابن إسحاق : فحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ويهيئوها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فحُت من المسجد حين فرغت فإذا الناس يشتدون فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا ردّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا . قلت : تأسكم صاحبكم فى بنى جمح فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها فى الحى نسباً وعسى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبى أن يردّها ، فقال له زهير بن صُرْد : خذها عنك فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهذ ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درّها بما كِد^(١) ، إنك ما أخذتها والله بيضاء غريرة ولا نصفاً وثيرة . فردّها بست فرائض .

قال الواقدي : ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بالجُمُرانة أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة .

وقال سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر أن رجلاً من شهد حنيناً قال :

والله إني لأسير إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقه لي وفي رجلي نعل غليظة إذ زحمت ناقتي ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوجعه ، فقرع قدمي بالسوط وقال : « أوجعتني فتأخر عني » فانصرفت فلما كان الغد إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسني قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمس . قال : فجننته وأنا أتوقع ، فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك بالسوط فدعوتك لأعوضك منها » فأعطاني ثمانين نعمة بالضربة التي ضربني .

والمقصود من هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد إلى هوازن سبيهم بعد القسمة كما دل عليه السياق وغيره .

وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن إسحاق عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لما رد السبي وركب عقلت الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له : اقسم علينا فيئنا حتى اضطرروه إلى سمرة فخطفت رداءه فقال : « ردوا عليّ أيها الناس ، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاء نعماً لقسمة فيكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » .

كما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بنحوه .

وكانهم خشوا أن يرد إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم ، فسألوه نسمة ذلك فقسّمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة كما أمره الله عز وجل ، وآثر أناساً في القسمة وتألّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعقب عليه أناس من الأنصار حتى خطبهم ويّين لهم وجه الحكمة فيما فعله تطبيعاً لقلوبهم .

وتنقذ بعض من لا يعلم من الجهالة والخوارج كذى الخويرة وأشباهه قبحه الله ، كما سيأتى تفصيله وبيانه فى الأحاديث الواردة فى ذلك وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم ، حدثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبى يقول حدثنا السميطة السدوسي ، عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت ، فصفت الخيل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم . قال : ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف وعلى حُجَّبة خيلنا خالد بن الوليد ، قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا ، قال : فلم نلبث أن انكشف خيلنا وفرَّت الأعراب ومن نعلم من الناس ، قال فنأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا المهاجرين يا المهاجرين يا للأَنْصار ؟

قال أنس : هذا حديث عمته ^(١) قال : قلنا لبيك يا رسول الله . قال : وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال وأيم الله ما أتيناكم حتى هزمهم الله . قال : فقبضنا ذلك المال ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة . قال : فنزلنا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل المائة ويعطى الرجل المائتين .

قال : فتحدثت الأَنْصارُ بينها : أما من قاتله فيعطيه ، وأما من لم يقاتله فلا يعطيه ؟ !

فرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر بسراة المهاجرين والأَنْصار أن يدخلوا عليه ثم قال : « لا يَدْخُلَنَّ عَلَىَّ إِلَّا أَنْصَارِي ، أَوِ الْأَنْصار » قال : فدخلنا القبة

حتى ملأناها ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار » أو كما قال :
« ما حديثُ أتاني ؟ » قالوا : ما أأتاك يا رسول الله ؟ قال : « ما حديثُ أتاني » قالوا :
ما أأتاك يا رسول الله ؟

قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأيوال وتذهبون برسول الله حتى تُدخلوه
بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله ، قال : فرضوا أو كما قال .
وهكذا رواه مسلم من حديث معتمر بن سليمان .

وفيه من الغريب قوله : أنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف وإنما كانوا اثني عشر
ألفاً ، وقوله : « إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة » وإنما حاصروها قريباً من شهر ودون
العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا هشام ، حدثنا معمر ، عن الزهري ،
حدثني أنس بن مالك ، قال : قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء
من أموال هوازن ، فطلق النبي صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل ،
فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر
من دمائهم !

قال أنس بن مالك : فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاتلتهم ، فأرسل إلى
الأنصار خيمتهم في قبة آدم ولم يدعْ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم
فقال : « ما حديثُ بآعني عنكم ؟ » قال فقهاء الأنصار : أما رؤسائنا يا رسول الله فلم
يقولوا شيئاً ، وأما ناس منّا حديثةٌ أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتالفهم ، أما ترضون أن يذهب

الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكُم ؟ فوالله لَمَّا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » قالوا : يا رسول الله قد رضىنا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « فستجدون أثرَةً شديدة فاصبروا حتى تَلْقُوا الله ورسوله فأني على الخوض » قال أنس : فلم يصبروا .

تفرد به البخارى من هذا الوجه .

ثم رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عوف ، عن هشام بن زيد ، عن جده أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء فأدبروا ، فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنا عبد الله وسوله » فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبته فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو سلك الناسُ وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبَ الأنصار » .

وفي رواية للبخارى من هذا الوجه قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقى وحده ، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ، التففت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » قالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك . ثم التففت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » .

فانهزم المشركون وأصاب يومئذ مغانم كثيرة فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا !

فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال : « يا معشر الأنصار ما حديثٌ بلغني ؟ » فسكتوا فقال : « يا معشر الأنصار ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار » . قال هشام : قلت : يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيبُ عنه ؟

ثم رواه البخاري ومسلم أيضاً من حديث شعبة عن قتادة عن أنس قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال : « إن قریشاً حديثو عهدٍ بجاهلية ومصيبة ، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلك شعب الأنصار أو شعب الأنصار » .

وأخرجاه أيضاً من حديث شعبة عن أبي التَّيَّاح يزيد بن حميد ، عن أنس بن جوه وفيه فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ! إن سيوفنا لتقطر من دماهم والغنائم تُقسم فيهم ، نخطبهم وذكر نحو ما تقدم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أباسفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله سيوفنا تقطر من دماهم وهم يذهبون بالغنم ؟ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فجمعهم في قبة له حتى فاضت فقال : « فيكم أحدٌ من

غيركم ؟ » قالوا : لا إلا ابن أختنا ، قال : « ابن أخت القوم منهم » ثم قال : « أقاتم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم . قال : « أنتم الشعار والناس الدُّثَّار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى . قال : الأنصارُ كَرِشَى وعَيْبَتِي ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار .

وقال : قال حماد : أعطى مائةً من الإبل فسمى كلَّ واحد من هؤلاء .
تفرد به أحد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامعشر الأنصار ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « أفلا تقولون : جئنا خائفاً فأمنّاك ، وطريداً فأوينّاك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المنّ علينا ورسوله .

وهذا إسناد ثلاثي على شرط الصحيحين .

فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك .
وقد روى عن غيره من الصحابة .

قال البخارى : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا عمرو بن يحيى ، عن عبّاد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم ، قال : لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسَم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعطِ الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالةً فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمّن .

قال : « لو شئتم قلم : جئنا كذا وكذا . أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ورواه مسلم من حديث عمرو بن يحيى المازني به .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الفئام يوم حنين وقسم للمقاتلين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه ! فشى سعد بن عبادَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » قال : فيما كان من قسمك هذه الفئام في قومك وفي سائر العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمنى » فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا ، وجاء آخرون فردم حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أناه فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأداءً فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا تحييون يامعشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يارسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟
 المنُّ لله ولرسوله . قال : « والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم : جئنا طريداً فأوفيناك ،
 وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمنّاك ، ونخذولاً فنصرناك » فقالوا : المنُّ لله ولرسوله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوجدتم في نفوسكم يامعشر الأنصار في
 لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ،
 أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون
 برسول الله إلى رحالكُم ، فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت
 الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ،
 اللهم ارحم الأنصارَ وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحام وقالوا : رضينا بالله رباً ورسوله قديماً .
 ثم انصرف وتفرقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب
 الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن بكير ، عن الفضل بن مرزوق ، عن عطية بن
 سعد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال رجل من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد
 كنت أحدثكم أنه لو استقامت الأمور قد آثر عليكم ، قال : فردوا عليه ردّاً عنيفاً
 فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقال لهم أشياء لا أحفظها ، قالوا : بلى
 يارسول الله ، قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » وكلما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يارسول
 الله ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم .

تفرد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي

سعيد بنحوه . ورواه أحمد أيضاً عن موسى بن عقبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر مختصراً .

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروق ، عن أبيه ، عن عباية بن رافع بن خديج ، عن جده رافع بن خديج ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفات قلوبهم من سبى حنين مائة من الإبل ، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة ، وأعطى صفوان بن أمية مائة ، وأعطى عيينة بن حصن مائة ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة ، وأعطى علقمة بن علاثة مائة ، وأعطى مالك بن عوف مائة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المائة ، ولم يبلغ به أولئك فأنشأ يقول :

أَجْمَعُ نَهْيَ وَنَهَبَ الْعُبَيْدِ بْنِ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ^(١)
فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْجَمْعِ
وَمَا كَفْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَخَفُضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ دُرٍّ فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعْ^(٢)
قال : فأنتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة .

رواه مسلم من حديث ابن عيينة بنحوه وهذا لفظ البيهقي .

وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق فقال :

كَانَتْ نِهَابًا تَلَا فَيْتَهُمَا — بَكَرَى عَلَى الْمُنْهَرِ فِي الْأَجْرَعِ^(٣)
وَلِإِقَاطَى الْحَيِّ أَنْ يَرْتَقِدُوا إِذَا جَمَعَ النَّاسُ لَمْ أَفْجِعْ
فَأَصْبَحَ نَهْيَ وَنَهَبُ الْعُبَيْدِ بْنِ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ

(١) النهب : العطاء من الغنيمة . (٢) ذات دُرٍّ : ذا دفع .

(٣) النَّهَابُ : جمع نهب . والأجرع : الأرض ذات الحزونة .

وقد كنت في الحرب ذاتُدرٍ فلم أعطَ شيئاً ولم أمنع
 إلا أقاتلَ أعطيتها عديداً قوائمها الأربع^(١)
 وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يقوّان مرداسَ في الجمعِ
 وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تضرع اليوم لا يُرفع
 قال عروة وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
 فقال له : « أنت القاتل أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ »
 فقال أبو بكر : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنت بشاعر وما ينبغي
 لك . فقال : « كيف قال ؟ » فأنشده أبو بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « هما سواء ما يضرُّك بأيهما بدأت »
 ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا عنى لسانه » فخشى بعض الناس
 أن يكون أراد المثلة به وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم العطية . قال :
 وعبيد فرسه .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن
 أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة
 بين مكة والمدينة^(٢) ومعاه بلال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ فقال :
 ألا تُنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له « أبشر » فقال : قد أكثرت على من أبشر !
 فأقبل على أبي موسى وبلال كهيفة الغضب ان فقال : « ردَّ البُشرى فأقبلا أنما » ثم دعا

(١) الأقاتل : الضعاف من الإبل .

(٢) قال القسطلاني : قال الداودي : وهو وهم والصواب بين مكة والطائف ، وبه جزم النووي وغيره
 إرشاد الساري ٤١٠/٦ .

بقدَح فيه ماء ففسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ، ثم قال « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » فأخذا القدَح ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء الستر : أَفْضِلَا لَأَمْكَا . فأفضلا ما منه طائفة .

هكذا رواه .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا مالك ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالك قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجْراني غليظ الحاشية . فأدركه أعرابيٌ فجذبه جذبة شديدة حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، قال : مُرْنِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فالتفت إليهِ فضحك ثم أمر له بعباءة .

وقد ذكر ابن إسحاق الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مائة من الإبل ، وهم : أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كلاب ، وأخوه بني عبد الدار ، وعَلَقْمَةُ بْنُ عَلَاثَةَ ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام ، وجُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ ، ومالك بن عوف النّصرى ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع ابن حابس .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيمي أن قاتلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة وتركت جُعَيْلَ بْنَ سُرَّاقَةَ الضَّمْرِيَّ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَجُعَيْلٌ خَيْرٌ مِنْ طِلَاحِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ مِثْلَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ ، وَلَكِنْ تَأَلَّفْتُمَا لِيُسَلِّمَا ،

وَوَكَلْتُ جُعَيْلَ بْنَ سَرَّاقَةَ إِلَى إِسْلَامِهِ .

ثم ذكر ابن إسحاق من أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون المائة ممن يطول ذكره .

وفي الحديث الصحيح عن صفوان بن أمية أنه قال : مازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إليّ حتى ما خلق الله شيئاً أحبّ إليّ منه .

ذكر قدوم مالك بن عوف النَّصْرِي على

رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن وسألم عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال : « أخبروه إنه إن أتاني مُسَلِّماً رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَعْطَيْتُهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ » .

فلما بلغ ذلك مالمسكاً أنسل من ثقيف حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فردّ عليه أهله وماله . ولما أعطاه مائة قال مالك بن عوف رضي الله عنه :

مَا إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى وَمَتَى نَشَأَ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدْرِ
وَإِذَا الْكِتْمِيَّةُ عَرَدَتْ أَنْبَاهُهَا بِالسَّمْعَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنْدٍ ^(١)
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرَصِدٍ ^(٢)

قال : واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتلك القبائل مُنَمَّالَةً وَسَلَامَةً ^(٣) وفهم ، فكان يقابل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى

(١) عردت : اشتدت وضريت . (٢) الهباءة : غبار الحرب . والحادر : المقيم في عرينه .
(٣) هكذا ضبطه السهيلي وقال : والمعروف في قبائل قيس سلامة بالفتح ، إلا أن يكونوا من الأزد .

ضيق عليهم .

وقال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا جرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، حدثني عمرو بن تغلب قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً ومنع آخرين فكلّهم عتبوا عليه فقال : « إني أعطى قوماً أخاف هلمهم وجزعهم وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب » .

قال عمرو : فما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حُرَّ النعم . زاد أبو عاصم ، عن جرير ، سمعت الحسن حدثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بمال - أو سبي - فقسمه بهذا .

وفي رواية للبخاري قال : أتى رسول الله بـمال - أو بشيء - فأعطى رجلاً وترك رجلاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد » فذكر مثله سواء .

تفرد به البخاري ^(١) .

وقد ذكر ابن هشام أن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنيمة :

زاد الموم فاه العين منحدر	سحاً إذا حلقته عبّة درر ^(٢)
وجداً بشمّاء إذ شمّاء بهـكـنة	هيفاء لا ذنن فيها ولا خور ^(٣)
دع عنك شمّاء إذ كانت مودتها	نزرا وشرّ وصال الواصل النزر
وائت الرسول وقل ياخير مؤتمن	للمؤمنين إذا ما عدّد البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة	قدّام قوم هم آووا وهم نصرؤا

(١) هذا الحديث مؤخر في ت بعد القصيدة .

(٢) ابن هشام : زادت موم . .

(٣) الممكنة : الشابة الغضة . والذنن : القدر . والخور : الضعف . وفي ١ : شباء

سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا بَنَصَرَهُمْ دِينَ الْهَدَى وَعَوَانُ الْحَرْبِ تَسْتَعْرُ
وَسَارَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَضُوا لِلْفَائِتَاتِ وَمَا خَانُوا وَمَا ضَجِرُوا
وَالنَّاسُ إِلَبٌ عَلَيْنَا فَيَكَلِّسْ لَنَا إِلَّا السِّیُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَا وَزُرُ
نَجَالِدُ النَّاسِ لَا نُثْبِقِ عَلَى أَحَدٍ وَلَا نَضِيعُ مَا تُوحِي بِهِ السُّورُ
وَلَا تَهَرَّ جُنَاةُ الْحَرْبِ نَادَيْنَا وَنَحْنُ حِينَ تَلْظَى نَارُهَا سُعْرُ^(١)
كَأَنَّ رَدْدَنَا يَبْدِرُ دُونَ مَا طَلَبُوا أَهْلَ النِّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ إِذْ حَزَبَتْ بِطَرَأَ أَحْزَابُهَا مُضَرُ^(٢)
فَمَا وَثَيْنَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا مَنَا عِثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

(١) تهر : تكبره . وجناة الحرب : أبطالها . والسعر ، من يوقدون الحرب .
(٢) النعف : أسفل الجبل .

ذكر اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والنفاق

على رسول الله صلى الله عليه وسلم في القسمة العادلة بالانفاق

قال البخارى : حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما قَسَمَ النبي صلى الله عليه وسلم قسمةَ حنين قال رجل من الأنصار : ما أَرَادَ بها وجه الله . قال : فَأَتَيْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتَهُ فَتَغَيَّرَ وَجْهَهُ ثُمَّ قَالَ : « رَحِمَهُ اللهُ عَلَى مُوسَى ، قَدْ أَوْذَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » .

ورواه مسلم من حديث الأعمش به .

ثم قال البخارى : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كَانَ يَوْمُ حَنِينٍ آثَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَاسًا : أَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطَى عَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى نَاسًا فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أُرِيدُ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ وَجْهَ اللَّهِ فَقُلْتُ : لِأَخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : « رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أَوْذَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » .

وهكذا رواه من حديث منصور عن المعتمر به .

وفى رواية للبخارى فقال رجل : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُذِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدُ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم . فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ ! رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أَوْذَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبِرَ » .

وقال محمد بن إسحاق : وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَارٍ بْنُ يَاسِرٍ ، عَنْ مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَتَلَيْدُ بْنُ كِلَابٍ اللَّيْثِيُّ حَتَّى أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ مَعْلَقًا نَعْلَهُ بِيَدِهِ ، فَقُلْنَا لَهُ : هَلْ

حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال : نعم جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فوقف عليه وهو يعطى الناس فقال له : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجل فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت . قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ! »

فقال عمر بن الخطاب : ألا نقتله ؟ فقال : « دَعُوهُ فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، يُنظر في النَّصْل فلا يوجد شيء ثم في القِدَح فلا يوجد شيء ثم في الفُوق فلا يوجد شيء سبق الفرث والدم » .

وقال الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجل بالجعرانة النبي صلى الله عليه وسلم مُنصرِفَه من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْبِضُ منها ويعطى الناس ، فقال : يا محمد اعدل ، قال « ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خُبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق ؟ فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يَمْرُقون منه كما يَمْرُق السهم من الرمية » .

ورواه مسلم عن محمد بن رُمح ، عن الليث .

وقال أحمد : حدثنا أبو عاصم ، حدثنا قُرَّة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مغنم حنين إذ قام إليه رجل فقال : اعدل . فقال : « لقد شقيت إذا لم أعدل » .

ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم سن قُرَّة بن خالد السدوسي به .

وفي الصحيحين من حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخوَيْصرة رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويلك ومن يعدل إن لم أعدل لقد خبت وخسرت ، إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إيدن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم إلى رصافه^(١) فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصيبه^(٢) - وهو قذحه - فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه^(٣) فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق القرث والدم^(٤) ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدرّدر^(٥) ويخرجون على حين فرقة من الناس . »

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن على بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس ، فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعت .
ورواه مسلم أيضا من حديث القاسم بن الفضل عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد به نحوه .

ذكر مجيء أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة
وهو بالجعرانة واسمها الشّماء

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الرصاف : جمع رصفة ، وهي عقبة تلوى على مدخل النصل في السهم .
(٢) النصي : القذح قبل أن يبحث .
(٣) القذذ : ريش السهم .
(٤) المعنى : أنه مرق عاجلا فلم يعلق به دم . (٥) تدردر : تتحرك وتذهب وتجيء .

قال يوم هوازن : « إن قدرتم على نجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يُفلتكم »
وكان قد أحدث حدثا .

فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه الشَّيْء بنت الحارث بن عبد العزى
أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .

قال : فغنفوا عليها في السُّوق فقالت للمسلمين : تعلمون والله إنى لأخت صاحبكم من
الرضاعة . فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال : فلما انتهى
بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسول الله إنى أختك من الرضاعة . قال
« وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضه عضضتنيها في ظهري وأنا متورّكتك . قال : فعرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وخيرها وقال : إن
أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعات .
قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي . فتمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّها إلى قومها ،
فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له مكحول وجارية فزوجت أحدهما الآخر فلم يزل
فيهم من نسلهما بقية .

وروى البيهقي من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يومُ فتح
هوازن جاءت جارية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أنا أختك ،
أنا شَيْء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكوني صادقة فإن بك منى أثراً لا يبلى » قال :
فكشفت عن عضدها فقالت : نعم يا رسول الله وأنت صغير فعَضَضْتَنِي هذه العضة . قال :
فبسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ثم قال : « سَلِي تُعْطَى واشْفَعِي تُشَفَّعِي » .
وقال البيهقي : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا عمرو بن إسماعيل بن عبد السلمي ،
حدثنا مسلم ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمي عمارة بن

ثوبان ، أن أبا الطفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عضو البعير ، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم نعماً بالجعرانة .

قال : فجاءته امرأة فبسط لها رداءه فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمه التي أرضعته .

هذا حديث غريب ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضنه مع أمها حليلة السعدية وإن كان محفوظاً فقد عُمرت حليلة دهرأ ، فإن من وقت أن أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقل ما كان عمرها حين أرضعته صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديث مرسل فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه . والله أعلم بصحته .

قال أبو داود في المراسيل : حدثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدثنا أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً فجاءه أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعده عليه ، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه .

وقد تقدم أن هوازن بكماها متواليمة برضاعته من بنى سعد بن بكر وهم شرذمة من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صرد : يا رسول الله إنما في الحظائر أمهاتك وخالاتك وحواضتك فامن علينا من الله عليك . وقال فيما قال :

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يماؤه من تحضها درر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذا يزيرك ماتاتي وما تذر

فكان هذا سبب إعاقهم عن بسكرة أبيهم ، فعادت فواضله عليه السلام عليهم

قديماً وحديثاً خصوصاً وعموماً .

وقد ذكر الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شَرْحَبِيل ، عن أبيه قال : كان النَّضِير ابن الحارث بن كَلْدَةَ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ فَكَانَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَمْ نَمُتْ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ الْآبَاءُ وَقُتِلَ عَلَيْهِ الْإِخْوَةُ وَبَنُو الْعَمِّ .

ثم ذكر عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهم على دينهم بعد ، قال : ونحن نريد إن كانت دائرة على محمد أن نغير عليه ، فلم يَكُنَّا ذَلِكَ ، فلما صار بالجعرانة فوالله إني لَعَلِّي ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنضير ؟ » قلت : لبيك ، قال : « هل لك إلى خير مما أردت يوم حنين مما جالَّ الله بينك وبينه ؟ » قال : فأقْبَاتُ إِلَيْهِ سَرِيعاً فَقَالَ : « قد آنَ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا كُنْتَ فِيهِ تُوضِعُ » قلت : قد أدري أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ زِدْهُ ثَبَاتاً » قال النضير : فوالذي بعثه بالحق لساكن قاي حجر ثباتاً في الدين ؛ وتبصرة بالحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذي هداه » .

عمرة الجُعْرانة في ذى القعدة

قال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعبد الصمد المَعْنَى قالا : حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة ، قال : سألت أنس بن مالك قات : كم حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حجة واحدة ، واعتَمَرَ أربع مرات . عمرته زمنَ الحديبية وعمرته في ذى القعدة من المدينة ، وعمرته من الجُعْرانة في ذى القعدة ، حيث قسم غنيمة حنين ، وعمرته مع حجته . ورواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى من طرق عن همام بن يحيى به . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ، حدثنا داود - يعنى العطار - عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : اعتَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ عُمَر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجُعْرانة ، والرابعة التى مع حجته . ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المسكى ، عن عمرو بن دينار به وحسنه والترمذى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، حدثنا حجاج بن أَرْطَاطَ ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عمر ، كلُّ ذلك في ذى القعدة بِلَبَّى حتى يستلم الحجر .

غريب من هذا الوجه .

وهذه الثلاثُ عُمَرُ اللاتى وقعتن في ذى القعدة ماعدا عمرته مع حجته ، فإنها وقعت في ذى الحجة مع الحجة ، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذى القعدة فاعلم لم يُرد عمرة الحديبية لأنه صُدَّ عنها ولم يفعلها . والله أعلم .

قلت : وقد كان نافع ومولاه ابن عمر ينكران أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر من الجعرانة بالكلبية وذلك فيما قال البخارى : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم في الجاهلية . فأمره أن يفي به .

قال : وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة ، قال : فنرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبي حنين فجعلوا يسعون في السكك ، فقال عمر : يا عبد الله أنظر ما هذا ؟ قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافع : ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله .

وقد رواه مسلم من حديث أيوب السخيتي ، عن نافع عن ابن عمر به .

ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن عبيدة الضبي ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع قال : ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة فقال : لم يعتمر منها .

وهذا غريب جدا عن ابن عمر وعن مولاه نافع ، في إنكارها عمرة الجعرانة ، وقد أطبق النقلة ممن عداها على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسنن كلهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في الصحيحين من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عروة عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر في رجب . وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ! ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو شاهد وما اعتمر في رجب قط .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن مُبَيَّر ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : سأل عروة ابن الزبير ابن عمر : في أى شهر اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : في رجب . فسمعنا عائشة ، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر عمرة إلا وقد شهداها وما اعتمر عمرة قط إلا في ذى القعدة .

وأخرجه البخارى ومسلم من حديث جرير ، عن منصور ، عن مجاهد به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائى أيضاً من حديث زهير ، عن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثاً سوى التى قرنها بحجة الوداع .

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد فإذا ابن عمر مستند إلى حجرة عائشة وأناس يصلون الضحى . فقال عروة : أبا عبد الرحمن ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعة . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً إحداهن في رجب . قال : وسمعنا استئذان عائشة في الحجرة ، فقال لها عروة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً إحداهن في رجب ؟ فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط .

وهكذا رواه الترمذى عن أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن منصور وقال : حسن صحيح غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا رَوْح ، حدثنا ابن جُرَيْج ، أخبرنى مُزَاهِم بن أبى مزاحم ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن نُحْرَش الكعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلاً حين أمسى معتمراً فدخل مكة ليلاً يقضى عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبأئت حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف ،

حتى جاء مع الطريق - طريق المديفة - بسرف قال مخرش : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس .

ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج كذلك وهو من أفرادهِ .

والمقصود أن عمرة الجعرة ثابتة بالنقل الصحيح الذى لا يمكن منعه ولا دفعه ، ومن نفاها لا حجة معه فى مقابلة من أثبتها . والله أعلم .

ثم هم كالجُمُعِينَ على أنها كانت فى ذى القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبْرَانِي فى معجمه الكبير قائلًا : حدثنا الحسن بن إسحاق الذَّهَبِيُّ ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن الحسن الأمدى ، حدثنا إبراهيم ابن طَهْمَان ، عن أبي الزبير ، عن عمير مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوال .

فإنه غريب جداً وفى إسناده نظر . والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا ابن جريج ، أخبرني عطاء ، أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتنى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه . قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعليه ثوب قد أظلم به معه فيه ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمخ بطيب . قال : فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده : أن تعال . فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمرُّ الوجه يغطُّ كذلك ساعة ثم سرَّى عنه فقال : « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفا ؟ » فالتمس الرجلُ فأتى به ، قال : « أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات ،

وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك » .

ورواه مسلم من حديث ابن جريج . وأخرجاه من وجه آخر عن عطاء كلاهما عن صفوان بن يعلى بن أمية به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أسامة ، أنبأنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح من كداء من أعلى مكة ، ودخل في العمرة من كدّى .

وقال أبو داود : حدثنا موسى أبو سامة ، حدثنا حماد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتَمَرُوا من الجعرانة فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أربعاً وجعلوا أردبتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى .

تفرد به أبو داود . ورواه أيضاً ابن ماجه من حديث ابن خثيم ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مختصراً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، حدثني الحسن بن مسلم ، عن طاوس ، أن ابن عباس أخبره أن معاوية أخبره قال : قَصَّرتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بِمَشَقَصَ . أو قال : رأيتُه يَقْصُرُ عَنْهُ بِمَشَقَصَ عند المروة .

وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن جريج به . ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن معاوية به .

ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَرٍ ، عن ابن طاوس عن أبيه به .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ،

حدثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن معاوية قال : قصرت
عن رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة .
وذلك أن عمرة الحديبية لم يدخل إلى مكة فيها بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما
عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل خرجوا منها ، وتغيّبوا عنها مدة مقامه عليه السلام بها تلك الثلاثة
الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق ، فتعيّن أن هذا التقصير الذي
تعاظم معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا . والله تعالى أعلم .
وقال محمد بن إسحاق رحمه الله : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة
معتمراً وأمر ببقاء النخس بحجّة بفاعية مرّ الظهران .
قلت : الظاهر أنه عليه السلام إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب
فيما بين مكة والمدينة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً
إلى المدينة واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس
في الدين ويعلمهم القرآن .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف معاذ مع عتّاب
بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة .

وقال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عتّاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً ، فقام نخطب الناس فقال : أيها

الناس ، أجاع الله كبدَ من جاع على درهم ! فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً كلَّ يوم ، فليست لي حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . قال ابن هشام : قدِمها لستَ بقين من ذي القعدة فيما قال أبو عمرو المدِني .

قال ابن إسحاق : وحينئذ الناسُ ذلك العام على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتَّابُ بن أسيد وهي سنة ثمان .

قال : وأقام أهلُ الطائف على شِرْكهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى

وأبوه هو صاحب إحدى المعلقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذِكْرُ قصيدته
التي سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بآنت سعاد

قال ابن إسحاق : ولما قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنَصَّرِفِهِ عن الطائف
كتب مجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قَتَلَ رجلاً بمكة ممن كان يهجوهُ ويؤذيه ، وأنَّ من بقي من شعراء
قريش : ابنُ الزُّبَيْرِ وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب هربوا ^(١) في كل وجه ، فإن كانت لك في
نفسك حاجة فِطْرٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن
أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض . وكان كعب قد قال :

أَلَا بَلَّغْنَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَوَيْحَكَ ^(٢) فَيَا قَلْتَ وَيْحَكَ هَلْ لَكَ
فَبَيِّنْ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيْ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَفْهِمًا أَبَا لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تُذْنِبِي عَلَيْهِ أَبَا لَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسَفٍ وَلَا قَاتِلٍ إِمَّا عَثَرْتَ لَعَالِكَ ^(٣)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ ^(٤)

قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فَيَا قَلْتَ بِاتَّخِيفٍ هَلْ لَكَ
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

(٢) ابن هشام : فويل لك .

(١) ابن هشام : قد هربوا .

(٣) كلمة يقال للعائر ، دعاء له بالإقالة من عثرته .

(٤) أنهلك : سقاك أولاً . وعلك سقاك ثانياً . والمأمون : يريد به النبي صلى الله عليه وسلم .

وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أى شىء وبغيرك^(١) ذلكا
على خلق لم تُلَفِ أمّا ولا أبّا عليه ولم تُدرِك عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ولا قاتل إمّا عثرت لعا لكا

قال ابن إسحاق : وبعث بها إلى بُحَيْر ، فلما أتت بُحَيْرا كره أن يكتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع : « سقاك بها المأمون » : « صدق وإنه لَكَذُوب » ، أنا المأمون « ولما سمع : « على خُلق لم تُأنف أمّا ولا أبّا عليه » قال : « أجل لم يُأنف عليه أباه ولا أمّه » .

قال : ثم كتب بحير إلى كعب يقول له :

مَنْ مُبَايَعٌ كَعْبًا فَمَهْلُكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بِاطْلًا وَهِيَ أُخْزِمُ
إِلَى اللَّهِ لَا الْعَرْمَى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النِّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلا يَسْمُكُ مِنْ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَابِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَأَشَىءَ دِينُهُ وَدِينُ أَبِي سُلَيْمَى عَلَى مُحَرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأرجف به مَنْ كان في حاضره من عدوّه ، وقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذَكَرَ فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قَدِمَ المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جَهَنمة كما ذَكَرَ لى ، ففداه به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه .

فذكر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إليه ووضع يده في يده ،

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » فقال : إذا أنا ^(١) يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله دغى وعدوا الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دغى عنك ، فإنه جاء تائباً نازعاً » .

قال : فغضب كعب بن زهير على هذا الحى من الأنصار لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير . فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعادُ فقلبي اليومَ مقبولُ	مُتَّيِّمٌ عندها لم يُفدَ مكبولُ ^(٢)
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا	إلا أغنَّ غَضِيضُ الطَّرَفِ مكحولُ ^(٣)
[هيفاه مُقبلةٌ عجزاه مُدبرةٌ]	لا يشتكى قصرَ منها ولا طولُ ^(٤)
تجئوا عوارضَ ذى ظلمٍ إذا ابتسمت	كأنه مُنهلٌ بالراح معلولُ ^(٥)
شجَّتْ بذى شَمٍّ من ماءٍ مخنجةٍ	صافٍ بأبطحٍ أضحى وهو مشمولُ ^(٥)
تنفَى الرياحُ القذى عنه وأفرطه	من صوبٍ غاديةٍ بيضُ يعاليلُ ^(٦)
فيلها خلةٌ لو أنها صدقت	بوعدها أو لو أن النصحَ مقبولُ

(١) ابن هشام : فقال أنا .

(٢) بانت : بعدت . والمتبول : السقيم من الحب . والمكبول : الفيد .

(٣) الأغن : الطي . (٤) عن ابن هشام . (٥) تجلو : تكشف ، والظلم : بريق الأسنان وبياضها .

(٥) شجَّتْ : مزجت . والشم الشديد البرد . والمخنية : منعطف الوادى . والمشمول : الذى ضربته ريح شمال حتى برد .

(٦) أفرطه : سبق إليه . والصوب : المعار . والغادية : السحابة تغار غدوة . واليعاليل : السحب البيض

لكنها خلة قد سيطر من دميها
فما تدوم على حال تكون بها
وما تمسك بالعهد الذي زعمت
فلا يفرنك ما ممت وما وعدت
كانت مواعيد عروق لها مثلاً
أرجو وآمل أن تدنو مودتها
أمت سعاد بأرض لا تبلغها
ولن يبلغها إلا عذافرة
من كل نضاجة الذفرى إذا عرفت
ترى الغيوب بعيني مفرد لهما
ضخم مقلدها فعم مقلدها
حرف أخوها أبوها من مهجفة
يمشي القراد عليها ثم يزلقه

فَجَعَّ وَلَعَّ وإخلاف وتبدل^(١)
كما تلون في أثوابها القول
إلا كما يمسك الماء الغرايل
إن الأمانى والأحلام تضليل
وما مواعيد لها إلا الأباطيل
ومالهن إخال الدهر تعجيل^(٢)
إلا العتاق النجيمات المراسيل
فيها على الأبن إرقال وتبغيل^(٣)
عرضتها طامس الأعلام مجهول^(٤)
إذا توقدت الحزان والميل^(٥)
في خلقها عن بنات الفحل تفضيل^(٦)
وعمها خالها قوداء شمليل^(٧)
منها لبان وأقارب زهاليل^(٨)

(١) الخلة : الصجة . وسيط : خلط .

(٢) ابن هشام : وما لإخال لدينا منك تنويل .

(٣) العذافرة : العظيم الشديد من الإبل . والأين : التعب . والإرقال : الإسراع . والتبغيل : ضرب من

سير الإبل .

(٤) النضاجة : النزيرة . والذفرى : العظيم الشاخص خلف الأذن . وعرضتها : وجهتها . وطامس
الأعلام : المتغير الذى لا يمتدى فيه .

(٥) الهمق : الثور الأبيض والحزان : جم حزيز وهو المسكان الغليظ المنقاد . والميل : ما اتسع من الأرض

(٦) المقلد : موضع الغلادة من العنق . والفعم : المتلى .

(٧) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . والقوداء : الشديدة العنق . والشمليل : السريعة .

(٨) القراد : دويبة . واللبان : الصدر . والأقارب : جم قرب وهو الحاصرة . والزهاليل :

جم زهلول وهو الأملس

عَيْرَانَةٌ قَذِفَتْ بِالْفَنَحْضِ عَنْ عُرْضٍ مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَقْتُولٌ^(١)
 قَنَوَاهُ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عَمِيقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخُلْدَيْنِ تَسْهِيلٌ^(٢)
 كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنِيهَا وَمَذْبَحُهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرٌ طِيلٌ^(٣)
 تَمَرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تَخَوَّنَهُ الْأَحَالِيلُ^(٤)
 تَهْوَى عَلَى يَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلُ مَسْهَنٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلٌ^(٥)
 يَوْمًا يَظْلُ بِهَ الْحَرْبَاءُ مُصْطَخِدًا كَأَن ضَاحِيَهُ بِالشَّمْسِ تَحْلُولٌ^(٦)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلْتُ وَرَقَ الْجَنَادِبِ يُرْكِضُنَ الْحَصَا قِيلُوا^(٧)
 أَوْبٌ بِدَى فَاقدٍ شَمَطَاءٍ مُعْوَلَةٍ قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُسْكَدٌ مِثْلُ كَيْلٍ^(٨)
 نَوَاحَةٌ رَخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكُرْهَا النَّاعُونَ مَقْتُولٌ^(٩)
 تَفْرَى اللَّبَانَ بِكَفَّيْهَا وَمِذْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهِمَا رَعَابِيلٌ^(١٠)
 تَسْمَى الْغَوَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلَاهُمُ إِنَّكَ يَا بَنِي أَبِي سُلَيْمَى لَمَقْتُولٌ^(١١)
 وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كَفَتْ أَمَلُهُ لَا إِلَهَ مَعَكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ

- (١) العيرانة من الإبل ، الناجية في نشاط . والنحض : اللحم المكتنز . والعرض : الجانب .
 (٢) القنواء : المرتفعة الأنف ، وهو عيب في الفرس .
 (٣) البرطيل : حجر أو حديد طويل صلب خالقة ، ينقر به الرحي . وهو المعول أيضا
 (٤) عسيب النخل : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . والغارز : الضرع . وتخونه : تنقصه . والأحاليل : جمع لأحليل وهو مخرج اللبن .
 (٥) ابن هشام : تحدى . اليسرات : الخفاف المسهلة . والتجليل : الجرى . حل : عدا .
 (٦) الحرباء : دويبة تستقبل الشمس برأسها . والمصطخذ : المحترق من حرارة الشمس . والضاحي : ما يبرز منه للشمس . والحلول : المذاب .
 (٧) الجنادب : الجراد . والورق : التي يضرب لونها إلى السواد .
 (٨) الأوب : رجع القوائم في السير . والشمطاء : التي خالطها الشيب . والمعولة : الصائحة بالبكاء . والنسكد : جمع نسكداء وهي التي لا يبق لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكلة وهي التي لزمها الثكل .
 (٩) الرخوة : المسترخية والضبع : العضد .
 (١٠) اللبان : الصدر . والمدرع : القميص . والرعايل : المعزق ..
 (١١) جنابيهما : حولها

فقلت خَلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ
كلُّ ابنِ أنثى وإن طالتِ سلامتهُ
نُبِّئتُ أن رسولَ الله أُوعدَنِي
مهلاً هَذاكَ الذي أعطاك نافلةً لا
لأَتَأْخُذَنِي بِأَقْوَالِ الوَشَاةِ ولم
لقد أقومُ مقاماً لو يقوم به
أظَلُّ يُرْعَدُ إلا أن يكون له
حتى وضعتُ يميني ما أَنازعها
فلَهُوَ أَخُوفٌ عِنْدِي إِذ أَكَلَهُ
من ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مُحْدَرِهِ
يَغْدُو فَيُجِئُهُمُ ضِرْغَامِينَ عَيْشُهُمَا
إِذَا يُسَاوِرُ قَرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ
منهُ تَظَلُّ حَمِيرِ الوَحْشِ نَافِرَةً
ولا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ
إِن الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالُوا لَهُمْ
زَالُوا فَازَالِ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ

فكل ما قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
يوماً على آتَةٍ حَدْبَاءُ سَحْمُولُ
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
قِرْآنٌ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ
أُذْنُوبٍ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلُ
أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْقَيْلُ
مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(١)
فِي كَفٍّ ذِي نَقَمَاتٍ قَوْلُهُ الْقَيْلُ
وَقِيلُ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
فِي بَطْنِ عَثْرَ غَيْلٍ دُونَهُ غَيْلُ^(٢)
لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَغْفُورٌ خَرَادِيلُ^(٣)
أَنْ يَبْرُكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَغْلُولُ
وَلَا تَمْشِي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٤)
مُضْرَجُ الْبَرْزِ وَالْدُرْسَانُ مَا كُولُ^(٥)
مُهَيَّذٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
يَبْطُنُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ^(٦)

(١) الأصل : اظل يرعد من وجد موارده من الرسول : وما أنبته عن ابن هشام

(٢) الضراء : الأرض المستوية .

(٣) المغفور : الملقى في التراب . والخراديل : القطع الصغار .

(٤) الأراجيل : جماعات الرجال .

(٥) البر : السلاح . والدرسان : الثياب الخلقة .

(٦) الأنكاس : جمع نكس وهو الجبان . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم .

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَلَالِ الزُّهْرُ يَفْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ^(١)
 شُمُّ الْعَرَانِينَ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْمِيجَا سِرَايِيلُ
 بَيْضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شُكَّتْ لَهَا خَلْقٌ كَانَتْهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ^(٢)
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا بِمَجَازِيْعًا إِذَا نَبِيْلُوا
 لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نَحْوِ رِمْحِهِمْ وَلَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هَكَذَا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ولم يذكر لها إسناداً .

وقد رواها الحافظ البيهقي في دلائل النبوة بإسناد متصل ، فقال : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ،
 أنبأنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدي بهمدان ، حدثنا إبراهيم بن
 الحسين ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا الحجاج بن ذى الرقيبة بن عبد الرحمن
 ابن كعب بن زهير بن أبي سلمى ، عن أبيه ، عن جده قال : خرج كعب وبُجَيْر ابنا زُهير
 حتى أتيا أبرق العزّاف ، فقال بُجير لكعب : اثبت في هذا المكان حتى آتى هذا
 الرجل - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأسمع ما يقول : فثبت كعب ، وخرج بجير
 فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم . فبلغ ذلك كعباً فقال :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً عَلَى أَى شَيْءٍ وَنَبَّ غَيْرَكَ ذَلِكَ
 عَلَى خَلْقٍ لَمْ تَلَفْ أُمًّا وَلَا أَبًا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ
 سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَاسٍ رَوِيَةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ
 فَلَمَّا بَلَغْتَ الْآيَاتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَرَ دَمَهُ وَقَالَ : « مِنْ لَقَى
 كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ » .

فكتب بذلك بُجير إلى أخيه ، وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه
 ويقول له : الفجاء وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أن رسول الله صلى الله

(١) عرد : هرب . والتنايل : الفصار .

(٢) القفعاء : ضرب من الحسك تشبه به حلق الدر

عليه وسلم لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبل .

قار : فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم متعلقون معه حلقة خلف حلقة ، يلتفت إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم .

قال كعب : فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة حتى جلست إليه فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله الأمان يا رسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قال : كعب بن زهير . قال : « الذي يقول » ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كيف قال يا أبا بكر ؟ » فأنشده أبو بكر :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَةً وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَدَّكَ

قال : يا رسول الله ما قلت هكذا قال : « فكيف قلت ؟ » قال قلت :

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأْسًا رَوِيَةً وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَدَّكَ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مأمون والله . ثم أنشده القصيدة كلها حتى أتى

على آخرها وهي هذه القصيدة :

بانت سعادُ فقلبي اليوم مَتَّبُولُ مُتَيِّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ

وقد تقدم ما ذكرناه من الرمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقي رحمهما الله

عز وجل وذاكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن كعباً لما انتهى إلى قوله :

إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مَهْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورُ

نَبَّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

قال : فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من معه أن اسمعوا . وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في مغازيه . والله الحمد والمنة .

قلت : ورد في بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه بُرْدته حين أنشده القصيدة ، وقد نظم ذلك الصَّرْصَرى في بعض مدائحه ، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في الغابة ، قال : وهى البردة التى عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك فى شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه . قاله أعلم .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ، لما قال بانت سعاد : ومن سعاد ؟ قال : زَوْجَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : لم تَبِيْنُ .

ولكن لم يصح ذلك . وكأنه على ذلك توهم أن بإسلامه تَبِيْنُ امرأته ، والظاهر أنه إنما أراد البَيِّنونة الحسبية لا الحكمية . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب - يعنى فى قصيدته - « إذا عرَّد السودُ التَّنَائِيلَ » وإنما يريدنا معشر الأنصار لما كان صاحبنا صَنَعَ به ، وخص المهاجرين من قريش بمدحِهِ ، غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعهم من اليُمن :

من سرَّه كرمُ الحياة فلا يزلْ فى مِقْنَبٍ من صالحى الأنصارِ^(١)
ورثوا المكارمَ كابرًا عن كابرٍ إنَّ الخيَّارَ همُ بنو الأخيارِ
المكرهين السَّمَّهْرَى بأذرع كسَّوالفِ الهنديِّ غيرِ قصَّارِ

والناظرين بأعينٍ مُحمَّرةٍ كالجزر غير كليله الإِصارِ
 والبايعين نفوسهم لنبيهم لِلدوت يومَ تَمَانِي وكرارِ
 يتطهَّرون يرونه نُسْكا لهم بدماء من عَلِقُوا من الكفارِ
 دَرَبُوا كما دَرَبَتْ بطونُ خَفِيَةٍ غُلِبَ الرقاب من الأسود ضَوَارِي
 وإذا حَلَّتْ لِيَنعَمُوكَ إِلَيْهِمْ أَصْبَحَتْ عِنْدَ مَعَاقلِ الأَعْفَارِ (١)
 ضَرَبُوا عَلِيًّا يومَ بدرٍ ضَرْبَةً دانت لَوَقْعَتِهَا جميعُ نَزَارِ
 لو يَعْلَمُ الأَقْوَامُ عِلى كُلِّهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي
 قومٌ إذا خَوَتْ النجومُ فإِيهُم لِلطَّارِقِينَ النَّاظِلِينَ مَقَارِي

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده بانت سعاد :
 « لولا ذكرتَ الأنصارَ بخيرٍ فإنهم لذلك أهل ؟ » فقال كعب هذه الأبيات وهي في
 قصيدة له .

قال : وبلغني عن علي بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله صلى
 عليه وسلم في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

وقد رواه الحافظ البيهقي بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثني معن بن
 عيسى ، حدثني محمد بن عبد الرحمن الأفطس ، عن ابن جدعان . فذكره وهو مرسل .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في كتاب « الاستيعاب في معرفة
 الأصحاب » بعد ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كل كعب بن
 زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بُجَيْر ، وكعبٌ أشعرهما ،
 وأبوهما زهير فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجبُ من شيءٍ لأعجبني سَعَى النقي وهو تحبُّوه له القَدَرُ

يسعى الفتى لأُمُورٍ ليس يُذَرِّكها فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ مُنْتَشِرُ
والمرءُ ماعاشٍ ممدودٌ له أملٌ لا تنتهى العينُ حتى ينتهى الأثرُ
ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ، ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم
يؤرخها أبو الحسن بن الأثير فى كتاب الغاية فى معرفة الصحابة ، ولكن حكى أن أباه
توفى قبل المنبعث بسنة . فالله أعلم .

وقال السهيلي : ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

تَجْرَى به الناقةُ الأدماءَ معتجراً بالبُردِ كالبدرِ جَلَى ليلةَ الظُّلَمِ-
ففى عِطَافِيهِ أو أثناءَ بُرْدَتِهِ ما يَعْلَمُ الله من دِينٍ ومن كَرَمِ-

فصل

فما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بخنن ، وبعده كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة في ذى القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقدي : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لليال بقين من ذى الحجة في سَفَرته هذه .

قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمر بن ابني الجُلَنْدَى من الأَزْدِ ، وأخذت الجزية من مجوس بلدها ومن حولها من الأعراب .

قال : وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك بن سفيان السكلابي في ذى القعدة ، فاستعازت منه عليه السلام ففارقها ، وقيل بل خيَّرها فاخترت الدنيا ففارقها .

قال : وفي ذى الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية ، فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابِلَتُها فيه سلمي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشَّر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه مملوكا ، ودفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بَرّة بنت المنذر بن أسيد بن خِدَاش بن عامر بن غَنَم بن عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن مَبْدُول .

وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع .
وقد قدمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لحس بقين من رمضان منها .

قال الواقدي : وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه ولم يجد في خزانته شيئا ، وفيها هدم مناة بالمشلل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلا مفيدا مبسوطا في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى :
« أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » .

قلت : وقد ذكر البخاري بعد فتح مكة قصة تخريب خنعم البيت الذي كانت تعبده ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهية للكعبة التي بمكة ، ويسمون التي بمكة الكعبة الشامية وتلك الكعبة اليمانية ، فقال البخاري : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن جرير قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ألا تريحي من ذي الخلصة ؟ » فقلت : بلى .

فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنت لأثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده في صدرى حتى رأيت أثر يده في صدرى وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » قال : فما وقعت عن فرس بعد .

قال : وكان ذو الخلصة يبتغى باليمن لخنعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة اليمانية . قال : فأتاها فحرقها في النار وكسرها .

قال : فلما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام ف قيل له : إن رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم هاهنا فإن قدر عليك ضرب عنقك ، قال : فبينما هو يضرب بها إذ

وقف عليه جرير فقال : لتكسرنها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك .
فكسرها وشهد .

ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أَرْطاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره
بذلك . قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله والذي بعثك
بالحق ما جئتُ حتى تركتها كأنها جمل أجرب . قال : فبارك رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خيل أحمس ورجالها خمس مرات .

ورواه مسلم من طرق متعددة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ،
عن جرير بن عبد الله البجلي بنحوه .

« وإلى هنا ينتهى الجزء الثالث من السيرة النبوية لابن كثير

ويتلوه الجزء الرابع وأوله ذكر غزوة تبوك »

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٩	الذي رمى في وَجْنَتِي النبي (ص)	٣	سنة ثلاث من الهجرة
٦٠	« وما محمد إلا رسول .. »	(٣٢)	غزوة ذي أمر
٦١	جهاد أنس بن النضر	٥	خبر يهود بني قينقاع
٦٣	الرسول يقتل أبي بن خلف	٨	سرية زيد بن حارثة إلى غير قریش
٦٥	كيف كُفِّنَ مُصْعَب بن عمير !	٩	مقتل كعب بن الأشرف اليهودي
٦٦	خبر عَيْثِي قتادة بن النعمان	١٨	غزوة أحد
٦٧	نسبة بنت كعب تقاتل في أحد	١٩	حديث ابن إسحاق عن أحد
	أول من عرف رسول الله بعد	٣٤	مقتل حمزة رضي الله عنه
٦٨	المزينة ..	٣٩	النفر الذين قاتلوا دون رسول الله
٦٩	شعر لحسان بن ثابت في أبي بن خلف ..	٤١	حنظلة غسيل الملائكة
٧١	خبر قُرْظُمان	٤١	شعر لأبي سفيان يوم أحد
٧٢	خبر نُجَيرِيق اليهودي	٤٢	بقية حديث ابن إسحاق
٧٣	خبر الأصيرم .. وعمرو بن الجوح	٤٦	مانصر الله في موطن كما نصر يوم أحد
٧٤	شأن هند بنت عتبة في أحد	٤٩	روايات للإمام أحمد
٧٥	نداء أبي سفيان حين انصرافه من أحد	٥٢	روايات للبخاري
٧٧	دعاء النبي (ص) بعد الوقعة يوم أحد	٥٥	وقع في أحد أشياء مما وقع في بدر
٧٨	الرسول يسأل عن سعد بن الربيع		فصل فيما لقي النبي (ص) يومئذ من
٧٩	حزن الرسول على حمزة	٥٧	المشركين
٨٠	ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد	٥٨	ذاك يوم كله لطلحة !

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٧	عبد الله بن رواحة يبكي شهداء أحد	٨٤	كان رسول الله يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد
١١٨	صفية بنت عبد المطلب تبكي حمزة	٨٥	ادفنوهم حيث صرعو
١١٩	أبيات لحسان بن ثابت	٨٦	خبر جابر عن دفن أبيه
١٢٠	حوادث سنة ثلاث	٨٨	الرسول يبشر جابرا ..
١٢١	سنة أربع من الهجرة	٨٩	كان الرسول يزور شهداء أحد
١٢٣	غزوة الرجيع	٩١	عدد شهداء أحد
١٢٥	رواية ابن إسحق في ذلك	٩٣	رجوع الرسول إلى المدينة ..
١٣٢	ما قيل من الشعر في غزوة الرجيع	٩٥	« لكن حمزة لا بواكى له .. »
١٣٥	سرية عمرو بن أمية الضمري	٩٧	خروج النبي بأصحابه إلى حراء الأسد
١٣٩	سرية بثر معونة	١٠٢	مقتل أبي عزة الجمحي ومعاوية بن المغيرة
١٤٥	غزوة بني النضير	١٠٣	افتضاح عبد الله بن أبي بن سلول
١٥٠	ما قيل فيها من الشعر	١٠٣	فصل فيما تقاويل به المؤمنون والكفار
١٥٣	ما أفاء الله على رسوله	١٠٥	ما قيل في وقعة أحد من الأشعار
١٥٥	قصة عمرو بن سعدى	١٠٥	قصيدة لهبيرة بن أبي وهب
١٥٦	غزوة بني الحيان	١٠٦	إجابة حسان بن ثابت له
١٦٠	غزوة ذات الرقاع	١٠٧	قصيدة لكعب بن مالك
١٦١	قصة غورث بن الحارث	١١٠	قصيدة لعبد الله بن الزبيرى
١٦٤	قصة الذى أصيبت امرأته في هذه الغزوة	١١١	إجابة حسان بن ثابت له
١٦٦	قصة جمل جابر في هذه الغزوة	١١٢	كعب يبكي حمزة
١٦٩	غزوة بدر الآخرة	١١٣	وحسان يبكي حمزة وشهداء أحد
١٧٢	فصل في جملة من الحوادث سنة أربع	١١٦	قصيدة أخرى لكعب بن مالك
١٧٧	سنة خمس من الهجرة		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٧	الرسول يبعث حذيفة لينظر ما فعل العدو	١٧٦	غزوة دومة الجندل
٢٢١	معنى : « وكفى الله المؤمنين القتال »	١٧٨	غزوة الخندق
٢٢٢	من استشهد في غزوة الخندق	١٨٠	الخلاف في السنة التي وقعت فيها
٢٢٣	فصل في غزوة بني قريظة	١٨١	سياق ابن إسحق في غزوة الخندق
	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	١٨٦	من معجزات الرسول في غزوة الخندق
٢٢٦	الخلاف في المصيب من الصحابة في تلك الصلاة	١٩٧	قدوم قريش وخروج المسلمين إليهم
٢٢٧	الرسول يقدم على بن أبي طالب ومعه رايته ..	١٩٨	بنو قريظة تنقض العهد
٢٢٩	شأن أبي لُبابة مع بني قريظة	٢٠١	اشتداد البلاء على المسلمين
٢٣٠	كعب بن أسد يشاور بني قريظة	٢٠٢	محاولة الفوارس اقتحام الخندق
٢٣٢	من أسلم من اليهود في تلك الغزوة	٢٠٧	إصابة سعد بن معاذ
٢٣٢	بنو قريظة ينزلون على حكم رسول الله	٢٠٨	من الذي أصاب سعد بن معاذ ؟
٢٣٣	حكم سعد بن معاذ فيهم		صفية بنت عبد المطلب أشجع من حسان بن ثابت !
٢٣٤	روايات في شأن سعد بن معاذ	٢٠٨	« شغلونا عن صلاة العصر .. »
٢٣٦	رواية مطولة للإمام أحمد	٢٠٩	الرسول يبشر أصحابه
٢٣٨	كيف قُتل بنو قريظة	٢١٠	الصلاة الوسطى هي صلاة العصر
٢٣٩	كيف قُتل حيي بن أخطب	٢١١	هل يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ؟
٢٤٠	قصة الزبير بن باطا	٢١٣	فصل في دعائه عليه السلام يوم الأحزاب
٢٤١	حكم صبيان أهل الذمة	٢١٤	حيلة نعيم بن مسعود
		٢١٦	رواية موسى بن عقبة في ذلك

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٥	سنة ست من الهجرة :	٢٤٢	لم يقتل من نساء بني قريظة إلا
٢٨٦	غزوة ذي قرد		امراة واحدة
٢٩٣	المرأة التي نجت على ناقة النبي (ص)	٢٤٢	قسمة أموال بني قريظة
٢٩٤	ما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد	٢٤٣	من استشهد في تلك الغزوة
٢٩٧	غزوة بني المصطلق	٢٤٣	وفاة سعد بن معاذ
٢٩٩	شأن عبد الله بن أبي بن سلول في	٢٤٥	ضفطة سعد بن معاذ في قبره !
	تلك الغزوة	٢٤٧	اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ
٣٠٢	حكم العزل عن النساء	٢٤٩	شعر لأم سعد بن معاذ
٣٠٢	قصة جوهرية بنت الحارث	٢٥٠	كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد !
٣٠٤	قصة الإفك	٢٥٠	رثاء حسان بن ثابت لسعد
٣١٠	حسان يهجو صفوان بن المعطل	٢٥١	فصل فيما قيل من الأشعار في الخندق
٣١١	شعر لحسان بن ثابت يعتذر لعائشة		وبني قريظة
٣١٢	غزوة الحديبية :	٢٦١	مقتل أبي رافع اليهودي
٣١٢	سياق ابن إسحاق عن تلك الغزوة	٢٦٧	مقتل خالد بن سفيان الهذلي
٣١٩	بيعة الرضوان	٢٧٠	قصة عمرو بن العاص مع النجاشي
٣٢٠	كتابة العهد بين الرسول وقرش		بعد الخندق وإسلامه مع خالد
٣٢١	شأن أبي جندل		ابن الوليد
٣٢٤	كانت بيعة الرضوان فتحاً !	٢٧٣	زواج النبي (ص) بأم حبيبة
٣٢٥	عدد المسلمين في تلك الغزوة	٢٧٧	زواجه (ص) بزینب بنت جحش
٣٢٧	الشجرة التي بايعوا تحتها	٢٧٨	تفسير الآيات التي نزلت في قصة
٣٢٨	على أي شيء كانت البيعة ؟		زینب
٣٢٩	ذكر سياق البخاري لعمره الحديبية	٢٨٠	نزول الحجاب صبيحة عرس زینب
		٢٨٣	فضل زینب بنت جحش

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٥	فتح حصون خيبر وقسمة أرضها	٣٣٨	ذكر السرايا والبعوث التي كانت في سنة ست
٣٧٨	الرسول يقرّ يهود خيبر في أرضها	٣٤٢	ما وقع من الحوادث في هذه السنة
٣٨٠	قسمة غنائم خيبر	٣٤٤	سنة سبع من الهجرة ✓
٣٨١	حكم الأراضي المغنومة	٣٤٤	غزوة خيبر في أولها
٣٨٤	سهم النبي في خيبر	٣٤٦	قصة عامر بن الأكوع
٣٨٦	الرضخ للعبيد والنساء في خيبر	٣٤٨	الله أكبر خربت خيبر
٣٨٩	قدوم جعفر بن أبي طالب ومن كان بقي بالحبشة من المسلمين	٣٤٩	النهي عن لحوم الجمر الأهلية
٣٩٢	أبو هريرة يسأل رسول الله أن يقسم له من خيبر	٣٥١	لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله
٣٩٤	قصة الشاة المسومة	٣٥٥	مقتل مرّحّب اليهودي
٤٠١	رجوع الرسول إلى المدينة	٣٥٩	مقتل ياسر أخى مرّحّب
٤٠٥	شعر لابن لقيم العبسي في فتح خيبر	٣٦٠	الرجل الذي قتل نفسه
٤٠٦	ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة	٣٦١	العبد الأسود الذي قتل شهيدا
٤٠٧	خبر الحجاج بن علاط البهزي	٣٦٣	فتح حصون خيبر
٤١٢	فصل في مروره عليه السلام بوادي القرى ..	٣٦٣	تحريم لحوم الجمر الأهلية
٤١٤	معاملة الرسول ليهود خيبر .. وكيف أخرجهم عمر منها ..	٣٦٤	ما نهى عنه الرسول في خيبر
٤١٧	سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة	٣٦٥	النهي عن نكاح المتعة
٤١٨	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة من أرض هوازن	٣٦٦	الخلاف في تحريم نكاح المتعة
		٣٦٩	حلّ أكل شحوم اليهود
		٣٧١	قصة صفية بنت حيي
		٣٧٥	تسليم يهود خيبر

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٤٥٨	نزول المسلمين بمكان من أرض الشام	٤١٨	سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير
٤٦١	استشهاد جعفر بن أبي طالب		ابن رزام
٤٦٢	استشهاد عبد الله بن رواحة	٤١٩	سرية أخرى مع بشير بن سعد
٤٦٣	الرسول يخبر المسلمين بخبر مؤتة	٤٢٢	سرية أبي حذرد إلى الغابة
٤٦٩	لقاء الرسول والمسلمين لجيش مؤتة	٤٢٣	السرية التي قتل فيها محم بن جثامة
	وتأنيب الصبيان لهم		عاصم بن الأضبط
٤٦٩	استدراك لابن كثير على ابن إسحاق	٤٢٦	سرية عبد الله بن حذافة السهمي
	في شأن الفارين من مؤتة	٤٢٨	عُمره القضاء
٤٧١	كان يسوغ الفرار من مؤتة	٤٣٩	قصة تزويجه عليه السلام بميمونة
	لكثرة العدو	٤٤٢	خروجه (ص) من مكة بعد قضاء عمرته
٤٧١	ثبت باقي المسلمين فنصرهم الله في مؤتة . . ودليل على ذلك .	٤٤٢	قصة ابنة حمزة
٤٧٣	رأى ابن إسحاق في ذلك	٤٤٤	سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم
٤٧٤	الرسول يعزّي آل جعفر بن أبي طالب	٤٤٦	سنة ثمان من الهجرة :
٤٧٧	إحداد أسماء على زوجها جعفر	٤٤٦	فصل في إسلام عمرو بن العاص وخالد
٤٧٨	تلقى الرسول والمسلمين للجيش		ابن الوليد وعثمان بن أبي طلحة
٤٨٠	فصل في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة :	٤٥٠	طريق إسلام خالد بن الوليد
٤٨٠	فضل زيد بن حارثة	٤٥٣	سرية شجاع بن وهب إلى نفر من هوازن
٤٨٣	فضل جعفر بن أبي طالب	٤٥٤	سرية كعب بن عمير إلى بني قضاة
٤٨٦	فضل عبد الله بن رواحة	٤٥٥	غزوة مؤتة :
٤٨٩	ذكر من استشهد يوم مؤتة	٤٥٦	توديع الناس لأمراء مؤتة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٤٣	إسلام العباس بن عبد المطلب	٤٩٠	فضيلة عظيمة لأمرأ هذه السرية
٥٤٥	نزول المسلمين بمرّ الظهران	٤٩١	ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة
	خروج أبي سفيان بن حرب وصاحبيه		كتاب بعث رسول الله (ص)
٥٤٦	يتجسسون الأخبار	٤٩٤	إلى ملوك الآفاق
٥٤٧	العباس يصحب أبا سفيان إلى الرسول		حديث أبي سفيان عن كتاب رسول
٥٤٩	إسلام أبي سفيان بن حرب	٤٩٥	الله إلى قيصر
٥٥٥	صفة دخول الرسول (ص) مكة	٥٠٢	رواية أخرى في ذلك
٥٥٧	إسلام أبي قحافة		إرساله (ص) إلى ملك العرب من
٥٦٠	دخول خالد بن الوليد مكة	٥٠٦	النصارى بالشام
	النفرة الذين أهدر الرسول (ص)	٥٠٧	ذكر بعثه إلى كسرى ملك الفرس
٥٦٣	دماءهم في فتح مكة	٥١٠	مقتل كسرى ، وآية للرسول في
٥٦٩	طواف الرسول بالبيت حين دخل		ذلك « إذا هلك كسرى فلا
(٥٧٠)	خطبة الرسول على باب الكعبة	٥١٠	كسرى بعده »
٥٧١	تكسير الأصنام حول الكعبة	٥١٠	ملك الروم لا يعود أبدا إلى أرض الشام
٥٧٥	أذان بلال وما أثاره في نفوس الكافرين	٥١٤	بعثه (ص) إلى المقوقس
٥٧٦	محاولة أبي سفيان المقاومة	٥١٦	غزوة ذات السلاسل
٥٧٧	« إن الله حرم مكة . . »	٥٢١	سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر
٥٧٧	هل فتحت مكة عنوة أم صلحا ؟	٥٢٤	موت النجاشي وصلاة الرسول عليه
٥٧٩	أول قتيل وداه رسول الله يوم يفتح	٥٢٦	غزوة الفتح الأعظم :
٥٨١	تخوف الأنصار من إقامة الرسول بمكة	٥٢٦	سبب فتح مكة
	ورد الرسول عليهم	٥٣٦	قصة حاطب بن أبي بلتعة
	فضالة بن عير يحاول اغتيال الرسول (ص)	٥٣٩	خروج الرسول مع المسلمين إلى مكة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	هزيمة المسلمين في أول الوقعة ونداء	٥٨٢	إسلام صفوان بن أمية
٦١٨	الرسول لهم	٥٨٥	إسلام ابن الزبيرى ، وشعر له
٦١٩	ماقاله بعض الطلقاء حين الهزيمة	٥٨٦	عدد المسلمين في فتح مكة
٦٢٠	خنجر أم سليم !	٥٨٧	ما قيل من الشعر في يوم الفتح
٦٢٢	« لكن رسول الله لم يفر .. »		بعثه عليه السلام خالد بن الوليد إلى
٦٢٣	« من قتل قتيلًا فله سلبه »	٥٩١	بنى جذيمة
٦٢٥	« يا عباس ناد : يامعشر الأنصار .. »		قصة الفتى من بنى جذيمة الذى قتله
٦٢٦	فضل الأنصار في هوازن	٥٩٥	جند خالد
٦٢٧	« الآن حى الوطيس .. »	٥٩٧	بعث خالد بن الوليد لهدم العُزْرى
٦٣١	قصة شيبه بن عثمان مع الرسول	٥٩٨	مدة إقامة الرسول بمكة
٦٣٣	الملائكة تقاتل في حنين	٦٠٠	ماحكم به (ص) بمكة من الأحكام
٦٣٣	شعر لخديج بن العرجاء النصرى		بيعة الرسول للناس يوم الفتح على
٦٣٤	شعر لمالك بن عوف النصرى	٦٠٢	الإسلام
٦٣٥	« قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللات »	٦٠٣	بيعة النساء يوم الفتح
	شعر للعباس بن مرداس في فرار	٦٠٥	« لا هجرة بعد فتح مكة .. »
٦٣٦	قارب بن الأسود	٦٠٦	حكم الهجرة بعد الفتح ..
٦٣٧	وقوف هوازن بعد الهزيمة ..	٦٠٧	« إذا جاء نصر الله والفتح .. »
٦٣٨	الرسول يأمر بجمع الغنائم	٦١٠	غزوة هوازن يوم حنين
٦٣٨	الرسول نهى عن قتل النساء	٦١٠	متى كانت غزوة هوازن ؟
٦٤٠	غزوة أوطاس	٦١١	دريد بن الصمة يخرج مع قومه
٦٤٤	من استشهد يوم حنين وأوطاس	٦١٥	عدد المسلمين في هوازن
٦٤٥	ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن	٦١٨	فصل في كيفية الوقعة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٧٢	ردّ السبي كان بعد قسمة الغنائم	٦٥٢	غزوة الطائف
٦٧٣	بعض الأنصار يتكلم في قسمة الغنائم	٦٥٢	قصيدة لسكعب بن مالك في غزوة الطائف
٦٧٤	استرضاء الرسول للأنصار	٦٥٥	أول دم أقيد به في الإسلام
٦٨٠	العباس بن مرداس يطلب زيادة العطاء	٦٥٥	مرور المسلمين بقبر أبي رغال
٦٨٢	الذين أعطاهم الرسول مائة من الإبل	٦٥٦	حصار المسلمين للطائف
٦٨٣	قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول	٦٥٧	« من خرج إلينا من العبيد فهو حر »
٦٨٤	شعر لحسان في تأخر الأنصار عن الغنيمة	٦٥٨	الرسول أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق
٦٨٦	اعتراض بعض الجهلة على قسمة الرسول	٦٥٩	« من بلغ بسهم فله درجة في الجنة »
٦٨٨	مجيء أخت رسول الله من الرضاعة	٦٦٠	قصة الخنث الذي سمعه الرسول يذكر النساء
٦٩٢	عمرة الجعرانة في ذى القعدة	٦٦١	رجوع المسلمين عن الطائف
٦٩٥	عمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح	٦٦٣	الرسول يدعو بهداية ثقيف
٦٩٩	إسلام كعب بن زهير	٦٦٣	من استشهد من المسلمين بالطائف
٧٠١	قصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد	٦٦٥	نزول ثقيف على حكم الرسول وإسلامهم
٧٠٥	رواية للبيهقي في إسلام كعب	٦٦٧	مرجعه عليه السلام من الطائف وقسمة غنائم هوازن
٧٠٧	الرسول يخضع على كعب برده	٦٦٧	وفد هوازن يستعطف الرسول
٧٠٧	كعب بن زهير يمدح الأنصار	٦٦٨	الرسول يعطيهم النساء والأبناء
٧٠٨	شيء عن كعب بن زهير	٦٧١	ما أصاب كل مسلم من الغنائم
٧١٠	ما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان		

فهرس القوافى

الصفحة	الشاعر	القافية
	(الهمة)	
٥٨٧	حسان بن ثابت	خلاه
٥٥٩	امراة من قرش	لجاء
٤٦٠	عبدالله بن رواحة	الحساء
٥٥٧	حسان بن ثابت	كداء
	(الباء)	
٣٥٨	مرحب اليهودى	يعطب
٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥	مرحب اليهودى	مجرى
٣٥٧	كعب بن مالك	صلب
١٣٤	حسان بن ثابت	واثيموا
٤٦١	عبدالله بن رواحة	شراها
٥٣٥	حسان بن ثابت	رقابها
٦٤٥	عباس بن مرداس	الكتاب
٢٠٥	على بن أبى طالب	أصحابى
٢٥٣	عبدالله بن الزبيرى	الأحقاب
٢٥٥	كعب بن مالك	الوهاب
٤٣	حسان بن ثابت	صواب
٢٠٥ ، ٢٠٣	على بن أبى طالب	بصواب
٤٣	حسان بن ثابت	الحواب

الصفحة	الشاعر	القافية
١٦	محيصة بن مسمود	قارب
١١٩	هند بنت عتبة	مطلبي
٤١	أبو سفيان بن حرب	شعوب
٤١	ابن شعوب	مجيبي
٤٢	حسان بن ثابت	عصيب
	(الناء)	
٦٣٥	امراة من المسلمين	بالثبات
٤٦٢	عبدالله بن رواحة	صليت
	(الجيم)	
٤١١	الفريرة بنت همام	حجاج
١١٢	كعب بن مالك	تلجج
	(الحاء)	
١١٣	حسان بن ثابت	النوايح
٣٠٩	—	ومسطح
	(الدال)	
٢٠٨	أبو أسامة الجشمي	خالد
١١٦	كعب بن مالك	الأغيد
١٨٤	—	أبدًا
٤٥٦	عبدالله بن رواحة	الزبدًا
٢٤٩	أم سعد بن معاذ	وحدًا
٢٩٥	حسان بن ثابت	سعدًا
٥٣٢ ، ٥٢٧	عمرو بن سالم الخزاعي	الأنلدًا

الصفحة	الشاعر	القافية
٦٤٢	رجل من بني جشم	يُسْفَدَا
٢٩٤	حسان بن ثابت	التقوادِ
٥٩٠	عباس بن مرداس	المسجدِ
١٤٣	حسان بن ثابت	نجدِ
٦٧	ابن قتادة بن النعمان	الردِّ
٢٥٠	حسان بن ثابت	سعدِ
٢٦٨	عبدالله بن أنيس	مقدِّدِ
١٢٧	عاصم بن ثابت	الموقدِ
٣١٠	حسان بن ثابت	البلدِ
٥٤٤	أبو سفيان بن حرب	محمدِ
٦٨٣	مالك بن عوف النصرى	محمدِ
٥٨٩	أنس بن زعيم الدبلى	اشهدِ
٤١١	كعب بن مالك	مذودِ
	(الراء)	
٦٣٤	مالك بن عوف النصرى	ويكرِّ
٦٤١	عمرة بنت دريد بن الصمة	ينحدرُ
٧٠٨	كعب بن زهير	القدرُ
٦٨٤	حسان بن ثابت	دررُ
٦٩٠	زهير بن سرد	دررُ
١٤٤	حسان بن ثابت	نزرُ
٦٥٤	شداد بن العارض الجشمى	ينتظرُ
٤٨٦، ٤٥٦	عبدالله بن رواحة	نصروا
٦٦٧	زهير بن سرد	ينتظرُ

الصفحة	الشاعر	القافية
٦٤٨	العباس بن مرداس	الشفرُ
٣٥٦	عامر بن الأكوع	مغامرُ
٤٩١	حسان بن ثابت	سهرُ
٥٨٥	عبدالله بن الزبعرى	بورُ
١٥٠	كعب بن مالك	يدورُ
٦٣٧	العباس بن مرداس	الخبيرُ
١٥	كعب بن مالك	البصيرُ
٢٥٩	حسان بن ثابت	نصيرُ
١٥٠	حسان بن ثابت	مستطيرُ
٢٥٩، ١٤	أبو سفيان بن حرب	السعيرُ
٤٧٨	أسماء بنت عميس	أغبرًا
٢٩٥	حسان بن ثابت	قصورا
٣٥٧	على بن أبي طالب	المنظره
٣٥٥	على بن أبي طالب	القصوره
٣١	هند بنت عتبة	الأدبارِ
٧٠٧	كعب بن زهير	الأنصارِ
٤٠٥	ابن لقيم العبسى	وفقارِ
٢٤٩	رجل من الأنصار	عمرو
٧٤	هند بنت عتبة	سعرِ
٧٤	حسان بن ثابت	الكفرِ
٥٩٧	حاجب العُرمى	شمرى
٤٨٢	حسان بن ثابت	القبورِ

الصفحة	الشاعر	القافية
١١٨	صفية بنت عبد المطلب	وخير
٢٥٩	حسان بن ثابت	نصير
٧٠	حسان بن ثابت	السعير
(السين)		
٦٤٩	العباس بن مرداس	عرمس
١١٩	امراة شماس بن عثمان	لباس
١١٩	الحكم بن سعيد	الناس
٢٩٦	كعب بن مالك	الفوارس
٤١	ابن شعوب	الشمس
(العين)		
٦١٢	دريد بن الصمة	وأضع
٢٩٠، ٢٨٦	سلمة بن الأكوع	الرضع
٢٦٠	حسان بن ثابت	راجع
٢٥٨	كعب بن مالك	نوادع
٤٨٨	عبد الله بن رواحة	ساطع
١١	كعب بن الأشرف	وتدمع
٦٤٦	العباس بن مرداس	فالمصانع
١٠٧	كعب بن مالك	متنعم
٥٦٧، ٢٩٨	مقيس بن صباية	الأخادع
٦٨٠	العباس بن مرداس	والأقرع
١٣٢	خبيب	مجمع

الصفحة	الشاعر	القافية
	(الفاء)	
٦٣٣	خديج بن العرجاء النصرى	أخضفاً
٦٤٧	العباس بن مرداس	خلفاً
٥٨٩	بجير بن زهير	خفاف
١٥٢	على بن أبى طالب	أصدف
٢٦٣، ١٥	حسان بن ثابت	الأشرف

(القاف)

٣١	هند بنت عتبة	المنارق
٦٣٤	مالك بن عوف	تخفق
٣٤	عثمان بن أبى طلحة	تمدقاً
٢٥٧	كعب بن مالك	المحرق
٦٦٤	بجير بن زهير	الأبرق
١٣٣	حسان بن ثابت	القلق
٥٩٥	فتى من جذيمة	الخوانق

(الكاف)

٦٤٦	العباس بن مرداس	هواكا
٦٩٩	كعب بن زهير	هل لكا
٧٠٥	كعب بن زهير	دلكا
٣١٥	جارية من الأنصار	يحمدونكا
١٧٠، ٨	حسان بن ثابت	الأوراك
٥٩٧	خالد بن الوليد	أهانك

(اللام)

١١١	حسان بن ثابت	عدن
١١٩	» » »	والفشل
١١٠	عبد الله بن الزبيري	فعل
٩٣	امرؤ القيس	جلل
٥٦١	حماس بن قيس	وآله
١٢٦	عاصم بن ثابت	عنايل
٤٧٣	قيس بن المحسر	قبل
٤٩٢	كعب بن مالك	الخصل
٧٠١	كعب بن زهير	مكبول
٦٩	حسان بن ثابت	الرسول
٧٠٦	كعب بن زهير	مسلول
١١٧	عبد الله بن رواحة	العويل
٤٣٢	عبد الله بن رواحة	رسوله
٦٧		أبو الـ
٢٧٢	عبد الله بن الزبيري	المقبل
٣٨٠	أبو طالب	آجل
٢٣٩	جبل بن جوال	يُخذل
٤٦٠	عبد الله بن رواحة	فانزل
٥٢٨	الأخزر بن لُعط	ناصل
٣١١	حسان بن ثابت	الفوافل
٥٢٩	بدليل بن عبد مناة	نافل
٢٠٣	حسان بن ثابت	تفعل

٩٩	معبد الخزاعي	الأبايل
٣٢	أبو دجانة	البنخيل
٤١٠	حسان بن ثابت	ونخيل
٤٨٥	حسان بن ثابت	كلها
٤٣١	عبد الله بن راحة	رسوله
٤٣٢	عبد الله بن راحة	تنزيله
	« الميم »	
٢٠	أبو عزة الجمحي	حام
٤٠٩	العباس بن عبد المطلب	الأشم
٤٧٣	قطبة بن قتادة	انحطم
٥٨٤	فضالة بن عمير	والإسلام
٧٠٠	بجير بن زهير	أحزم
٥٩٠	العباس بن مرداس	مسوم
٥٨٥	عبد الله بن الزبيري	بهيم
٦٥٤	كفانة بن عبد ياليل	نريمهما
١٢٧	عاصم بن ثابت	كراما
٦٥٠	العباس بن مرداس	يمما
٥٥١	سعد بن عبادة	الحرمه
٥٦٢	حماس بن خالد	عكرمه
٦٤١	سلمة بن دريد	توسمه
٥١١	خالد بن حق	اللاحام
١٣٣	حسان بن ثابت	وعاصم
٧٠٩	كعب بن زهير	الظلم

٢٠	نافع بن عبد مناف	التذمم
٤٥٩	عبد الله بن رواحة	العكوم.
٥٨٥	حسان بن ثابت	لثيم.
	« النون »	
٣٧	عدي بن سهل	المفتن
٥١١	—	بكفن
٦١٥	العباس بن مرداس	بنيان
١٨٦		شقيفا
٣٥٦، ٣٤٧، ١٨٥		صليفا
١٣٨	—	المسلمينا
٢٥١	ضرار بن الخطاب	طحونا
٤٦٢	عبد الله بن رواحة	لتكرهته
٦٤٥	بجير بن زهير	جبان
١٣٣	حسان بن ثابت	لحيان
٣٠	الشمخ	باليمين
	« الياء »	
٣١٥	ناجية بن جندب	ناجيه
٤٠	الحارث بن النضر	باديه
١٧٠	عبد الله بن رواحة	وافيا
١٠٥	هيرة بن أبي وهب	عواديه
١٠٧	حسان بن ثابت	مخزبها
٥٤٥	عبد الله بن مسعود	فيه

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٣٧	٦	نزرت
٣٤٧	٤	عن أبي عبيد [ويروى نشأ بها مثله . قال السهيلي ويروى : قلَّ عربي مشابهاً ^(١)] مثله ، ويكون منصوباً الخ .
٣٤٩	١٢	بعد : تفرَّد به البخاري دون مسلم : وردت في هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلي : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساحي والمعاول وهي من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميساً ، لأن له ساقاً ومقدمة وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعي » اهـ .
٣٥٠	١٦	زقاق
٣٩٤	١٧	شِرْكان
٣٨١	هامش ^(١)	قال أبو عبيد : « لا أحسبه عربياً » وقال الأزهري : هو لغة يمانية لم تنفش في كلام معدة . وقال في القاموس : « وهم ببَّان واحد وعلى بيان ، ويخفف ، أي طريقة واحدة » وقال في النهاية : أي أتركهم شيئاً واحداً . ولو كان ريثة لتجرك .

تصويبات

الصفحة	السطر	الصواب
٣٣٧	٦	نزرت
٣٤٧	٤	عن أبي عبيد [ويروى نشأ بها مثله . قال السهيلي ويروى : قلَّ عربيٌ مشابهاً ^(١)] مثله ، ويكون منصوباً الخ .
٣٤٩	١٢	بعد : تفرَّد به البخاري دون مسلم : وردت في هذه الزيادة : « فائدة : قال السهيلي : فيه إباحة التفاؤل ، لأنه لما رأى بأيديهم المساخى والمعاول وهي من آلات الهدم والحفر قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش السكتيف خميساً ، لأن له ساقاً ومقدمة وجناحين وقلبا . قال : وليس من تخميس الغنيمة لأن هذا حكم شرعي » اهـ .
٣٥٠	١٦	زقاق
٣٩٤	١٧	شيراً كان
٣٨١	هامش ^(١)	قال أبو عبيد : « لا أحسبه عربياً » وقال الأزهري : هو لغة يمانية لم تنفش في كلام معدة . وقال في القاموس : « وهم ببيان واحد وعلى بيان ، ويخفف ، أى طريقة واحدة » وقال في النهاية : أى أتركهم شيئاً واحداً . لو كان ريثة لتحرك .